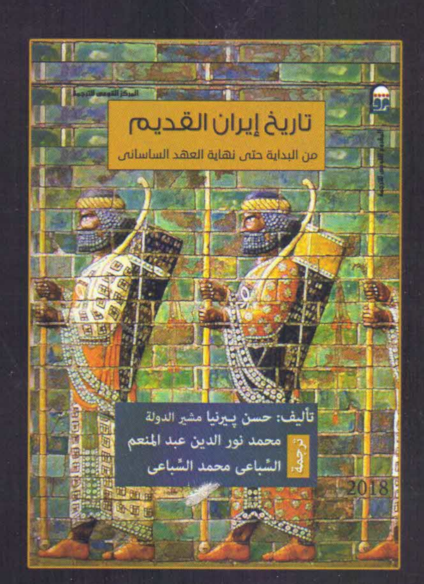


المركز القومى للترجمة
تاريخ إيران القديم
من البداية حتى نهاية العهد الساسانى
المشروع القومى للترجمة
تأليف: حسن پيرنيا
ترجمة
محمد نور الدين عبد المنعم
السِّباعى محمد السِّباعى
2018

لا يمكن لأحد أن ينكر أن الأمة الإيرانية أمة عريقة ذات حضارة قديمة أسهمت فى تقدم العالم، وشاركت فى بناء صرح الحضارة الإنسانية، مع غيرها من الحضارات الأخرى التى وجدت على وجه البسيطة لتشكل فى النهاية هذا العالم المتحضر الذى نعيش فيه اليوم. وعندما اعتنق الإيرانيون الإسلام، ودخلوا فى دين الله أفواجا، قاموا بدور نشط وفعال فى دعم الحضارة الإسلامية وتوطيد أركانها، وساهم علماء الفرس بجهود عظيمة فى تمكين هذه الحضارة وانتشارها فى ربوع العالم الإسلامى.

ولا شك أن ترجمة مثل هذا الكتاب سوف تضيف سفرا جديدا إلى المكتبة العربية، وتلقى الضوء على مسيرة أمة من الأمم، حتى نتعرف على أوضاعها قبل الإسلام ونقارن بين هذه الأوضاع وبين حالتها بعد الإسلام وماذا أصابها من تغير وتحول، وما الذى قدمته للحضارة الإنسانية بوجه عام والحضارة الإسلامية بوجه خاص.



تاريخ إيران القديم

من البداية حتى نهاية العهد الساسانى

المركز القومى للترجمة

تأسس فى أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور

إشراف: فيصل يونس

- العدد: 2018
- تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساسانى
- حسن پيرنيا
- محمد نور الدين عبد المنعم، السباعى محمد السباعى
- الطبعة الأولى 2013

هذه ترجمة كتاب :

ازآغازتا انقراض ساسنيان

للمؤلف: حسن پيرنيا

شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ – ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El Gabalaya St. , Opera House, El Gezira, Cairo

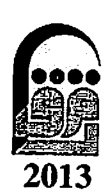
E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524 – 27354526 Fax: 27354554

تـاريخ إيـران القـديم

من البداية حتى نهاية العهد الساسانى

تـأليف : حسن پيرنيا

ترجمـة : محمد نور الدين عبد المنعم
السباعى محمد السباعى



2013

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

بيرنيا ، حسن.
تاريخ إيران القديم: من البداية حتى نهاية العهد الساسانى / تأليف: حسن بيرنيا، ترجمة: محمد نور الدين عبد المنعم ، السباعى محمد السباعى.
ط ١ - القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٣
٥١٦ ص، ٢٤ سم
١ - إيران - تاريخ
(أ) عبد المنعم، محمد نور الدين (مُترجم)
(ب) السباعى، السباعى محمد (مترجم مشارك)
(ج) العنوان ٩٥٥
رقم الإيداع: ٢٠١١/١٧١٤٩
الترقيم الدولى: I.S.B.N - 978 - 977 - 704 - 784 - 5
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتويات

المرحلة الثانية من ٢٢٢٥ إلى ٧٤٥ ق . م

المرحلة الثالثة من ٧٤٥ حتى ٦٤٥ ق . م

تاريخ آريي إيـــران

البـــاب الأول
دورة الميديين

الباب الثانى
الفترة الأولى لحكم الفرس

الباب الثالث

العصر المقدونى واليونانى

الإسكندر والسلوكيون

الباب الرابع

عصر الـــپـــارثيين

الباب الخامس

عصر الـــپـــارسيين (الفرس) الثانى

مقدمـــــة

هذا الكتاب الذى نقدمه اليوم للقارئ العربى هو ترجمة لكتاب "تاريخ ايـــران قديم از آغازتا انقراض ساسانيان" تأليف حسن بيرنيا مشير الدولة، وهـــو كتـــاب يتناول حقبة تاريخية مهمة من تاريخ إيران القديم منذ بداية التاريخ وحتى العـــصر الساسانى، ولا يقتصر المؤلف على ذكر الأحداث والوقائع التاريخية فحسب؛ بل إنه يركز أيضا على الجوانب الحضارية فى كل فترة من الفتـــرات التاريخيـــة التـــى تناولها وقام بدراستها وبحثها، وهو فى كل هذا يعتمد على مصادر ومراجع أصيلة تتحدث عن هذه الحقبة التاريخية الطويلة.

وهذا الكتاب مختصر لسفر أكبر يقع فى ثلاثة أجزاء كبيرة، ولكننا رأينا أن ترجمة هذا المختصر تفى بالغرض من أجل التعرف على تاريخ إيران القديم قبل دخول الإسلام إليها، ومن السهل على الباحث أو الدارس لتـــاريخ إيـــران تداول مثل هذا الكتاب والاستفادة منه، لأنه يلقى الضوء الكافى لبيان تاريخ هذه الأمة وحضارتها.

والحقيقة أنه لا يمكن لأحد أن ينكر أن الأمة الإيرانيـــة أمـــة عريقـــة ذات حضارة قديمة أسهمت فى تقدم العالم وشاركت فى بناء صرح الحضارة الإنسانية، تلك الحضارة التى تكاتفت مع غيرها من الحضارات الأخرى التى وجـــدت علـــى وجه البسيطة لتشكل فى النهاية هذا العالم المتحضر الذى نعيش فيه اليوم. وعنـــدما اعتنق الإيرانيون الإسلام ودخلوا فى دين الله أفواجا قاموا بدور نشط وفعـــال فـــى دعم الحضارة الإسلامية وتوطيد أركانها، وأسهم علماء الفرس بجهود عظيمة فـــى تمكين هذه الحضارة وانتشارها فى ربوع العالم الإسلامى.

أما عن مؤلف هذا الكتاب فهو حسن پيرنيا مشير الدولة الذى ولد عام ١٢٩١ هـ (١٨٧٤م) وقد وفر له أبوه سبل التعليم داخل إيران ثم خارجها حيث ذهب إلى روسيا لاستكمال دراسته القانونية فى كلية الحقوق بموسكو، ثم عين فى وظيفة ملحق بالسفارة الإيرانية فى بطرسبورج، وعندما تولى والده منصب وزير الخارجية عام ١٣١٧هـ (١٨٩٩م) أحضر ابنه حسن من هناك وعينه سكرتيرا له، وكان من أهم أعماله فى هذه الفترة تنظيم أرشيف وزارة الخارجية.

ولما كان مشير الدولة مغرما بالقانون ودراسته فقد عمل على تأسيس مدرسة لدراسة القانون وأعد مناهجها بنفسه، وتم افتتاحها فى شهر شعبان من عام ١٣١٧ هـ (١٨٩٩م). وتعتبر هذه المدرسة هى النواة الحقيقية لما يسمى اليوم بكلية الحقوق فى طهران.

تدرج مشير الدولة فى المناصب السياسية حيث عين سفيرا لإيران فى بطرسبورج بعد ذلك على عهد مظفر الدين شاه (١٨٩٦ - ١٩٠٧م)، ثم شارك فى وضع الدستور، وعين وزيرا للخارجية فى وزارة ميرزا أبى القاسم خان ناصر الملك فى عام ١٣٢٥هـ (١٩٠٧م)، ثم وزيرا للعدل فى وزارة ولى خان عام ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩م) ثم وزيرا للعدل أيضا فى وزارة سپهسالار عام ١٣٢٨ (١٩١٠م) وعدة وزارات أخرى.

ومن الجدير بالذكر أيضا أن مشير الدولة قد قام هو نفسه بتشكيل عدة وزارات بعد ذلك، حيث شكل أول وزارة يرأسها فى عام ١٣٣٣ هـ (١٩١٤م) وتولى فيها أيضا منصب وزير الحربية بالإضافة إلى رئاسته للوزراء. أما وزارته الثانية التى رأسها فقد كانت فى عام ١٣٣٨هـ (١٩١٩م) وتولى فيها مصدق السلطنة أو الدكتور محمد مصدق منصب وزير العدل. وقد شكل وزارته الثالثة فى عام ١٣٤٠ هـ (١٩٢١م)، وهى التى قدمت استقالتها فى نفس ذلك العام ولم تستمر طويلا. ثم شكل وزارته الرابعة فى عام ١٣٤١هـ (١٩٢٢م)، وكان هذا التشكيل الأخير هو آخر المناصب السياسية التى تولاها مشير الدولة. وقد امتدت حياته السياسية من عام ١٣١٧ هـ (١٨٩٩م) وحتى عام ١٣٤٥هـ (١٩٢٦م)، ثم

اعتزل العمل السياسى وفضل التفرغ للكتابة والتأليف؛ فكان هذا الكتاب الذى بين أيدينا ثمرة لهذا الجهد العلمى إلى أن توفاه الله عام ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥م) وكان عمره آنذاك ثلاثا وستين سنة.

ومن هنا ندرك مدى أهمية هذا الكتاب ومؤلفه؛ حيث عُرف عنه ثقافته الواسعة وحبه للعلم ورغبته فى إحياء القومية الإيرانية عن طريق الكتابة عن تاريخ إيران القديم وذكر أمجاد أسلافه الذين بنوا حضارة هذه الأمة العظيمة، ولكى يكون ما يكتبه دافعا للأجيال الحديثة حتى تقتدى بالقدماء ومفاخرهم.

ولا شك أن ترجمة مثل هذا الكتاب سوف تضيف سفرا جديدا إلى المكتبة العربية، وتلقى الضوء على مسيرة أمة من الأمم، حتى نتعرف على أوضاعها قبل الإسلام ونقارن بين هذه الأوضاع وبين حالتها بعد الإسلام وماذا أصابها من تغير وتحول، وما الذى قدمته للحضارة الإنسانية بوجه عام والحضارة الإسلامية بوجه خاص. إن هذا هو دور دارسى اللغات الشرقية الإسلامية وخريجيها الذين يجب عليهم اختيار المزيد من المؤلفات المكتوبة بهذه اللغات وترجمتها إلى اللغة العربية، حتى تزداد معرفتنا بهذه الشعوب المسلمة وتاريخها وحضارتها.

إننا نأمل أن يفيد طلاب الدراسات الإيرانية والحضارة الإسلامية من هذه الترجمة وأن يروا فيها أصول الحضارة الإيرانية التى استمرت فى ظل إيران الإسلامية لتنتقل إلى العربية خير ما فى التراث الفارسى من أدب وعلم وتاريخ، هذا التراث الذى نجده فى كتب ابن المقفع والجاحظ وابن قتيبة وابن عبد ربه وغيرهم، ونرجو أن نكون قد وفقنا فى نقل هذا المرجع التاريخى المهم إلى اللغة العربية حتى يفيد منه الباحثون والدارسون ممن يهتمون بتاريخ إيران القديم. والله ولى التوفيق...

المترجمان

القاهرة فى يوم الجمعة

الموافق ١٣ من ربيع الآخر ١٤٣٢هـ - ١٨ من مارس ٢٠١١م

ملحوظة

ترجم النصف الأول من الكتاب (حتى نهاية الباب الثالث)

الدكتور السباعى محمد السباعى

وترجم النصف الثانى من الكتاب (من بداية الباب الرابع وحتى نهاية الكتاب)

الدكتور محمد نور الدين عبد المنعم

***

حرص المترجمان على الإبقاء على الحروف الفارسية المستخدمة فى الأعلام كما هى، والنطق الصحيح للحروف الفارسية الغريبة عن العربية كما يلى:

١- الحرف الفارسى پ ينطق **P**

٢- الحرف الفارسى چ ينطق مثل **Ch**

٣- الحرف الفارسى ژ ينطق مثل **J**

٤- الحرف الفارسى گ ينطق مثل الجيم فى اللهجة المصرية، أو حرف **G** فى كلمة **Go** الإنجليزية.

٥- حرف الواو إذا كان متحركا ينطق مثل حرف **V** فى اللغات الأوروبية، كما فى الكلمات: أوستا، والرين، وره ران ، وپرويز.

سيرة حسن پيرنيا مشير الدولة[١]

ما زلت أكتب فى التاريخ مجتهدا

حتى رأيتك فى التاريخ مكتـــوبا

شيخ نائين - يوجد فى مدينة نائين (التى تقع على بعد عشرين فرسخا مـــن أصفهان، وخمسة وعشرين فرسخا من مدينة يزد) مزار يدعى "المصلى"، يقـــصده اليوم أهالى نايين ويؤمونه ويعتقدون فيه. وقد دفن فى هذا الحرم متصوف اســـمه "مير عبد الوهاب" وكان درويشا متفانيا فى محبة الله وعارفا ممعنا فى الحقيقـــة[٢]، وهو من متصوفة فرقة النور بخشية، وتولى الخلافة بعد مير محمد تقى شاهى[٣].

قدم محمد حسن كوزه كنانى (الأذربايجانى) مع أبيه فـــى أوائـــل العـــصر القاجارى من تبريز إلى يزد ثم انتقلا إلى نايين، والتحق محمد حسن بخدمة الـــشيخ وأصبح مريدا له وحصل على مقام رفيع عنده.

كان لـــ "آقا محمد" ابن الحاج عبد الوهاب الذى توفى فى حياة والده ثـــلاث بنات أعطى الشيخ إحداهن إلى مريده الحاج محمد حسن كوزه كنانـــــى. وتـــوفى الشيخ فى عام ١٢١٢هـــ = ١٧٩٧م ودفن فى نايين، ووصلت خلافته ولقبه إلـــى الحاج محمد حسن، وهذا هو نفسه الحاج محمد حسن الذى دعا لمحمد ميرزا عنـــد مرور عباس ميرزا نائب السلطنة وابنه محمد ميرزا بنايين لإخماد ثورة فى كرمان عام ١٢٤٥هـــ (١٨٢٩م)[٤] وذلك عندما ملأ محمد ميرزا غليونا وناوله للحاج فى

التكية (الخانقاه) وتنبأ له بأنه سيكون ملكا فى المستقبل، وقد أشار إلى ذلك تلميحا فى حضوره، ونوه إلى توليه الملك صراحة فى غيابه(٥).

عاش الحاج محمد حسن أربعا وتسعين سنة وتوفى عام ١٢٥٠هـ (١٨٣٤م)(٦). وشيد بناء المصلى الذى يعد اليوم مزارا له بأمر من محمد شاه بعد توليه الملك(٧).

وكان لأقا محمد بن الشيخ عبد الوهاب ابنان أيضا، أحدهما يدعى أبو طالب، وولد له ابن يدعى محمد، وهو والد ميرزا نصر الله خان النائينى المعروف الذى لقب بلقب مشير الدولة وهو والد حسن پيرنيا.

ويجب القول إن أولاد الشيخ من بناته اشتهروا باسم پير زاده(٨). واشتهر أولاده من أبنائه باسم "پيرنيا"، ويطلق على هذه الأسرة أصلا فى نايين أسرة "المصلايين".

مشير الدولة الكبير:

ترك نصر الله خان فى أوائل عمره مدينة نايين، وقدم إلى طهران بثلاثة رؤوس أموال كبيرة حصل عليها بعمل وهمة أهل يزد، وذكاء وعقل أهل أصفهان، وقناعة وتحمل وصبر أهل خور وبيابانك، وتقع نايين بين هذه النواحى الإيرانية المعروفة.

ويقال إنه كان يشتغل بالكتابة ليوفر سبل معيشته، وخدم بعد ذلك فى إدارة ميرزا عبد الوهاب خان نصير الدولة (آصف الدولة) بمرتب شهرى قدره اثنان أو ثلاثة تومانات، إلى أن تولى ميرزا وسعيد خان مؤتمن الملك وزارة الخارجية فدخل معه ميرزا نصر الله خان للعمل فى الوزارة، إلى أن كلف المرحوم إبراهيم خان نائب الوزارة بتولى مهام وزارة الخارجية فى آذربايجان فذهب معه ميرزا

نصر الله أيضا بوصفه سكرتيرا إلى تبريز، وهناك تزوج واختار ابنة الحاج ميرزا تقي الياور الخاص بالإدارة (وهي أم حسن پيرنيا). وعاد بعد وفاة نائب الـوزراء إلى طهران[٩].

تولى في بداية الأمر وظيفة محاسب ومديرا في وزارة الجيش، ثم تقدم تـدريجيا حتى نال اهتمام الأتابك ميرزا على أصغر خان، فمنحه في نهاية الأمر وزارة الجيش، وعندما كانت وزارة المخازن العسكرية في يد معير الممالك كان هـو يتـولى وزارة الجيش، وكان يوافق على ميزانية المخازن ويوقـع عليهـا. وفـي عـام ١٣١٤هـ (١٨٩٦م) قبل مشير الدولة وزارة الحربية بشرط قبول وزارة الجيش[١٠].

وفي بداية العمل بوزارة الخارجية (١٢٩٩هـ = ١٨٨١م) لُقب بلقب مـصباح الملك، وفي عام ١٣٠٨هـ (١٨٩٠م) لُقب بلقب مشير الملك. وبعد مقتل ناصر الـدين شاه (١٨٤٧ – ١٨٩٦م)، توفي محسن خان مشير الدولة الـذي كـان يتـولى وزارة الخارجية والذي ذهب للعلاج في باريس. وفي هذا الوقت نُقل الأتابك ميرزا نـصر الله خان من وزارة الجيش إلى وزارة الخارجية، وفي شـهر ربيـع الثـاني مـن عـام ١٣١٧هـ (١٨٩٩م) أسندت إليه وزارة الخارجية ولقب بلقب مشير الدولة[١١].

وفي تلك الأيام كانت الثورة الدستورية في إيران قد بلغت مرحلتها النهائية، واتضحت معالم الصورة تماما، وبرز المطالبون بالحرية من كل حـدب وصـوب يطالبون بالحرية والعدالة.

وفي يوم الأربعاء الموافق العاشر من جمادى الآخر عام ١٣٢٤هـ (١٩٠٦م) أغلقت الأسواق أبوابها ونَصَب تلاميذ المدارس الخيام في السفارة الإنجليزية، وفي هذه الأثناء دخل إلى السفارة رجل يمتطي بغلا وقال : "أيها الناس أبشروا فقد عُزل معين الدولة". والخلاصة أنهم أعطوا منصب الصدارة (رئاسة الـوزارة) لمـشير الدولة الذي كان منذ ثلاثين سنة سكرتيرا وكاتبا لنظام السلطنة، وكان راتبـه فـي

الشهر ثلاثة تومانات[١٢] وقد تشكلت أول حكومة شرعية لمشير الدولــة فــي ١٨ شعبان عام ١٣٢٤هـ (١٩٠٦م).

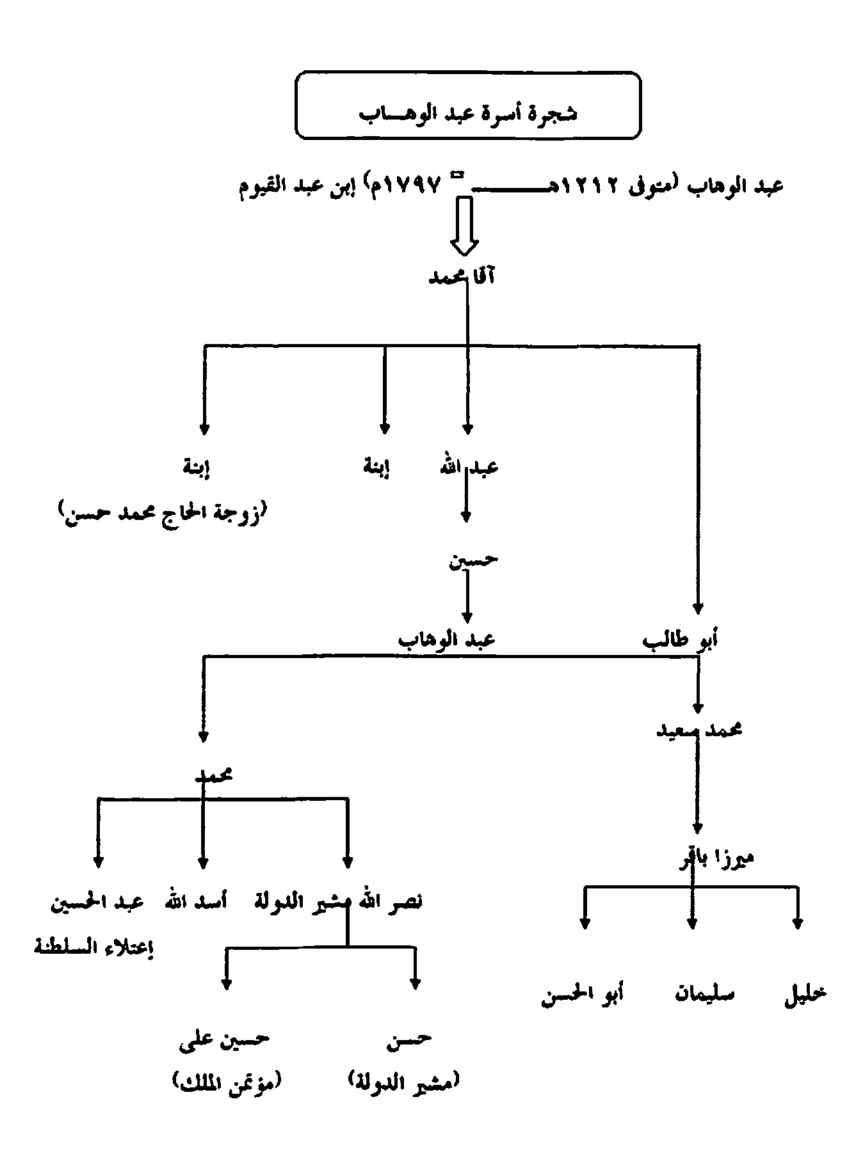
مشير الدولة الكبير ومحمد عليشــاه:

توفى مظفر الدين شاه فى خريف عام ١٣٢٤ (١٩٠٦م). وكان مشير الدولة كغيره من الوزراء الشيوخ لا يرغبون فى تتويج محمد عليشاه (١٩٠٧ - ١٩٠٨م) الشاب المغرور.

والخلاصة أن مشير الدولة ظل فى منصب الصدارة إلى أن حــضر محمــد على شاه الأتابك من أوروبا، فتمارض ميرزا نصر الله خان وترك عمله[١٣]. وربما يرجع السبب وراء تخليه عن العمل إلى عجزه عن منع جموح الملك وسياسته التى تتنافى مع الوطنية بالنسبة لحل البرلمان بأى شكل من الأشكال، حتى لو كان ذلــك عن طريق التدخل الأجنبى[١٤] (محرم ١٣٢٥هـ = ١٧ مارس ١٩٠٧م).

وقد تم ترشيح الوزراء الجدد فى يوم ٢١؛ فأرســل الملــك برقيــة لأمــين السلطان الذى كان ما زال موجودا فى سويسرا يطالبه بالعودة إلى طهران[١٥]؛ فعاد فى ٢٧ ربيع الأول من أوروبا إلى إيران بعد لقائه بالزعماء الروس.

"وفى الرابع من شهر شعبان عام ١٣٢٥هـ (١٩٠٧م)، يتوفى مشير الدولة دون أن يصيبه المرض فى رستم آباد بشميران، وربما يكون قد مات مسموما، ذلك لأن علاء الدولة كان ضيفا عليه فى رستم آباد وتناولا معا طعام الغــداء، ومــا إن دخل الصدر الأعظم بعد ذلك إلى داخل منزله إلا واضطربت حالتــه بعــد فتــرة وجيزة، وتوفى بعد ساعة من بداية الليل"[١٦].



نقلا عن: (سفرنامه حاجى بيرزاده ، ايرج افشار)

حسن پـــيرنيا

دراستـــــه :

فى أوائل عام ١٢٩١هـ (١٢٥٢ش = ١٨٧٤م) ولد فى أســرة نــصر الله خان مشير الدولة صبى، وولد من بعده بعامين صبى آخر يدعى حسين. وقد اهــتم ميرزا نصر الله خان بتربية هذين الولدين اهتمامًا كبيرًا، ولما كان هو نفسه رجــلا كريم الأصل وراقيا ومحبا للفضيلة؛ فقد فكر منذ بداية الأمر فى تعليم أبنائه، ولهذا وفر لهم منذ الصغر كل وسائل الدراسة والتحصيل. تعلــم حــسن خــان مبــادئ الفارسية والعربية على يد معلمين خصوصيين، وما إن تعــرف حــسن وحــسين وأخوهما الصغير على مبادئ اللغة والأدب، إلا وأرســلهم أبــوهم إلــى أوروبــا للدراسة؛ فذهب حسن إلى روسيا وذهب حسين وعلى إلى باريس، وهم ما زالــوا فى سن مبكرة، فقد كان عمر حسن فى ذلك الوقت أربعــة عــشر عامــا. يقــول المستوفى : عندما كان نصر الله خان مصباح الملك[١٧] ورئيس إدارة الروس أرسل أولاده الثلاثة حسن وحسين وعلى للدراسة فى أوروبا. وعندما تغيــر لقبــه مــن مصباح الملك إلى مشير الملك فى عام ١٣٠٨هـ (١٨٩٠م) كان يرى أنــه مــن الواجب عليه أن يرسل ابنه حسن الذى كان فى سن السابعة عشرة إلى الخارج.

أتم حسن خان دراسته العسكرية ثم دراسته القانونيــة فــى كليــة الحقــوق بموسكو، وبعد أن أنهى دراسته عُيِّن فى وظيفة ملحــق بالــسفارة الإيرانيــة فــى بطرسبورج.

وفى عام ١٣١٧هـ (١٨٩٩م) عندما وصل أبــوه إلــى منــصب وزيــر الخارجية، استدعى ابنه حسن خان من بطرسبورج وجعله سكرتيرا له، ثم عُين فى

منصب رئيس مجلس وزارة الخارجية وكذلك فى وظيفة السكرتير الخاص للصدر الأعظم ومنح لقب مشير الملك(١٨).

ويعتبر تـأسيس مجلس الـوزارة وكذلك أرشـيف وزارة الخارجيـة مـن أعماله المهمة.

مدرسة العلوم السياسيــة :

لاشك أن طبيعة وشخصية ميرزا حسن خان مشير الدولة البارزة قـد سـاهمت فى معرفته بالقانون وعلمه به وعشقه له؛ فلقد كان جل هم هذا الرجل العظيم فـى أى حال من الأحوال وفى كل الأوقات والظروف هو تطبيق المبادئ والقوانين ورعايتهـا، وكثيرا ما ساعد هذا التشدد فى تطبيق المبادئ والقوانين على إنتحاره السياسى.

وقد أدت دراساته العليا فى الحقوق إلى إدراكه الواعى بأهمية القانون وتأثير المبادئ والقيم فى المجتمعات ورقى الشعوب؛ ومن ثم فإنه بمجرد أن وطأت قدماه أرض إيران، اهتم بضرورة إنشاء مركز لتعليم أصول وقواعد الحقوق الإنـسانية، وفتح مدرسة تعلم الشعب الإيرانى القانون والحقوق.

ولإنجاز هذه المهمة استعان بمنزلة والده نصر الله خان وشخـصيته، وهـو الذى كان بدوره رجل مبادئ وأصول. يقول المرحوم المستوفى :

إن تأسيس مدرسة سياسية هى نتاج فكر ميرزا حسين خان مشير الملك ابن ميرزا نصر الله خان مشير الدولة. لقد بين الابن والأب للصدر الأعظـم (رئـيس الوزراء) والملك مزايا هذه الفكرة؛ فأصدرا أمرا بتنفيذها وخصصا مبلـغ أربعـة آلاف تومان سنويا لنفقات هذه المدرسة من دخل الفيروز الذى تنتجه خراسان. وقد أعد مشير الدولة برنامج هذه المدرسة ومناهجها، وشُـغل علـى الفـور باختيـار المعلمين ومكان المدرسة ونشر إعلانا لقبول طلبات الالتحاق بها.

وتقرر الافتتاح الرسمى للمدرسة السياسية فى منتصف شهر شعبان من عام ١٣١٧هـ (١٨٩٩م) الموافق ٢٨ من شهر آذر، ودُعى جمع غفير فى عصر ذلك اليوم من قبل نصر الله خان مشير الدولة[١٩]. وتولى رئاسة المدرسة فى بداية الأمر مشير الملك، ثم انتقلت الرئاسة بعد سفره إلى بطرسبورج (عام ١٣٢٠هـ = ١٩٠٢م) إلى أخيه ميرزا حسين خان پيرنيا، الذى عاد من بطرسبورج إلى طهران. هذه المدرسة السياسية هى فى الحقيقة النواة والقاعدة الأساسية لمدرسة الحقوق أو ما يسمى اليوم بكلية الحقوق، ولا يمكن لأحد أن ينكر دورها فى التحول الفكرى والقضائى فى مجتمع إيران المعاصر. وقد ظهر تأثيرها السحرى بسرعة فى تلك الأيام، أى بعد ست أو سبع سنوات فى إيران، فى تنظيم وتوجيه الثورة الدستورية وإدارتها والاستفادة منها. وكان حسن خان مشير الدولة يقوم بنفسه بتدريس القانون الدولى فى هذه المدرسة، وكانت مدة الدراسة فى هذه المدرسة أربعة أعوام فى بداية الأمر ثم زيدت بعد ذلك، وكان من بين مدرسيها أيضا المرحوم محمد حسين فروغى ذكاء الملك الذى تولى رئاستها أيضا فيما بعد.

مشير الدولة يتولى منصب السفير:

سافر مشير الدولة برفقة مظفر الدين شاه (١٨٩٦ – ١٩٠٧م) إلى أوروبا فى رحلته الثانية (١٣٢٠هـ = ١٩٠٢م) كمترجم له، وبعد عودة الشاه تم تعيينه سفيرا لإيران فى بطرسبورج.

ومع حداثة سنه أدى عمله على الوجه الأكمل وأدار سفارة بطرسبورج بكل النجاح، وكان منزله داخل السفارة. ومنذ أن تولى سفارة بطرسبورج أمر بمنع ذكر ألقاب فى بطاقاته على الإطلاق، وكان يكتفى بتعريف نفسه فى البطاقات على أنه ميرزا حسن خان الوزير المفوض لإيران. وكان يبدى نوعا من الصبر والهدوء فى تأدية عمله

فى السفارة، حيث إنه كان شابا صغيرا على تولى هذا المنصب، بل كان أصغر من نائب السفارة مشاور الممالك عليقلى خان الأنصارى بخمس أو ست سنوات.

وكان يجيد اللغة الروسية ويتحدث مع الإمبراطور بلغته الأم ويرد عليه الإمبراطور أيضا باللغة الروسية، بينما كان يتحدث مع الآخرين باللغة الفرنسية"(٢٠).

وفى أيام سفارته هذه فكر مظفر الدين شاه فى السفر إلى أوروبا للمرة الثالثة، وبطبيعة الحال كان ذلك عن طريق روسيا طبقا للمعتاد. "عندما حل عيد وربيع عام ١٣٢٣هـ (١٩٠٥م)، فكر الشاه فى أوروبا، وتلقى مشير الملك (حسن خان بيرنيا) برقية حتى يكون فى استقباله، وفى أوائل يونيو وصلت برقية أخرى تفيد مجئ الشاه إلى بطرسبورج، وبالفعل وصل إليها فى شهر يوليو.

أنهى الشاه رحلته إلى أوروبا، وعند عودته عن طريق روسيا قام مشير الدولة بتوديعه حتى الحدود، وقد اهتم الشاه بأمره كثيرا فى هذه الرحلة، حيث قدم هدية أيضا إلى الشاه عبارة عن ألبوم مغلف بغلاف من الفضة المنقوشة بالميناء، وعندما أراد الشاه فتح الألبوم، قال أحد الفضوليين بالبلاط : "مولاى إن الألبوم ليس به صور"، وأدرك الشاه سوء أدبه فقال : "هل تعرف لماذا أريد فتح الألبوم ؟ لأنى أريد أن أكتب فى حاشيته شرحا لحسن استقبال مشير الملك، فأعطنى قلما ودواة". عندئذ أدرك هذا الرجل سوء أدبه وتراجع، وكتب الشاه شرحا فى حاشية إحدى صفحات الألبوم وأغلقه"(٢١).

وبعد عودة مظفر الدين شاه بأسبوع، توجه مشير الملك إلى إيران بعد إجازة لمدة عشرة أو عشرين يوما بموجب التصريح الذى حصل عليه أثناء ملازمته لركاب الملك حتى حدود إيران وبعد عودته إلى بطرسبورج(٢٢).

الثورة الدستورية ومشير الدولة:

تصادف مجئ حسن خان مشير الملك مع السنوات المليئة بـالتوتر بـسبب الثورة الدستورية في إيران التي حملت معها نسائم التجديد والحرية وأمواج التحرر والمساواة إلى سواحل النظام القائم في إيران، وجددت آمال الذين كانوا يغطون في سبات عميق لمدة ألفين وخمسمائة عام في تلك الديار، والذين انتظروا وهم يفركون أعينهم بزوغ أشعة شمس الحرية.

ويتدخل مشير الملك ويساعد بما توفر لديه من دراسات عليا فـي الحقـوق وأفكار سامية للمطالبة بالحرية في عمل أبيه الذي كان صـدرا أعظـم ويناصـر المطالبين بالحرية ويؤيدهم. يقول ناظم الإسلام :

أنجب مشير الدولة ولدين هما ميرزا حسن خان مشير الملك وميرزا حسين خان مؤتمن الملك وابنة واحدة، والواقع أن هذين الابنين كان يشار إليهما بالبنـان نظرا لحسن تربيتهما ورقيهما، وكانا محل حسد من أمثالهما وأقرانهما، والواقع أن مشير الدولة خلف شيئين عظيمين وكبيرين، أولهما الثراء الفاحش الذي جمعه مـن مرافقته لأمين السلطان وفي وقت رئاسته[٢٣]، وثانيهما هذان الابنان اللذان كانا للحق والإنصاف سببا في حسن سيرة أبيهما، ولم يكن العلماء الـذين تحملـوا الصعاب والمشقة من أجل الحصول على الحكم النيابي والحكم الـوطني يتوقعـون مطلقا الوصول إلى هذه النتيجة وهذه الثمرة، بل إنهم كانوا يمهدون لعشرة أعـوام قادمة، كما طالب الذين يعملون في السفارة أيضا بالحكومة الـشرعية فـي نهايـة الأمر، وفي هذه الأثناء وطبقا للمعلومات التي كانت لدى ابني مشير الدولة أدرجوا مصطلح "كنستي توسيون"[٢٤] في المرسوم الذي أصدره مظفر الدين شاه بخط يـده وقد خرج الأمر من يد رجال البلاط بعد إعلانه رسميا وإطلاع السفراء عليه[٢٥].

وأول من استخدم كلمة "كنستى توسيون" (الدستور) على لسانه هو المرحوم ميرزا حسن خان پيرنيا مشير الدولة(٢٦).

وفى الرابع عشر من جمادى الثانية عام ١٣٢٤ (١٩٠٦م) صـــدر فرمـــان المشروطية (الحكم النيابى أو الدستورى) وتم تشكيل مجلــس الــشورى فـــى ١٨ شعبان(٢٧).

يقول المرحوم ملك زاده :

أعدت مجموعة من المطالبين بالحرية ومن الأشخاص المطلعين على بواطن الأمور من أمثال صنيع الدولة ومخبر السلطنة ومشير الملــك ومحتــشم الــسلطنة لائحة الانتخابات بعد أن ترجموا لوائح الانتخابات عند الشعوب الأخــرى وعــدلوا فيها؛ ولكنهم واجهوا مشكلتين إحداهما من قبل الزعماء الدينيين والأخرى من قبــل رجال البلاط المستبدين وعلى رأسهم من الباطن ولى العهد؛ حيث كانــت وجهــة نظر رجال الدين ألا يدخل البرلمان أحد من البابيين أو من لا دين له، أما وجهــة نظر المستبدين من رجال البلاط أن تكون كل القوى فى المملكــة خاضــعة لإرادة الملك وهى كل لا يتجزأ.

وفى عصر يوم الخميس الموافق الثامن عشر من ١٨ جمادى الآخــرة مــن عام ١٣٢٤هـــ (١٩٠٦م)، قدم إلى المدينة مشير الملك الابن الأكبر للصدر الأعظم مع السيد ميرزا محمد صادق وجماعة آخرين من ذوى الشأن، ودخلــوا الــسفارة وجلسوا داخل خيمة التجار الكبيرة، وجلس مشير الملك فى هذا المجلــس، فــصعد سيد عبد الحسين الواعظ على المنبر وتحدث للناس عن عطف ولطف جلالة الملك، ثم صعد مشير الملك على كرسى وقرأ مرسوم الملك، وتلى الإقرار المكتوب بخط يده والذى تضمن العفو عن المعتصمين.

وكان تاريخ كتابة الدستور فى الثامن عشر، إلا أنه بمجرد توافقه مع عيـد ميلاد الملك؛ فقد سجلوه فى الرابع عشر[٢٨].

يقول المرحوم المستوفى :

"قدّم مشير الملك وأخوه مؤتمن الملك نتيجـة معـرفتهم بلـوائح الدسـتور ومتمماتها عونا كبيرا فى تقدم الحكم الدستورى، وربما إذا لم يكن هـذان الاثنـان موجودين لما عرف المطالبون بالحرية بحماس ماذا يجب عليهم فعله"[٢٩].

يقول المرحوم هدايـت :

"دُعينا أنا وصنيع الدولة، ومحتشم السلطنة وميرزا حسنخان وميرزا حـسين خـان ابنا ميرزا نصر الله خـان مشير الدولـة فى ٢١ جمادى الثانى ١٣٢٤هـ (١٩٠٦م) ومن قبل مشير الدولة لإعداد اللائحة وجلسنا فى رسـتم آبـاد، ورأينـا الصلاح فى الانتخابات الطبقية نظرا لما تقتضيه الظروف، وقد عبرت المسودة عن هذا المعنى"[٣٠].

وفى تلك الأيام كان محمد على شاه قد قدم إلى طهران، وتمكن مشير الدولة وابناه من الحصول على توقيع محمد على شاه الشاب المغرور على الدستور أثناء لقائهم مع ولى العهد وأعضاء المجلسين (وكان المرحوم ميرزا نصر الله خان قـد حصل على التوقيع الملكى عليه وهو فى مرض الموت)[٣١].

مشير الدولة واتفاقية ١٩٠٧م :

بوفاة مظفر الدين شاه تم تتويج محمد على شاه (١٩٠٧ – ١٩٠٨م) على يد نصر الله خان مشير الدولة كما ذكرنا من قبل، شعر :

وقع بالعون الإلهـى   محمد على بالخاتم الملكـى

وقد سافر حسن خان مشير الملك إلى الدول الأوروبية للإعلان عن مراسم تتويج الملك الجديد، وكان قد عين فى شهر رجب عام ١٣٢٥ (١٩٠٧م) فى وزارة مشير السلطنة وزيرا للعدل. يقول المستوفى :

"وفى الشهر الثانى من ربيع عام ١٣٢٥ بدأ سفر مشير الملك كمبعوث فوق العادة للإعلان عن التتويج"[٣٢].

وكان المرحوم المستوفى أيضا يرافق مشير الدولة فى هذا السفر، وقد توجها أولا إلى روسيا ثم إلى برلين وذهبا من هناك إلى لندن.

وفى إنجلترا التقى مشير الملك بالسير إدوارد جراى وزير الخارجية الإنجليزى، وفى تلك الأيام كانت اتفاقية عام ١٩٠٧م المعروفة بين روسيا وإنجلترا حول تقسيم إيران إلى منطقتى نفوذ قد أشرفت على الإعداد. وقد حدث هذا على أثر صدام التوازن السياسى بين الدول الأوروبية وقوة اتحاد دول ألمانيا والنمسا وإيطاليا، حيث فكرت فرنسا فى عقد اتفاقية مودة بين روسيا وإنجلترا، وتكون هى نفسها طرفا فيها، ولهذا عندما عقد مؤتمر دولى فى الجزائر عام ١٩٠٦م، توسطت على هامش الجلسات بين ممثلى روسيا وإنجلترا من أجل عقد اتفاقية ١٩٠٧م المعروفة.

ذهب مشير الدولة من لندن إلى كاليه، وبقى هناك ثلاثة أيام، ثم قدم إلى باريس، ومثل فى حضرة آرماند فالبير رئيس الجمهورية الفرنسية، وحصل على وسام "لـژيون دونور" (وسام جوقة الشرف) (**LÉGION D´HONNEUR**) من الطبقة الأولى. وبعد ثمانية أيام من التوقف فى باريس توجه إلى إسبانيا للاستمتاع بالعطلة والمياه المعدنية هناك، ثم عاد إلى بطرسبورج[٣٣].

وفى نفس تلك الأيام (حوالى شهر رمضان عام ١٣٢٥هـ = ١٩٠٧م) بلغه خبر موت أبيه ميرزا نصر الله خان مشير الدولة، وهو فى بطرسبورج واستدعى إلى طهران.

وفى هذه الأثناء أيضا سقطت وزارة مشير السلطنة، وأصبح ميرزا أبو القاسم خان ناصر الملك رئيسا للوزراء فى ١٨ رمضان عام ١٣٢٥هـ (٢٦ أكتوبر ١٩٠٧م، آبان ١٢٨٦ش)، وعين مجلس وزرائه. وقد حصل ميرزا حسن خان على منصب وزير الخارجية فى هذه الوزارة، ومنح لقب والده وهو مشير الدولة، وعين مؤتمن الملك وزيرا للتجارة.

وفى تلك الأيام أيضا وصل إلى وزارة الخارجية أولا إعلان اتفاقية عام ١٩٠٧م بين الروس والإنجليز حول تحديد منطقتى النفوذ فى إيران من قبل سفارتى روسيا وإنجلترا(٣٤). وقد رد مشير الدولة على رسالتى السفارتين بجواب منطقى حتى يرضى الرأى العام والمطالبين بالحرية.

ونتيجة لرد وزير الخارجية والاعتراضات الكثيرة من قبل الصحف والقوميين الإيرانيين التى وجهت لهذا التصرف، تركت هذه الاتفاقية أثرا سيئا فى أذهان الشعب، مما دفع أولياء الأمر فى الحكومة الإنجليزية إلى الرجوع عنها.

مشير الدولة والقانون :

يجب التفتيش والبحث عن شخصية مشير الدولة من خلال معرفته بالقانون، فهو يعد رائدا فى مجال إصلاح العدالة وتقدمها فى إيران، حيث كانت دراساته كلها فى الحقوق، وعندما عاد إلى إيران سعى لتأسيس مدرسة العلوم السياسية، وكان مغرما بالعدالة. وفى الوقت الذى ذهب فيه إلى لندن للإعلان عن تتويج محمد عليشاه، وبعد أن حصل على الأوسمة والتقى بوزير الخارجية وسائر المسئولين، وعندما سألوه عن الأماكن الجديرة بالمشاهدة والجمعيات المهمة التى يرغب فى زيارتها خلال برنامج زيارته القصير، قال بلا تردد : إننى أرغب فى المشاركة فى إحدى جلسات المحاكمات. يقول المرحوم المستوفى :

"ذهبنا ذات يوم إلى محكمة جنائية وذلك بإصرار من مشير الدولـــة، فقـــد أراد رؤية محاكم الجنايات، وكان القاضى يجلس مرتديا قبعة ذات ضفائر وعباءة حريريـــة سوداء. ويجلس على جانبيه مساعدين للقاضى... وكان جناب السفير الكبيـــر (مـــشير الملك) يعرف قدرا من اللغة الإنجليزية، وألم بشئ منها أثناء مباحثاته... وعـــاد مـــشير الملك بعد الظهر بثلاث ساعات، وعُرف أن دارلينج القاضى الأول لمدنية لندن قد دعـــا سيادة السفير بعد انتهاء المحاكمة وتعرفه عليه، وأنه تناول طعام الغداء معـــه. وكـــان مشير الملك يقول : سألت دارلينج أثناء تناول الغداء : هل ينص القـــانون الإنجليـــزى على عقوبة الإعدام، فأجاب : لحسن الحظ نعم[٣٥].

وقد اهتم مشير الدولة منذ بداية عمله بعيوب الجهاز القـــضائى ونواقـــصه، وواصل دراساته وبحوثه فى كل مكان من أجل تحسين هذه الأوضاع.

"وفى عام ١٣٢٧هـــ (١٩٠٩م) وبعد فتح طهران وتشكيل وزارة ولى خان القائد الأعظم أصبح مشير الدولة وزيرا للعدل، وقام بإقصاء عدد من القضاة بدون محاكمة من الوزارة مخالفا بذلك الدستور، وكان هذا التصرف مخالفا لمـــا توقعـــه الشعب من مشير الدولة"[٣٦]. وكان هذا الموقف من المواقف التى تجاهل فيها مشير الدولة المبادئ القانونية من أجل تحسين وضع العدالة.

ويتحدث المرحوم صدر الأشراف عن تجديد حياة القضاء وإصلاحات مشير الدولة فى الجهاز القضائى الإيرانى فيقول :

"فى عام ١٣٢٨هـــ (١٩١٠م) عُين المرحوم مشير الدولة وزيرا للعدل فـــى حكومة سپهسالار (المقصود به سپهدار نفسه). وطلـــب مـــن البرلمـــان ورئـــيس الحكومة الإذن بالبقاء فى منزله لمدة ستة أشـــهر حتـــى يقـــوم بتنظـــيم القـــوانين والمؤسسات ومبادئ المحاكمات، ووافق البرلمان والحكومة علـــى هـــذا الطلـــب.

وتوجه مشير الدولة إلى منزله وكلف مجد السلطان محمد صدر وكيل وزارة العدل بإدارة شئون وزارة العدل.

يقول صدر الأشراف بعد ذلك : كتب مشير الدولة بعد عدة شهور قانون الأجهزة والهيئات القضائية وقانون أصول المحاكمات وقدمه إلى البرلمان. وتمت المصادقة على قانون الهيئات، إلا أن قانون أصول المحاكمات ووجه بمعارضة شديدة من كبار العلماء. واضطررت أنا محسن صدر، صدر الأشراف، وكانت لى علاقة صداقة قوية مع المرحوم مشير الدولة وكان يستشيرنى أثناء تنظيم قانون أصول المحاكمات فى معظم الأوقات، إلى الذهاب إلى المرحوم سيد حسن مدرس الذى كان مؤثرا وذا شخصية بارزة فى هيئة العلماء، ونجحنا فى لفت نظره، ومن ثم وافق مشير الدولة إلى ضم ثمانى مواد إقترحها كبار العلماء إلى بداية القانون، وتم التصديق على ذلك القانون فى لجنة العدل، ثم مر من البرلمان بسهولة ويسر، وتمت الموافقة عليه فى عام ١٣٢٩هـ (١٩١١م).

وقد تنبه المرحوم مشير الدولة إلى الحاجة إلى مستشار أجنبى لتغيير قواعد المحاكم الإيرانية، وبناء على أوامر منه قدم للعمل فى إيران "مسيو آدولف پرنى" المستشار الفرنسى، وظل بوزارة العدل الإيرانية حتى عام ١٣٠٥(١٨٨٧م)، وكان يتقاضى عشرة آلاف تومان سنويا كمرتب وحوافز غير عادية[٣٧] حتى ينظم الأمور، وقد كُتب قانون العقوبات على يد "پرنى".

والخلاصة أنه حدث فى نفس عام ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) أن طالب مشير الدولة فى البرلمان بميزانية مستقلة وخاصة لوزارة العدل، وكان هذا الأمر من التطورات والتحولات العظيمة والغريبة فى مجال القضاء الإيرانى؛ ذلك لأنه حتى ذلك الوقت كان القضاة مضطرين لكسب قوتهم عن طريق تحصيل مبالغ من طرفى الدعوى، مما جعل هذا القضاء بطبيعة الحال لا يخلو من الشبهة والشك، وعادة ما كان سببا فى خراب الأمور من أساسها.

وقد نادى مشير الدولة فى عام ١٣٢٨هـ فى مجلس الشورى الوطنى بأنه ينبغى على المجلس الموافقة على تخصيص ميزانية لمرتبات موظفى المحاكم وإدارات وزارة العدل، وأن يعطونه مهلة لإعداد قانون هيئات وزارة العدل وإداراتها.

ويجب أن نعلم أن مشير الدولة كان يتولى منصب وزير العدل فى حكومة ناصر الملك (ارديبهشت ١٢٨٨ش – ١٣٢٧هـ - ١٩٠٩م) وفى حكومة سپهدار الثانية والثالثة (آذر ١٢٨٨ش – ١٣٢٨هـ حتى ارديبهشت ١٢٨٩ش – ١٣٢٩هـ - ١٩١١م) وفى حكومة سپهدار الرابعة (اسفند ١٢٨٩ش – ١٣٢٩هـ – ١٩١١م) وحكومة صمصام السلطنة البختيارى الأولى والثانية (مرداد ١٢٩٠ش – ١٣٢٩هـ - ١٩١١م) واستطاع خلال مدة توليه الوزارة الطويلة نسبيا أن يرسخ قواعد وزارة العدل الجديدة التى حاول المرحوم داور ترسيخها قبل ذلك. وكان مشير الدولة يفكر فى إصلاح هذه الوزارة على عهد داور ويؤيده فى الإصلاح بلا حدود وفى تطوير القضاء فى بلاده.

وكان داور قد شكل لجنة لإصلاح قوانين القضاء عند حل وزارة العدل (فى بهمن ١٣٠٥ش = ١٩٢٥م) وشكلت هذه اللجنة من المرحوم مشير الدولة، والمرحوم منصور السلطنة، وميرزا أحمد خان شريعت زاده، والمرحوم الدكتور محمد مصدق، والمرحوم صدر الأشراف. وفى الجلسة الأولى التى عقدت فيها اللجنة اجتماعها الرسمى فى غرفة الوزير، تم انتخاب مشير الدولة رئيسا للجنة وصدر الأشراف نائبا للرئيس ومنصور السلطنة وشريعت زاده كسكرتيرين لها، وتقرر عقد جلساتها بعد ذلك فى منزل مشير الدولة[٣٨].

وقد جعل المرحوم مشير الدولة – ولأول مرة فى إيران – التقاضى على درجتين، مما أدى إلى تأسيس المحاكم الابتدائية ومحاكم الاستئناف. وكان دائما ما يراقب أوضاع القضاء وأحكامه. وعندما سمع بخبر الحكم على نصرة الدولة الحاكم العام بالسجن لمدة ستة أشهر، وقرأ وثيقة حكم المدعى العام، أرسل رسالة

إلى رئيس الجهاز القضائى يخبره فيها بأنه "مما لا شك فيه أنه ربما يكون نـــصرة الدولة قد ارتكب جرائم كثيرة، إلا أنها بمثل هذا الحكم وهذه الإدانة لم تدن نـــصرة الدولة". وكان يقول مرارا إن مصباح العدل والقضاء كان مضيئا بشكل جيـــد فـــى أوائل عمر العصر النيابى، إلا أن الحكومة كانت على عجل.

الاستبداد الصغيـــــر:

بعد وفاة مظفر الدين شاه، ساءت العلاقات بين محمد على شـــاه والـــشعب والبرلمان بشكل أكبر ويوما بعد يوم. وفى هذه الفترة الحساسة من تـــاريخ الحكـــم النيابى تبرز أيضا شخصية مشير الدولة؛ هذه الشخصية التى جسدت فى كل مكان صورة الوسيط بين قوة الحكم المستبد وثورة الشعب؛ ذلك لأن معنوياتـــه العاليـــة ومكانته السامية وثقة الشعب وجهاز الدولة فى فكره الإصلاحى وكفاءتـــه وعـــدم وجود أغراض أو أطماع له، كل هذا أدى إلى قبول الجانبين لتحكيمه ووساطته.

أرسل أعضاء البرلمان، الذين تنبهوا إلى تدهور الأوضاع ورأوا أن غضب الشاه يشكل خطرا على الحكم النيابى بأى حال من الأحوال، رسالة إلـــى رئـــيس البرلمان فى ذى القعدة عام ١٣٢٥هـــ (١٩٠٧م) بمساعدة مـــشير الدولـــة بـــشأن تصرفات وسلوكيات محمد على شاه، وفى الحقيقة أنهم علقوا الجرس فـــى رقبـــة القطة، أى أن إجراءات مشير الدولة أدت إلى أن يوقع محمد على شاه فى ١٧ من ذى القعدة رسالة القسم ويرسلها إلى البرلمان.

وقد أقسم محمد على شاه القسم التالى :

"أقسم بكلام الله المجيد أن أرعى وأدعم نظام الحكم النيابى والدستور بـــشكل كامل وتام. ليلة ١٧ ذى القعدة عام ١٣٢٥هـــ".

وعلى الفور أرسل مشير الدولة البرقية التالية إلى العالم حتى يعرف ما وصل إليه الحكم الدستورى فى إيران الذى كان يواجه آنذاك دعايات مضادة ومغرضة، وكان نص البرقية على النحو التالى :

"إن الخلاف الذى دب بين الشعب والحكومة قد زال بحمد الله تماما، وتعهد جلالة الملك فى مجلس الشورى الوطنى بتوقيعه على القرآن المجيد بالمحافظة على النظام الدستورى طبقا للدستور، وقد ساد الاطمئنان، وأصبحت الوزارة الجديدة مسئولة عن إزالة الخلافات".

(مشير الدولة)

وقد ختم محمد على شاه القرآن بخاتمه وأرسله كوثيقة إلى البرلمان.

وفى الرابع من ربيع الثانى عام ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م) تشكلت حكومة نظام السلطنة وكان مشير الدولة وزيرا للخارجية فيها، ولم تستمر هذه الوزارة كثيرا إلا وتولت حكومة أحمد خان مشير السلطنة فى ٨ جمادى الأول عام ١٣٢٦هـ، وكان مشير الدولة وزيرا للعلوم بها.

وكان هذا هو آخر تشكيل حكومى فى العصر الدستورى الأول يقدم إلى البرلمان، ذلك لأن الخلافات والمشاكل بين الشاه والبرلمان كانت قد وصلت إلى أبعد مدى لها تدريجيا. يقول المرحوم كسروى : "منذ ٢١ جمادى الأولى عام ١٣٢٦هـ كان يقوم بالوساطة مشير الدولة ومؤتمن الملك إلا أنهما كانا يريدان إرضاء الجانبين. فقدم مشير الدولة ومؤتمن الملك ونير الدولة إلى البرلمان وجلس معهم مستشار الدولة وممتاز الدولة وآخرون، وأخذوا يتباحثون، إلا أنهم لم يتوصلوا إلى نتيجة ما"[٣٩].

وفى هذه اللعبة، نشطت السفارة الروسية أكثر من أى مكان آخر، وخاصة فى تفاوضها مع السفارة الإنجليزية التى كانت تعمل معها وبمساعدة محمد عليشاه،

ووصل تدخلها إلى حد أن السفير الروسى تباحث مع وزير خارجية إيران مشير الدولة على النحو التالى :

"قدم موسيو هارت ويج M.HARTWIG سفير روسيا إلى منزل وزير الخارجية، وقال السفير الروسى : إن حياة الشاه فى خطر، هل يحارب هؤلاء الوطنيون وهم بمثابة خدام لجلالة الملك وخاصة الأمير بهادر ؟ إن الأمر وصل بالجمعيات والوطنيين إلى حد المناداة بعزل الشاه، وإذا حدث ذلك فإن روسيا ستضطر للتدخل وسوف تساعدها أيضا إنجلترا. وصدق مارلينج الملحق بسفارة إنجلترا أيضا على هذا الكلام"(٤٠).

وكان حسن خان مشير الدولة قد ترك العمل قبل هذه الأحداث بخمسة أيام، إلا أنه كان يباشر العمل إلى حين تعيين من يحل محله. الخلاصة أن مشير الدولة أسرع إلى البرلمان، وأعطى رئيس البرلمان تقريرا عن الوضع، وفى اليوم التالى (الرابع عشر من خرداد عام ١٢٨٧ش = ٤ جمادى الأولى عام ١٣٢٦هـ = ١٩٠٨م) توجه الشاه إلى "باغ شاه".

السهام تصطدم بالصخر :

لم تتوصل المباحثات إلى نتيجة؛ فقد أرسل الشاه الذى كان قد تأذى من أعضاء المجلس رسالة خطية إلى مشير الدولة رئيس الوزراء فجأة مضمونها : "صاحب السعادة مشير السلطنة، لما كان جو طهران حارا، ويصعب علينا تحمله، لذا فقد انتقلنا إلى باغ شاه، الخميس الرابع من جمادى الأولى – قصر باغ شاه".

والمعروف أن حرارة الجو كانت حجة لضرب البرلمان؛ فاعتصم الوطنيون فى البرلمان، وجعلوا منه مقرا لهم، غير أن وساطة مشير الدولة واتصالاته لم

تنقطع، ذلك لأنه لم يكن يتسم بديكتاتورية العامة أو الخاصة، كما تعقدت الأوضاع بشكل حاد ومتشدد، يقول المرحوم كسروى :

عقد البرلمان جلستين فى يومى ٢١ و ٢٢ من جمادى الأولى عام ١٣٢٦هـ على خلفية الوساطة النهائية، وجرت المفاوضات بينه وبين البلاط بتوكيل مشير الدولة ومؤتمن الملك. إلا أنهم لم يتوصلوا إلى نتيجة فى هذا الصدد، وأرسل محمد عليشاه البرقية التالية إلى كل المحافظات فى يوم ٢٢ جمادى الأولى:

"إن هذا البرلمان يتعارض مع الحكم الدستورى، وكل من يتجاوز أوامرنا، فإنه سيقع تحت طائلة العقاب والمحاسبة. محمد على شاه".

وفى مساء ذلك اليوم جاء مشير الدولة ومؤتمن الملك إلى البرلمان، وأخبروا أعضاءه بأن الشاه مصر على حل البرلمان"(٤١).

فى تلك الأيام توجه عدد من رجال الدين أيضا إلى "باغشاه"، وأيدوا محمد عليشاه فى معارضته للحكم الدستورى، وأصابوه بالغرور حتى أنه أصدر البيان التالى:

"باسمه تعالى، السادة العلماء الأعلام، حيث إن البرلمان يتنافى مع قواعد الإسلام كما ترون، وقد حكمتم بحرمة الحكم الدستورى؛ فإننا صرفنا النظر عنه تماما نحن أيضا، وتأكدوا أن البرلمان لن تقوم له قائمة مرة أخرى".

ومن الأمور المعروفة أن الحاج الشيخ فضل الله نورى عندما عاد من باغشاه إلى منزله قال للناس : "حضرنا الآن من باغشاه وقرأنا الفاتحة على روح الحياة النيابية وشربنا القهوة عليها".

صمد البرلمان فى مواجهة البلاط، وكان الشاه قد أصر على القضاء على الحكم النيابى. وفى يوم السبت الموافق ٢٣ من جمادى الثانى ضرب البرلمان بالمدافع.

وتوجهت قوات بختيارى من أصفهان وسپهدار من جيلان إلى طهران، ونشط أيضا ستارخان وباقرخان فى تبريز.

حاصر الجيش طهران، وفى يوم ٢٣ من جمادى الثانى عام ١٣٢٧ (١٩٠٩م)؛ أى بعد عام كامل من إطلاق قذائف مدافع القائد الروسى للقوازق لياخوف، دخلت قوات المطالبين بالحرية العاصمة طهران من الأبواب الشمالية واندفعت إلى البرلمان وعسكرت هناك، وتوجه الملك إلى السفارة الروسية ثم فر فى نهاية الأمر إلى روسيا.

نصَّب المنتصرون السلطان أحمد ميرزا إبن محمد على شاه سلطانا، ولما كان صغير السن فقد اختاروا عضد الدولة الذى يعد شيخا للقاجاريين كنائب له. وبعد فترة توجه الشاه المخلوع من روسيا إلى إيران وقدم إلى باستر آباد، إلا أنه هُزم هذه المرة من القوات الحكومية فعاد إلى روسيا.

فى هذه السنوات نفسها ظهر حزبا الثورة والاعتدال، وهما اللذان عرفا بعد افتتاح البرلمان باسم الحزب الديمقراطى الشعبى وحزب الاجتماعيين الاعتداليين. وكانت المناصب التى تولاها مشير الدولة فى هذه السنوات هى :

تولى مشير الدولة منصب وزير العدل فى ربيع الأول عام ١٣٢٩هـ (١٩١١م) عندما كان سپهدار رئيسا للوزارة. وعين وزيرا للبريد والبرق فى وزارة سپهدار الثانية التى شكلت فى ٢٠ اسفند ١٢٨٩ش (٢٢ رجب ١٣٢٩هـ)، ونُصِّب وزيرا للعدل فى حكومة صمصام السلطنة التى تشكلت فى مرداد ١٢٩٠ش (٢٩ رجب ١٣٢٩هـ)، ثم وزيرا للعلوم والأوقاف، وكذلك تولى منصب وزير العلوم والأوقاف فى وزارة علاء السلطنة (١٢٩١ش - ١٣٣١هـ).

تُوِّج أحمد شاه رسميا فى ٢٧ شعبان ١٣٣٢هـ، وفى هذه الأثناء اشتعلت نيران الحرب العالمية الأولى، وشكل مستوفى الممالك حكومته بعد بدء هذه الحرب

بثمانية عشر يوما، وفى بداية عمله وبسبب تعطيل البرلمان كان يستشير بعض الرجال من ذوى التجربة والبصيرة لاتخاذ القرارات المناسبة، خاصة فى تلك الأوقات التى كان يختلى فيها مع مشير الدولة ومؤتمن الملك، وقام بإصدار المرسوم التالى من قبل الشاه بعد موافقتهما :

"نظرا لنشوب الحرب فى هذه الأيام بين دول أوروبا مع الأسف.. فإن بلادنا تتمسك بالحياد تجاه هذا الأمر وتواصل علاقات الصداقة وترعاها مع الدول المتحاربة كما كان الحال من قبل، ١٢ ذو الحجة ١٣٣٢هـ = أول نوفمبر ١٩١٤م".

إلا أن هذا الحياد لم يدم طويلا كغيره من تعهدات الحياد.

أول وزارة لمشير الدولة :

لم تتمكن وزارة مستوفى الممالك من البقاء طويلا، واستطلع مؤتمن الملك فى يوم الخميس ٢٤ ربيع الثانى ١٣٣٣هـ (١١ مارس ١٩١٥م) بناء على أمر من الشاه رأى الأحزاب؛ فصوت الحضور جميعا وكان عددهم ٧٥ شخصا لصالح مشير الدولة. وتوجه مشير الدولة مباشرة من البلاط لزيارة مستوفى الممالك. وبعد ذلك قدم وزراءه فى يوم الأحد ٢٧ ربيع الثانى عام ١٣٣٣هـ الساعة الرابعة بعد الظهر، وهم :

مشير الدولة	رئيسا للوزراء ووزيرا للحربية
معاون الدولة	وزيرا للخارجية
مستشار الدولة	وزيرا للداخلية
حكيم الملك	وزيرا للمعارف
ذكاء الملك	وزيرا للعدل

مستشار السلطنة   وزيرا للمالية

نصر الملك   وزيرا للبريد والبرق والتجارة

وكانت أول مشكلة تواجه الحكومة قضية تدخل الروس والإنجليز من ناحية، وتوقعات ما سوف يحدث من الألمان من ناحية أخرى، وفى هذه الأثناء كان ينبغى أيضا تحديد مهمة صلاحيات المستشارين البلجيكيين الذين كانوا يسيطرون على الجمارك. وقد ظلت هذه الحكومة حتى العاشر من شهر اردیبهشت من عام ١٢٩٣ش (١٩١٣م)، لكنها لم تعمر طويلا وأوكل الأمر لعين الدولة.

ورغم ذلك فقد تولى مشير الدولة مناصب فى وزارات السنوات التالية؛ إذ نُصب وزيرا للحربية فى وزارة علاء السلطنة التى استمرت من ١٥ خرداد ١٢٩٤ش (١٩١٤م) وحتى آبان ١٢٩٦ش (١٩١٦م)، وكذلك عُين وزيرا للحربية أيضا فى وزارة عين الدولة (من آبان حتى دى عام ١٢٩٦ش = ١٩١٦م). وعين مرة ثانية وزيرا للحربية فى وزارة مستوفى الممالك الثانية التى استمرت من ٤ دى ١٢٩٦ش وحتى اردیبهشت عام ١٢٩٧ش (١٩١٧م).

وتعتبر هذه الأيام أسوأ أيام مرت فى تاريخ إيران، حيث ساعدت السياسة الخارجية والأوضاع المضطربة فى الداخل على التمهيد لإنقلاب عام ١٢٩٩ش (١٩١٩م)، وقد وصل أمر قصر عمر الحكومات وسقوطها بسرعة إلى تدهور الإدارة والنظام وعدم انضباط الأمور، وللأسف أيضا فإن أحمد شاه الذى كان قد وصل إلى سن الرشد ولم يعد له نائب للسلطنة لم يتمكن من تدارك هذا الضعف.

اتفاقية عام ١٩١٩م :

طوت حكومة وثوق الدولة صفحة من تاريخ إيران، ووثوق الدولة هو رئيس الوزراء والشاعر الإيرانى المعروف الذى قال فى شعر له :

لن تصل إلى مقصودك وهدفك بالعقل المجرد

إن الأمر يلزمه هنا شئ من الجنون

وقد ارتكب نوعا من الجنون السياسى وعقد اتفاقية مع انجلترا أثارت كثيرا من الجدل فى إيران.

تولت حكومة وثوق الدولة شئون البلاد بعد السقوط الإجبارى لحكومة صمصام السلطنة فى شهر مرداد ١٢٩٧ش (شوال ١٣٣٦هـ = ١٩١٧م) واستمرت لمدة عامين وعقدت اتفاقية عام ١٩١٩م.

وفى فترة تولى هذه الحكومة سافر أحمد شاه إلى أوروبا، ويبدو أن سفره كان بهدف الحصول على موافقته على الاتفاقية. وكان من نتائج هذه الاتفاقية أن وضعت الشئون المالية وشئون الجيش الإيرانى تحت إشراف المعلمين والقادة الإنجليز، وضم قوات الدرك مع قوات القوازق[٤٢]. وجاء إلى إيران شخصان أحدهما يدعى آرميتاج اسميث للإشراف على الشئون المالية، والثانى الجنرال ديكسون لإدارة شئون الجيش الإيرانى.

وبعد نشر مواد الاتفاقية، ظهرت تحريضات عنيفة فى الصحف ضد وثوق الدولة، ونشرت مجموعة من الديمقراطيين وسائر المطالبين بالحرية صحفا مسائية وكتبوا مقالات شديدة اللهجة ضد الحكومة، وكان مركزهم أحيانا فى منزل الحاج إمام الجمعة الخويى وأحيانا أخرى فى منزل المرحوم سيد حسن مدرس، ويقال إن السلطان أحمد شاه أيضا كان يرافقهم، وأنه طلب أجرا فى مقابل التوقيع على الاتفاقية، وقال صراحة : إنكم قد تقاضيتم مالا ووقعتم، وأنا لم أتقاض مالا فلماذا أوقع ؟.

"ونتيجة للشغب العام، لم يتمكن وثوق الدولة من المقاومة، وسافر من طهران إلى أوروبا، وشكل ميرزا حسن خان مشير الدولة الذى كان ذا اتجاه وطنى وزارة جديدة بأمر الشاه، وكان مشير الدولة يهتم بأملاكه فى مازندران، ويخشى

من خسارته الشخصية إذا ما سقطت هذه الولاية فى أيدى المجاهــدين والبلاشــفة بالإضافة إلى الخسائر الأخرى النوعية التى ستمنى بها البلاد. ومن ثم أرسل علـــى الفور حاكما من أقربائه وجعل استراسلسكى رئيس الثكنات العسكرية مع قوات من القوازق ممثلا له فى مازندران حتى يفهم أن الحرب ليست مع الروس(٤٣).

وزارة مشير الدولة الثانيـــــة :

كان وثوق الدولة قد أنهى جزءا من الانتخابات، ومما لا شك فيـــه أن هـــذا البرلمان هو الذى كان سيصادق على الاتفاقية، وهنا حدثت أزمة عندما كلف الشاه مشير الدولة بتشكيل الحكومة. شكل مشير الدولة حكومته فـــى ١٣ تيرمـــاه عـــام ١٢٩٩ش (١٨ شوال ١٣٣٨هــ = ١٩١٩م)، وتولى مصدق الـسلطنة (الـــدكتور محمد مصدق) فيها منصب وزير العدل، وكان أعضاء هذه الوزارة هم :

مشير الدولة	رئيسا للوزراء
حشمت الدولة	وزيرا للداخلية
مستشار السلطنة	وزيرا للخارجية
مصدق السلطنة	وزيرا للعـــدل
وثوق السلطنة	وزيرا للحربية
مخبر السلطنة	وزيرا للمالية
نير الملك	وزيرا للبريد والبرق
اعتلاء السلطنة	وزيرا للخدمات العامة
حكيم الملك	وزيرا للمعارف

مؤتمن الملك ومستوفى الممالك   وزيران للدولة

وما إن مرت على تشكيل الحكومة عشرة أيام إلا وأعلن مشير الدولة في ٢٨ شوال أن الاتفاقية ستبقى مع وقف التنفيذ إلى أن تعرض على البرلمان ويصادق عليها.

بعد أن عقد وثوق الدولة اتفاقية عام ١٩١٩م، فكر مشير الدولة في إصلاح العلاقات مع جاره الشمالي العصبي، وعلم أن المصلحة تقتضي إقامة علاقات صداقة مع الحكومة الروسية السوفييتية الجديدة، وترك الباب مفتوحا، ولتحقيق هذا الهدف اقترح مشير الدولة في بداية الأمر على ميرزا اسحق خان مفخم الدولة الذهاب إلى موسكو وإجراء مباحثات مع وكيل الخارجية السوفييتي تمهيدا لعقد اتفاقية صداقة، إلا أنه لم يوافق على ذلك. ثم اقترح مشير الدولة عن طريق برقية أرسلها إلى مشاور الممالك الأنصاري الذي كان موجودا في اسطنبول الذهاب إلى موسكو، فذهب إلى القوقاز وبعد أن تلقى أوامر مشير الدولة توجه إلى موسكو.

هذه العلاقات الحسنة أزعجت حكومة الجارة الجنوبية، فسعت إلى تضييق الخناق على حكومة مشير الدولة.

ويقال إن الشاه طلب مرتين أو ثلاث مرات من مشير الدولة تقديم استقالته، وقد جعل مشير الدولة اتخاذ القرار النهائي تبعا لرأي مجلس الوزراء. وحدث اعتراض في مجلس المبعوثين الإنجليز حول تقديم مساعدات من قبل البنك الملكي إلى الحكومة الإيرانية. وكانت هذه هي الضربة القاصمة، وأرادوا أن تدفع حكومة مشير الدولة غرامة. وقد توالت هذه الأحداث جميعها قبل وقوع انقلاب ١٢٩٩ش (١٩١٩م) بسبعة شهور.

تصاعد رائحة الانقلاب :

ربما أحس مشير الدولة من بعض الإرهاصات بقدوم الانقلاب، وعمل حسابا لعاقبة الأمور، وطبقا لعادته ورؤيته الثاقبة ترك مكانه هذه المرة أيضا وتنحى جانبا بحجة تعبه وإنهاكه وحاجته للراحة، حيث إنه كان يفعل هذا دائما عندما كان يرى التوجهات الداخلية والخارجية تتعارض مع مصلحة إيران.

يتحدث اللورد كرازون وزير خارجية إنجلترا فى خطابه فى نفس هذه السنة (١٧ نوفمبر ١٩٢٠م – عقرب ١٢٩٩ش) عن مشير الدولة فى مجلس الأعيان الإنجليزى؛ فيقول :

"تنحى وثوق الدولة الذى كان قد أسس الاتفاقية، وتولى الوزارة الجديدة شخص يعرف باسم مشير الدولة ولا أدرى هل كان تعيينه شيئا إيجابيا أم سلبيا، وربما يمكن إعتباره ممثلا لكل مواطنى الأمة، وكانت سياسته تختلف عن سياسة سلفه إلى حد ما، وقد فضلت حكومة مشير الدولة تأجيل العمل بالمعاهدة التى شرحتها لكم الآن حتى يصدق عليها البرلمان".

قدمت حكومة مشير الدولة استقالتها فى الثالث من شهر عقرب عام (١٢٩٩ش = ١٤ صفر ١٣٣٩هـ)، وكان مشير الدولة نفسه يقول إنه تعب من العمل وإنه يحتاج إلى الراحة.

ويقول هدايت : "لقد أنهكت المشكلات مشير الدولة فأخذ يسعى إلى الاعتزال وتنصيب سپهدار رشتى، ولم يجد أحمد شاه فى بداية الأمر شخصا يصلح لهذا العمل، وقال له ناصر الملك فكر فى تأمين المستقبل بقدر ما تستطيع فإن هؤلاء الناس لن يتمكنوا من القيام بهذه المهمة[٤٤].

غير أن وزارة سپهدار لم تتمكن أيضا من القيام بعملها على أكمـل وجـه؛ فأمر الشاه بعقد اجتماع للتشاور، شارك فيه رؤساء الوزراء السابقون وكبار رجال الدولة، وكان الهدف من ذلك إيجاد حل بعد دراسة الأوضاع القائمة.

وفى شهر جدى من عام ١٢٩٩ش (١٩١٩م) عقد الأعيان وكبـار رجـال الدولة والأمراء اجتماعا كانت جلسته الأولى فى منزل صمصام السلطنة وجلسته الثانية فى منزل عين الدولة وجلسته الثالثة فى منزل مشير الدولة. ودار الحـديث والنقاش فى هذه الجلسات حول الأوضاع والأحوال المتردية. وفى نهايـة الجلسة الثالثة، استقالت حكومة سپهدار فى ٢٤ جدى = دى ١٢٩٩ش. وفى هـذه الأثنـاء ظلت القوات الروسية أيضا فى ميناء "أنزلى". واقترحوا إسناد الـوزارة لمـستوفى الممالك إلا أنه لم يقبل.

وفى يوم ٢٩ جدى عام ١٢٩٩ش استدعى أحمد شاه مشير الدولة إلى البلاط وكلفه بتشكيل الوزارة إلا أنه لم يذعن لهذا التكليف. فتم تكليـف سـپهدار أعظـم بتشكيل الحكومة من جديد، وأخيرا شكل حكومته فى ٢٨ دلو عام ١٢٩٩ش[٤٥].

ولم تدم هذه الحكومة أكثر من عدة أيام، حيث وصل خبر فى غـرة شـهر حوت عام ١٢٩٩ش = ١٣٣٩هـ من "ينـگـى امام" إلى رئاسة الوزراء مفـاده أن عددا من أفراد القوازق قد تحركوا من قزوين تحت قيادة العميـد رضـا خـان ومعهم أربع عربات مدفعية وكمية من المعدات، ودخلوا "ينـگـى امام" فى يـوم ٢٩ دلو، وتحركوا فى اتجاه العاصمة فى اليوم الأول من شهر حوت. ولـم تنفـع أوامر أمير نظام وزير الحربية ولا مكالمة الشاه التليفونيـة فـى إعـادتهم إلـى مواقعهم. وفى صباح اليوم الثالث من شهر حوت عسكرت هذه المجموعة بـالقرب من "شهرنو" خارج بوابة قزوين بطهران.

ودخل الجنود إلى المدينة فى منتصف ليلة الثالث من شهر حوت واتخــذوا مواقعهم فى ساحة التدريب العسكرى بالتواطؤ مع رؤساء قــوات الــدرك، وعنــد الفجر سمعت أصوات طلقات المدفعية. وفى الصباح قرأ الناس الجملة التالية بتوقيع "رضا" فوق أبواب وجدران المدينة وهى :

"... إننى آمر بأن يضع المواطنون نصب أعينهم مصلحة البلاد والــوطن فقط، وأن يكرسوا أنفسهم لخدمته. وأنا أعين كاظم خان كحاكم عسكرى، وســوف توقع العقوبة على كل من يخالف ذلك...".

وفى عصر اليوم الرابع من شهر حوت رأى النــاس ســيد ضــياء الــدين طباطبائى وهو يجلس فى سيارة رئاسة الوزراء، وبهذه الطريقة أضيف فصل جديد فى تاريخ إيران مكتوب بحروف بارزة.

استمرت هذه الحكومة، وهى التى أطلق عليها اسم الحكومة الــســــــوداء، حتى شهر خرداد من عام ١٣٠٠ أى حوالى أربعة أشهر، وتم اعتقال عــدد مــن رجال الدولة فى خراسان من بينهم قوام السلطنة.

ولم يكن مشير الدولة مرتاحا لهذه الوزارة ولا لسيد ضياء الدين أصلا، ومع أنه لم يكن ضمن المعتقلين أو المقبوض عليهم إلا أنه لم يقــدم يــد العــون لهــذه الحكومة، حتى أنه لم يحضر فى الحفل الذى أقامه البلاط فى مساء ليلة العــشرين من شهر حمل عام ١٣٠٠، ويقال إنه لم يحضر هذا الحفل أيضا المستوفى ومشير الدولة ومؤتمن الملك ولم يلبوا الدعوة[٤٦].

وفى شهر اردیبهشت عام ١٣٠٠ (١٩٢٠م) استقال مسعود كيهــان وزيــر الحربية فى وزارة سيد ضياء وتولى رضا خان رئيس كتائــب القــوازق منــصب وزير الحربية تحت اسم "سردار سپه" (قائد الجيش).

وفى اليوم الرابع من شهر الجوزاء عام ١٣٠٠ش (١٧ رمضان ١٣٣٩هـ) أصدر الشاه مرسوما ملكيا بعد أن كلف سيد ضياء بتقديم الاستقالة ولكنه لم يقبل، كان نصه : ٠

"نظرا لما تقتضيه مصلحة البلاد، فقد عزلنا سيد ضياء الدين عن رئاسة الوزراء، ونعمل الآن على تشكيل مجلس وزراء جديد – الشاه".

وفى نفس الوقت كُلف مشير الدولة من قبل الشاه برئاسة الوزارة، إلا أنه أجاب بالسلب. حيث قال : "إن حبر مرسوم الملك لم يجف بعد، وقد وصف رجال إيران بشكل غير لائق، وهذه الإشارة التى كتبت بخط يد الشاه قد وزعت فى الثانى من شهر حوت على كل الولايات ومضمونها : (كان من نتائج غفلة المسئولين وعبثهم فى العصور السابقة أن عم الإهمال العام واضطرب الأمن وتعكر صفو المملكة... وبمقتضى الاستعداد والكفاءة التى عهدناها فى جناب ميرزا سيد ضياء الدين فقد اخترناه لتولى منصب رئاسة الوزراء. شهر جمادى الآخر ١٣٣٩هـ – الشاه"[٤٧].

ويقول شهاب الدولة ملك آراء : "عندما سقطت وزارة سيد ضياء الدين قام أحمد شاه بالبحث عن شخص يعينه كرئيس جديد للوزراء؛ فكلف كلا من مستوفى الممالك ومشير الدولة بتولى هذه المسئولية، إلا أنهما رفضا. وفى نهاية الأمر وبعد البحث والدراسة تقرر أن يتولى زمام الأمور قوام السلطنة المسجون فى عشرت آباد... فذهبت إلى عشرت آباد بالسيارة، ومن المعروف أن قائد الجيش قد اتصل به من قبل وأطلعه بأن شهاب الدولة سوف يصل إلى هناك للقيام بمهمة معينة... وبعد عدة دقائق حظى قوام السلطنة بالشرف وحصل على مرسوم تشكيل الوزارة".

رسائل وزير الحربيـــــــــة :

في يوم الأربعاء الموافق ٢٠ جمادى الأول من عام ١٣٤٠هـــ (١٩٢١م)، استقالت وزارة قوام السلطنة على أثر الجدل الذى ثار بين أعضاء البرلمان ووزرائـــه. وبعد هذه الاستقالة أصر الشاه على أن يقبل مشير الدولة رئاسة الوزراء، وفى اللقاءات الأولى مع الشاه رفض مشير الدولة قبول هذا المنصب، إلا أنه رضخ فى نهاية الأمـــر بعد هذا الإصرار المتزايد واستشارة عدد من أعــضاء البرلمـــان شـــريطة أن تكـــون الأغلبية والأقلية المحايدة فى البرلمان مستعدة لمساعدة الحكومة والتعاون معها، وقبـــل رئاسة الوزارة فى الثالث من شهر بهمن عام ١٣٠٠ش الموافق ٢٣ جمـــادى الأولـــى عام ١٣٤٠هــ (١٩٢١م)، وقدم وزراء وزارته فى اليوم الخـــامس والعـــشرين مـــن جمادى الأولى فى "فرح آباد" وفى حضور الشاه.

وبعد تقديم الوزارة، توجه أحمد شاه عن طريق بغداد إلى أوروبا للاستراحة والعلاج وذلك فى ٢٦ جمادى الأولى، ورافقه قائد الجيش حتى "قصر شيرين" على سبيل التوديع. وكان أعضاء هذه الوزارة هم :

مشير الدولة	رئيسا للوزراء
حكيم الملك	وزيرا للخارجية
سردار سپه	وزيرا للحربية
تيمور تاش	وزيرا للعدل
مدير الملك (محمود جم)	وزيرا للمعارف
اعتلاء السلطنة	وزيرا للبريد والبرق
أديب السلطنة	وزيرا للخدمات العامة
نير الملك	وزيرا للعلـــــــــــوم

وقد عانت وزارة مشير الدولة هذه من القهر وكانت تتعرض للاستقالة دائما؛ وذلك بسبب الإحباطات الموجودة داخل البلاد، كما وجدت تحريضات فى البرلمان مهدت السبيل أمام مشير الدولة لكى يتخلى عن منصبه حفاظا على كرامته ورغبته فى رعاية كل المبادئ والأصول فى إدارة البلاد.

وفى اليوم العاشر من شهر رمضان عام ١٣٤٠هـ (١٨ ثور ١٣٠١ش) قدم رئيس الوزراء استقالته إلى أحمد شاه تلغرافيا، وعندئذ قام سردار سپه دون أن يكون له منصب معين باستدعاء وكلاء الوزارات جميعا وأمرهم بتسيير الأعمال كما كان الحال قبل ذلك، وإطلاعه على كل الأمور.

وبطبيعة الحال لم يقبل البرلمان استقالة رئيس الوزراء، واجتمعت لجنة مشكلة من زعماء البرلمان من كل الأحزاب والطوائف والتقت بسردار سپه ومشير الدولة.

وفى ٢١ رمضان وصلت برقية من قبل أحمد شاه إلى مشير الدولة من أوروبا نصها :

صاحب السعادة مشير الدولة رئيس الوزراء ..

إن ثقتى بك لا تحتاج إلى بيان أو شرح؛ فقد قلت لك فى برقيتى السابقة إن تخليكم عن العمل مدعاة للأسف والقلق، ويؤيد رأيى هذا المشاعر التى أعرب عنها مجلس الشورى الوطنى برقيا، وأعتقد أن واجبكم الوطنى يحتم عليكم الرجوع عن الاستقالة بدون تردد، والاستمرار جديا فى أداء المهام الموكلة إليكم لخدمة البلاد، وآمل إن شاء الله أن توفق بمساعدة البرلمان المعروفة فى رعاية مصالح البلاد والصالح العام بشكل تام – الشاه.

وقد اضطر الشاه فى ٢١ جوزاء إلى إرسال برقية تفيد تعيين قوام السلطنة رئيسا للوزراء، وتشكلت الوزارة فى ٢٦ جوزاء عام ١٣٠١ش (١٩٢١م) وكان سردار سپه بطبيعة الحال وزيرا للحربية فيها.

وفى تلك الأثناء قدم الشاه إلى إيران عن طريق الجنوب (بوشهر) ووصل إلى شيراز فى ١٢ قوس عام ١٣٠١ش (١٩٢١م).

وخلاصة القول أن حكومة قوام السلطنة قدمت استقالتها أيضا فى ٥ دلو، وكان السبب الرئيسى وراء ذلك هو قضية نفط الشمال والعلاقات مع روسيا وإنجلترا، بالإضافة إلى المشاكل والإحباطات الداخلية، وفى نفس يوم ٥ دلو عام ١٣٠١ وافق البرلمان بأغلبية الأصوات على تعيين مستوفى الممالك الذى قدم وزارته فى ٢٦ دلو، وكان سردار سپه وزيرا للحربية فى وزارته مرة أخرى، ومن الملفت للنظر فى هذه الوزارات أن نفوذ وزير الحربية وقدرته هى التى كانت تأتى بالحكومات وتسقطها، وليس البلاط أو البرلمان.

بدأت حكومة مستوفى الانتخابات؛ وقد تم انتخاب لجنة الإشراف فى العاصمة برئاسة مشير الدولة بتاريخ ٢٤ حمل ١٣٠٢ الموافق ٢٧ شعبان، وتقرر توزيع البطاقات من ١١ إلى ١٨ ومن ٢٤ حتى آخر رمضان (١٥ يوما)، وأن تعاد البطاقات بعد التصويت وتوضع فى الصناديق من اليوم الثالث من شوال وحتى غروب اليوم السابع منه.

وكانت لجنة الإشراف على الانتخابات برئاسة المرحوم مشير الدولة محايدة إلى حد ما، إلا أنها لم تكن تعرف أن من مصلحتها ومن مصلحة البلاد توسيع دائرة توزيع البطاقات، كما أنها أضافت قيدا جديدا على المنتخبين بالإضافة إلى ضيق الوقت ما بين توزيع البطاقات واستعادتها، وهو ضرورة وجود هوية أو شهادة ميلاد. وقد أدى تصرف مشير الدولة هذا إلى اعتراض الصحف عليه، وتوجيه انتقادات له. وانتهت انتخابات البرلمان الخامس فى طهران، إلا أن الانتخابات فى المحافظات الأخرى استمرت حتى نهاية مدة البرلمان الرابع، وكانت أعمال الانتخابات فى المحافظات المختلفة بيد قادة الجيش ووزارة الحربية.

وفى أوائل خرداد ۱۳۰۲ش (۱۹۲۲م) وقعت وثيقة فى البرلمان أعرب فيها خمسة وأربعون شخصا من أعضائه عن عدم ثقتهم فى الحكومة، وفى نهاية الأمر قدم المرحوم مدرس وعدد آخر من زملائه استجوابا حول رؤية الحكومة بشأن السياسة الخارجية وسلمت للبرلمان فى يوم ۲۰ جوزاء.

وكانت أصوات أعضاء البرلمان تميل ناحية مشير الدولة، ولم تمض ثلاثة أسابيع تقريبا إلا وقدمت الأغلبية فى البرلمان موافقتها لرئيس البرلمان على هذا الرجل العالم الشريف، وبعد إقصاء الحكومة وإبعادها وافقت الأقلية أيضا على هذا التوجه، وكانت النتيجة هى صدور مرسوم الشاه التالى باسم مشير الدولة فى يوم ۲۸ شوال ۱۳٤۱ الموافق ٢٤ خرداد (جوزاء) ۱۳۰۲ش، والذى أعلن عنه فى نفس ذلك اليوم :

"لما كان تولى منصب رئاسة الوزراء يقتضى وجود شخص كفء وجدير بالثقة؛ لذا فإننا قررنا تعيين صاحب السعادة مشير الدولة فى منصب رئيس الوزراء، وهو الذى نثق فيه ثقة كبيرة، وأمرنا بأن يقوم بأداء مهام هذا المنصب بكل اطمئنان وتحت الرعاية الملكية الخاصة - ۲۸ من شوال ١٣٤١هـ - الشاه".

وبعد يومين قدم مشير الدولة تشكيل وزارته على النحو التالى :

مشير الدولة	رئيسا للوزراء
حكيم الملك	وزيرا للعدل
سردار سپه	وزيرا للحربية
حكيم الدولة	وزيرا للمعارف
مصدق السلطنة	وزيرا للخارجية
فهيم الدولة	وزيرا للبريد والبرق

ذكاء الملك فروغى		وزيرا للمالية

اعتلاء السلطنة		وكيلا لوزارة الداخلية

وقد تقرر تعريف وزير الخدمات العامة فيما بعد

قبض مشير الدولة على زمام الأمور بقوة، وكانت الآمال معقودة على أن الإنتخابات ستسير سيرا حسنا فى عهده، ذلك لأنه لم يكن ينتمى لأى حزب من الأحزاب، كما كان موضع ثقة من الأحزاب جميعها، ولم يكن أحد يشعر تجاه سياسته الخارجية أيضا بأى قلق يذكر.

قدّم مشير الدولة برنامج وزارته الذى كان يقوم على مبدأ التوازن فى الحفاظ على العلاقات الطيبة مع الدول الصديقة والمحايدة والإسراع فى إجراء الانتخابات، والرقابة والإشراف على تطبيق القوانين الخاصة بالميزانيات.

ولم يكن مشير الدولة، الذى قضى حياته بسيرة حسنة وعزة نفس ومحافظة على مكانته، مستعدا بطبيعة الحال لتحمل تشدد وزير حربيته وعنفه، هذا بالإضافة إلى أنه كان يرى أن كل الصلاحيات فى يد وزير الحربية، ولا توجد أى نقطة ارتكاز يمكن الحفاظ بها على القانون. وكان اهتمامه بالحفاظ على كرامته وكرامة وزرائه من أوليات اهتماماته قبل أى شىء آخر.

فقدت وزارة مشير الدولة مقاومتها فى مواجهة تهديدات وزير الحربية، ونتيجة لهذه التهديدات قدمت هذه الوزارة أيضا استقالتها قبل ظهر يوم ٢٩ ميزان ١٣٠٢ش الموافق ربيع الأول ١٣٤٢هـ (٢٢ أكتوبر ١٩٢٣م) فى قصر "صاحب قرانية" وفى حضور الشاه.

وطبقا لقول المرحوم هدايت : "قبل سردار سپه الذى كان صاحب عزم ورأى قوى اعتذار مشير الدولة وشكل هو نفسه وزارة أخرى". ويقول المرحوم

بهار : "لقد طلبوا من مشير الدولة پيرنيا الاعتذار عن رئاسة الوزارة من تحت الطاولة، وقبضوا على زمام الأمور بأيديهم". وقد وقعت هذه الأحداث فى ٦ أبان عام ١٣٠٢ (١٩٢٢م) أى بعد ما يقرب من أربعة أشهر من تولى مشير الدولة، وكانت هذه هى المرة الأخيرة التى تولى فيها هذا المنصب.

آخر الدواء الكى:

صدر مرسوم رئاسة الوزراء لسردار سپه على الرغم من اعتراض مدرس ورفاقه ومساعيهم ورغما عن الشاه نفسه (١٦ آبان ١٣٠٢) وكان ينص على مايلى:

"لما كان تولى منصب رئاسة الوزراء المهم يقتضى وجود شخص كفء وجدير بالقيام بهذا العمل، لذا فقد قررنا تعيين صاحب السعادة سردار سپه الذى نثق فيه ثقة تامة كرئيس للوزراء، وقررنا أن يقوم بأداء مهام هذه الوظيفة – ١٦ ربيع الأول ١٣٤٢هـ (١٩٢٣م) – الشاه"[٤٨].

وبعد فتح خوزستان والقضاء على خزعل بمساعدة العميد فضل الله زاهدى (اول ارديبهشت ١٣٠٤ – ١٩٢٤م) اعتبر قائد الجيش هو المنقذ الحقيقى لإيران.

"بعد أن عاد قائد الجيش من خوزستان كان يقول فى جلساته الخاصة إننى لا أستطيع العمل مع هذين الأخوين أى أحمد شاه وولى العهد. وكان الحاضرون ينظرون إلى بعضهم بعضا وهم فى حيرة، ويكرر قائد الجيش حديثه ويطلب منهم إبداء الرأى فى هذا الموضوع. ويقول مشير الدولة إن لهذا التصرف مانعًا قانونيًا ويجب بحث الأمر من جميع جوانبه، ويقول قائد الجيش حسنا إدرسوا الموضوع وقدموا الرأى حوله فى جلسة أخرى. وقد عقدت الجلسة الثانية فى منزل حسين خان علاء دون أن يحضر قائد الجيش. ورأت الأغلبية إبداء الرأى بالسلب، وأن من يبلغه هذا الرأى هو مشير الدولة. وفى الجلسة التالية شرح مشير الدولة بخبرته

القانونية لقائد الجيش الوضع، وقال إننا لا يمكننا الموافقة على فكرة توليه السلطنة مراعاة للدستور.

وقد أصاب الملل قائد الجيش من مناقشات مشير الدولة ولكنه لم يتخل عن صبره، وقال له الآن وقد اعتبرت هذا الأمر مخالفا للقانون، أجد نفسى غير مستقر فى منصبى، ومن الممكن أن تلغى كل الجهود التى بذلتها فى الحفاظ على أمن المملكة بمرسوم يرسله الشاه من أوروبا. وانعقدت جلسة التشاور من جديد فى غياب السردار، وفى النهاية استنبطوا من إحدى مواد القانون أنه يمكن لمجلس الشورى الوطنى عند الضرورة إسناد قيادة كل القوات مباشرة لشخص معين، وقد استنبط هذا المعنى الدكتور محمد خان مصدق السلطنة وهو عالم من علماء القانون.

وبعد أن اطمأن سردار سپه للجنة التشاور هذه التى كان لها نفوذ فى البرلمان جعل الأعضاء يقدمون هذا الاقتراح إلى البرلمان ويمررون مثل هذا القانون.

وقبل اليوم التاسع من شهر آبان عام ١٣٠٣ (١٩٢٣م) بيوم، اتصل مستوفى الممالك تليفونيا بمنزل الدكتور مصدق وقال :

"لقد أعدت مادة واحدة فى منزل سردار سپه ونقلوا الأعضاء إلى هناك حتى يوقعوا عليها، وقد امتنع السيد ميرزا حسين خان علاء الذى أخذوه إلى هناك عن التوقيع، وعندما كنت موجودا بالأمس فى منزل مؤتمن الملك وتشاورنا مع مشير الدولة ومؤتمن الملك فى هذا الموضوع وهو هل نذهب اليوم إلى البرلمان مع هذا الوضع أم لا ؟ ورأى السادة أنه من الصالح ألا نذهب اليوم إلى البرلمان. وكان مصدق قد قال : إنهم يدفعون رواتب للمدفعجى والجندى لسنوات كى يعمل ذات يوم. فإذا لم نذهب اليوم إلى البرلمان، فإننا نكون قد خالفنا واجبات عضويتنا. وقبل مستوفى الممالك رأى الدكتور مصدق ووافق عليه واتصل تليفونيا بميرزا حسين خان علاء وجاء إلى منزله وذهبوا جميعا إلى البرلمان"[٤٩].

وفى الجلسة التى عقدت فى التاسع من آبان قدم الأعضاء المؤيدون لسردار سپه المشروع التالى : "مادة واحدة – يعلن مجلس الشورى الوطنى باسم الأمة نهاية السلطنة القاجارية وتكليف السيد رضا خان بهلوى بتشكيل حكومة مؤقتة طبقا للدستور والقوانين الوضعية فى البلاد، ويخضع التكليف النهائى بتشكيل الحكومة لرأى مجلس المؤسسين الذى يشكل لتغيير المواد ٢٦ و ٢٧ و ٣٨ و ٤٠ المكملة للدستور".

انتهت فترة البرلمان الخامس بعد شهرين أى فى رجب عام ١٣٤٤هـ (١٩٢٥م = بهمن ١٣٠٤ش)، ولم يحدث خلال هذه الفترة أى إجراء مهم. وفى انتخابات الدورة السادسة، عُين مشير الدولة رئيسا للجنة المركزية فى طهران. وقد انتخبت مجموعة من الوطنيين فقط فى طهران ممن كانوا يتعاونون مع مشير الدولة.

حافظ مشير الدولة فى تلك الدورات على عضويته فى البرلمان :

فكان عضوا فى الدورة الثانية عن جرجان (استراباد)، وفى الدورة الثالثة عن طهران، وفى الدورتين الرابعة والخامسة عن طهران، وفى السادسة (ذى الحجة ١٣٤٤هـ = ١٢٠٥ش = ١٩٢٥م) انتخب أيضا مستوفى الممالك ومؤتمن الملك ومشير الدولة، وكانت الجماهير تنتظر ليروا ماذا سيفعل هؤلاء الثلاثة تجاه قبول أو رفض هذا الانتخاب، وقد دارت أحاديث كثيرة لمدة يومين أو ثلاثة حول هذا الموضوع، وفى نهاية الأمر لم يقبل هؤلاء الثلاثة هذه العضوية أينما كانت، ولم يتمكن رجال البلاط رغم ما بذلوه من مساعٍ حثيثة من منعهم من اتخاذ هذه الخطوة وإقصائهم عن عزمهم.

وهكذا انتهت حياة حسن مشير الدولة پيرنيا السياسية التى امتدت من ١٣١٧هـ (١٨٩٩م) (عند توليه منصب وزير مفوض فى بطروجراد) وحتى عام ١٣٤٥هـ (١٩٢٦م)، والتى كانت حوالى ثمانية وعشرين عاما.

اعتزاله واعتكافه فى منزلـــــه :

تدل استقالة مشير الدولة من عضوية البرلمان على أنه لم يعد لهذا الرجـل صبر ورغبة فى التعاون مع الإدارة التى تدير شئون البلاد، كما تدل سوابق أمــره على أن أولياء الأمر لم يكونوا يرغبون فى مثل هذا التعاون، وإلا فإن "الملوك هم الأكثر احتياجا إلى صحبة العقلاء من احتياج العقلاء إلى صحبة الملــوك". إلا أن مشير الدولة الذى ذاق سم السياسة المغلف بالسكر لما يقرب من عــشرين عامــا، وشاهد نتائجها اختار زاوية الوحدة بفكر الشيخ العاقل، وأخذ ينظر من نافذة العبرة إلى الزمن المتقلب الغدار.

وإذا قلنا إن هذه العزلة والاعتكاف كان مفيدا إلى حد كبير فى تاريخ البلاد، فإننا نكون غير مبالغين فى هذا القول، لأنه من المسلم به أنه لو بقى مشير الدولــة فى العمل السياسى، لما كان عضوا مؤثرا ومفيدا، إلا أن هذه العزلة قد وفرت لــه نجاحا إجباريا حتى يتمكن من كتابة أعماله العلمية والبحثية ويتحول من الشكل إلى المضمون. وقد كان موته السياسى بداية لحياته المعنوية (بيت شعر) :

مت من الناحية الحيوانية وأصبحت إنسانا، فلم أخش النقصان من جــراء الموت ؟

كان مشير الدولة قد ألف فى عام ١٣١٩هــ (١٩٠١م) أى فى فترة الــصبا كتاب القانون الدولى وطبعه، وكان خاصا بطلاب مدرسة العلوم الــسياسية، ولــم يؤلف شيئا بعد هذا الكتاب منذ ذلك التاريخ. ولما لم يجد فرصة بعد ذلك ومنذ عام ١٣٠٤ش (١٩٢٤م) للتدخل فى الشئون السياسية، شرع فى تأليف كتابه المعــروف "ايران القديمة" (ايران باستانى)، وقد طبع هذا الكتــاب عـام ١٣٠٦ش (١٩٢٦م). ويصل عدد صفحات هذا الكتاب إلى ٥٦٢ صفحة، ويشرح المرحوم مشير الدولــة فى مقدمة هذا الكتاب فلسفته من ناحية كتابة التاريخ فيقول :

"إن الهدف من وراء تأليف هذا الكتاب هو توضيح صورة إيران القديمة كما كانت... وقد خصصت نصف الكتاب تقريبا لبيان الحضارة الإيرانية القديمة أو مقارنة العصور ببعضها أو الموضوعات التى ليست لها صلة مباشرة بالتاريخ الخالص، والسبب وراء هذا الأسلوب هو أن الرأى الغالب منذ نصف قرن بين علماء علم التاريخ أن ذكر الأحداث والوقائع التاريخية وذكر أسماء السلاطين والعظماء فقط لا يكفى لفهم ماضى البلاد والعلم بأحوال شعوبها الدينية، بل يجب معرفة الأوضاع الحضارية للتعرف على أمجاد أمة من الأمم... وقد أولى بعض المنصفين أهمية لهذا الموضوع إلى حد ما، وفضلوا فى الكتب المؤلفة حول التاريخ ذكر بعض من هذه المعلومات على ذكر الوقائع وأسماء الملوك والعظماء، أى فضلوا ذكر الجوانب الخاصة بالحضارة على الجوانب الخاصة بالتاريخ الخالص... وأرى من الضرورى أن أعرب عن تقديرى العميق للسيد سيد حسن تقى زاده الذى قدم لى مساعدات قيمة، وخاصة فيما يتعلق بالحصول على المصادر التى يصعب الحصول عليها ويستلزم ذلك الانتظار لوقت طويل، وهى مصادر نادرة وذات قيمة بالنسبة له، وهذا العمل يستحق منى جزيل الشكر وخالصة. كما أتوجه بالشكر أيضا إلى السيد البروفسور ارنست هرتسفلد الذى لم يتقاعس عن إبداء رأيه الصائب بخصوص آثار الميديين وخريطة الدولة الهخامنشية.

طهران – رمضان ١٣٤٦ الموافق اسفندارمذ ١٣٠٦ش = ١٩٢٧م – حسن بيرنيا".

ويشتمل هذا الكتاب على تاريخ إيران فى عصر عيلام وبابل وآشور وماد والعصر الهخامنشى والسلوكى والپارثى والساسانى، وخاصة المباحث المهمة عن الأوضاع الاجتماعية فى إيران فى العصر الأخير، كما يضم أيضا خرائط وصورا مهمة.

وبعد طباعة هذا الكتاب، وجد المرحوم بيرنيا أن القصص التاريخية القديمة وقصص البطولة والوطنية فى إيران، وهى التى تحتوى علــى جوانــب تاريخيــة أيضا، قد تم تجاوزها، ومن ثم قام بتعويض هذا النقص عن طريق تــأليف وطبــع كتاب آخر هو كتاب "قصص إيران القديمة" (داستانهاى ايران قديم). هــذا الكتــاب الذى طبع فى شهر امرداد عام ١٣٠٧ش (١٩٢٧م) فى مائة وسبع وستين صــفحة هو فى الحقيقة يعتبر عملا مكملا لكتاب "تاريخ ايران القديم"، وهــو كمــا يقــول المؤلف فى مقدمتــه: "إن هذا الكتاب يضم الخطوط العريضة للقصص الإيرانيــة القديمة مع ذكر المراجع ونتائج تقويمها مع الملاحق والحواشى المستنبطة والتــى تتناول قرون ما قبل تاريخ الآريين الإيرانيين". وترى فى فــصول هــذا الكتــاب موضوعات عن البيشداديين وأسرة الكيانيين والاسكندر والأشكانيين والــساسانيين ويضم الكتاب فى فصول أخرى تقييما للقصص وكذلك تراكيب ومعــانى وأســماء الأبطال الإيرانيين الأسطوريين، وهو عمل له قيمة كبيرة ودقيق.

وفى هذه السنوات نفسها اختير المرحوم مــشير الدولــة لعــضوية لجنــة المعارف، وكانت وظيفة هذه اللجنة بالإضافة إلى الإشراف على الكتب المدرســية والثقافية، هى توفير وسائل لترجمة الكتب المهمة والمؤلفات القيمة فى ذلك العصر وطباعتها ونشرها، والحق يقال إن مشير الدولة قد وفق فى القيام بهذه المهمة خير قيام، وتعد الكتب التى طبعت بتوجيه هذه اللجنة وبأمرها اليوم من أمهــات الكتــب الفارسية، وقد أعيد طبع الكثير منها عدة مرات.

وقد طبع ملخص لكتاب إيران القديمة تحت عنوان "إيران القديمة" فى عــام ١٣٠٨ش (١٩٢٨م)، ثم أعيد طبعه مرتين حتى شهر تيــر مــن عــام ١٣١٠ش (١٩٣٠م)، هذا الكتاب (وهو الموجود بين أيدينا الآن) يقع فى ٢٨٦ صفحة، ويضم مختصرا عن تاريخ عيلام وبابل وآشور وماد والهخامنشيين والإسكندر والسلوكيين

والپارثيين والساسانيين، وكذلك يحتوى على جانب مهم من الحـــضارة الإيرانيـــة، وهو بأى حال من الأحوال مؤلف نفيس ذو قيمة.

وبعد أن نشر المرحوم پيرنيا كتابيه الأوليين فكر فى كتابة تـــاريخ إيـــران القديمة المهم، والجدير بالذكر أن التفكير فى الكتابة عن تـــاريخ إيـــران المفـــصل والعظيم كان يلقى قبولا فى لجان المعارف والمحافل الثقافية وأبدى كثيرون اهتمامًا بهذا الأمر، وكان ذلك نتيجة الاهتمام بمعارف إيران وتاريخها خلال أوائل السلطنة البهلوية وفى محاولة لتقوية النزعة الوطنية والقومية فى إيـــران، وكـــذلك نتيجـــة الاطمئنان من ناحية الإجراءات والتدابير المعرفية التى اتخذت من أجل الفـــضلاء والعلماء. ويتحدث المرحوم إقبال الآشتيانى عن كيفية شروع هذه النهضة فيقول :

"عندما كنت فى باريس منذ ستة أعـــوام (١٣٠٦ش = ١٩٢٦م) وتـــشرفت هناك لحسن الحظ بالحديث مع عظماء أجلاء كانوا وما زالوا أساتذة لى مثل سعادة العلامة المفضال السيد ميرزا أبو الحسن خان فروغي، وغالبا ما كان الحديث يدور حول هذا الموضوع وهو أن نعد تاريخا عاما عن إيران معا على نهج كتب التاريخ التى تؤلف فى أوروبا، وقد قضينا عدة جلسات فى ترتيب خطة هذا العمل واختيار الأسلوب والنظام والوسائل والمقدمات للقيام به، ولكن حال دون إنجاز هذا الأمـــر لسوء الحظ عدم توفر رأس المال وتولى سعادة ذكاء الملك شئون السفارة فى تركيا وعودة أخيه إلى إيران. وفى هذه الأثناء نُشر كتابان نفيسان همـــا كتـــاب (إيـــران القديمة) وكتاب (قصص إيران القديمة) من تأليف سعادة السيد ميرزا حـــسن خـــان مشير الدولة پيرنيا، وقوبلا بكثير من الرضا والترحيب، حيث كانا يشكلان الخطوة الأولى لهذا الرجل العظيم الذى اتسمت كتاباته بالدقـــة المتناهيـــة وانتهـــاج نهـــج الأوروبيين فى العمل والاستفادة من جميع المصادر المتاحة، وبهذا فـــتح الطريـــق أمام كل من يرغب فى القيام بمثل هذا العمل.

وعند عودتى إلى طهـران (١٣٠٧ = ١٩٢٧م) كانـت وزارة المعـارف الموقرة تعمل على سد حاجة المدارس عن طريق تأليف كتب دراسية، وقـد اهـتم بهذا الأمر سعادة السيد اعتماد الدولة قراگـوزلو وزير المعارف آنـذاك، وتقـرر كتابة سلسلة عن تاريخ إيران من البداية وحتى العصر الدسـتورى علـى النحـو التالى:

- من البداية وحتى صدر الإسلام بقلم سعادة السيد بيرنيا
- من الإسلام وحتى استيلاء المغول بقلم سعادة السيد تقى زاده
- من استيلاء المغول حتى إعلان الدستور بقلمى (عباس إقبال).

قضى السيد بيرنيا وقته الثمين للقيام بهذا العمل المقـدس بذوقـه الخـاص، فأخرج بالإضافة إلى كتابى إيران القديمة وقصص إيران القديمة وملخـصا لهمـا كتابين كبيرين حتى الآن (١٣١٢) يضمان تاريخ إيران من البداية وحتـى أوائـل العصر الأشكانى، وقد تم طبعهما وما زال يؤلف ويطبع الآن بقية تـاريخ إيـران حتى ظهور الإسلام فى مجلدين آخرين.

والذين قرأوا هذين المجلدين الجاهزين واطلعوا عليهما يعلمون إلى أى حـد تكبد المؤلف المحترم مشقة فى إعدادهما، وأى خدمـة جليلـة قـدمها لمواطنيـه. وبمجرد أن يخرج المجلدان القيمان بعد الطباعة فإنهمـا سـيفتحان آفاقـا جديـدة وبأسلوب علمى أمام أهل هذا العصر الذين لا يعرفون شيئا عن أحـوال أجـدادهم بشكل عام وإيران القديمة بشكل خاص، ويدركون من قراءة سير أجـدادهم التـى تدعو للفخر مآثر شعوب إيران السابقة التى كانت دائما صاحبة شهرة وتأثير فـى العالم القديم، وكانت تقف على قدم المساواة مع الأمم العظيمة الأخـرى، وسـوف يكشف هذا الكتاب بشكل جيد النقاب عن المؤرخين الأعداء المغرضين الذين أهانوا الإيرانيين القدماء وكذلك المغرضين الجهلاء فى العصر الحديث، مما يساعد علـى

توهج شعلة الحماس القومى مرة أخرى بين مواطنينا المعاصرين، ويقضى على الضعف والكسل فى كيانهم ويقتدون بأجدادهم العظماء"[٥٠].

استمر اشتغال المرحوم مشير الدولة بتدوين تاريخ إيران القديمة حتى نهاية عمره، وكرس جهده واهتمامه للقيام بهذا العمل، حيث كان يعمل فى ترجمة وترتيب موضوعات الكتاب وتصحيح ومطابقة آخر النماذج المطبوعة لمدة أربع عشرة ساعة يوميا أحيانا.

ولا يخفى على القراء أن مصادر هذا الكتاب كانت أجنبية بشكل عام، بمعنى أن مصادره الأصلية إما أنها كانت يونانية أو رومية، وقد ترجمت بعد ذلك هذه الكتب إلى اللغات الفرنسية والإنجليزية والروسية والألمانية وغيرها، وقد حصل المرحوم پيرنيا على الترجمات المهمة للمصادر الأصلية للكتاب من الخارج وشرع فى ترجمتها. وكان هو نفسه يجيد اللغتين الروسية والفرنسية إجادة تامة، كما كان يعرف الإنجليزية. وفى أواخر عمره، إضطر إلى تعلم اللغة الألمانية نظرا لحاجته إلى الاطلاع على مؤلفات العلماء الألمان، وأخذ يقضى ساعات من أوقات فراغه لتعلم هذه اللغة مثله فى ذلك مثل تلاميذ المدارس[٥١].

وفعلا تعلم الألمانية بمساعدة ابنه داوود پيرنيا ومعلمين آخرين. ولا شك أنه كان يجيد اللغة العربية أيضا، ولذلك فقد استفاد بنفسه من المصادر التاريخية الرئيسية[٥٢]. هذا بالإضافة إلى أنه لم يتوان مطلقا عن استشارة الفضلاء والعلماء وأخذ رأيهم، وكان يقضى معظم أوقاته فى النقاش والتشاور مع عدد ممن يعرفون اللغات الأجنبية ولهم اطلاع كذلك على الحضارة الإيرانية، ومن بين هؤلاء الأستاذ العظيم السيد سعيد نفيسى الذى كان من زملائه المقربين ومستشاريه الخاصين، وقد استمر هذا التعاون بينهما حتى نهاية عمر پيرنيا.

موت مشير الدولـــــة :

استغرق تأليف كتاب إيران القديمة ما يقرب من عشر سنوات. وفى أواخـــر عام ١٣١٢ش (١٩٣٢م) أصيب مشير الدولة بمرض البولينا ثم بالـــسكتة القلبيـــة نتيجة كثرة قيامه بالعمل وهو فى سن الشيخوخة، وقد أصابه شلل نصفى وضعفت عينه اليمنى، واستمرت مدة مرضه لعامين.

عاش مشير الدولة فى كل الوظائف التى تولاها بطهارة ونقاء ومع ذلك لـــم يهدأ غبار الاتهامات والافتراءات الموجهة إليه، ولم يكن هو فى حاجة إلى ارتكاب أخطاء، ذلك لأن أباه كان قد جمع ثروة طائلة ووفر لأبنائه حياة رغدة.

حافظ مشير الدولة فى سياسته الداخلية والخارجية على سمعته الطيبة، وكان دائما يتعامل بحسن نية فى كل المناصب التى تولاها، ويقدم خدماته.

وفى يوم ٢٩ آبان ماه من عـــام ١٣١٤ش (١٣٥٤هـــ = ١٩٣٤م)[٥٢] أسـلم مشير الدولة الروح فى منزله الخاص، وكان قد بلغ من العمر ما يقـــرب مـــن ثـــلاث وستين سنة. ودفن فى مدفنه فى ساحة ابن الإمام صالح بتجريش فى مقبرة الأسرة[٥٣].

وقد أقيم مجلس ختم القرآن على روحه بكل تكريم، ومع أنه كان قد تقـــرر فى تلك الأيام طبقا للدستور أن تقام التعزية عموما بدون ضـــجة أو جلبـــة داخـــل المسجد ولمدة ساعتين فقط، إلا أن المرحوم فروغى قد إستأذن من جلالـــة الملـــك بإقامة العزاء فى منزل المرحوم پيرنيا، فقال الملك : "من الطبيعى القيـــام بعمـــل اللازم كما ترون بخصوص موت مشير الدولة". وبهذا سُمح بإقامة مراسم العـــزاء فى منزله الخاص.

أودع موت مشير الدولة أمل هذا الرجل العظيم فى الانتهاء من كتابة تاريخ إيران القديم الثرى، إلا أن المرحوم پيرنيا كان قد أعد مـــسودات المجلـــد الرابـــع الخاص بالعصر الساسانى ودفاتره، واستدعى فى أخريات أيامه السيد سعيد نفيسى

وقال له لم يبق لى أمل فى أن يمتد العمر بى لاستكمال بقية التـاريخ؛ فـأرجو أن تكمله بالشكل الذى تراه مناسبا.

وكان المرحوم بيرنيا قد ألف تفسيرا على قانون العقوبات بالإضـافة إلـى مؤلفاته التى أشرنا إليها، ويقع فى حوالى مائتى صفحة، ولكنه لم يطبع حتّى الآن، ويبدو أنه مكتوب على شكل مذكرات للطلاب. كما توجد أيضا مسودات فى دفتـر ذى غلاف أسود عن حياته، ما زال محفوظا ضمن ممتلكات الأسرة الخاصة.

والعجيب فى الأمر أن أيا من أعمال المرحوم لم تنشر فى أى من مجـلات البلاد وصحفها. ولم يكن له أى مشاركة أو عضوية خلال السنوات العشر الأخيرة من عمره والتى كانت تسمى العصر الذهبى للحكومة البهلوية سـوى فـى لجنـة المعارف وجمعية الآثار الوطنية، ولم يقم بأى عمل اجتماعى آخر، وكان متفرغـا فقط لتأليف كتاب إيران القديمة. وقد حصل المرحوم مشير الدولة طوال حياته على الأوسمة والنياشين التالية :

نيشان أقدس حمايل من الطبقة الأولى (من أحمد شاه).

نيشان التاج الإيرانى من الطبقة الأولى.

نيشان العقاب الأبيض الروسى من الطبقة الأولى.

نيشان سان جورج الإنجليزى من الطبقة الأولى.

نيشان لـژيون دونور الفرنسى.

نيشان جيوم دو داسو الهولندى من الطبقة الأولى.

نيشان المجيدية العثمانى من الطبقة الأولى.

وقد أنجب مشير الدولة ستة أبناء وابنة واحـدة؛ وتزوجـت ابنتـه "همـا" بالمرحوم يد الله عضدى ابن أمير أعظم المعروف الـذى تـولى منـصب حـاكم شاهرود وكرمان وكان من ذوى النفوذ فى خراسان. وقد توفيت هذه الابنـة فـى شبابها أثناء الوضع وهى فى سن الثامنة عشرة من عمرها فى أواخر عـام ١٢٩٨ (١٩١٨م) وأوائل عام ١٢٩٩ش (١٩١٩م)[٥٤]. وقد حزن مشير الدولة على وفاتها حزنا شديدا. أما أبناؤه الستة فهم داوود وهرمز وباقر ومهـدى وولـى الله وأبـو القاسم، ومن أشهر أحفاده السيد بيـژن (ابن داود پيرنيا) الذى كان يقـدم برنـامج الأطفال فى الإذاعة الإيرانية.

الهوامش

١- كتب هذه المقدمة السيد باستانى پاريزى وفصل القول فيها عن حياة مشير الدولة وأعماله (المترجم).

٢- زين العابدين شيروانى، بستان السياحة، تحت كلمة نايين

٣- حاجى نايب الصدر شيرازى، طرايق الحقايق ص ٩٦

٤- تاريخ كرمان بتصحيح كاتب هذه السطور ص ٣٨٢

٥- روضة الصفا – مجلد القاجارية تحت أحداث ١٢٤٦هـ

٦- صدر بلاغى – حاشية تاريخ نايين، ص ١٢٤

٧- هدايت، خاطرات وخطرات، ص ٢٠٤

٨- أشهرهم حاجى پير زاده نايينى. انظر مقالة ايرج افشار حول ادوارد براون وحاجى پير زاده فى مجلة يغما ٧ – ٤٢٠.

٩- ناظم الإسلام، تاريخ بيدارى ايرانيان ص ٤٤٤.

١٠- ناظم الإسلام، تاريخ بيدارى ايرانيان ص ٤٤٤.

١١- مستوفى، زندگانى من، ص ٩٨، تاريخ بيدارى ص ٤٤٥، تاريخ نايين ص ١٥٤.

١٢- تاريخ بيدارى ايرانيان ص ٤٥٨.

١٣- خاطرات وخطرات ص ٢٠٣

١٤- براون، انقلاب ايران ص ١٤٥

١٥- كتاب آبى ص ٥٩

١٦- از تاريخ خطى شريف. بنقل از تاريخ مشروطيت ايران، محمد حسن أديب هروى ص ٩٧

١٧- زندگانى من، ج ٢، ص ٩٩

١٨- زندگانى من، ج ٢ ص ٩٩، تاريخ بيدارى ايرانيان ص ٤٤٦

١٩- زندگانى من، ج ٢ ص ٩٩

٢٠- زندگانى من ص ١٢٥ و ١٤٦ و ١٧٧

٢١- زندگانى من ص ١٨٨

٢٢- زندگانى من ص ٢٢٢ و ٢٢٤

٢٣- كان نصر الله خان مشير الدولة رجلا هادئا ومسالما، وقد سمعت من پيرزاده أنه عندما كان يمر من ميدان نائين، كان أحد أبناء حاجى عبد الوهاب يجلس فى الطابق العلوى المطل على الميدان، ويقول إن هذا الشاب له عند الله كرور (نصف مليون) واحد، وربما حصل عند وفاته على أكثر من ذلك (خاطرات وخطرات ص ٢٠٤).

٢٤- CONSTITUTION.

٢٥- تاريخ بيدارى إيرانيان ص ٤٤٦

٢٦- براون : انقلاب إيران ص ٤٩٩

٢٧- تاريخ انقلاب مشروطيت، ج ٢ ص ١٨٧

٢٨- تاريخ بيدارى إيرانيان ص ٤٦٦، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨٢

۲۹- زندگـــــانی من ج ۲ ص ۳۲۸

۳۰- گـــزارش ایران، بخش ٤ ص ۱۰

۳۱- تاریخ بیداری ایرانیان ص ۱۰۲

۳۲- زندگـــــانی من ج ۲ ص ۲۷۷

۳۳- زندگـــــانی من ج ۲، ص ۲۷۷ و ۳۱۸

۳٤- زندگـــــانی من ص ۳٤۱

۳٥- زندگـــــانی من، ج ۲، ۲۹۸

۳٦- مجله یغما، رجال صدر مشروطیت، سال ٥، ٥١٦

۳۷- از سخنرانی آقای گلشائیان در رادیو ایران. تابستان ۱۳٤۰

۳۸- سالنامه دنیا سال ۲۸ ص ۸٤.

۳۹- کسروی، تاریخ مشروطیت، ص ٦۰٤

٤۰- حیات یحیی، ج ۲ ص ۲۷۹

٤۱- تاریخ مشروطیت، کسروی ص ٦۲۳

٤۲- عقدت هذه الاتفاقیة فی شهر ذی القعدة عام ۱۳۳۷هـ (أغسطس ۱۹۱۹م)

٤۳- حیات یحیی، ج ۲ ص ۱٤٥

٤٤- گـــــزارش ایران، ج ٤، ص ۲٦۹

٤٥- زندگـــــانی أحمد شاه، ص ۲٤۳

٤٦- کودتای ۲۹۹، ج۱، ص ۱۷٤

٤٧- تاريخ أحزاب سياسى ص ٢٠٩

٤٨- كودتاى ١٢٩٩، ج ٢ ص ٢٢٢

٤٩- حيات يحيى، ج ٤ ص ٤٠٥

٥٠- مقدمه تاريخ مغول بقلم عباس اقبال ص ١٨

٥١- تقرير استاد سعيد نفيسى

٥٢- كتب هذه السطور التالية السيد مهدى الأكباتانى الرئيس الفعلى لإدارة التفتيش بمجلس الشورى الوطنى الذى قدمه فى ذلك الوقت المرحوم مؤتمن الملك للمرحوم مشير الدولة للقيام بتصحيح الكتب المذكورة، وهو يشرح فيها كيفية طباعة هذه الكتب؛ يقول : "...تم طبع ما يقرب من خمسمائة صفحة من كتاب إيران القديمة (وتضم كل صفحة ثمانية أسطر والنسخة النهائية مطبوعة بثلاثة ألوان من الحبر بالتدريج، وقد أعدت لجمع الحروف المطبعية من الدفاتر التى كتبها المرحوم، ومع أن الكتاب كان تحت الطبع ونقل فيه المؤلف أقوال كثير من المؤرخين إلا أنه كان ينتظر وثيقة لأحد المؤرخين اليونانيين فتركت له صفحتين خاليتين إلى أن وصلت هذه الوثيقة من أوروبا وتمت ترجمتها وطبعت فى مكانها، وحتى تتاح الفرصة لهذا المؤرخ لإبداء رأيه. تحمل بيرنيا تكاليف طباعة هذا الكتاب، وبعد طباعته فكر المرحوم بيرنيا فى تأليف وطباعة كتاب إيران القديمة. ولم يتردد فى توفير مصادر هذا الكتاب والإنفاق عليه، ومن ثم فكرت فى شراء نسخة من التاريخ العام للعالم الذى ألفه اسكاريگر الروسى وهو كتاب غالى الثمن وغير متوفر، وذلك لإعداد صورة دقيقة وصحيحة لمقبرة كوروش الكبير وساحة الحرب بين دارا والإسكندر المقدونى... وقد جهزت ما يقرب من ثمان وعشرين ألف صفحة من

مسودات موضوعات هذه المجلدات الثلاثة... وقبل هو بإصرار كبيـر أن تكلف شركة نشر بطبع الكتاب، واستمر طبع المجلد الأول من ١٢ مهـر ١٣١٠ (١٩٣٠م) حتى ١٢ فروردين ١٣١١ش (١٩٣١م)، رطبع المجلـد الثانى من اردى بهشت ١٣١١ حتى آبان ١٣١١ش، وطبع المجلد الثالـث من مرداد ١٣١٣ حتى بهمن ١٣١٣ش (١٩٣٣م). وبعد إصابته بالبولينـا منع بأمر الأطباء من القراءة والكتابـة، وكتبـت أنـا النـسخة النهائيـة للموضوعات الموجودة وسلمتها للمطبعة مع الإصلاحات الشفوية التى كان يبديها، وقد لازمت فراشه قبل موته بأربع ساعات، وكنـت أقـوم بعمـل النسخة النهائية لمباحث المجلد الرابع الخاصة بالـساسانيين، إلا أن هـذا الكتاب لم يكتمل مع الأسف...".

٥٣- ياد داشتهاى مرحوم إقبال، مجله دانشكده أدبيـات، سـال ٩ ش ١، ص ٢٢، نثر فارسى معاصر ص ٥١.

٥٤- تقرير السيد حبيب يغمائى، الذى ذكر أنه بينما كان أمير أعظـم يرتـدى ملابس الحداد فى تلك الأيام، إلا وحدث انقلاب ١٢٩٩ش، فاختفى أميـر أعظم خوفا من أن يقبض عليه، وقد حددت سنة وفاة ابنته تخمينـا طبقـا للحساب السابق.

مقدمـــــة

جغرافية الهضبة الإيرانية

يتكون القسم الأكبر من المملكة التى نسميها إيران، من أرض واسعة تعرف فى علم الجغرافيا باسم هضبة إيران.

تشتمل هذه المملكة المترامية الأطراف على سهول واسعة ونجـــاد عاليـــة، تحيط بها سلاسل من الجبال الشاهقة من كل جانب، فتحدها من الناحيـــة الـــشرقية ثلاثة من الجبال المتوازية تعرف بجبال سليمان (القوقاز).

وتحيط بها من الشمال جبال البرز التى تطوقها كالسلسلة من الـــشرق إلـــى الغرب حيث تنفصل فى الغرب عن جبال أرمينيا، مارة بجنوب بحر الخزر. عـــن طريق جبل (بابا) لتواصل امتدادها إلى بلاد الهند، حيث تتصل بجبـــال هيمالايـــا أعلى جبال العالم. وتحدها من الغرب جبال كردستان أوزاجروس (كمـــا يـــسميها الأوروبيون)، التى تمتد من الشمال إلى الجنوب، ثم تعرج جنوبا وشرقًا لتصل إلى بحر عمان.

وتتركب الجبال الجنوبية والشرقية من المواد الجيرية، وتشاهد فى الجبـــال الغربية قريبا من بحيرة أورمية [١] أحجار جرانيتيـــة. وتتركـــب بعـــض الجبـــال الشمالية من مواد بركانية – أى المواد المتفجرة عن باطن الأرض – مثل دماونـــد على مقربة من طهران وسبلان فى آذربايجان وهذه البراكين خامدة، ساكنة الآن.

وتبلغ الهضبة الإيرانية أقصى ارتفاعها فى الجنوب، ويقل كلمـــا اتجهنـــا شمالا فيبلغ ارتفاعها فى كرمان ١٦٠٠ متر تقريبًا، بينما لا يتجـــاوز فـــى مـــشهد ١٠٥٠ متر وفى تبريز ١٢٠٠ مترًا.

وتبلغ مساحة الهضبة الإيرانية ستمائة ألفًا وميليونين كيلو متر مربع تقريبًا أى خمسة وخمسين ألف فرسخ مربع، وتشتمل إيران الحالية على حوالى ثلاثة وستين فى المائة من تلك المساحة تقريبًا، أى ما يقرب من الثلثين.

ويتبع الباقى ممالك أخرى مثل أفغانستان وبلوچستان وغيرهما، وقد أخذ هذا الباقى فى الانسلاخ عن إيران تدريجيا منذ أوائل القرن الثالث عشر الهجرى بعد سلسلة من الأحداث التاريخية.

ويتسم مناخ إيران بالجفاف وبخاصة وسط الهضبة إذ هو صحراء يسميها أهل الجنوب لوت (ويسميها أهل الشمال كوير)، وتعد من أكثر مناطق العالم ارتفاعًا فى الحرارة، مع استثناء جيلان ومازندران وسواحل الخليج، حيث تنهمر الأمطار هناك بشدة ولا تتجاوز مياه الأمطار طوال العام فى مناطق إيران الأخرى ثلاث عقد ونصف العقدة حتى أربع عقد ونصف [٢]..

وتهب فى شمال إيران الرياح الممطرة، إلا أنها حين تصطدم بسلاسل جبال البرز، لا تستطيع عبورها إلى الجنوب، وهذا هو السبب فى هطول الأمطار بكثرة فى جيلان ومازندران، بينما يظل الجزء الجنوبى من هذه الجبال متميزا بالجفاف.

وتهب الرياح فى إيران من ناحيتين؛ الشمالية الغربية والجنوبية الشرقية وتنشأ الأولى نتيجة للرياح الشديدة المنبعثة من شمال أمريكا، حيث تعبر المحيط الأطلسى مارة ببحر المغرب (البحر الأبيض المتوسط) لتصل إلى البحر الأسود وآسيا الصغرى، ثم تواصل هبوبها حتى إيران والهند. وأما الثانية فتنشأ من المحيط الهندى، وتهب على إيران، ولا تغير تلك الرياح اتجاهاتها لأنها مضطرة لعبور فجوات ضيقة بين سلاسل الجبال المختلفة، ومن البديهى أن الجبال لا تغير أماكنها واتجاهاتها. وتهب الرياح فى بعض مناطق إيران بصورة عنيفة ومنتظمة

مثل رياح المائة وعشرين يوما التى تهب على سيستان بصورة منتظمة. وتتوسط الهضبة الإيرانية صحراء يسميها أهالى الجنوب صحراء لوت.

ورغم عدم التباين الشديد بين أجزاء الهضبة الإيرانية فى الارتفاع، حيث لا يقل ارتفاع فيها عما هو فى أعلاه عن ٦٠٩ مترًا، فإن عبور الصحراء أمر فى غاية الخطورة بالنسبة للقوافل التجارية نتيجة لمستنقعاتها وامتلائها بالرمال المتحركة. ونهر كارون هو النهر الوحيد الصالح للملاحة فى الهضبة الإيرانية وينبع هذا النهر من جبال بختيارى، حيث يخترق منطقة خوزستان ليصب فى شط العرب. وما بها من أنهار أخرى تجرى على هذا النحو:

فى الشمال آرس – سرخ رودأو قزل أوزن – (النهر الأحمر) – (الذى يسمونه بعد اتصاله بشاه رود: سفيدرود (النهر الأبيض) – واترك، وتصب هذه الأنهار الثلاثة فى بحر الخزر. وفى أصفهان نهر زاينده رود الذى يتلاشى فى المستنقعات.

وفى الناحية الشرقية مرغاب وهريرود اللذان يجريان فى صحراء التركمان، وفى سيستان نهر هيلمند (أو هيرمند). وفى الشمال الشرقى من الهضبة ينبع نهر جيحون من بدخشان ويصب فى بحر آرال[٣].

وتوجد فى الهضبة الإيرانية عدة بحيرات، يعتبرها علماء الجيولوجيا بقايا بحر كان يغطى الجزء الأكبر من هذه الهضبة، وهذه البحيرات هي: فى القسم الشمالى والغربى من الهضبة والمناطق المجاورة: توجد بحيرة أورمية فى الناحية الغربية من آذربايجان، وبحيرة وان فى تركيا على بعد خمسة عشر فرسخا من الحدود الإيرانية، وبحيرة كى چاى فى القفقاز، وأهم تلك البحيرات بحيرة أورمية التى يصل عمقها إلى خمسة عشر ذراعا ومياهها شديدة الملوحة، وتقع على ارتفاع ألف متر من سطح المحيط (أى البحر المرتبط بالمحيط مثل الخليج وغيره) وتوجد فى مقاطعة فارس بحيرتان: مهارلو ونيريز، وفى سيستان بحيرة هامون

التى تصب ما يتبقى فيها من مياه الأمطار فى منخفض زره، وفى كرمان هامون أخرى تعرف بنمك زار (يذكرها بعض الباحثين باسم بحيرة جزمريان) ويصب نهرا بمپور وهليل الصغيران فى هذه البحيرة (هامون)، وتوجد بحيرة قم أو حوض سلطان بين طهران وقم.

سبق القول بأن الهضبة الإيرانية يحدها من الناحية الشمالية بحر الخزر، وقد سمى بهذا الاسم نسبة إلى الأقوام التى استوطنت الشاطيء الشمالى الغربى من هذا البحر لقرون عديدة وكانت تعرف باسم الخزر[٤] ويمكن تقسيم عمق هذا البحر إلى ثلاثة أقسام أكثره عمقا فى الناحية الجنوبية منه بينما يقل العمق كثيرا فى الناحية الشمالية، حيث يصب نهر اديل (فلجا) الكبير فى هذا البحر[٥]، ويقل سطح البحر عن سطح البحر المحيط ٢٦ مترًا، وكما ثبت بالتجربة فإنه دائم الإنخفاض، ويعللون ذلك بشدة الحرارة خلال فصول الصيف، والتبخير المستمر للمياه فيه.

ويحد الهضبة الإيرانية من الناحية الجنوبية الخليج وبحر عمان، وهذا الخليج من أكثر بقاع العالم حرارة، ويفصل الجزيرة العربية عن إيران ويتصل ببحر عمان مضيق هرمز؛ حيث يرتبط بمناطق العالم المختلفة عن طريقه. ويصب شط العرب فى هذا الخليج، وترتبط ارتباطا تاريخيا وثيقا بهذا الخليج شعوب العالم القديم كالسومريين والأكاديين والعيلاميين والكلدانيين والفرس والعرب، وشاهدت شواطئه ماغبر من الحضارات القديمة. ويضم هذا الخليج الكثير من الجزر أكبرها قشم والبحرين.

وفى الهضبة الإيرانية الكثير من المعادن مثل النحاس والحديد والرصاص والفحم الحجرى والمرمر والطين الأحمر (مغره) والفيروز وغير ذلك، وكذلك كشف عن الذهب، ويقول علماء الجيولوجيا إن الهضبة الإيرانية تسبح فوق بحر من النفط، ونظرا لأن عملية استخراج المعادن والاستفادة منها لم تستكمل حتى الآن[٦] فإن غالبية ما تغله الأرض يعتمد على الزراعة، وتعتمد الزراعة فى بعض

مناطق إيران على الرى (رى الحياض) نظرًا لنقص مياه الأمطار ونوع المناخ، إلا أن الزراعة الدائمة غالبة فى كثير من المناطق، والمنطقتان الشمالية والغربية من الهضبة الإيرانية أكثر غنى فى محصولاتها الزراعية من المنطقتين الوسطى والشرقية، ولعل السبب فى ذلك وجود بحر الخزر فى الشمال حتى سلسلة جبال البرز وتأثير بحر الغرب فى المغرب، هو وإن كان ضعيفا فى فلاة إيران، إلا أنه يحدث تأثيرًا فى بعض مناطق الناحية الغربية وتزداد خصوبة الأرض ويشتد عود النباتات فى الأماكن ذات المياه الوفيرة والوديان وتربة الوديان والسفوح رسوبية، وذلك من الطمى الذى يتخلف عن السيول والأنهار السطحية، فإذا تعمقنا تحت سطح الأرض قليلا فإننا نصادف حجارة ورملاً ورمالاً ناعمة.

وعلى الرغم من أن العرض الجغرافى للهضبة الإيرانية يتراوح بين خطى ٢٤ واثنين وأربعين شمالا، وأن هذا العرض لا يؤدى إلى اختلاف بين فى مناخ مناطقها المختلفة، فإن تفاوت الارتفاع بينها والمناطق الملاصقة لشواطئ البحار والبحيرات. وسفوح الجبال والمناطق المجاورة للصحراء قد أدى إلى وجود اختلاف كبير بين تلك المناطق فى المناخ داخل الهضبة، ولذا فإن الأشجار تنبت والورود والرياحين فى إيران كلها.

وطرق التجارة والاتصال الحالية الموجودة فى إيران هى التى كانت موجودة فى إيران القديمة [٧]، نذكر بعضها لأهميتها التاريخية: الطريق الممتدة من بلاد ما بين النهرين حتى الهضبة الإيرانية؛ حيث يبدأ من المكان الذى سمى بعد ذلك سلوكية والقريب من بغداد الحالية، ثم يعبر نهر دجلة إلى وادى دياله ليصل إلى أرتى ميتا قرب قزل رباط الحالية لينتهى عند مدينة شالا حاضرة حلوان[٨] ثم يبدأ صعوده بعد ذلك إلى الهضبة الإيرانية، ويستمر هذا الطريق فى امتداده عابرا جبال زاجروس وكامبادين **Kamba dene** أو كرمانشاه الحالية تقريبا ليصل

إلى وادى بلند كرخه، ثم يعبر كنگاور (كنگبار القديمة) لينتهـى إلـى همـدان وترتبط همدان بشوش والمدن الأخرى بكثير من الطرق.

ومن الطرق الأخرى الجديرة بالذكر كذلك الطرق الممتدة مـن الهـضبة الإيرانية حتى الهند، إحداها الطريق التى تبدأ من وادى كابل إلى پيشاور – عبـر جبال سليمان – فى وادى السند، والطرق الأخرى أقصر من الأولى وتعبـر ممـر خيبر، وقد سلك فاتحو الهند وكذلك نادر شاه هذه الطرق.

وآخر هذه الطرق الطريق التى تربط أفغانستان الحاليـة بـوادى آمويـه (جيحون) والطريق الذى يحتل أهمية كبرى حاليا هو الذى يبدأ من باميـان وبلـخ ويمتد مخترقا جبال هندوكه ليصل إلى الوادى المشار إليه.

وطرق إيران الممتدة من الرى إلـى آذربايجـان وجـيلان وخراسـان وأصفهان ومن خراسان إلى آسيا الوسطى، ومن بندر عبـاس (گمـرون العهـد القديم) إلى شيراز ومن الرى عن طريق دامغان إلى طبرستان وجرجان كانـت كلها فى القديم كما هى حاليا ليس معلوما عدد سكان الهضبة الإيرانية فى الأزمنـة القديمة، وحتى الآن لم يجر إحصاء وتعداد عام، ويظن أن تعداد إيران وأفغانـستان وبلوچستان يصل إلى سبعة عشر مليوناً[٩]

وسنترك الناحية الجغرافية التى لا تتصل بالتاريخ، إلا أننا يجب أن نـشير إلى هذه النقطة لما لها من أهمية تاريخية، فالهضبة الإيرانية جـسر يـربط بـين الأجزاء الشرقية والغربية من آسيا، وقد أكسب هذا الموقع إيران أهمية خاصة عبر التاريخ، فقد كانت إيران الطريق الوحيدة لربط أجزاء آسيا مـع بعـضها بعـضا وكذلك ربطها بممالك بحر المغرب وأوروبا فى الأزمنة التى لم يكن عبور البحار فيها سهلا ممكنا، كما أن موقع إيران فى الطرق الأربع للعالم القديم جعلها ملتقـى لكثير من الشعوب والأجناس. وكان لهذا الموقع الجغرافى كثير من النتائج نتتبعهـا عبر التاريخ كما سيلى .

الأجناس – الجنس الأبيض – الشعوب الهندو أوربية

يتضح من علم الأجناس أن سكان الكرة الأرضية ينقسمون من حيث الجنس إلى خمسة أقسام:

١- الجنس الأبيض.

٢- الجنس الأصفر.

٣- الجنس الأحمر.

٤- الجنس الأسود.

٥- الجنس (ماله) الـسپولونيزى.

والأجناس الثلاثة الأخيرة لا ترتبط بموضوع كتابنا هـذا. ويـسمى بعـض الباحثين الجنس الأصفر باسم الجنس المغولى. ويتفق أكثرية هؤلاء المحققين علـى تقسيم هذا الجنس ثلاثة أقسام: الصين والتبت، المغول والمانجو، التـرك والتتـار. ويسكن أكثر سكان هذا الجنس فى آسيا الشرقية وسيبيريا وآسيا الوسـطى، بينمـا اختار بعضهم الإقامة فى آسيا الغربية وأوروبا مثل سكان القفقاس وتاتـار القـرم والأتراك والمجريين الفنلديين وغيرهم.

وقسم المحققون الجنس الأبيض ثلاثة أقسام كذلك: الهند وأوروبى والسامى والحامى. وكما تذكر التوراة، فإن الحاميين ينتسبون إلى حام بن نوح عليه السلام. ويختلف المحققون فى موطن إقامتهم، فبينما يرى بعضهم أن موطنهم الأصلى بابل أو إحدى المناطق فى آسيا الغربية. ويعتقدون أنهم هاجروا من آسيا إلى أفريقيـا، واختاروا مصر وليبيا وغيرهما مقرا لهم، ولكن المستشرق المعروف نولدكه يعتقد أن موطنهم الأصلى هو الشمال الشرقى من إفريقيا، لأنهم أُقرب فى الشكل والقيافة من الجنس الأفريقى الأسود.

ويعتقد أكثر المحققين أن المصريين القدماء (القبط) وكــذلك برابــرة ليبيــا والأحباش من الحاميين. وقد اختلط الحاميون مع الأجناس الأخرى.

ويُكوّنْ الساميون أحد فروع الجنس الأبيض الكبرى، ويسكن أكثرهم فى شبه الجزيرة العربية، وبين النهرين، والشام، وأفريقيا الــشمالية والــشمالية الــشرقية. وتفرقت شعبة منهم وهم بنو إسرائيل فى مناطق مختلفة من آسيا وأوروبا.

أما الشعوب السامية فى العهــد القــديم فهــى الكلــدانيون، والآشــوريون، والفينيقيون، وبنو إسرائيل ويهودا والآراميون والعرب. وتعتبر التــوراة الفينيقيــين من الحاميين، بينما يعتبرهم أكثر الدارسين من الساميين. ولغــة هــؤلاء الأقــوام متقاربة غاية التقارب، فكما تذكر التوراة فإن بنى إسرائيل عام ١٥٠٠ ق. م كانوا يفهمون العربية دون حاجة إلى مترجم.

أما الشعوب الهند وأوروبية – كما يتضح من اسمها – فيقيمون فى بــلاد الهنــد حتى أقصى البلاد الأوروبية، أى أن سكان أوروبا جميعًا من هذا الجنس عدا أقلية من الأجناس الأخرى. ويقطن آسيا فقط الهند وأوروبيون والإيرانيون بمعنى أعــم (أى المواطنون الذين تشعبوا عن الفرع الإيرانى الآري) والأرمن.

ويمكن تقسيم الشعوب الهند وأوربية طبقًا للمقاييس العلمية إلى ثمانى شعب:

١- الآريون.

٢- اليونان والمقدونيون.

٣- الأرمن.

٤- الألبان (فى شبه جزيرة البلقان – ويسمونهم الأرناؤود).

٥- الإيطاليون.

٦- السلت (سكان أقطار أوروبا الغربية).

٧- الجرمان (الألمان والأنجلو ساكسون وغيرهما).

٨- الليتوانيون والسلاف.

وقد أثبتت الأبحاث التى أجريت على لغات هذه الشعب الثمانيــة ودياناتهـــا وقصصها وأساطيرها قبل التاريخ، أن أهلها كانوا يعيشون فى مكان واحــد قبــل الميلاد بأربعة آلاف سنة، ثم تفرقوا بعد ذلك إلى جهة غير معلومة، لضيق المكان عليهم لزيادة عددهم، وتفرقت كل شعبة منهم إلى مكان آخر. ولا يمكــن معرفــة وقت افتراق هؤلاء الأقوام على وجه الدقة واليقين. ولكن المحققــين، يتــصورون إمكان حدوث هذا الانقسام والتفرق، ما بين عام ٣٠٠٠ و ٤٠٠٠ ق.م. ويختلــف الباحثون حول الموطن الأصلى للسكان الهندوأوربيين، فكانوا يعتقدون أنهم كـــانوا يقطنون آسيا الوسطى فى بداية الأمر، ثم غيرت الأبحاث والحفريات المقدمة هـــذا الرأى إلى القول بأنهم استوطنوا سواحل نهر أديل (الـــڤولجا). ثم قيل إنهم سكنوا سواحل بحر البلطيق. ولكن الرأى السائد القوى الآن هو أنهم كانوا يقيمـــون فـــى إحدى المناطق الشمالية من أوروبا، وأن هذا المكان على ما يبدو هو شبه جزيـــرة اسكندناوه التى يجب التحقيق فيها.

(الآريون. الشعبة الإيرانية)

الآريون، كما سبق القول، فرع من الشعوب الهند وأوربية. وطبقًا للتحقيقات المتعلقة بالشعوب الهند وأوربية يتضح أن الشعبة الآرية هى الشعبة الأولـــى. لأن آثارها التاريخية والأدبية تبدأ من القرن الرابع عشر ق. م فـــى حـــين أن الآثـــار اليونانية والإيطالية أكثر جدة منها، والآثار الأدبيه للشعب الخمس الأخرى أحـــدث بكثير من اليونانية والإيطالية.

اتجه الآريون بعد انفصالهم عن الشعوب الهند وأوربية إلى الجنوب؛ حيث انقسموا إلى الشعب التالية: الشعبة الهندية – الشعبة الإيرانية – الشعبة السكائية[١٠]

وليس بين يدى الباحثين معلومات كثيرة ومحققة عـــن أحـــوال الـــشعوب الآرية إبان عصور ما قبل التاريخ. وعلى الرغم من هذا، فقد بـــرز مـــن أبحـــاث المحققين الأسئلة التالية: متى انفصل الآريون عن سائر الشعوب الهند وأوربيـــة ؟ وأين كانوا بعد الانفصال، وهل كانوا يعيشون جميعًا أم عاشوا متفرقين ؟

وفيما يتعلق بالسؤال الأول، يعتقد المحققون أنهم لا يستطيعون تحديد تـــاريخ معين لهذا الانفصال، ولكن يمكن القول طبقًا للمقاييس العلمية أن انفصال الآريـــين عن بقية الشعوب الهند وأوربية يجب أن يكون فى حدود الألف الثالـــث ق. م.[١١] وفيما يتعلق بالسؤال الثانى والثالث، معلوم أن أكثر الآريين الهند وإيرانيين هـــاجر إلى آسيا الوسطى، حيث عاشوا هناك ردحًا من الزمن، أما فيما يختص بمـــوطن إقامتهم، فبين العلماء اختلاف، ولكن غالبيتهم متفقة الآن على أنهم كانوا يعيـــشون بين نهرى سيحون وجيحون أى فى بلاد ما وراء النهر.

والمعلومات الخاصة بالسكاجد قليلة، لأنه ليس بين يدى الباحثين آثار أدبية لهم. وتنحصر هذه المعلومات فيما يمكن استنباطه من النقوش الإيرانية القديمة وكتابات المؤرخين اليونان والحفريات التى أجريت فى مقابرهم. وسوف نذكر من بين الموضوعات التى تتصل بالأزمنة التاريخية لاتصالها بها، وحتى يحين ذلك، يجب العلم بأنهم كانوا رجالاً أقوياء مسلحين، يسكنون الصحارى، وأنهم كانوا ينتشرون فى الأزمنة التاريخية من وسط آسيا حتى نهر الدانوب وسوف نكرر الإشارة إلى هذه الأقوام من السكاعبر تاريخ إيران القديم.

هاجر آريو الهند وإيران من آسيا الوسطى بعد أن عاشوا معًا زمنًا، ثم اتجهوا غربًا، ومن ثم اتجهت الشعبة الهندية إلى الهند وكوش، وانتشروا فى البنجاب فى الهند وعطفت الشعبة الإيرانية إلى الجنوب والغرب وانتشروا فى الفلات الإيرانية[١٢].

ومن هنا يتضح أن اسم إيران مشتق من اسم هؤلاء الأقوام، لأنهم كانوا يسمون أنفسهم آيريا أى النجيب أو الوفى، وكان اسم إيران فيما مضى آيران، ثم تحرف إلى أيران وإيران وأيران.

قدوم الآريين إلى الهضبة الإيرانية

لا يعرف سبب مجيء الآريين إلى هضبة إيران، وتسمى الأوستا الموطن الأصلى للآريين بآيران واج أو مملكة الآريين. وتذكر أنها كانت مملكة غنية بالمياه العذبة والمناخ الجيد، ذات أراض خصبة. ولكن الأرواح الشريرة أحالت أرضها بردًا مرة واحدة، ولما ضنت أرضها بالقوت على أهلها، بدأت الهجرات منها.

وليس معلومًا على وجه الدقة ما المقصود من كلمة آيران واج، هل هو المسكن الأصلى للآريين قبل انفصالهم عن الشعوب الهند وأوربية، أم هو مسكنهم إبان إقامتهم مع الهنود؟

على أية حال، يمكن القول بأن السبب فى تلك الهجرة، يرجع إلى ازدياد السكان وضيق المجال، أما عن تاريخ وفادتهم إلى إيران، فبعض العلماء كان يعتقد فيما مضى أن ذلك التاريخ يرجع إلى حدود ألفى سنة ق. م لأننا نصادف فى تاريخ عيلام ــ الذى سيأتى ــ قومًا يظن أنهم كانوا من الآريين.

ولكن قوى الاعتقاد أخيرًا بأن تلك الهجرة قد بدأت فى القرن الرابع عشر (ق. م) واستمرت حتى القرن الثامن ق. م.

وفيما يتعلق بكيفية انتشار الآريين بعد وصولهم إلى الهضبة الإيرانية، يلزم القول بأن الأوستا قد ذكرت أسماء ست عشرة مملكة منها اسم واحد لا يعرف مكانه، ومن الخمس عشرة الباقية ذكرت (آيران واج) ومملكتين أخريين صفحة البرز وبنجاب الهند.

ومن هنا يستنبط بعض الدارسين أن هذه الممالك أو الولايات تحدد خط سير الآريين وانتشارهم، وعلى هذا فإن خط سيرهم وانتشارهم هو على النحو التالى:

انتقل آريو إيران من الصغد إلى مرو، ثم استوطنوا هراة ونيسايه وكابل، وتوجهوا بعد ذلك الى ناحية رخج وهيلمند.

وحينما بلغوا بحيرة زرنک (بحيرة سيستان)، وكانت فيما مضى أكبر مما هى الآن، لم يتجاوزوها إلى الطرف الآخر، لأنه يبدأ فى الطرف الجنوبى منها أراضى بلوجستان ومكران الحالية، وهى أراض لم تجذب الآريين لجفافها وشدة حرارتها، ولهذا فقد اتجهوا غربًا بعد إقامتهم فى سيستان، واستوطنوا الولاية الجنوبية من خراسان، وسفوح دماوند والرى ثم انساحوا إلى بلاد إيران الأخرى.

وفيما يتعلق بأى الشعوب كانت تعيش فى إيران قبل وفود الآريين، فإن رأى المحققين هو أن شعبًا يسمى (كاس سو) كان يقطن غرب إيران، ولا يعرف إلى أى جنس كان ينتمى وكان يسكن مازندران الحالية التبيوريون(١٣).

أما فى الجنوب الغربى فكان يقيم العيلاميون الذين سنقف على مجريات تاريخهم.

وفيما يخص الأجزاء الباقية من إيران، فتختلف الآراء إذ يعتقد بعض الباحثين أن سواحل الخليج وعمان كان يقطنها بعض الأحباش أو جماعات من السود. ويعتقد آخرون أن جميع سكان هضبة إيران والقفقاز وأوروبا الجنوبية، فى الأزمنة القديمة كانت تتكون من عناصر سوداء أو عناصر لم تكن بذى وسامة.

على أية حال، وقتما قدم الآريون الهضبة الإيرانية وجدوا فيها قومًا أقل منهم من حيث الشكل والعنصر والعادات والأخلاق والمذاهب؛ لأن الآريين كانوا يسمون السكان الوطنيين باسم ديوياتور.

يضاف إلى ذلك الآثار التى عثر عليها فى منطقة مازندران التى يرجع تاريخها إلى زمن قديم، وتؤكد صحة هذا الاستنتاج وهو أن سلوك الآريين مع هؤلاء الوطنيين كان سلوك الغالب مع المغلوب، سيما أن الآريين كانوا يعتبرونهم

أقل منهم درجة ولذا فلم يعترفوا لهم بأى حق فى بداية الأمر، بل كانوا فى حرب وصراع دائمين معهم، فكانوا يقتلونهم حيث وجدوهم.

ولكن حينما ضعفت شوكة هؤلاء الوطنيين، وتخلى الآريون عن الأعمال الشاقة كالزراعة وتربية الحشم والخدم فى عائلاتهم، ألقوا هذا العبء على كاهل الوطنيين، وصارت لهم حقوق، كحقوق العبيد والإماء الذين كانوا يعيشون تحت حماية أسيادهم.

ومنذ ذلك التاريخ بدأ الامتزاج بين الآريين والسكان الأصليين. ويمكن استنباط طريقة استقرار الآريين فى إيران مما روته بعض القصص الإيرانى القديم، وإلى حد ما كذلك من مقارنة أسلوب هجرة واستقرار سائر شعوب الهند والأوربية فى البلاد المختلفة.

لم يأت الآريون إلى إيران للسلب والنهب والعدوان، بل كانوا يودون الاستقرار فى تلك المنطقة، ولذلك فقد كان يتحتم عليهم انتزاع الأراضى من الوطنيين، حيثما وصلوا تحقيقًا لهدفهم الأصلى. وكانوا يبنون قلعة بعد كل حرب مع السكان. وكانوا يقسمون داخل القلعة قسمين: قسما يخصص لمساكن العائلات، وآخر لسكنى الخدم وكانوا يضرمون النار فى فنائها وحواليها لتحقيق هدفين: أولهما أن تستفيد العائلات منها، وثانيهما يتمثل فى أنه إذا حاول الوطنيون الإغارة ليلاً، فإن حراس النار كانوا يزكونها حتى يخرج أهل القلعة للقتال، ويصدون المعتدين عن أطراف القلعة، ثم تحولت تلك القلاع بعد ذلك إلى قرى ومدن[١٤].

مذهب الآريين وأخلاقهم

عقائد آريي إيران: تجدر الإشارة بأن عقيدتهم وعقيدة الهنود كانــت واحــدة زمنًا طويلاً. ذلك أنهم كانوا يتكلمون لغة واحدة، ولكن حدث اختلاف فــي العقيــدة بينهما بعد ذلك بعد عدة قرون. وليس معلومًا على وجه الدقة متى بدأ هذا الإنفصال أو ذلك الاختلاف، ولكن يستفاد من النقش الذى عثر عليه فى بوغاز (كى أى) فــى آسيا الصغرى، والذى يرجع تاريخه إلى عام ١٣٥٠ ق. م أن الانفصال لم يكن قد حدث قبل ذلك التاريخ. فقد ورد فيه أن نجباء الميتانيين، وكــانوا آرايــين. كــانوا يقسمون بالآلهة الهندية. وحيث أن تاريخ تدوين الويدا كتاب الهنود المقدس لا يمكن أن يعود إلى ما قبل القرن الرابع عشر، ولا يمكن فى الوقت ذاته أن يتــأخر عــن القرن الثامن، لذا يمكن القول بأن تاريخ الانفصال يجب أن ينحصر بــين القــرنين التاسع والرابع عشر.

أما فيما يختص بما هية آريى ايران وعقيدتهم، فيتضح من أبحاث المحققــين فى الديانات الهندية، ومقارنة ما توصلوا إليه من نتائج، مع ما وصل اليه الباحثون فى الأوستا كتاب زردشت المقدس، أنهم كانوا يعتقدون بوجود أرواح عديدة خيــرة وطيبة تهب الإنسان الكنوز وذخائر الطبيعة، ومن بين تلك الذخائر وأهمها النــور والغيث وكانوا يعتقدون كذلك بوجود أرواح شريرة مظلمــة، تتــصارع والأرواح الخيرة، ولا تريد أن يكون الإنسان سعيدًا، وكانوا يعدون الليل والشتاء والــسنوات العجاف والقحط والأمراض والموت والبلايا من الأرواح الشريرة.. ويتضح كــذلك أنهم كانوا يعبدون الأرواح الأولى، ويسبحون بحمدها ويلهجــون بالثنــاء عليهــا، ويبدون لها الخضوع فى حين أنهم كانوا يعدون الأرواح الشريرة عدوا لهم، فكانوا يتوسلون بقراءة الأوراد حماية من شرورها، وأصبحت تلك الأوراد سببًا فى انتشار

السحر والشعوذة بعد ذلك، وثار زردشت على تلك الخرافات: ويعتقد بعض الباحثين أن عبادة ورثرغنا[١٥] إله الرعد، وميثر إله الشمس قد دخلت عقيدة آريي إيران منذ ذلك التاريخ وكانوا يعتبرون الشمس عين السماء والرعد ابنها، وبعبارة أخرى يجب القول إن آريي إيران كانوا يعبدون العناصر كآريي الهند.. ثم ترقوا في معتقداتهم، حتى وصلوا إلى مرحلة التوحيد.

أما متى حدث هذا الارتقاء، فليس معلومًا ولكن ما يجب معرفته هو أن رقي آريي ايران كان أسرع من رقي آريي الهند، ومع ظهور زردشت رسخت عبادة الإله الواحد، كما سيأتي ذكر ذلك في موضعه.

وحينما قدم آريو إيران إلى إيران، كانوا أقل حضارة من جيرانهم البابليين والآشوريين فاقتبسوا منهم، كما سيلي — أشياء كثيرة، ولكنهم كانوا أكثر رقيا منهم في الأخلاق؛ لأن معتقداتهم المذهبية كانت تحضهم على السعي والعمل مع التحلي بالإخلاص والصدق. ويعتبر الإيرانيون القدماء الكذب أحد كبار الأرواح الشريرة.

الأسرة ـ الطبقات ـ شكل الحكومة

تقوم الأسرة على السلطة الأبوية أو أكبر أفرادها، ومع حرمان الزوجة من الحرية بالنسبة لزوجها إلا أنها كانت تعتبر ربة المنزل. وعلى العموم فإن ما يلفت النظر أن منزلة المرأة عند آريى إيران كانت أفضل مما كانت عليه عند الشعوب الأخرى وكان الأولاد يتبعون الأب تبعية محضة.

وكان رئيس الأسرة فى العهود الموغلة فى القدم هو القاضى والقائم بآداب العقائد والمشرف على تنفيذها فى آن واحد؛ لأن الطقوس الدينية كانت بسيطة ولم يكن لرجال الدين وجود.. ومن الواجبات الحتمية الملقاة على عاتق رئيس العائلة الإشراف على أتون المنزل حتى تظل ناره مستعرة لا تنطفئ.. وكان أتون الأسرة موضع الاحترام.

والطبقات كما يتضح من الأوستا ثلاث: رجال الدين ـ رجال الحرب ـ الزراع.. ولكن لم يكن لرجال الدين وجود فى العهود الموغلة فى القدم، وكان إجراء الطقوس الدينية وتقديم القرابين من المهام التى كلف بها رؤساء العائلات.

نظام الحكم:

كان نظام الحكم يقوم على أساس ملوك الطوائف، فكان يتكون الفخذ أو البطن من عدة أسر وسكنها القرية، التى كان يطلق عليها (ويس).

وتتكون القبيلة أو العشيرة من عدة أفخاذ ومحل إقامتها هو البلوك (الناحية) التى كان يطلق عليها آنذاك (دگنو) وتشكل عدة عشائر القوم أو الشعب ومحل إقامته الولاية التى كان يطلق عليها (ده يو) وينتخب رؤساء العائلات رئيس الفخذ؛ وينتخب رؤساء الأفخاذ رئيس القبيلة.

وكان رئيس القوم أو الولاية يتم بالتعيين في بادئ الأمر، ثم زادت صلاحياته وسلطاته بعد أن أصبحت قيادة الجيش إبان المعارك منوطة به، ولكن لم يؤد إلى تقلص سلطات رؤساء العائلات أو رؤساء الأفخاذ تقلصًا تامًا.

وكان رئيس البطن أو الفخذ يسمى ويس ريت، ورئيس القوم أو الولاية ده يويت، وكان الحاكم الذى يخضع له عدة شعوب أو ولايات يلقب بالملك الكبير وكان لقب (دهبويت ها) يطلق فى الواقع على الملوك الصغار الذين كانوا فى منزلة التابعين والولاة بالنسبة للملك الكبير، وكان يجب عليهم أن يقدموا له الهدايا، وأن يدفعوا له الجزية، ويعدوا له الجيوش أثناء الحرب وكان أكثر أبطال القصص الإيرانى القديم من اليويت ها الذين كانوا يرثون الحكم فى كل ولاية أو مقاطعة بالنظام الوراثى.

ومن الدول الآرية الإيرانية التى شكلت فى العصور التاريخية، والتى سيرد ذكرها فيما بعد الدولة الأشكانية التى تشابهت تشابهًا تامًا فى نظام الحكم مع الدول أو الدويلات الآرية فى عصور ما قبل التاريخ.. ولذلك فإذا أردنا الحصول على معلومات مفصلة عن كيفية الحكومة فى تلك العصور يجب أن ندقق النظر فى طراز الحكومة الأشكانية.. يبدأ تاريخ آريى ايران منذ القرن السابع أو أواخر القرن الثامن ق. م والفترة قبل ذلك تغلفها ستائر النسيان.

وعلى هذا فان ما يقرب من ثلاثة وعشرين قرنا أى منذ انفصال الآريين عن الشعوب الهند وأوربية حتى القرن الثامن ق. م ليس معلومًا على وجه الدقة وماذا كان الآريون وما هو تاريخهم.. ويتضح من القصص الايرانى القديم أنهم كانوا يقيمون فى المدن والقرى وأنهم كونوا دولاً.. وهنا يقف دور المعلومات التى قدمتها الروايات القديمة ولكن الصورة الكلية التى يمكن استقراؤها منها يدل على أن الآريين قد كونوا مالا يقل عن أربع دول، يمكن أن تسمى دولتان منهما وفقًا

لتلك الروايات بدولة الجمشيدية[١٦] ودولة الفريدونية، أى دولة آل جمشيد ودولة آل فريدون، والدولتان الأخريان باسم دولة آل منوچهر ودولة زاب أو آل الزاب.

وعصر جميشد موغل فى القدم، فيعتقد بعض البـاحثين أن قـصة جميـشد تتعلق بعصر ما قبل انفصال الشعوب الهند وأوربية، ولكنه على أية حـال لا يقـل عن الفترة التى عاش فيها آريو الهند وإيران معًا.

وكذلك ترتبط دولة آل فريدون بذلك العصر، أما دولة آل منوچهر وآل زاب فتتعلقان بعصور ما بعد استقرار آريى إيران فى الشمال الشرقى لهـضبة إيـران، وكانوا دائمًا تحت وطأة هجوم مستمر يشنه السكان الشماليون، الذين يظن ظنًا قويًا أنهم كانوا شعوب السكا[١٧].

وقد سبق القول بأنه فى الوقت الذى قَدِمَ فيه آريـو إيـران إلـى الهـضبة الإيرانية، كان يقطن تلك المنطقة العيلاميون. ولذا يجب الإشارة إلى العلاميين قبل الدخول فى تاريخ إيران، لأن لهؤلاء القوم مخلفات مفصلة، يفيد الوقوف عليها فى فهم تاريخ آريى إيران لأسباب سوف تأتى فى موضعها.

مختصر لتاريخ عيلام

مقدمة

كانت المعلومات المتوفرة لدينا عن العيلاميين إلى ما قبل أربعين عامًا تكاد تنحصر فيما ورد بالتوراة عنهم، وقد ذكر اسم كدر لا عمر ملكًا لعـيلام[١٨] فـي إحدى الحكايات ولم يكن مؤرخو العهد القديم واقفين على معلومات عن العيلاميين كما يتضح من كتاباتهم المتوفرة لدينا، وظل الحال على هذا المنوال حتى أجريـت الحفريات فى أطلال مدينة شوش.. وكان أول من أجرى حفائره ودراساته العلميـة فى شوش العالم الإنجليزى لفتوس **loftus** ثم تتابعت الحفريـات، وبـدأت هيئتـان علميتان فرنسيتان، بدأت الأولى عملها برئاسـة مارسـيل ديـو لافـوا **Marcel Dieulafoy** عام ١٨٨٤ م.

ونتج عن حفرياتها اكتشاف قصر دارا الأول، والقصر الذى بناه بعـد ذلـك أردشير الثانى الهخامنشى على أطلال القصر الأول، وهو الآن تل ترابـى لـيس إلا.. ثم تابعت العمل هيئة أخرى رأسها دمُرجان **J.DE Morgan** ومع أن حفريات شوش لم تتم الآن، وتحتاج الى نصف قرن كما يقولون حتى تتم، فان ما توافر لدينا من معلومات قد أوضح لنا تاريخ عيلام إلى حد مـا، وأضـاف دولـة إلـى دول المشرق الكبرى القديمة، لا يلائم هذا المختصر الإفاضة فى الحـديث عنهـا، لـذا سأكتفى بالإشارة إلى الموضوعات الرئيسية فى هذا المجال.

حدود عيلام:

أطلق لفظ عيلام فى العهود القديمة على مملكة شملت الولايات الآتية:

خوزستان ــ لرستاى ــ پشت كوه ــ جبال بختيارى، وكان نهر دجلة يحـد تلك المملكة غربًا ويحدها شرقًا جزء من مقاطعة فارس، ويحـدها مـن الـشمال الطريق الممتدة من بابل إلى همدان، ومن الجنوب الخليج حتى مدينـة بوشـهر(١٩) وكانت أشهر مدن تلك المملكة:

١- شوش التى تعتبر أهم مدن عيلام ومن أقدم مدن العالم.

٢- ماداكتو على شاطئ نهر كرخة.

٣- خايدالو التى يظن أنها موضع مدينة خرم آباد الحالية.

٤- الأهواز.. وكان سكان عيلام يطلقـون علـى مملكـتهم اسـم (آنـزان سوسونكا)، وكلمة عيلام تعنى المنطقة الجبلية، وكان يطلق على تلك المنطقة اسم المنطقة الجبلية.

الجنس:

يعتقد ديو لافوا و مرجان أن السكان الأول لتلك المنطقة كانوا مـن الأحبـاش ويعتقد باحثون آخرون أن سواحل الخليج حتى مكـران وبلوچـستان كـانوا مـن الأحباش، وعلى أية حال فإنه بعد قرون عديدة كان السكان الـذين يقطنـون شـط العرب ورأس الخليج ويعرفون بالسومريين قد غزوا تلك المنطقة واستولوا عليها ثم وفد عليهم بعد ذلك قوم من الساميين، واستولوا عليها، وإن لم يطل استيلاؤهم على الجزء الجبلى من المملكة.. وقد ذكر اسم كوسى أو كيس سى كثيرًا من بين أسماء الشعوب الجبلية.. وكان اليونانيون يطلقون عليهم اسم أكسيان، وكانوا أقوامـا مـا رقين يرفضون الخضوع ويأبون الانقياد، لذا لم تدم طـويلاً الـسيطرة الخارجيـة عليهم وبما يجدر الإشارة إليه أنهم طالبوا الإسكندر بالجزية إبان ذهابه من شـوش

إلى فارس ثم حاربهم الإسكندر أثناء عودته من الهند إلى بابل، ولكنه منحهم في النهاية الجزية التى طلبوها.

اللغة

كانت اللغة الأنزانية أقدم لغات أهالى تلك المملكة وقد تلاشت تلك اللغة ــ كما يرى مرجان ــ فى الألف الثالث ق. م ثم راجت بعد ذلك اللغة السومرية واللغة السامية.. وفى عام (١٥٠٠) ق. م تم إحياء اللغة الأنزانية فجأة، وبدأ انتشارها واستعمالها.. وهذا يدل على أن اللغة الأنزانية لم تكن قد تلاشت نهائيًا، وإنما كانت مستخدمة بين الأهالى، ولكن النقوش كانت تكتب باللغتين السومرية والسامية، لأن اللغة إذا ماتت لا تحيا من جديد... ويعتقد بيرشيل **pere scheil** ــ الذى كان واحدًا من البعثة العلمية الفرنسية ــ أن اللغة الأنزانية كانت قريبة من اللغات الأورالية والألتائية[٢٠].

الخط

الخط العيلامى خط مسمارى، أى أنه عبارة عن رموز وعلامات على هيئة مسمار، ويكتب أفقيًا أو عموديًا ومعلوم أن العيلاميين قد اقتبسوا هذا الخط من السومريين ولكن الخط العيلامى المسمارى خط مستقل، أى أن رموز الخطين متباينة، ولذا لا يمكن معرفة الخط العيلامى مع معرفة الخط البابلى وتتفاوت الأرقام العيلامية مع الأرقام البابلية[٢١] ثم استخدم هذا الخط بعد ذلك، جنبا إلى جنب مع الخطوط الأخرى فمثلا أحد ملوك عيلام، وكان يسمى باش شوشيناك وكان يحكم عيلام قبل استيلاء السومريين على مدينة أور، صنع تمثالاً له من الحجر وقد جلس على عرش من الحجر، وعلى الناحية اليمنى منه كتبت كلمات بالخط العيلامى، وعلى الناحية الشمالية خطت ألفاظ بالخط البابلى.

الـديـن

هذه مسألة غامضة، ولكنه كان معروفا بصورة عامة، أن العالم فـي نظـر العيلاميين مملوء بالأرواح، وكانوا يطلقون على الإله الأكبر شوشيناك، وعبادتـه مقصورة على الملوك والكهنة فقط. ويليه فى مقام الاعتقاد ستة من الآلهة ثم جمـع من الأرواح، وكانوا يعتبرون كل واحد من الأرواح إلها محليا.

وكانوا يصنعون للآلهة تماثيل مثلهم مثل البابليين. وحينمـا كـانوا ينقلـون التماثيل من مدينة إلى أخرى يعتقدون أنهم نقلوا إله تلك المدينة، وعلى هـذا فـإن مذهبهم مذهب الشرك وعبادة الأوثان.

وكان الكهنة ينعمون بنفوذ عظيم وسلطة قوية، ويمكن القول بصفة عامة إن مذهبهم كان كثير التشابه بمذهب البابليين. ويبدو أن رسومهم وعـاداتهم المذهبيـة كانت تشبه أيضًا عادات بابل المذهبية.

مدينة شوش

قسم مرجان **Morgan** أطلال مدينة شوش أربعة أقسام:

١- أرك وهى قلعة مدينة شوش وكانت موطن السكنى منذ أزمنـة سـحيقة حتى عصر الاسكندر.

٢- قصور الملوك الأكمينيين.

٣- المنطقة التجارية.

٤- منطقة فى الشاطئ الأيمن لنهر كرخة، وقد اكتشف فى القـسم الثـانى أطلال قصر دارا وأردشير الثانى والطاق المعروف بآپادن.

تقسيم تاريخ العيلاميين:

قسم مرجان تاريخ عيلام قسمين:

١- عصور ماقبل التاريخ.

٢- القرون التاريخية.

وينقسم القسم الأول إلى قسمين، وكلاهما فى العصر الحجرى، لأن الآلات والأدوات الحديدية لم تكن قد ظهرت بعد[٢٢]، وما وصلنا من أدوات هذا العهد كانت غالبًا من أوانى الحجر والفخار، عليها نقوش.

ويعتقد مرجان أنه بمقارنة تلك الأشياء بما عثر عليه فى مصر، أنها ترجع إلى الألف الثامن ق.م. ويعتقد عالم آخر هو كنج **King** أن هذه الأوانى الفخارية أكثر شبها فى صنعها وطرزها بالأوانى والأشياء التى عثر عليها فى منطقة ما وراء بحر الخزر واستراباد ودره گز. ولهذا ولقرائن أخرى يظن الباحثون أن حضارة العيلاميين قد انتشرت فى أماكن شتى متباعدة، وأن ثمة علاقات كانت قائمة بين سكان ما وراء بحر الخزر والعيلاميين والسومريين. ومن الجائز أن يكون هؤلاء الناس قد قدموا من الشمال. وقد أجرى العلماء حفريات تجاوزت طبقات العصر الحجرى، ورغم هذا لم يعثروا على شيء رغم تعمقهم ستة أقدام. وسبب ذلك أن شعبا ذا حضارة أعلى تغلب على الوطنيين وخرب بيوتهم. ثم أهالوا عليها ما يقرب من ستة أقدام من التراب، وأقاموا على أرضها أبنية جديدة، وفوق هذه الطبقة طبقة أخرى يعتقد مرجان أنها ترجع إلى العصر القديم. ومن المواد التى عثر عليها أوان فخارية وهى قليلة للغاية.

وأكثر مخلفات هذا العصر من المرمر الأبيض المنقوش. وكذلك وجدت زهريات لزجة وألواح من الفخار الخالص، وقد كتب عليها بعض الخطوط.

ويعتقد مرجان أن هذه الأشياء ترجع إلى الألف الرابعة ق.م.

أما القرون التاريخية لعيلام فيمكن تقسيمها إلى أقسام ثلاثة:

١- عصر يرتبط فيه تاريخ عيلام ارتباطا كاملا بتاريخ السومريين والأكاديين .

(منذ عهود موغلة فى القدم حتى ٢٢٢٥ق.م).

٢- عصر ارتبط فيه العيلاميون بتاريخ بابل (من ٢٢٢٥ إلى ٧٤٥ ق.م).

٣- عصر ارتباط آشور بعيلام (٧٤٥-٦٤٥ق.م).

العصر الأول منذ أقدم العصور حتى عام ٢٢٢٥ ق.م

ونظرا لارتباط تاريخ العيلاميين فى تلك الفترة بتاريخ السومريين والأكاديين ارتباطا كاملا فلذا يجب إلقاء نظرة إجمالية على تاريخ هؤلاء الأقوام.

السومريون والأكاديون

استقر هؤلاء القوم منذ زمن بعيد غير معروف فى إحدى الممالك التى عرفت منذ القرن التاسع ق.م بمملكة كلدة، بينما كان يعيش السومريون على رأس الخليج وعلى شاطئ شط العرب واستقر الأكاديون فى الناحية الشمالية الشرقية. ولا يمكن على وجه اليقين تحديد حدود مملكة سومر وأكد، وما هو معروف أن مدن أور (أوروك أو أرخ **Uruk, Ereach** (وهى فى التوراة آرگ) ونيپ پور **Nippur** من المدن السومريه الشهيرة، وكذلك مدن سيب بار**Sippar** وكيش **Kish** وبابل من المدن المهمة الأكدية.

وقد قوى اتجاه لدى الباحثين أخيرًا إلى أن السومريين والأكاديين كانوا شعبا واحدا، وأن الأكاديين عرفوا بهذا الاسم نسبة إلى إحدى المدن السومرية التى كانت تسمى بذلك الاسم. وما لايجب أن يغيب عن نظرنا أنه أطلق اسم كلدة على بابل الآشورية (لأن الكلدانيين وكانوا ساميين قد اختاروا الإقامة فى المكان بعد ذلك بقرون).

ويلاحظ هذا الاسم فى نقوشهم منذ القرن التاسع ق.م. ونظرًا لأن تاريخ سومر وأكد قد استمر معا عدة آلاف من السنين ق.م. فلا يمكن إطلاق اسم تاريخ الكلدانيين على تاريخهم، بل يجب أن يطلق عليه تاريخ سومر وأكد. وبين العلماء إختلاف فيمن سبق الآخر من هذين الشعبين فى استيطان هذه المملكة. والرأى الراجح بين غالبية الباحثين الآن هو أن السومريين قد استوطنوا سواحل الخليج قبل

قدوم الساميين تلك الأنحاء، وأن الساميين قد أقبلوا من الناحية الغربية أو الشمالية الغربية إلى تلك المناطق(٢٣).

أما عن الموطن الذى أقبل منه الأكاديون والسومريون، فنظرًا للعثور على مواد خزفية وأظرف حجرية وأسلحة من الرصاص وبعض الأشياء الأخرى قرب منطقة عشق آباد(٢٤) واستراباد (٢٥) ودره گزذات طابع عيلامى فى صناعتها، ومنقوش على زهرية من الفضة صور سومرية، لذا فإن بعض الباحثين يعتقدون بوجود ارتباط بين حضارتى العيلاميين وبلاد ما وراء نهر الخزر. ومن الجائز أن يكون السومريون قد أتوا من الناحية الشمالية إلى رأس الخليج وسهله بابل. على أية حال فإن الحفريات التى أجرتها البعثات الأمريكية فى مدينة نيپور وهى إحدى المدن السومرية، وما تم اكتشافه بعشر أسرات من ملوك هؤلاء القوم، فضلا عما هو معروف، فقد تحقق أن السومريين اتضح تاريخهم قبل ثلاثة آلاف عام ق.م، وأن بابل كانت مركز الحضارة فيها.

الديانة:

يقول السومريون إن لكل مدينة ربًا، وكان أهالى كل مدينة يعتبرون إله مدينتهم أعلى مرتبة من آلهة سائر المدن الأخرى، ومع هذا كله فقد كانوا جميعا يعبدون ثلاثة آلهة كبار:

١- آنو(إله السماء).

٢- إ آ (إله الوادى العميق).

٣- بل (رب النوع، إله الأرض).

وكانوا يعتقدون بالإضافة إلى هؤلاء فى عدد من الأرواح الشريرة والعفاريت والجن وكانوا يقدمون النذر إليها. وكانوا يصنعون أوثانا للآلهة

ويعبدونها، ويعتقدون أن للآلهة صفات كصفات البشر، كالغضب وسفك الدماء والقسوة والشهوة وغيرها، وكانوا يقيمون لها المعابد من الطوب النيئ ويشيدون محاريب فى رأسها.

وكان الكهنة يتمتعون بنفوذ قوى، ويقولون إن الآلهة كالملوك يحيون وسط مظاهر العظمة والأبهة والثراء.

ولذا كانت المعابد مملوءة بما تحويه الخزائن والذخائر والأهراء والحيوانات المختلفة. وكانوا أحيانا يحصرون التجارة فى معبد واحد، إذا ما كان الآلهة تجارا أو ملاكاً..

وكانوا يسمون رئيس المدينة پاتسى ويعتقدون أن رؤساء المدن يديرون أمورها وفقا لمشيئة الآلهة، ولذا كان رؤساء المدن نوعا من الملوك المحليين يقبضون على أزمة الأمور الدينية والداخلية والحربية. أما عقيدة السومريين فى البعث بعد الموت، فكانت غامضة، لأنهم كانوا يعتقدون أن الإنسان لا يجد شيئا بعد الموت إلا الألم والمحن والجوع والعطش.

ونتيجة لذلك فقد كان السومريون يدعون دائما لحفظ العائلة وسلامتها... ولغة السومريين تقترب من لغات التورانيين الألتائيين أو الأوراليـة والآلتائية.. والخط السومرى خط مسمار، ويعتبر بعض الباحثين السومريين مخترعى هذا الخط.

وكانوا يصنعون بيوتهم فى بادئ الأمر من الغاب، ثم طوروا ذلك وبدأوا يستخدمون الطوب والحجارة.

رؤساء المدن - السومريون (پاتسى ها):

من رؤساء المدن السومريين الذين حاربوا العيلاميين، يجب أولا ذكر اسم إن ناتوم الأول، الذى كان رئيسا لمدينة لاكاش، وقد حارب العيلاميين منذ ثلاثة آلاف سنة ق.م، ويقول بنفسه إنه قد أنزل هزيمة نكراء بالعيلاميين؛ ولكن الحقيقة

هى أن العيلاميين كانوا يشنون حملات مستمرة على السومريين، وبخاصة سكان المناطق الجبلية، وكان الرئيس المشار إليه يرد حملاتهم.

وبعد ذلك شن العيلاميون حملة جديدة على مدينة لاكاش وكان حاكمها آنذاك إن ناتوم الثانى فصدهم عنها. وهذه الموقعة لا تحتل أهمية كبرى، ولكن المراسلة التى جرت بين كاهن ربة النوع (نين مار) **Ninmar** وأحد أصدقائه والتى تضمنت ذكرًا لتلك الواقعة، تحتل أهمية خاصة لأنها قد كتبت باللغة السومرية، وترجع إلى الألف الثالث ق.م.

الأكاديون والجنس السامي:

وبعد السومريين بدأ عهد الأكاديين، وتوضيح ذلك أن شخصًا ساميا عرف به (مانيشتو) قد تولى رئاسة مدينة أكد عام ٢٨٠٠ق.م. وأسس حكم أسرة كيش ثم أسر بعد ذلك ملك عيلام وحمله إلى أكد وأخضع ملكه لسلطانه وقد وجدت زهرية فى نيب پور نقش عليها بعض ما عثر عليه من غنائم العيلاميين.

ومن هنا فقد أخذ نجم الأكاديين فى الصعود، وأخذ ملكها وكان من سلالة سامية ويعرف بسرگن **Sargon** فى توسيع حدود مملكته، فامتدت غربا حتى الشام الكبرى وشمالا حتى جبال زاجروس أو كرما نشاه الحالية. ومن أعمال هذا الملك أنه أمر بترجمة الكتابات المتعلقة بالمذاهب والأديان والقوانين والسحر وغيره إلى اللغة السامية، وأمر بحفظها فى معبد إرخ.

وقد أمر (آشور بانيبال) ملك آشور فى القرن السابع ق.م بتدريس هذه الكتابات، ولذا بقيت مضامينها محفوظة متداولة فى القرون التالية.وحارب سارگن العيلاميين، ولكن ليس معلوما هل أصبحت عيلام فى ذلك الوقت جزءا من الأكاديين أم لا. والقدر المسلم به تاريخا هو أن الأكاديين قد أغاروا على

العيلاميين، ووطأوا محاصيلهم وأتلفوها، ومن الجائز أن تكون عيلام في ذلك الوقت كانت تدفع للأكاديين الجزية.

واستمرت الفتوحات الأكادية بعد سارگن، وقد أوضحت اللوحات الحجرية[٢٦] (استل Stele) التى كشفها مرجان أن نرام سين Naram Sin أحد الملوك الأكاديين قد فتح بلوك لولوبى (وهى منطقة بين كرمانشاه الحالية وبغداد) وتبين اللوحة (استل) الخاصة بنرام سين بوضوح، أن جيش هذا الملك كان يضم عددا من الجنود الأحباش[٢٧]. كما تشير الكتابات الموجودة فى تلك المنطقة إلى فتوحات أخرى قام بها ملك أكادى آخر يعرف بـ (آنو بانى ني). وليس هناك شك فى أن فتوحات الأكاديين فى المناطق المجاورة لهم هدفها الرئيسى هو الاستيلاء على دولة العيلاميين، وأن هذه المملكة كانت تدفع الجزية للأكاديين. وبعد فترة استقر حكم أسرة سامية أخرى فى أكد، وكانت العاصمة مدينة أرخ.

وفى عهد تلك الأسرة كون سكان المشرق دولة سامية عرفت بالگوتيين[٢٨]، هاجمت الأكاديين واستولت على المناطق الشمالية والجنوبية لبابل، وخضعت عيلام لها كذلك.

ازدهار السومريين:

فى عام ٢٥٠٠ ق.م استعادت سومر رونقها من جديد، وصارت مدينة لاكاش عاصمة الملك الأكبر گيودآ Gudea. وأخضع هذا الملك أنزان، واتسم حكمه بالعدل والإنصاف ومساعدة الفقراء والضعفاء، وتشييد المعابد والأبنية الجديدة، وطلب ما يلزمها من الشام الكبرى والجزيرة العربية وعيلام. ويلاحظ فى عام ٢٤٥٠ق.م أن الحكم والسلطة انتقالا إلى مدينة أور، حيث استقر الحكم فيها لعدد من الحكام المحليين. ولهذا استخدمت اللغة السومرية وعم انتشارها بدلا من اللغة السامية التى كانت مستخدمة إبان حكم سارگن وغيره من الحكام. ولذا يمكن

استنباط أن السومريين قد استعادوا قوتهم من جديد، وقد اقتبس دونگی **Dungi** ثانی حكام تلك الأسرة استخدام السهام والأقواس من الساميين. وقوى جيشه نتيجة لهـذا، فامتدت فتوحاته واستولى على عيلام ومنطقة لولوبى، ولكنه يستفاد من القرائن أن تأمين الفتوحات لم يكن أمرًا يسيرًا، لأن السومريين كانوا مجبورين دائمًـا علـى تعبئة الجيش وشن الحملات لإخضاع العصاة والمتمردين، ويستفاد من الألواح التى عثر عليها أن عيلام كانت فى ذلك الوقت جزءًا لا يتجزأ من الدولة السومرية.

انقراض دولة السومريين على يد العيلاميين:

كان سلوك السومريين سببًا فى انتفاضـات وثـورات متعـددة مـن قبـل العيلاميين، ومما أجبر السومريين على تعبئة الجيوش وشن الحمـلات لإخمادهـا، وكانت تلك الحملات سببا فى إضعاف السومريين وإنهاك قوتهم. وفى نهاية الأمـر تمكن العيلاميون من شن حملة مكثفة على سومر وقبضوا علـى ملكهـا وحملـوه أسيرا إلى عيلام.. ومنذ ذلك التاريخ استقل العيلاميون.. وفـى عـام (٢٢٨٠ق.م) استولى گودورنان خوندى **Kudor nankhoundi** ملك عـيلام علـى مدينـة أور وخربها وأطاح بالأسرة الحاكمة فيها، واستولى على تمثال ربة النوع، آلهة المدينة، وكانت تسمى نانا **Nana** أونه نه وحمله إلى عيلام، كجزء مما غنم، ومنـذ ذلـك التاريخ، ولمدة تقرب من ستين سنة ظلت سومر جزءًا من عيلام.. وحـوالى عـام ٢٢٣٩ ق.م تولى الحكم فى سومر أسرة سامية عرفت باسم نى سين **Nisin** وبـين يدى الباحثين أسماء ستة عشر ملكا من ملوك تلك الأسرة، كما وضـح ممـا بـين أيديهم من وثائق أن ملكا عيلاميا يعرف بـريم سين **Rimsin** قد قضى على تلـك الأسرة عام ٢١١٥ ق.م، وقد توحدت سومر وأكد فى عهد تلك الأسرة، وأضـحت أمة واحدة. ثم انفصم عرى هذا الاتحاد واضمحلت تلك الدولـة علـى يـد الملـك العيلامى، ولم يحصلوا على الاستقلال مرة أخرى، وذاب السومريون والأكـاديون فى الشعوب الأخرى، وفقدوا هويتهم وقوميتهم.

يعتقد مرجان والكتاب الفرنسيون الآخرون أن غلبة العيلاميين على السومريين والساميين لها نتائج تاريخية كثيرة، وتوضيح ذلك أن العيلاميين كانوا يتصفون بقدر من الغلظة والقسوة الزائدة فى معاملتهم للشعوب المغلوبة مما أجبرهم على ترك أوطانهم وديارهم حفاظًا على أرواحهم، وهاجروا زرافات ووحدانا إلى مناطق شتى. ولذا يعتقد أن السكان الذين سكنوا رأس الخليج والبحرين(٢٩). قد اتجهوا إلى بلاد الشام وأسسوا الدولة الفينيقية،حيث اشتهروا بعد ذلك بالتجارة وعبور البحار، واتجهت جماعة أخرى كانت تعبد آشور (رب النوع) إلى منطقة وسط نهر دجلة والمناطق الجبلية المجاورة، وأسسوا الدولة الآشورية، وهاجر إبراهيم (عليه السلام) مع قومه إلى فلسطين، وهاجم الهكسوس وهم من أصل سام، مصر، وكان تأسيس أسرة من الفراعنة فى تلك المملكة من نتائج انتصار العيلاميين على الشعوب السامية، ولكن كينج يعتقد أن غلبة العيلاميين لم تدم طويلا على الممالك الغربية، لأن العيلاميين لم يكونوا مهيئين لإدارة أية مملكة، وكانت غلبتهم تشبه الإغارة الطارئة، ولذا لم يستطيعوا الاحتفاظ بما فتحوا من ممالك.

ما قدمه السومريون للبشرية من إنجازات وأعمال:

قبل أن نتابع الحديث فى تاريخ عيلام، لابد أن نبين فى عجالة سريعة ما قدمه السومريون من أشياء إلى حياة البشر، لأنه لن يذكر بعد ذلك شئ عن أعمالهم عبر التاريخ. أما ما أنجزه هؤلاء فهو كالتالي:

١- اختراع الخط المسمارى الذى لعب دورًا كبيرًا ومهمًا فى رقى العالم القديم.

٢- وضع قوانين أصبحت أساسا لقانون حمورابى

٣- وضع أسس لعلوم الصناعة التى بدأت منهم وانتقلت بعد ذلك من أمة إلى أخرى، ثم تطورت حتى وصلت إليه الآن..

وكلما تقدمت الأبحاث وكثرت الحفريات وأجريت البحوث على يد علماء الآثار، اتضح أمر مهم وزاد وضوحه وهو أن اليونانيين القدماء قد اقتبسوا من السومريين مبادئ علم الهيئة والطب والصناعة. كما يجب ألا تغفل هذه النقطة أيضًا، وهى أن التحقيقات والأبحاث الجارية حتى الآن، والتى تتعلق بتاريخ تلك الأمة القديم لم تتم بعد. ذلك لأن تاريخها بصورة إجمالية قد اتضح حتى القرن الرابع أو الثالث ق.م. وكلما أزدادات الحفريات وتقدمت الأبحاث فى مدينة أور، زاد الاعتقاد بوجود حضارات أخرى سابقة لتلك الحضارة، وزاد الاعتقاد بانتشار حضارة السومريين فى ممالك بعيدة مثل بلوچستان.

أوضاع عيلام:

قبل أن نعرج بالحديث عن الفترة الثانية من تاريخ عيلام، لابد من إلقاء نظرة على أمورها وأوضاعها الاجتماعية، لنرى على أية أوضاع وأحوال قامت دولة أنزان سوسونكا. وأوضاع ذلك العهد الذى استمر حوالى عام ٢٢٢٥ق.م. ليست معلومة على وجه الدقة. والشيء الواضح هو أن العيلاميين كانوا أقل حضارة من جيرانهم الغربيين (السومريين والساميين). وكانت تلك المملكة تعيش فى معزل عن العمران والتجارة التى سادت الممالك المجاورة لها آنذاك، نتيجة لطبيعة منطقتهم الجبلية فى معظمها وانعدام الطرق اللازمة لرواج التجارة أو تبادلها. ويمكن من دراسة نظم المملكة استنتاج أن كل قوم من الأقوام أو طائفة من الطوائف كان يعيش عيشة منفصلة عن الآخر سياسيا واجتماعيا، وبخاصة سكان الجبال الذين كانوا يحافظون دائمًا على استقلالهم، باستثناء الأوقات التى كان يهدد العدو الخارجى فيها استقلال عيلام.

المرحلة الثانية من ٢٢٢٥ إلى ٧٤٥ق.م.

فى تلك المرحلة كانت الدولة البابلية التى أسسها رجال من الجنس السامى – أقوى وأكبر دولة تجاور عيلام. ونظرًا لارتباط تاريخ العيلاميين بتلك الدولة ارتباطا تاما لذا يجب الإشارة إلى تلك الدولة.

ازدياد قوة البابليين:

يعتقد المؤرخون أن الساميين قد خرجوا فى الغالب من الجزيرة العربية، واتجهوا إلى الممالك التى تقع على شواطئ الأنهار الكبيرة أو البحار لما تمتاز به من جودة المناخ ووفرة المياه وخصوبة التربة التى لا تتوافر فى صحراء الجزيرة العربية، ونظرا لما يتميز به الساميون المتوثبون من قوة وطاقة كبيرة، وقدرة على تحمل الشدائد التى كابدوها والتى يتسم بها سكان الصحارى، فقد سيطروا سيطرة تامة على مملكة السومريين والأكاديين، وعلى المناطق المجاورة لهما كذلك. وكما ذكر آنفا، فقد كونوا أسرات حاكمة هناك، وتكونت أسر أخرى فى بابل، ووسعوا هذه المدينة التى يرجع تاريخها إلى أزمنة السومريين الغابرة، وكونوا فيها دولة أثرت حضارتها ونفوذها فى العالم القديم فى الأزمنة والعصور اللاحقة.

الأسرة الأولى:

كان حكام تلك الأسرة خمسة عشر[٣٠]، وحمورابى سادس حكامها أكبرهم وأشهرهم. وقد حكم من٢١٢٣ –٢٠٨٠ ق.م، وقد عثر علماء الآثار على قوانينه فى حفريات مدينة شوش، وتوجد حاليًا فى متحف اللوفر فى باريس. وهى أقدم مدونة عثر عليها حتى الآن[٣١].

وأقدم مافى القوانين السومرية، ما دونه حمورابى على حجر قطعة واحـــدة، وتتعلق تلك القوانين بأمور الزراعة والرى والملاحـــة وشـــراء العبيـــد والإمـــاء، والعقوبات والزواج وقانون الأسرة والمواريث وغيرها. ولفت نظر العلماء إليها ما احتوته من قوانين أخلاقية. ويعتبر المحققون وجود مثل هذه القوانين دليلا على ما وصل إليه البابليون والسومريون من رقى حضارى. كما يلاحظ تأثير كبير لتلـــك القوانين فى بعض شعوب آسيا الغربية مثل بنى إسرائيل، أى أنهم اقتبـــسوا مـــواد منها أو أحدثوا تغييرات فى قوانينهم نتيجة لذلك. ومن هذه اللوائح (القوانين) مـــالا يعد قديما فحسب حتى اليوم.

ولحمورابى فضلا عن تلك القوانين أعمال أخرى كذلك. ومن ذلك مثلا أنـــه طرد ريم سين ملك عيلام من مدينة لارسا (٢٠٩٣ق.م) ومن هنا يتضح أن بابل قد شرعت فى تجميع المدن وتوسيع رقعة مملكتهـــا، والأوضـــاع الداخليـــة للدولـــة العيلامية فى تلك الفترة ليست معروفة. والقدر الواضح هو أن سمسبوايلونـــا بـــن حمورابى هزم ملك عيلام المسمى كو دورما بوك، وإن كان العيلاميون قد ستعادوا استقلالهم مرة أخرى، وكانت الأسرة الأنزانية تتولى مقاليد الحكم فيها، وكان رئيس تلك الأسرة يعرف بخون بان نومنيا الذى أحكم بناء الدولة العيلاميـــة. وتعرضـــت الأسرة البابلية لحملات واعتداءات من أقوام تقطن المنطقة الشمالية لهـــا يعرفـــون بالحيثيين وأجهزوا عليها[٣٢] ولا داعى للوقوف على تاريخ الأســـرة الثانيـــة لتلـــك الدولة العيلامية، لأنه لم يحدث فيها ما يستحق الذكر. ولم تستمر سيطرة الحيثيـــين على بابل لأن شعبا آخر عرف بالكاسيين، وكانوا من سكان الجبال قد أغار علـــى بابل، وطرد الحيثيين، وأسس حكما له هناك.

الأسرة الثالثة أو الكاسيون:

الكاسيون شعب كان يعيش فى جبال زاجروس القريبة مـــن كرمانـــشاه الحاليـــة، ويعتقد بعض المحققين أنهم كانوا قومًا من الشعوب الآرية، ذلك لأن إلههم الأكبر كان إله

الشمس، وكانوا يسمونه سورباش، وهي كلمة آرية[٣٣] وسيطر هذا الشعب على بابل وأسسوا أسرة حاكمة بها، حكمت ما يقرب من ستة قرون (١٧٦٠ – ١١٨٥ق.م).

وفي عهد الكاسيين استخدمت الجياد لشد العربات، وتاريخ عيلام في تلك الفترة ليس واضحًا كذلك، ولكن يلاحظ أن عيلام كانت دولة مستقلة، بل ودولة قوية قادرة ذات نفوذ كبير، وأن حروبا استمرت مشتعلة بينها وبين الدولة البابلية.

وأشهر الملوك العيلاميين، والذي أغار على بابل وسيطر عليها هو شوتروك ناخون تا Schutruk Nakhunta عام ١١٩٠ق.م وقد حمل كل ما يتعلق بتاريخ بابل من أشياء نفيسة إلى مدينة شوش وكان من بينها نقش نرام سين الذي ورد ذكره، آنفا وكذلك تمثال إله البابليين (رب النوع) الأعظم الذي كان يسمى بل مردوك. وبقي هذا التمثال ثلاثين عامًا في مدينة شوش، ثم أعيد إلى بابل مرة أخرى.

وقد أجهزت حروب العيلاميين وغاراتهم المستمرة على الأسرة الكاسية وقضت عليها. وتولى حكم عيلام بعد هذا الملك ملك يدعى شيل خاكين (شوش نـاك). وكان داهية وسياسيا بارعًا. أقام الكثير من العمائر وأهم أعماله التي هي مصدر تقدير علماء الآثار القديمة، أنه كان يكتب على كل بناء يقوم به متى بني، وما به من النقوش مكتوبة باللغة السامية، ويضيف إليها ترجمتها إلى اللغة الأنزانية.

وهكذا كان سلوك هذا الحاكم وإشرافه على حفظ الآثار عونا كبيرا في قراءة اللغات العيلامية عبر العصور المختلفة، لأن الفترة الممتدة بين كتابات هذا الملك والكتابات القديمة لا تقل عن ألفي عام. والآثار التي بقيت عن هذا الملك تدل على أن الأدب والصناعات العيلامية في عهده قد بلغت أوج رقيها.

الأسرة الرابعة أو الباشون:

تولى الحكم في بابل (١١٨٤ق.م) أسرة جديدة عرفت بهذا الاسم اشتقاقا من اسم إحدى مناطق بابل، وحاربت العيلاميين حربًا أودت بالبابليين ونتيجة لذلك

استردوا تمثال مردوك الذى كان العيلاميون قد حملوه إلى شوش ولبخت النصر الأول **Nabuknasar** أكبر ملوك تلك الأسرة شهرة، وهو الذى وسع حدود بابل حتى البحر المتوسط (بحر المغرب). وكانت عيلام فى ذلك الوقت مستقلة غالبًا، ولن نتعرض للأسرة الخامسة التى تناوب الحكم فيها واحد وعشرون حاكما.

الأسرة السادسة أو البازيون:

حكمت هذه الأسرة فى الأماكن البحرية من عام (١٠٥٢ – ١٠٣٢ق.م) وفى ذلك الوقت سيطرت عيلام مرة أخرى على بابل، وجلس أحد الملوك العيلاميين على عرش بابل، وإن لم يدم حكمه أكثر من ست سنوات. وتعرضت بابل أثناء حكم تلك الأسرة لهجمات من الشمال الشرقى شنها عليهم سكان الجزيرة العربية المتوثبون المعروفون بالكلدانيين، وإلى ضغط من الشرق من قبل العيلاميين مما أضعف البابليين. فطلبوا العون من الآشوريين فاستغل العيلاميون هذا الجو واستولوا على بابل. وتبوأ أحد الملوك العلاميين عرش بابل واختار لنفسه اسما بابليا.

وفى ذلك الوقت أيضا، ظهر قوم جدد عرفوا بالكلدانيين، قدموا من الناحية الشمالية الشرقية من الجزيرة العربية، وهاجموا بابل، فزاد الطامعون طامعا آخر غير الآشوريين والعيلاميين. وكانت هذه الفترة الممتدة من ٩٧٠ – ٧٣٢ ق.م مملوءة بالمنازعات والثورات والحروب والاضطرابات.

وكان الكلدانيون يمدون العيلاميين بالعون حتى يتمكنوا من احتلال بابل. وفى النهاية انتهت الحروب فى عهد الملك آشور نبو نصر ٧٤٧ – ٧٣٢ق.م بانتصاره، وأضحت بابل جزءًا من آشور الجديدة.

المرحلة الثالثة من ٧٤٥ حتى ٦٤٥ق.م

فى تلك المرحلة كان العيلاميون خاضعين لآشور، ولكى نفهم الأحداث التى سنذكرها لا بد من إلقاء نظرة على تاريخ الآشوريين. فهم شعبة من الجنس السامى، كانوا يعيشون فى بابل مع شعوب سامية أخرى.

ثم هاجر الآشوريون فى العصور التالية، واتجهوا إلى القسم الأوسط من نهر دجلة والمناطق الجبلية المجاورة له. وهناك أسسوا مملكة صغيرة عرفت بمملكة آشور وقد اشتقت اسم هؤلاء القوم من اسم الإله الذى كانوا يعبدونه وكان يسمى آشور. وكانت عاصمتهم فى أول الأمر مدينة آشور، ثم أصبحت عاصمتهم بعد ذلك. وخلال فترات متتالية مدينة كالاه **Kalah** (كالح فى التوراة) ثم أصبحت فى آخر الأمر نينوى، وكان يطلق على حكام آشور لقب باتس مثلما كان يطلق على حكام المدن السومرية والأكادية. ومعلوم أن الآشوريين كانوا فى بداية حالهم خاضعين للبابليين، وليس يعرف على وجه التحقيق متى استقل الآشوريون.

ولكن تاريخ استقلالهم يتراوح بين القرن الثامن عشر والخامس عشر ق.م. وكان الآشوريون رجال زرع، وحينما قدموا تلك المنطقة الجديدة رأوا أن الأراضى الصالحة للزراعة قليلة نسبيا، وأن تربتها ليست خصبة بعكس ما كانت عليه التربة عند البابليين. لذا صمموا على أن يعيشوا من كد ونصب الآخرين، وهذا ما حدا بهم إلى شن الغارات والهجمات فى ربيع كل عام على الممالك المجاورة، قاصدين من ذلك إرغام البلاد على دفع الضرائب لهم أو يغيرون على الممالك والمدن ويقتلون من أهلها ما يشاءون ويأسرون فريقا، فيكلفونهم ما لا يطيقون، ويعيشون فى رغد من العيش ورفاهية تامة.

ومن الطبيعى أن لا تتشابه تنظيمات تلك الدولة مع تنظيمات البابليين. وكما رأينا فى سومر وبابل كان لها حكام يعرفون بالباتسيين. ووصلت منزلة رجال الدين ونفوذهم إلى درجة عالية من الرقى، لذا يمكن القول بأن هذه الدولة كانت فى الواقع أشبه بملوك الطوائف وذات طابع دينى، بينما قامت الدولة الآشورية على طبقة الزراع. ولأن الزراع كانوا يكونون الجيش الآشورى معه كانت الحرب والإغارة حرفتهم. وبناء على هذا فليس هناك ما يدعو إلى العجب إذا أصبحت الدولة الآشورية دولة حربية قوية، ومن السمات التى تميزت بها الدولة الآشورية الوحشية والقسوة البالغة مع المغلوبين، والأعجب أنهم اعتقدوا أن هذه القسوة ترضى الآلهة، مثال ذلك أن أحد ملوكهم كان يسمل عيون أسراه بيده.

واستمرت تلك الدولة ما يقرب من ألف عام، ووسعت حدودها من كل ناحية فقضت على دولة الحيثيين فى الناحية الغربية والجنوبية الغربية.

وأخضعوا الفينقيين وفلسطين وهاجموا مصر من الناحية الشرقية والجنوب الشرقى حتى جبل دماوند، وتقدموا فى صحراء إيران الكبرى وأخضعوا الميديين والبارسيين. وأحدثوا بعيلام من التخريب والتدمير ما أعجزها عن أن تقوم لها قائمة لعدة آلاف من السنين، ثم انقرضت الدولة الآشورية بعد ذلك على يد الميديين، وكانت اللغة الآشورية هى نفس اللغة البابلية، وكان الخط الآشورى هو نفس الخط المسمارى البابلى، وخلف ملوك هذه الدولة كثيرًا من النقوش والكتابات الكثيرة؛ لأنهم كانوا مهتمين بتسجيل أحداثهم.

وصنع الآشوريون ألواحهم من الفخار الذى كانوا يصهرونه فى النار بعد الكتابة عليه ثم يحفظونها، وبتلك الطريقة أوجدوا النقوش والمكتبات.

وتم اكتشاف هذه اللوحات نتيجة للحفريات بعد أن واراها التراب، بسبب تدمير نينوى، فأضحت الآن شعاعا جديدا يضىء ما غمض من التاريخ القديم،

ويوجد الآن في متحف اللوفر بباريس بضعة آلاف من تلك الألواح التي كشفت النقاب عن تاريخ الآشوريين فأضحى واضحًا تمامًا.

وخلف الآشوريون كذلك كثيرًا من الآثار، وكان الملوك الآشوريون يعتبرون أن عليهم واجبين، الأول الحرب والثاني بناء المدن الجديدة التي يتم بناؤها على كاهل الأسرى. ونتيجة لهذا أحرزت فنون العمارة والنحت، والنقش على الحجر ونقش الصور البارزة على الحجر[٣٤] تقدما جديرا بالتقدير والإعجاب.

ومن بعض أعمال الآشوريين ما يظهر جيدا الملوك أو مجالسهم بالحجم الطبيعي (بخاصة حركات الحيوانات مثل الجياد والغزلان وغيرهما) مما أثار دهشة أساتذة أوربا الحاليين، وكان الآشوريون مهرة كذلك في صناعات أخرى كصناعة المصوغات الذهبية والخواتيم، وصناعة الأجر وتلوينه وغيرها، واقتبس الفينيقيون كثيرا من نماذجهم ونشروها في العالم القديم.. وقلدت أوربا بعد ذلك هذه النماذج ، وظهرت الصناعة في تلك البلاد. وينقسم تاريخ آشور إلى ثلاثة عهود، لا يرتبط الأولان منها بتاريخ العيلاميين، فلنتحدث الآن عن العهد الثالث الذي يمتد من ٧٤٥ – ٦٠٦ق.م.

العهد الثالث: آشور الحديثة: كان سارگن **Sarken**[٣٥] الثاني أشهر ملوك هذه الفترة من ٧٢٢ – ٧٠٥ ق.م وقد أسس أسرة الحكم الجديدة، ومنذ ذلك الحين بدأت تبعية آشور للعيلاميين. وخلاصة هذه الحروب التي نشبت بين هاتين الدولتين القويتين كما يلي:

حروب آشور وعيلام:

لم تكن عيلام مجاورة لآشور حتى ذلك العهد لأن سكان المناطق الجبلية كانوا يفصلون بين هاتين الدولتين. ولكن منذ زمن تيگلات بلير **Tiglathpilier** الرابع حارب الآشوريون سكان الجبال، وأخضعوا جزءًا منهم خضوعا تامًا، وتركوا آخرين ينعمون بشئ من الاستقلال. واتحدت عيلام خوفا مما يخبئه لها

المستقبل مع البابليين الذين كانوا يعانون من وطأة سيطرة الآشــوريين ليحـــافظوا على بلادهم من الغزو الآشورى ولكن سارگن حين علم بخبر هذا الاتحاد لم يمكنهم من ذلك، ولم يعطهم فرصة لتحقيق ما يرغبون، وهـــاجم عـــيلام قبـــل وصـــول الإمدادات إليهم.. وفى ذلك الحين كان الآشوريون يفوقون العيلاميـــين وذلـــك لأن الآشوريين كانوا أولا أكثر رقيا وحضارة من العيلاميين.

وثانيًا كان نظام الفرسان متفوقا على مثيله العيلامى من حيث العدة والتشكيل والقيادة. ثالثا كانت أسلحة آشور متفوقة بمراحل على أسلحة عيلام. ورغم ذلك فقد كان العيلاميون رجال حرب أشداء وقاوموا الضغط الآشورى، ولـــذا لـــم يـــتمكن الآشوريون من التقدم، فتقهقروا وهذا يعنى الهزيمة. وتعرف هذه الحـــرب باســـم حرب دورى لو (بين ٧٢٢ - ٧٠٥ق.م) نسبة إلى المكان الذى حدثت فيه.

تولى عرش الآشوريين بعد سارگن الثانى سيناخريب **Sinnacherib** وفـــى تلك الأثناء حاصروا كالودوس ملك عيلام وقتلوه. واستفادة من هذه الواقعة، دخـــل ملك آشور سهل وادى شوش عن طريق جنوب عيلام واستولى على أربع وثلاثين قلعة وبرجا وخربها وأسر أهلها وعاد بهم إلى آشور.

وفى تلك الأثناء اختار العيلاميون گودورنا خونتى **Kudur Nakhundi** ملكا عليهم. ولكنه تحصن بالمنطقة الجبلية، ولم يتخذ من الخطوات ما يحول دون تقـــدم الآشوريين الذين رأوا هذا الوضع فهاجموا ماراكتو فى إقليم الجبال، ولكن سرعان ما تقهقروا إلى آشور. لعدم صلاحية الأودية الجبلية للمرور لكثرة مـــا بهـــا مـــن أمطار وثلوج.

وقبض العيلاميون على گودورناخونتى لما أبداه من عدم اكتراث وقتلوه عام ٦٩٧ق.م واختاروا بدلا منه أوم مان مينانو **Um Man Minanu** فأعاد هذا الملـــك تنظيم الجيش العيلامى وشد من أزره وأضحى قويا لدرجة أن البـــابليين ســـارعوا بالاتحاد مع العيلاميين للوقوف أمام الآشوريين، وأرسلوا للعيلاميـــين كثيـــرا ممـــا

تحويه خزائن آلهة البابليين (أرباب الأنواع) لتجهيز الجيش العيلامى، ولذا كانت الحرب التى نشبت بعد ذلك دموية بصورة حادة.

وقد أبدى الطرفان بسالة فى القتال، ورغم مقتل السردار العيلامى فقد قاوم العيلاميون مقاومة شديدة وانتهت الحروب دون نتيجة وعاد الفريقان إلى موقعيهما.

تولى (آسود حيدون) عرش آشور بعد سينا خريب. وحينما رأى خالداش الثانى ملك عيلام أن ملك آشور مشغول فى أماكن أخرى، هاجم مملكة بابل وشن كثيرا من الغارات وتقدم حتى مدينة سيب پار ورجع إلى مدينة شوش محملا بالغنائم الكثيرة ٦٧٤ق.م حيث توفى بعد عدة أيام، وتولى أخوه اورتاكو **Uriaku** فاستقرت الروابط بين آشور وعيلام، وأسفر عن ذلك أن آشور ساعدت عيلام حين مسها القحط واستردت عيلام تمثال الإله سيب بار الذى كان جزءًا من الغنائم.

وفى عهد حيدون وصلت آشور إلى أعلى درجة من القوة والمنعة، فلم تبق أية دولة لم تتبع الآشوريين فى آسيا غير عيلام.

آشور بانيبال وحروبه:

تولى بانيبال عرش آشور سنة ٦٦٩ق.م، وقد ركز كل قواته واهتمامه لإخماد ثورة المصريين وأفاد العيلاميون من هذا الموقف فأغاروا على مملكة بابل وحملوا منها الغنائم.

ولكن سرعان ما توفى أورتاكو، وتولى أخوه تى أوم مان **Teumman** وكان التغيير فى السلطة سببا فى مصائب لا حصر لها ذلك لأن الملك الجديد أراد قتل أبناء أخيه، فنتج عن ذلك فرار ستين أميرا من عيلام، ولجأوا إلى بلاط آشور حيث قابلهم ملك آشور بالأحضان حتى يستفيد من الحرب بين أفراد الأسرة المالكة فى إضعاف عيلام ثم يقضى عليهم جميعا.

وفى تلك الأثناء، طلب تى أومان من ملك الآشوريون إعادة الفارين إلى عيلام فأبى ونشبت الحرب. ولأن جيش آشور وصل سريعا إلى حدود عيلام ولم تكن قوى عيلام قد اكتملت بعد، فقد تقهقر الملك العيلامى حتى مدينة شوش ليكمل استعداداته على مهل، وحتى يحصل على مزيد من الوقت وتحين الفرصة المناسبة، وأرسل أحد قادته إلى القائد الآشورى لإجراء مفاوضات صلح بينهما، ولكن السرداد الآشورى أدرك ما يقصده السردار العيلامى فقتله حتى تبدأ الحرب.

فتحارب الطرفان حربا لا هوادة فيها فأنزلت آشور هزيمة بميسرة عيلام عند نهر كارون وأغرقوها مما دفع الملك العيلامى الذى كان يحارب بنفسه إلى شن حملات متتابعة على الجيش الآشورى حتى اعترته سانحة.

وحينما أراد الخروج من ميدان القتال أسر وقطع الآشوريون رأسه، وحملوها إلى نينوى وتعرف هذه الحرب بـ تولليز **Tulliz** وكانت عام (٦٥٩ ق.م).

وحين وصلت أنباء هزيمة الجيش العيلامى شوش أسر مؤيدو الأمراء الفارين معارضيهم، وقيدوهم بالسلاسل، وأظهروا سرورهم بتلك الهزيمة، وبعد ذلك اختار الملك الآشورى الابن الأكبر لأورتاكو المسمى (خوم بان إيگاش) ملكا لعيلام، وأخذ الآشوريون الجزية من العيلاميين ورجعوا إلى نينوى.

وكانت هزيمة عيلام سبب احتفالات كثيرة فى آشور، لأن عيلام كانت الدولة الوحيدة التى تنافس آشور فى ذلك الوقت، والعدو اللدود المتوارث لها.

وبعد هذه الحرب هاجم (آشور بانيبال) أخاه الذى كان يحكم فى بابل، وبقى الملك العيلامى فى بداية الأمر محايدا، ولكن حين أراد الملك الآشورى من العيلاميين استعادة تمثال الإله نه نه ربة النوع للإله أرخ، وجد الملك العيلامى نفسه فى وضع لا يحسد عليه. ذلك أن هذا التمثال ظل فى شوش قرونا عديدة، وحيث إن العيلاميين قدسوه كثيرا لذا كانت إعادته أمرًا صعبا عند الملك العيلامى

ومغايرا لما يجب فعله. وفي تلك الأثناء أرسلت بابل إلى ملك عيلام أمــوالا مــن خزائن آلهة البابليين، فأجبرت عيلام على الاتحاد معها نظرًا لظروفهــا القاســية، وأججت آشور الفتن والحروب الداخلية فى الدولة العيلامية، ونتج عنها قيــام تــام مانتو Tam –Maritu باعتقال أخيه ملك عيلام ثم قتله، وتولى العــرش مكانــه، ولكنه بعد فترة شرب من نفس الكأس الذى أشربه أخاه. فقد ثار عليه أحــد تابعيــه ويعرف بــ إيند بغاش Inda- Bugasch مما اضطره إلى الفرار إلى الخليج بعد أن ذاق مرارة الهزيمة، وقبض عليه فى نهاية الأمر. وحمل أسيرا إلى نينــوى حيــث عامله آشور بانيبال معاملة حسنة؛ لأنه كان يود إعادته إلى عيلام تنفيذا لما يــدور فى خياله.

وبعد أن فرغ الملك من أمر بابل صمم على وضع حد لأمر عــيلام، حتــى يريح فكره من أمر هذا العدو اللدود. ولكن إيند بغاش الذى لم يتخذ ما يجب عليــه من عون تجاه مدينة بابل، سارع بإرسال السفراء إلى ملك آشور بعد سقوط بابــل فلم يحسن استقبالهم، وطالب بعودة الكلدانيين الذين كانوا قد هربوا إلى عيلام بعــد ما قدموه من عون إبان ثورة البابليين.

وفى تلك الأثناء قتل الأشراف إيند بغاش وأجلسوا مكانه خوم بان كالــداش Khumban – Kaldasch فاستفاد الملك الآشورى من تلك الظروف وأجلس تــام مارى تو على عرش عيلام، ولكنه حين تولى السلطة، بــدأ يــدبر الثــورة عنــد الآشوريين ويحرض عليهم.

ولكن أمره عرى قبل تنفيذه، وعلى أثر ذلك تم اعتقالــه وإيداعــه الــسجن وأغار الآشوريون على تلك المملكة وعادوا إلى نينوى محملين بالكثير من الغنائم.

سقوط عيلام:

وفى عام ٦٤٥ ق.م كان الملك الآشورى الذى لم يكن راضيا عن نتائج حروبه وغزواته يتذرع بحجة لحرب عيلام، وتحقيقا لهذا الهدف أرسل (تام مارى تو) إلى عيلام، وطلب من (خوم بان كالداش) إعادة الكلدانيين المشار إليهم وإعادة تمثال الإله نه نه، وكان قبول الملك العيلامى لهذا المطلب يساوى موته. ولذا عقد العزم على المقاومة. فهاجم الآشوريون شوش حيث استولوا ما وسعهم الاستيلاء على كل ما فى خزائن الملوك العيلاميين التى غنموها خلال الحروب السابقة من ذهب وفضة مما قدم البابليون إلى العيلاميين أثناء اتحادهما ونقل الآشوريون إلى نينوى، بالإضافة إلى ذلك تماثيل المعابد العيلامية وما بها من نفائس وما وجدوه من ثروات داخل المنازل يضاف إلى هذا أن الآشوريين لم يكتفوا بالقتل والتخريب، بل استخرجوا عظام الموتى من الملوك وكبار العيلاميين من قبورهم، وأرسلوها إلى نينوى.

وكان سلوك الآشوريين فى عيلام من القسوة بحيث وصف أحد أبناء بنى إسرائيل هذه المملكة وما أصابها من التقتيل والتخريب بأنها أشبه بمقبرة [٣٦].

واستولى الملك الآشورى على تمثال الآلهة نه نه إلهة مدينة إرخ لمدة خمس وثلاثين وستمائة وألف سنة، وأعاده إلى مدينة إرخ. وبعد أن قتل الآشوريون من العيلاميين من قتلوا، وأغاروا وأخذوا من ثرواتهم ما أخذوا أسروا عددا كبيرًا من أهالى مدينة شوش وغيرها من المدن.

وتمكنوا بعد فترة من القبض على (خوم بان كالداش) الذى كان قد نجح فى أن يفلت وهو آخر ملوك عيلام، وأوثقه آشور بانيبال هو و(تام مارى تو) ملك عيلام بعربته وجر الاثنان العربة الملكية حتى معبد آشور و(إيش تار) إلهى آشور. وهذه ترجمة لنقش آشور بانيبال عن فتوحاته فى عيلام:

"ضممت مدينة شوش ومادگاتو ومدنا أخرى إلى آشور، واكتسحت الدولة العيلامية بأسرها فى شهر ويوم وحرمت تلك المملكة من عبور الحشم والأغنام وأيضا من نغمات الموسيقى، وأذنت للوحوش والأفاعى وحيوانات الصحراء والغزلان أن يسكنوها.

وقد اشتهر بانيبال فى التاريخ بأنه رتب مكتبة عثر عليها وحصل الباحثون من الآثار المذكورة على معلومات قيمة تتعلق بتاريخ آشور وما جاورها من ممالك. كما أن هذا الملك فضلا عن جمعه للألواح الآشورية، نقل اللوحات البابلية وحفظها. وتصل الألواح المذكورة إلى عدة آلاف، وهى الآن موجودة فى المتحف البريطانى بلندن محل دراسة وتحقيق علمى.

الخاتمة:

وكما اتضح من تاريخ عيلام، فإن العيلاميين قد أحدثوا نوعًا من الحضارة والتقدم الصناعى، وتعهدوه بالتحسين. وأوجدوا لأنفسهم خطا، وإن لم يستطيعوا إيجاد تنظيم سياسى لأنفسهم فى أى وقت يخرجهم من سمة ملوك الطوائف، وبخاصة سكان المنطقة الجبلية الذين كانوا دائما يعيشون نصف مستقلين أو مستقلين استقلالا تامًا. ومع هذا فقد حافظ العيلاميون على قوميتهم عدة آلاف من السنين ضد هجمات رجال أقوياء كالسومريين والأكاديين والدول القوية الأخرى كالبابلية والسومرية بل أنزلوا بهم أحيانا هزائم قاسية، ومع أن عيلام جثت على ركبتيها نتيجة لما أصابها من صراعات داخلية فقد ظلت صامدة.

وعلى كل حال فقد محيت الدولة العيلامية من الوجود عام ٦٤٥ق.م، وطوتها يد النسيان بمرور الأيام، وبلغ ما أصابها من نسيان أن مؤرخى الشعوب القديمة كاليونانيين وغيرهم، لم يعلموا شيئا عن تاريخها، وإلا ما قال استرابون العالم الجغرافى القديم أن كورش الكبير جعل عاصمته شوش لأن أهلها كانوا خاضعين دائما إلى دول أخرى، وأنهم لم يحرزوا شيئا يذكر.. ونلاحظ فى مالمير[٣٧] بختيار فى (شگفت سليمان) كثيرا من الآثار التى خلفها العيلاميون. ومما يدعو للأسف أن هذه الآثار قد خربت باستثناء ما لم تصل إليها يد التخريب والتدمير. وقد عثر الباحثون هناك على نقوش حجرية بارزة كتبت بالخط المسمارى الشوشى والإنزانى، ويعتقد الباحثون أنها ترجع إلى القرنين الثانى عشر ق.م، وقد وجد فى هذا المكان أعمدة بابلية عن القرن الخامس ق.م. وأختام ومسكوكات أشكانية وساسانية وأشياء أخرى كثيرة.

تاريخ آريى إيران

مقدمة

حين قدم الآريون إلى إيران انقسموا إلى طوائف وأقوام عدة، واحتل كل قوم أماكن من الهضبة الإيرانية، وعاشوا عيشة ملوك الطوائف؛ وأهم هذه الأقوام طبقا للرتيب التاريخى ثلاثة أقوام:

الميديون – والبارسيون – والبارثيون. وقد شكل هؤلاء عبر التاريخ القديم دولا كبرى، وأنجزوا أعمالا مهمة، وكانت هناك أقوام أخرى غير هذه الأقوام كالباختريين فى باختر، والكرمانيين فى كرمان، والركانيين فى جرجان، والهرخواتيين فى رخج (جنوب أفغانستان الحالية) وغيرهم مما سيرد ذكر كل منهم فى موقعه المناسب. ومن بين آريى إيران الذين عاشوا فى أطراف الهضبة الإيرانية، وبجوارها يجب الإشارة إلى قومين بصفة خاصة:

١– الأرانيين، الذين استوطنوا الولايات الواقعة بين أرس وكورا وبحر الخزر.

٢– الآلانيين أو الآسيين الذين عاشوا خلف جبل القفقاز من الناحية الشمالية[٣٨].

ويمكن تقسيم تاريخ آريى إيران إلى أربعة أقسام:

الأول: العصر القديم، الذى يبدأ من أواخر القرن الثامن ق.م، وينتهى فى منتصف القرن السابع الميلادى.

والثانى: ويعرف بالعهد المتوسط، ويمتد من منتصف القرن الأول الهجرى حتى بداية الحكم الصفوى. ويمكن تقسيم هذا العهد قسمين؛ الأول حتى ظهور المغول، والثانى من هجوم المغول على إيران حتى قيام الدولة الصفوية.

والعصر الثالث: يمكن تسميته بالجديد إلى حد ما، ويمتد من فترة الحكم الصفوى حتى بداية الانقلاب الدستورى فى إيران.

والعصرالرابع: ويمتد من الانقلاب الدستورى حتى اليوم.

ويمكن تقسيم تاريخ إيران القديم إلى مراحل تاريخية كذلك:

الأول: عصر الميديين.

والثانى: فترة الحكم الأول للفرس

والثالث: فترة الحكم المقدونى والسلوكى

والرابع: فترة حكم ألبرت.

والخامس: الفترة الثانية لحكم الفرس، ويمكن أن نوضح تاريخ هذه المراحل الطويلة التى تمتد أربعة عشر قرنا طبقا لنوعين من المصادر.

الأول: نستطيع أن نتبين أحداثه ووقائعه طبقا لما كتبه المؤرخون الأجانب بطريق مباشر أو غير مباشر، والنقوش التى خلفها الملوك الأكمينيون والساسانيون والكتب الدينية وغير الدينية التى خلفها آريوايران، والمسكوكات وما أسفرت عنه الحفريات التى أجريت فى المناطق التاريخية فى الدول الأسيوية والإفريقية القديمة.

أما المصدر الثانى فيتمثل فى القصص التى تناولتها وحفظتها الصدور جيلا بعد جيل، والتى جمعت فى العصر الساسانى ثم دونت وأضحت مصدرًا للتأليف فى القرون الإسلامية. وأشهر تلك الأعمال ما أبدعه أبو القاسم الفردوسى الطوسى فى قمة أعماله وهى الشاهنامه. ومن الواضح أن المصدر الأول تعلو كفته وتتفوق على المصدر الثانى من حيث الأصالة والصدق التاريخى. أما المصدر الثانى وهو القصص فقد تناولتها الأجيال جيلا بعد جيل شفاهة، وأضفت عليها كثيرا من الزيادات والإضافات. ففقد الصدق وضاعت الحقائق التاريخية فيها. وذلك أن

أحداثا كثيرة لفترات معينة أضيفت ونسبت إلى فترة أخرى، ونقلت أسماء أشخاص من فترة لأخرى دون أدنى التفات، وكثير من الوقائع المهمة والملوك العظام كانت فى هذا القصص نسيًا منسيا.

ومن هنا يتضح أننا لكى نتحرى الدقة والصدق فى التأريخ لإيران القديمة لابد لنا من الاعتماد على المصدر الأول ثم ننظر بعد ذلك فى القصص القديم علنا بمقارنتها مع التاريخ، نستطيع أن نصل إلى تصور كلى له.

أما فيما يتعلق بالمصدر الأول، فيجب القول بأنه قبل أن يتمكن المستشرقون من قراءة النقوش الإيرانية والآشورية والبابلية والمصرية وغيرها، وقبل إجراء الحفائر فى الأماكن التاريخية، كان ما كتبه المؤرخون اليونان والرومان والأرمن والعرب المصدر الوحيد للتأريخ لإيران فى عهودها القديمة. ولكن منذ حدوث هذا التقدم المذكور، اتضحت كثير من الحقائق، وصححت بعض الأحداث والأسماء الخاصة بالملوك وكبار رجالات إيران التى أخطأ اليونان فى كتابتها وفقا للغاتهم، فنعرفها الآن بأسمائها الصحيحة.

وقد راعينا فى هذا الكتاب هذا النهج الذى يقوم على ذكر أسماء الملوك والرجال والأماكن طبقا لما أوردته النقوش والألواح القديمة التى عثر عليها، فإذا لم يتوفر ذلك كتبناها كما كتبها المؤرخون القدامى. ويجب أن نقر بأننا لم نقف على تاريخ إيران القديم تمام الوقوف لأن المؤرخين اليونان والرومان وغيرهم؛ ذكروا الوقائع التى ترتبط بدولهم مع إيران أو التى حدثت على حدود إيران الغربية. وكم من الحوادث حدثت داخل إيران أو على حدودها الشمالية أو الشرقية وطوتها يد النسيان. ورغم هذا فإن الأبحاث والحفريات المتتابعة تجعلنا نأمل بأن تاريخ إيران القديم سيصبح أكثر وضوحًا مما هو عليه الآن، وبخاصة بعد الانتهاء من الحفائر العلمية التى تجرى فى الأماكن التاريخية بإيران[٣٩].

ما خلفه اليونان القدماء عن تاريخ إيران القديم:

خلف كثير من المؤلفين اليونان وغيرهم كتبا تتعلق بتاريخ إيــران القــديم، وسيأتى ذكر كل واحد منهم فى موضعه، ولكن لأن هذا الكتاب يضم بــين دفتيــه أسماء كثير من المؤرخين اليونان، نرى لزامًا علينا التعريــف بهــم مقــدما ولــو بصورة مختصرة، وأشهر هؤلاء هم:

١- هيرودوت المؤرخ اليونانى الملقب بأبى التاريخ، وهو من أهالى هاليكارناس المستعمرة اليونانية بآسيا الصغرى والتى كانت تابعة لإيران، عاش من عــام ٤٨٤ق.م إلى ٤٢٥ق.م. وقد جاب هذا المؤرخ ممالك الشرق فى ســياحات متعددة، وكتب عن تاريخها. أما ما كتبه عن تاريخ إيران فإننا إذا تجاوزنــا عما فيه من تصحيف فى كتابة الأسماء، وما سجله من جانب أسطورى، وإذا أخذنا فى الاعتبار أنه فى نهاية الأمر رجل يونانى، وأنه كان غير راض عن سيطرة الإيرانيين على موطنه، نرى أن كتاباته على الرغم من كل ما ســبق ليست بعيدة تماما عن الصواب؛ لأن نقوش دارا وسائر النقوش والتحقيقــات التى أجريت تؤيد أقواله فى كثير من الأحيان(٤٠).

٢- كته زياس **Ktesias** مؤرخ يونانى: كان طبيبًا لأردشــير الثــانى ذا حافظــة قوية. كتب تاريخ إيران والهند، ولكن كتاباته عن تاريخ إيران ليست جــديرة بالاهتمام سوى تأريخه للفترة التى عاصرها.

٣- كزنفون **Xenophon** المؤرخ اليونانى الذى عاش مــن ٤٣٠ إلــى ٣٥٢ق.م وكان من تلاميذ الفيلسوف سقراط، وخلف كثيرا من المؤلفات من بينها كتاب ألفه عن حرب كورش الصغير بعد تقهقر عشرة آلاف جندى يونانى بعد قتله فى كوناكسا، وكتاب ألفه فى تربية الأطفال والشباب ويعرف بــ كوروپــدى أو سيروبدى أى (تربية كورش) لأنه طبقا لخياله قد انتخب كورش الكبير.

٤- بلوتارك **Plutarque** المؤرخ اليونانى الذى عاش من ٥٠ إلى ١٢٥م، وكتب كتابا عن مشاهير الرجال عند اليونان والرومان، ويتعلق جـزء مـن هـذا الكتاب بتاريخ إيران.

٥- استرابون **Strabon** العالم الجغرافى اليونانى الشهير، الذى ولد فـى إحـدى ولايات آسيا الصغرى المعروفة بكابادوكيه وتوفى فى أوائـل القـرن الأول الميلادى. وقد كتب هذا العالم كتابا فى جغرافية العالم آنذاك، ويعد أحد الكتب النفيسة، ذات الفائدة التاريخية الجمة.

الباب الأول

دورة الميديين[٤١]

مقدمة

الميديون أقوام آرية الجنس، أسسوا مملكة الميديين فى بداية القرن السابع ق.م، وليس معلوما يقينا متى قدم هؤلاء إلى إيران، واستوطنوا آذربيجان وكردستان الحالية. ويغلب على الظن أنهم قدموا إيران فى القرن العاشر ق.م. ويعتقد بِرُس[٤٢]. المؤرخ الكلدانى أن الميديين فى الأزمنة الغابرة قد سيطروا على بابل واستمر حكمهم بها ٢٢٤ سنة. ولكن الباحثين يعتقدون أن شعبا قد غادر الهضبة الإيرانية واستولى على بابل، وأن برس سمى هذا الشعب فى القرون التالية باسم ماد نسبة إلى موطنهم. وقد أطلق سلم نصر الثالث ـ الذى توجه فى عام ٨٣٧ ق.م إلى منطقة كردستان لشن حرب عليها - اسمين على نوعين من الأقوام: الأول (پارسوا) والثانى (آماداى). وكما يقول هذا الملك فإن القوم الأول استوطن منطقة الجبال الممتدة بين نهر ذهاب وديالة، واستوطن الشعب الآخر الأودية والسهول المحيطة بتلك المنطقة.

وشعب الأماداييين هو الشعب الميدى؛ لأن الآشوريين فى الأزمنة اللاحقة كانوا يطلقون عليه هذا الاسم (أى الميديين). وظل الميديون تابعين للآشوريين زمنًا طويلا، وقد تكررت غزوات الآشوريين وحملاتهم على منطقة كردستان والمناطق المجاورة لها. كما أشار إلى ذلك (شمشى أداد) الرابع (٨٢٤ - ٨١٢ ق.م) حين ذكر اسم الميديين بين الدول الخاضعة للآشوريين التى تؤدى لهم الجزية. وفى عام ٧٤٤ ق.م حارب (تيكلات پيلير) الثالث الميديين وأخضع جميع طوائفهم وأسر ستين ألفا وعاد إلى عاصمته (كالاه) محملا بالعديد من الغنائم من الخراف والجمال وغيرها. وأغار أحد قادته على المناطق المجاورة حتى جبل دماوند واعتقد أن هذا الجبل آخر الدنيا.

وفى عام ٧٢٢ ق. م حارب ساركَن الثانى الفلسطينيين وأسر شعب بنى إسرائيل، وأرسل عددًا من الأسرى إلى المدن الميدية، وبعد فترة حارب هذا الملك أيضًا شعب (مان ناى) الذى سكن آذربيجان والشاطئ الجنوبى من بحيرة أورميه، وأسر رئيس هذا الشعب الذى كان يسمى (ديا أكو) وبعث به إلى الشام عام ٧١٥ ق.م. ويعتقد الأشوريون أن هذا الشعب كانت له صلات قربى مع الميديين.

وإبان حكم الملك (آسور حيدين) عبر الجيش الآشورى دماوند حتى وصل إلى حافة الصحراء الكبرى وغنم مغانم كثيرة، وأسر ملكين يعرفان - (سى ديرپارنا) و(إپارنا)، وتوجه الملوك الآخرون إلى نينوى حاملين الهدايا إلى الملك الآشورى طالبين منه الحماية. وكان من بين الهدايا كثير من اللازورد. وكان اللازورد الإيرانى ينعم بشهرة فائقة، وقد حمل الآشوريون من منطقة دماوند كثيرا منه. ويذكر هيرودوت أن الميديين كانوا يسمون قديما باسم الآريان أى الآريانيين، ثم أطلقوا على أنفسهم بعد ذلك اسم الميديين. وقد كتب هذا المؤرخ أن هذا الشعب انقسم إلى ست طوائف(٤٣).

وكان الميديون يملكون الكثير من العبيد والأنعام، وكانوا يعملون بالرعى ويتحركون فى عربات. وكان الأب الرئيس المطلق للعائلة التى تتكون من عدد من الزوجات، وكانوا يعرفون الذهب والفضة، ويعرفون أيضًا نوعًا من الصناعة البدائية شديدة الخشونة. وبعد أن استقروا فى موطنهم (آذربايجان وكردستان وغيرهما) مارسوا الزراعة واستوطنوا المدن. وعلى الرغم من هذا فقد كانوا يعيشون متباعدين، وإنما يتحدون فى أوقات الخطر والمحن. ويذكر هيرودوت أن الميديين ظلوا تابعين لآشور خمسمائه عام، ولكن طبقًا للنقوش الآشورية فإن هذه التبعية لا تتجاوز قرنين من الزمان فيما يبدو. وفيما يتعلق بتاريخ الميديين فبين كتابات هيرودوت وكتزياس تباين، لأن ما كتبه كتزياس غير جدير بالتصديق، لذا تابعنا ما كتبه هيرودوت.. ويمكن أن نخلص من كتابة كتزياس أنه ذكر أسماء الأمراء الميديين أيام أن كانوا ملوك طوائف، وأنه نتيجة لذلك أضافهم إلى أسماء الملوك(٤٤).

الفصل الأول

الملـوك الميـديـون

ديا أكو وتأسيس دولة الميديين:

كما يتضح مما كتبه هيرودوت فإن شخصا يعرف باسم ديوكس بن فرا أرتس وكان دهقانا – كان محل تقدير واحترام ومشورة العامة لما تميز به من العدل والإنصاف – أى أن الناس كانوا يلجأون إليه لفض ما شجر بينهم من منازعات وخصومات، ثم تخلى عن كل ذلك متعللا بأنه لا يستطيع الفصل فى الأمور الشخصية أو التدخل فيها، عندئذ زادت السرقات والجرائم؛ فاجتمع الناس وعينوه ملكًا عليهم، فعين له مستحفظين واختار مكانًا يعرف بإكباتان عاصمة له (وردت فى النقوش الآشورية أمدانا وكتبت فى النقوش الهخمانشية هنك متان أى مكان الاجتماع وتعرف الآن بهمدان) وكانت هذه المدينة موجودة قبل ديوكس أيضًا ودمرها السلاطين الآشوريون فى القرن الثانى عشر ق.م[٤٥] ولكن هذا الملك أعاد إليها رونقها وجعل منها مدينة جديدة وأحاطها بسبعة أسوار يعلو كل جدار منها الآخر، ويشرف ويسمو الجدار الداخلى الأخير منها على باقيها. وشيدوا قصر الملك فى القلعة السابعة وزينت وطليت أبراجها باللون الذهبي؛ وخططت أبراج سائر الجدران بألوان مختلفة. وكانت هذه الألوان فى بابل تمثل الكواكب السيارة السبعة[٤٦] وكانت تقليدا فى هذه المدينة.

وتقليدًا لما كان عليه الحال فى بلاط الآشوريين فقد سن ديوكس قوانين ومراسم للاستقبال ومن ذلك مثلا: لم تكن مقابلة الملك وجها لوجه جائزة بل كانت الطلبات تقدم إلى شخص معين.

وقد حكم هذا الملك من ٧٠٨ أو ٧٠١ إلى ٦٥٥ ق.م. وقد بذل قصارى جهده فى تلك الفترة الطويلة فى تجميع طوائف الميديين وتوحيدهم، وكان رجلا

سعيد الحظ ومن ذلك أن سلطان الآشوريين (سينا خريب) قد شغل ببابل وعيلام، ولأن مملكة الميديين كانت تؤدى ما عليها من جزية للآشوريين بصورة منتظمة، فلم يكن لدى الآشوريين أى مبرر للتدخل فى شئون الميديين ومملكتهم.

فرورتيش (٦٥٥ – ٦٣٣ ق.م) أو فرآ أرتس كما يقول اليونانيون، تولى العرش بعد أبيه، واقتفى أثر والده فى الحفاظ على العلاقات الودية مع الآشوريين ولكنه من الناحية الشرقية أخضع أقواما آخرين كانوا من الجنس الآرى وكانت لهم صلات قربى مع الميديين. كما أخضع فارس فى ذلك الوقت لمملكته، ولكن الميديين بعد أن أحرزوا ما أحرزوا من انتصارات فى المشرق أرادوا الخلاص من قيد الآشوريين والامتناع عن دفع الجزية، ولكن جيشهم غير المدرب لم يستطع مواجهة جيش الآشوريين المثالى الذى اكتسب خبرة فى حروبه مع العيلاميين، فلقى الهزيمة وقتل الملك أيضًا عام ٦٣٣ ق.م.

هووخ شتر (يسميه اليونانيون كيا كسار):

استفاد هذا الملك من هزيمة فرورتيش وأدرك أن الجيش غير النظامى الذى تدفع به الطوائف والشعوب الخاضعة له لا يمكن له أن يواجه أو يقاتل جيش الآشوريين المثالى، ولذا وجه اعتماده إلى تكوين جيش دائم وقسمه إلى الرجالة والأساورة.

وكان الرجالة مسلحين بالسهام والأقواس والسيوف، ويذكر المؤرخون أن الأساورة الميديين كانوا أرقى من أساورة آشور، لأن أساورة الميديين يتميزون بالمهارة الفائقة فى رمى السهام أثناء حركة الجياد فى كرها وفرها.

كما كانت الجياد الميدية ذات شهرة طبقت آفاق العالم القديم لما امتازت به من الطاقة والتحمل والسرعة وجمال المنظر والرشاقة.

وبعد الفراغ من إعداد مثل هذا الجيش حارب (هـووخ شـتر) الآشـوريين وهزمهم بعد مقاومة شديدة من جانبهم، ولم يمض وقت طويل حتى حاصر مدينـة نينوى وأخذت تلك المدينة فى الاستسلام بعد فترة نتيجة لما أصابها من جوع.

ولكن إبان ذلك ترامت إلى مسمع هووخ شتر أنباء إغارة السكا[٤٧] (السيت) على الناحية الشمالية لمملكة الميديين بعد عبورهم جبال القفقـاز فـأوقف حـصار المدينة (نينوى) وعاد إلى مملكة الميديين للدفاع عنها والحيلولـه بـين الـسكاوبين الاستيلاء عليها وحاربهم حربا ضروسا فى شمال بحيرة أورميـه. ولكنـه هـزم واضطر إلى الإذعان لشروطهم، بعد ذلك تعرضت مملكـة الميـديين والممالـك المجاورة لها لهجمات السكا وإغاراتهم التى امتدت – كما ذكر المؤرخون – إلـى بحر المغرب (البحر الأبيض المتوسط)، وبقى السكا فى أرض ماد ثمانية وعشرين عاما؛ ثم أقام هو وخ شتر وليمة دعالها ملكهم ورؤساءهم وأسكرهم فيها ثم قـتلهم عن بكرة أبيهم وطرد بعد ذلك السكا عن إيران فى سنة ٦١٥ ق.م.

فى تلك الأثناء أعلن (نبوبولاس سار) الحاكم الآشورى لمدينة بابل – نفـسه سلطانا على تلك المدينة. واتحد مع هووخ شتر وحاصرا مدينة نينوى.. وحين رأى ملك آشور ساراكن أنه لا جدوى من المقاومة، أشعل نارا صالية حرق فيها نفـسه وأسرته وتم الاستيلاء على هذه المدينة الشهيرة فى تاريخ العالم القديم وكانت مـن كبريات المدن.

وخربت نينوى حتى لم يبق منها سوى خرائب وأطلال، وكان ذلـك عـام (٦٠٦ق.م) وبعد ذلك تقاسم المتحدان الممالك الآشورية على النحو التالى: أصبحت ممتلكات الآشوريين فى آسيا الصغرى من نـصيب الميـديين، وأصـبحت الـشام وفلسطين جزءا من بابل، وبعد ذلك طرد بخت النصر المصريين الذين كـانوا قـد احتلوا المملكتين (الشام وفلسطين) مستفيدين من هزيمة آشور.

ولم تنفصم عرى الاتحاد بين الميديين والبابليين بعد سقوط نينوى بل ازدادت أواصر الاتحاد بينهما بتزويج الملك الميدى ابنته لولى عهد بابل بخت النصر. وانقراض الأشوريين بهذه السرعة بعد أن وصلوا إلى ما وصلوا إليه فى عهد (آسور بانيبال) أمر يثير الحيرة. حقا إنه بعد أربعين سنة من قضائهم على الدولة العيلامية وإزالتها من صفحة الوجود قد تم محوهم وطوتهم يد النسيان كذلك لدرجة أنه بعد مرور قرنين من الزمان؛ حين كانت الجيوش اليونانية بقيادة كزنفون تعبر أطلال مدينتى كالاه ونينوى كان المرشدون يطلقون على موقع هاتين العاصمتين صاحبتى الشهرة للدولة الآشورية القوية اسم لاريساوميسپى لا؛ ولم يكن يجول بخاطرهم أن مصائر الملل والشعوب والحل والعقد كانت تقرر فى وقت من الأوقات فى تلك الأماكن.

والسبب فى هذا النسيان معروف، ذلك أنه على الرغم مما ارتكبه المصريون والبابليون إبان فتوحاتهم من سفك للدماء والقسوة، فإن البابليين قد خلفوا لمن أتوا بعدهم من الأمم والشعوب قوانين وعلوم وصناعات، وترك المصريون أبنية لا تزال شامخة حتى اليوم وتبعث على الحيرة، أما آشور ـ مع أنها كانت دولة ذات صناعات ـ إلا أنها لم تعط للشعوب التى خضعت لها شيئًا سوى الخراب والدمار والأسر، ولذا فقد تلقت تلك الشعوب والأقوام خبر انهيارها بفرح بالغ وسرعان ما تناست تاريخها القديم المملوء بالمحن والآلام على يديها.

وتمكن الميديون بسهولة من الاستيلاء على بلاد أرمينيا وكابادوكيه الواقعة فى الناحية الشرقية من آسيا الصغرى، وذلك نظرا لما أصابها من وهن وضعف من جراء غارات السكا.

وبعد ذلك اصطدم الميديون إبان تقدمهم بدولة الليديين وكانت دولة قوية آنذاك، ولم يمض وقت طويل حتى دخلت الدولتان فى حرب معًا...

ليديا

مملكة تقع فى الطرف الغربى من آسيا الصغرى التى كان حـــدها الـــشمالى آنذاك البحر الأسود وبحر مرمرة. وحدها الجنوبى بحر المغرب؛ وحدها من ناحية المغرب بحر الجزاير ومن الشرق نهر هاليس (قزل ايرماق الحالية).

وكان الباحثون يعتقدون فيما مضى أن الليديين من الجنس الـــسامى، ولكـــن اتضح الآن أنهم لم يكونوا ساميين ولا آريين وأن جنسهم الذى ينتسبون إليه غيـــر معروف إلى أن توضح البعثة العلمية الأمريكية التى تجرى أبحاثها وحفرياتها فـــى سارد هذه المسأله.

وعلى أية حال فمن المحقق أن أقواما كانت تعرف بالفريكيين كانوا يعيشون فى القرنين العاشر والتاسع ق. م وأنهم كانوا على صلة قرابة من ناحية الجنس مع اليونانيين، وأنهم قد هاجموا هذه المملكة من ناحية تراقية **Thrace** وسيطروا عليها وأقاموا بها حكم عدد من الملوك عرفوا بالهراكليين (هرقلين) **Heraclides** وامتزج الفريكيون مع السكان الأصليين. ومنذ ذلك الوقت قوى ساعد الليديين وأسسوا أسرة حاكمة بعد الهراكليين عرفت باسم (مرمناد) وكان مؤسس تلك الأسرة يسمى زيگ **Giges** الذى شد عود تلك الدولة الليدية وطـــرد الگيمـــريين **Gimmerines** الـــذين هاجموا مملكة الليديين من الناحية الشمالية والشمالية الشرقية بعد معـــارك طويلـــة عام ٦٦٧ ق.م. وبلغت دولة الليديين أعلى درجة من الرقـــى فـــى عهـــد آليـــات **Aliyattes** (٦١٢-٥٦٣ ق م)، ذلك أن هذا الملك وضع حدا لهجمات السكا وهزم اليونانيين الذين كانوا قد احتلوا شاطئ البحر والأنهـــار، وســـيطروا علـــى أمـــور التجارة وضم إلى مملكة الليديين مدينتين كبيرتين هما أزمير وكلوفن.

وقد أضحت هذه المملكة واحدة من الممالك الآهلة بالسكان الغنية بالثروات لما تميزت به من موقع جغرافى، بين ممالك آشور وبابل وفينيقية من ناحية، والممالك القريبة من ناحية أخرى ولقربها من البحار كذلك.

ومع أن الليدين لم يكونوا رجال حرب وغزو فإنهم كانوا يملكون أساورة نظاميين عظام. وقد أضحوا قمة أساورة ذلك العصر نظرًا لأن رجال الحرب اليونانيين والجنود المرتزقة – وكانوا فى غالب الأمر من اليونانيين كذلك – كانوا يتولون الإشراف على تكوين جيش الفرسان الليدى ويشرفون على تدريباته.

ويوضح ذلك أن الدولة الليدية حين وجد (هووخ شتر) المبرر لشن الحرب عليها وجد ذلك حين قتل عدد من الأفراد السكائيين – وكانوا فى خدمة دولة الميديين – عدة أفراد من الميديين، هربوا إلى آليات (ملك الليديين) الذى رفض إعادتهم إلى ملك الميديين، ووقعت الحرب بين الطرفين، وكان الجيش الميدى أكثر عدة من الجيش الليدى، ولكن الجنود المرتزقة اليونانيين كانوا مدربين على درجة عالية؛ فضلاً عما سبقت الإشارة إليه من امتلاك الليدين لفرقة من الأساورة قوية؛ نتج عن ذلك أن هذه الحرب امتدت دون إحراز تقدم من قبل الميديين ست سنوات.

وفى السنة السابعة حدث كسوف كلى للشمس، حدد المؤرخون تاريخه فى ٢٨ من مايو سنة ٥٨٥ ق.م، وقد تنبأ به طالس الفيلسوف اليونانى.. وقد أحدث هذا الكسوف تأثيرا من الدهشة بين الجنود فى الطرفين؛ واعتبروا ذلك دليلا على غضب الإله، وبعد ذلك تدخل بخت النصر ملك بابل للفصل بين الطرفين وأصبحت رووهاليس الحد الفصل بين الدولتين. وتزوج وايخ تو ويگو بن – ملك الميديين ابنة ملك ليديا (المسماه **Aryenis**) عام ٥٨٥ ق.م، وتوفى (هووخ شتر) بعد عام واحد من ذلك (٥٨٤ ق.م) وكان ملكا عاقلا قوى الإرادة وسياسيا بارعًا، لم يتطرق اليأس إليه مما لحقه من هزائم فى بداية الأمر من قبل شعوب السكا، وبذل قصارى جهده للتغلب على ما صادفه من عقبات حتى جعل من الدولة

الميدية أكبر دول ذلك الزمان. وكانت حدائقها المعلقة واحدة من عجائب العصر القديم السبع. وينسبونها خطأ إلى سميراميس ملكة آشور وكان بخت النصر قد اختار ابنة ملك الميديين زوجة له.

وقد شيد بخت النصر سدا بين دجلة والفرات للحفاظ على بابل من الناحية الشمالية، وسمى هذا السد باسم حائط الميديين، وكان قد أقام سدًا آخر للحفاظ على بابل من الناحية الجنوبية. ومن هنا يتضح أن بابل كانت تنظر إلى دولة ماد أو دولة الميديين المتحدة معها نظرة خوف وضجر.

ايختو ويكو (وقد أسماه اليونانيون آستياك) [٤٨]

حكم هذا الملك بعد والده مدة طويلة واختار نظام البلاط الآشوري أساسًا لنظام بلاطه. وقد زاد من وسائل وأسباب العظمة والأبهة وكانت كلها تقليدا للآشوريين، ولكن الشعب لم يكن راضيا عنه لدرجة أنه حين خرج عليه كوروش الهخامنشي تركه الميديون وانضموا إلى الفرس، وخضعت غالبية تلك المملكة إلى فارس ٥٥٠ ق.م. وسيأتي ذكر هذه الواقعة في موقعها، وفي النهاية لابد من القول بأن مملكة المديين[٤٩] في البداية ـ كما يتضح من تاريخها كانت تتكون من آذربايجان وكردستان والعراق العجمي ولكنها بعد اتساعها امتدت من رودهاليس حتى باختر ومن بحر الخزر حتى فارس وخوزستان. وبعد ذلك قال الجغرافيون القدامى بمملكتين: ماد الكبرى التي كانت تعرف بالعراق العجمي[٥٠]، وماد الصغرى التي كانت تطلق على آذربايجان في العصر القديم.

الفصل الثانى

حضـــارة الميــديين

ليس لدينا معلومات وافية عن حضارة الميديين، ولعل من أسباب ذلك أن النقوش التى دونت إبان عصور الميديين لم يكشف النقاب عنها بعد مما ييسر معرفة لغتها وخطها ومعتقداتها وصناعاتها وأشياء أخرى تتيح لنا كثيرًا من المعرفة، كما أنه لم يبق من الآثار شيء من الأبنية والعمارات؛ وإن اكتشفت فقط بعض دخمات فى بعض الأماكن من إيران، يعتقد المختصون أنها تتعلق بلغة الميديين وترتبط بها. ولا نعلم شيئا عن نظم تلك الدولة سوى أن هووخ شتر قد كون جيشًا منظما، وأن بعض الملوك الميديين قلدوا كثيرا من النظم المتبعة فى بلاط الأشوريين، وزادوا عليها. ولكن الاحتمال القوى يتجه إلى الاعتقاد بأن الميديين كانوا على درجة كبيرة من الرقى والحضارة، لأن الفرس اقتبسوا الكثير من الميديين حتى ثياب الجنود.

ولم يعثر على أية وثيقة عن لغة الميديين. يقول نولد كه: إذا توفرت لدينا نقوش فإنى أظن أنها ستكون مماثلة لنقوش الملوك الهخمانشيين من ناحية اللغة والخط.

ويعتقد دار مستتر أن الأوستا (كتاب زرادشت المقدس) قد كتب باللغة الميدية. وعلى أية حال فليس هناك شك فى أن لغة الميديين كانت لغة واحدة تقريبا مع اللغة الفارسية القديمة، وكان بينهما تفاوت بسيط، وذلك أن الفرس والميديين إبان عهد استرابون كانوا يفهمون فهما جيدا لغة أى منهما.

ويعتقد بعض الباحثين أن اللغة الكردية الحالية مشتقة من اللغة الميدية.

أما عن ديانة الميديين فلم تتوافر لنا معلومات عنها كذلك، ويتضح مما ذكره هيرودوت أن المغان كانت طائفة من طوائف الميديين الستة، ولكن أى مذهب كانوا به يدينون فلا يمكن إيراد قول جازم بشأنه.

ويعتقد بعض الباحثين أنه من الجائز أن تكون عبادة هرمزد كانت شائعة بين الميديين ولكن المغان حرفوها بخرافاتهم وسحرهم .

وزرادشت الذى كان من الميديين أراد إصلاحهم وإصلاح عقيدتهم ولكن المغان لم يقبلوا ذلك، فهاجر موطنه واتجه إلى الغرب حيث نشر مذهبه فيه وفى سيستان.

وهكذا يتراءى لنا تماما أن الملوك الميديين كانوا قد اعتنقوا مذهب المغان مذهبا رسميا لهم وأرسوا قواعده، ثم إنه بعد انقراض دولة الميديين وما أعقب ذلك من تغييرات حافظ المغان على مكانتهم، وبناء على هذا فإن الاحتمال القوى هو أن عظمة قوة الميديين قد أثرت تأثيرًا كبيرًا ومهما فى عقيدة المغان وتطورها. ومهما يكن فقد كان هناك تشابه بين الميديين والفرس فى كثير من الأشياء، ولم يكن هناك اختلاف جذرى بينهما .

وهكذا فقد اعتبر المؤرخون اليونانيون انقراض دولة الميديين وظهور دولة الفرس من الأمور الداخلية لإيران، وأطلقوا على الحروب الإيرانية مع اليونانيين اسم الحروب الميدية، واستعملوا كلمة ماد بدلا من كلمة فارس لمدة قرن من الزمان بعد انقراض دولة الميديين.

وكان فن المعمار الميدى أقدم من نظيره الهخامنشى وأحدث ممن سبقه من فن معمارى محلى (أى فترة ما قبل قدوم الميديين إلى إيران)، ويظن أن الميديين قلدوا فى فنهم المعمارى فن وان[٥١].

وينسب إلى الميديين آثار على النحو التالي:

١- تمثال أسد نحت من الحجر وهو على مقربة من همدان[٥٢].

٢- وعلى مقربة من سربل بين قصر شيرين وكرمانشاه دخمة[٥٣] نحتت فى قطعة حجرية كبيرة، وتعرف بد كان داود، وعلى هذا الحجر نقشوا صورة

بارزة لرجل يقف فى خشوع وفى يده مجموعة من جذوع شجرة قد ربطت بسعف من النخيل (برسم)، وثياب هذا الرجل ميدية.

٣- دخمة صحن قرب كرما نشاه، حفرت أعلاها صورة لأهورا مازدا.

٤- وتوجد دخمة فى ديران لرستان قرب سرپل تعرف بحجرة فرهـاد وقـد بقيت غير مكتملة.

٥- يوجد على مقربة من كرمانشاه فى قرية نواسحق فـى دخمـة حجريـة صغيرة عليها نقش بارز يصور شخصا يتعبد(٥٤).

وانقراض الدولة الميدية من الأمور التى تبعث على الحيرة، وعلى الـرغم من عدم توفر المعلومات اللازمة لدينا لانقراضها بتلك السرعة؛ لكن يمكن استنباط شيء مما يتوافر لنا من الصورة العامة؛ وهو أن الميديين كانوا دولة قوية وصـلوا إلى قدر كبير من الثراء، وأن عظماء تلك الدولة قد رفلوا فى حلـل مـن الأبهـة والنعم، فهان أمرهم ووهنت عزائمهم، كما كانوا يسرفون فى الإنفاق على مظـاهر البلاط؛ مما أوجب فرض ضرائب جديدة، فعم الظلم وثار السخط بين الناس. ممـا جعل الميديين لا يستطيعون مواجهة الفرس المتوثبين الذين كانوا يعيـشون حيـاة بسيطة ويتحلون بأخلاق طيبة، وبخاصة وأن الفترة المديدة لحكم (ايخ تـو ويگـو) تمتعت بسلام وأمان، بينما كان الجيش الميدى قد ضـعف ووهنـت قوتـه نتيجـة للحروب التى خاضها مع الآشوريين والسكا.

ويجب أن نشير فى ختام هذا الباب إلى نقطة مهمة وهى أن ازدهار دولـة الميديين على الرغم من قصر عمرها يعد أمرًا مهما فى تاريخ العالم القديم، فهـذه أول مرة فى التاريخ يغلب فيها الميديون الآريون الشعوب السامية فى آسيا الغربية ويهيئون لشعب آريانى آخر التمكن من الحكم فى تلـك الزمـان، وسـنبين ذلـك بوضوح فى الباب الثانى من هذا الكتاب.

الهوامش

١- ذكر الجغرافيون العرب وغيرهم اسم هذه البحيرة أورميه، وسميت في الروايات الإيرانية القديمة جي جست أوچي گست.

٢- العقدة: مقياس من ٢٢ إلى ٢٨ سنتيمتر أي ١/١٦/من الذراع.

٣- كان هذا النهر يصب في بحر الخزر في عهد الإسكندر. وكانت السفن التجارية تبحر من نهر جيحون إلى هذا البحر، وعن هذا الطريق يسير إلى نهر كوروش أو كوراى الحالى (نهر الكر) ثم غير هذا النهر مجراه ليصب في بحر آرال. وإبان الغزو المغولى عام ١٢٢٠ م لتخريب مدينة أركنج عاصمة خوارزم حولوا مجرى النهر إلى هذه المدينة ونتيجة لذلك عاد مجرى نهر جيحون مجراه السابق وظل على هذا النحو ثلاثة قرون ثم غير مجراه مرة أخرى ليصب في بحر الأرال وهو على هذا الآن.

٤- يطلق الأوروبيون عليه اسم كاسبن اشتقاقا من اسم سكان غرب إيران المعروفين باسم (كاس سو) التى تكون في صيغة الجمع (كاسپ) ويسميه الجغرافيون العرب قزبين.

٥- عمق بحر الخزر في الشمال ٤٠ مترا وفي الجنوب ٩٥٠ مترا.

٦- كان هذا قبل اكتشاف النفط في إيران الذى تزايد بمرور الأعوام حتى وصل الإنتاج اليومى عام ١٩٧٥ ٢٥٣٣ شاهنشاهى ٥,٣٤٩,٤٧٨ برميل يوميا (المترجم) ارجع إلى تحولات صنعت نفت در دوران شاهنشاهى بهلوى ٢٥٣٥ شاهنشاهى كذلك، فإن العمل على استخراج ما في أرض

إيران من المعادن يجرى على قدم وساق فى العهد الحاضر وتفيد منه إيران فائدة عظمى.

٧- وكما قلنا فهذا الكلام قبل النهضة الحالية التى بدأت فى عصر الشاهنشاه رضا بهلوى الكبير ثم تطورت إلى غاية المجد فى عهد الشاهنشاه همايون أريا مهر.

٨- حلوان، إحدى القلاع فى جبال كردستان على مقربة من كركوك.

٩- كان هذا وقت تأليف الكتاب أما الآن فإن سكان إيران ٣٠ مليونا.

١٠- ذكر دارا هذه الشعبة فى نقشه باسم (السك) و (سكا) وكلاهما صحيح، وطبقًا لما يرويه كريستنسن فهم من الإيرانيين الشماليين، لأن لغتهم من اللغات أو اللهجات الإيرانية الشمالية.

١١- لأن تاريخ سطر الكتاب الهندى المقدس يرقى إلى سنة ١٤٠٠ ق. م، ولا جدال فى أن لغة الآريين فى ذلك الوقت لم تكن واحدة وإلا لكان هذ الكتاب بلغة مشتركة، ولكى نصل إلى الوقت الذى كانت فيه للآريين لغة واحدة، وفقا لرأى علماء الفليلوجيا، فإنا نعود إلى الوراء ألف سنة، وعلى هذا نقول إنه كان للآريين لغة مشتركة عام ٢٤٠٠ ق. م، ومن ناحية أخرى فإن فترة تحدث الآريين بلغة واحدة كانت مديدة؛ إذ يلزم انقضاء قرون حتى تتبدل لهجة من اللغة الأصلية إلى لغة فرعية، ثم إنه يبدو من دراسة الحضارة الآرية مقارنة بالحضارة الأوربية أن عدة قرون لازمة لحدوث هذه الظاهرة وثباتها.

١٢- ويرى بعض المحققين أن آريى الهند نزحوا من پامير إلى الهند.

١٣- وطبرستان من تپورستان.

١٤- يعتقد بعض الباحثين أن بناء مدينتى شخرة والرى وغيرهما كان علـــى هذا المنوال.

١٥- ورثر غنا صارت وره دان ثم صارت بهرام مثير (ميتر) تم أصبحت مهر.

١٦- كلمة جمشيد مكونة من مقطعين الأول جم والثانى شيد، وهـــى صـــفة تعنى اللامع الوضاء، وتعرف كلمة جم فى القصص الهندى باسم ـــ يمـــه وفى الأوستا ييما.

١٧- كل هذه المعلومات مستنبطة من القصص وليست معلومات محققة.

١٨- سفر الخليقة باب ١٤.

١٩- كانت تسمى فى العهد القديم (ريشر).

٢٠- الشعوب الأرالية والألتائية شعبة من الجنس الأصفر كالمغول والتتار والتـــرك والتونغوز والفينيين والساموية، الذين كانوا يسمون كذلك بالفين والتتار.

٢١- تبنى الأولى على علامات عشرية والثانية على علامات ستينية.

٢٢- أدوار ماير: " تاريخ العهد القديم. ويذهب البعض أن هذا العـــصر هـــو عصر النحاس.

٢٣- هذا هو رأى king وهو مختص.

٢٤- فى كورنگ تـــپـــه.

٢٥- فى جرجان الحالية.

٢٦- استل قطعة واحدة من الحجر نقشت عليها كتابات.

٢٧- وهذا واحد من الدلائل على أن الأحباش كانوا يسكنون سواحل الخليج.

٢٨- Gautions .

٢٩- الحسا الحالية على شاطئ الخليج.

٣٠- هذا ما هو ثابت ومحقق حتى الآن، وان وجدت بعض الفهـــارس التـــى تشير إلى أكثر من ذلك.

٣١- المقصود بكلمة مدونة، مجموعة القوانين التى رتبت ترتيبا معينا.

٣٢- لم يكن بين يدى الباحثين معرفة بهذا الشعب قبــل أربعــين عامــا، وإن وردت الإشارة إليهم فى التوراة وفى إلياذة هيموروس، ولكـــن الحفريـــات التى أجريت فى عاصمتهم (كاراكامش - قرقميش) الواقعة علـــى نهـــر الفرات ثم فى بتريوم، والحفائر التى أجريت فى مصر وفى أماكن أخـــرى قد أزالت النقاب عن تاريخ هـــؤلاء الأقوام، واتضح منها أن دولة الحيثيين (هيت ها) كانت موجودة عام ١٧٠٠ق.م ، ثم اشتد ساعدها بعـــد ذلـــك حتى أصبحت من عداد الدول الكبرى وأنها لبثت ألف سنة ثـــم انقرضـــت على يد أشور، وجنس هؤلاء القوم ليس معروفا شأن الكاســـيين. ويعتقـــد البعض أن لغتهم قريبة من اللغات الأورالية والالتائية ولم يمكـــن قـــراءة خطهم حتى الآن. والاتفاقية الدفاعية الهجومية التى جرت بـــين رمـــسيس الثاني فرعون مصر وملك الحيثيين من أهم الوثائق التاريخية.

٣٣- يعتقد أدوار مير **Edward Meyer** أنهم ليسوا مـــن الآريـــين، ولكـــنهم اقتبسوا كثيرا عن الآريين بالجوار.

٣٤- يطلق على هذا النوع الحجرى بارليف.

٣٥- يسمى بالآشورية شروكين.

٣٦- يقول حزقيال: (هذه هى عيلام التى قتل جميع سكانها على أطراف قبرها وأريقت دماؤهم).

٣٧- مالمير أو مال أمير تبعد عن شوشتر بمسافة ١١٥ كم من الشرق أو ستة عشر فرسخا....

٣٨- عاشت بعض الأقوام السكائية حول الهضبة الإيرانية أو فى مناطق منها مثل قوم داه حوالى منطقة جرجان، ولذا عرفت تلك المنطقة باسم دهستان، وبعض هذه الأقوام كان من سكان الخيام فى منطقة فارس مثل الداهيين والدروبيكيين وغيرهما.

٣٩- لا مغالاة فى القول بأن الحفائر والتحقيقات الجديدة فى آشور وبابل ومصر وغيرها قد قلبت تاريخ الشرق القديم رأسا على عقب مما كان عليه منذ مائة سنة وذلك بقدر ما أمدتنا هذه الحفائر من الأسانيد، وهذه حين توضع مفهرسة فى كتاب كبير واحد، تتزايد موادها مما تحتاج دراسته إلى سنوات طوال. ولكن هذا الكشف لم يتسن بعد لتاريخ إيران القديم، وقليل منه يمس تاريخ إيران، ذلك أن الحفائر فى الأمكنة التاريخية الإيرانية لم تجر كاملة باستثناء موضوعين فقط، ومن هنا نقول إن كتابات المؤرخين القدماء تعد حتى الآن مصادر مهمة لتاريخ إيران القديم.

٤٠- ذكر المؤلف نفسه أنه يكتب كل ما يسمع، ولكنه ليس مضطرا لتصديق كل ما يكتب.

٤١- أطلق دارا الأول على هذه المملكة ماد، وأصبحت فى العصر الساسانى ماى، وفى القرون الإسلامية ماه، فكان يقال ماه بصره، ماه نهاوند وغيره، وتجمع ماهات، وتعرف فى المصادر العربية باسم مملكة الميديين.

٤٢- مؤرخ عاش فى القرن الثالث ق.م، وكتب تاريخ كلدة وآشور، ولكن كتاباته فقدت، ونقل مؤرخون أخرون عنها فى كتاباتهم.

٤٣- أسماء هذه الطوائف: البوزيون - البارتاكن - الأستروخات - الآرى زنت - اليودين - المغان.

٤٤- يذكر كتزياس أسماء الحكام وسنوات حكمهم على النحو التالى، أرباكيس (٢٨سنة)، مانوداكس (٥٠)، سوسارمس (٢٨)، آرتى كاس (٥٠)، آربى يانيس (٢٢)، آرتايس (٤٠)، آرتى نيس (٢٢)، اس تى براس (٤٠)، اسبنداس (٢٥) اس تى كاس (٣٥).

٤٥- وعلى هذا فمدينة همدان مدينة ذات تاريخ يمتد ثلاثة آلاف سنة، ومن الممكن أنها كانت من بين المدن العامرة التى لا نظير لها آنذاك.

٤٦- الكواكب السيارة طبقا لعقيدة القدماء هى: القمر - عطارد - الزهرة - الشمس - المريخ - المشترى وزحل وهى بالفارسية: ماء - تير - ناهيد - مهر - بهرام - هرمز - كيوان.

٤٧- السيت بالفرنسية سكيت وكان الإيرانيون القدامى يسمونهم: السكا أو السك وأسماهم اليونانيون سكلت **Scolote** كذلك.

٤٨- كتب نيونيد ملك بابل اسمه هكذا فى إحدى ألواحه..

٤٩- يعتبر بعض الباحثين امتداد مملكة الميدين من نهر هاليس حتى نهر جيحون.

٥٠- كان العراق العجمى يشتمل على الولايات الآتية: كروص - همدان - كرمانشاه - قزوين - العراق - آصفهان - نهاوند - الرى حتى ميناء

بحر الخزر الذى كان يفصل ماد عن البارت. وكان على هذا الممر، فـــى العصور القديمة بوابة حديدية..

٥١- وان، عاصمة دولة الإمارات التى عرفت فيما بعد بأرمينيا.

٥٢- ظل هذا التمثال سليما حتى عام ٩٣١م ثم عبثت به يد الزمـــان فـــسقط وتلف ويعتقد نولدكه أنه يرجع إلى الميديين.

٥٣- يطلق الأوربيون على الحجارة البارزة اسم (بارل يف)، وأمـــا الدخمـــة فهى مصطبة عالية كانت توضع عليها الجثث لتنهشها جوارح الطير.

٥٤- هذا النقش من اكتشاف هرتسفيلد.

الباب الثاني
(الفترة الأولى لحكم الفرس)

مقدمة

ينتسب الفرس إلى الشعوب الآرية التى لا نعلم متى وفدوا إلى إيـران – ولكـن يتضح مما ذكر فى كتابات الملوك الآشوريين أن الفرس ظلوا تحت حكـم الآشـوريين زمنا طويلا مثلهم مثل الميديين، فيفتخر أحد الملوك الآشوريين الذين حكموا في القـرن التاسع قبل الميلاد أنه أخضع سبعة وعشرين شخصا من ملوك الفرس. ومعلوم كـذلك أنه إبان حكم الآشورى (سركن سلم نصر) الذى حكم فـى ٧٣١ – ٧١٣ ق.م وإبـان حكم الملك (آشور حيدين) كان الملوك الفرس خاضعين للآشوريين. ثم تحررت فارس بعد ذلك من سيطرة الآشوريين وخضعت للميديين أى أن الأمراء الهخمانـشيين الـذين كانوا يحكمون تلك المنطقة كانوا خاضعين للميديين.

يقول هيرودوت: ينقسم الفرس إلى ست طوائف من سكان المـدن والقـرى وأربعة أقسام وطوائف من سكان الخيام[١].

وكانت أسرة الهخمانشيين من أكثر الأسر الفارسية عراقة أى مـن طائفـة البارسا كاديين، ويذكر هذا المؤرخ أن كورش الكبير حين خرج على حكم الميديين عرف باسم "بادشاه فارس" أى حاكم فارس، ولكن نبونيد ملك بابل يذكره باسم ملك أنزان (عيلام)، ويضاف إلى ذلك أن داريوش الأول يقول فى نقش بيستون أنا تاسع ملوك الأرومة الهخمانشية ذات القرنين (الشعبتين) وحكم قبلى ثمانية ملوك.

وإذا كانت الأسرة الهخمانشية تنقسم إلى شعبتين كما سنبين فيما بعـد، فإنـه يتأكد أنه تاسع ملوك تلك الأسرة فعلاً.

وعلى هذا فإنه طبقًا لما كتب هيرودوت، وما توافر لدينا من وثائق[٢] فإن شجرة نسب كورش الكبير، وترتيب حكم الملوك الهخمانشيين حتى عصر داريوش يكون كالآتي:

هخامنش

١- چيش پش حوالى ٧٣٠ ق.م

٢- كمبو جيه

٣- كوروش

٤- چيش پش

الفرع الفارسى	الفرع الإنزاني
آريا من	كوروش ٥
آرشام (آرسام)	كمبوجيه ٦
ويشتاسب	كوروش الكبير ٧
٩ داريوش الأول	كمبوجيه ٨

(الأسماء التى رقمت هى أسماء الملوك الذين حكموا)

وطبقا لهذا الجدول فإن داريوش الأول هو تاسع ملوك تلك الأسرة؛ وتؤيد نقوش أردشير الثانى والثالث ذلك، لأنهم لم يعتبروا ويشتاسب وأرسام ممن تولوا الحكم. أما ما حدث من أحداث نتج عنها استيلاء الفرس على عيلام واستقر أحد فرعى الأسرة الهخمانشية هناك، فليس معلوما، ومن الممكن أن يكون قريبا من الحقيقة أن آشور بانيبال تمكن من القضاء على العيلاميين عام ٦٤٥ ق.م، وكان

الفرس آنذاك غير راضين عن حكم الميديين فى فارس، واغتناما لتلـك الفرصـة، وما أحاط بها من أمور نتيجة لاصطدام الآشوريين بالميديين من ناحية واصطدامهم بالسكان من ناحية أخرى وما أحدثته الحروب الآشـورية العنيفـة فـى المملكـة العيلامية من خمود وعجز، فقد احتل الفرس المملكة العيلامية وأسسوا حكمًا جديدًا فى إيران. وطبقًا لهذا الرأى فقد كان جيش پش ثانى ملوك إنزان وفارس.

الفصل الأول

الملوك الهخامنشيون

الأول: كوروش الكبير

خروج برايخ تooيكو

يذكر البابليون هذه الواقعة باختصار شديد. ويذكرها المؤرخون اليونانيون بتفصيل أكثر، ولكن يلاحظ بين كتاباتهم كثير من الاختلاف.

وعلى كل فإن هيرودوت يقول: رأى الملك الميدى رؤيا فى المنام، فحواها أن شجرة عنب تنبت من بطن ابنته ماندانا، وأن هذه الشجرة قد أظلت آسيا كلها فجمع الملك المغان وطلب منهم تفسير تلك الرؤيا، فقالوا إن أخت الملك ستلد ابنا يسيطر على آسيا كلها... فكر الملك في تعبيرهم لتلك الرؤيا، ورأى أن أفضل شيء يراه أن يزوج ابنته لشخص لا تتحكم فى رأسه شهوة الحكم، ولذا اختار كمبوجيه ملك فارس (ويجب القول إنزان) وكان خاضعا آنذاك للميديين.

وحين أنجبت ابنته ولدا أسلمه إلى وزير من أقاربه يدعى هارباك، وأمره بقتله، أوكل الوزير بدوره تنفيذ ذلك إلى حارسه. ولكن تصادف وقتئذ أن أنجبت زوجة هذا الحارس. ويدعى سپاكو[٣]- ابنا ميتا فمنعت زوجها من قتل كوروش وتبنته، وكبر هذا الابن فى الخفاء. حتى بلغ الثانية عشرة من عمره وأخذ ينخرط فى اللعب مع أبناء الوزير، وذات يوم احتد (كوروش) مع أبناء الوزير أثناء اللعب، وقدم الأبناء شكواهم إلى الملك.

فطلب الملك كوروش: وأصابته الحيرة والدهشة لما رأى من جرأته وذكائه واتضح له بعد البحث والتحقيق أنه حفيده، فتظاهر بسروره وفرحه بما عرف؛ ولكنه أرسل كوروش بعد ذلك مع والدته إلى فارس، وعاقب الوزير على تقصيره فى تنفيذ ما صدر إليه من أمر، وكان عقابه صارما فقد أصدر أمره بقتل ابن

الوزير، وتم ذلك وأطعموا أباه من لحم ابنه في إحدى الولائم وقدموا إليه يد ابنه وإحدى رجليه في طبق.

تعلم كوروش في ولايته الفروسية والرماية، حتى بلغ أشده. فوحد طوائف فارس، وثار على الملك الميدى، وتطور الأمر إلى حدوث حرب بين الطرفين، هزم كوروش في الوهلة الأولى من الحرب، ولكنه لم ييأس وازداد جده حتى أسر الملك الميدى عل يد الوزير الذى كان قد عاقبه، ذلك أن الملك الميدى كان قد أرسل جيشاً لقتاله بقيادة وزيره الذى أنزل به صارم العقاب. فاغتنم الوزير الفرصة وأعلن انضمامه إلى جانب كوروش انتقاما من الملك الميدى على ما فعله مع ابنه.

وبعد ذلك الحدث قوى أمر كوروش، وانضمت تحت لوائه عدد من الطوائف التى كانت تحت سيطرة الميديين. ونتيجة لهذا لم يعد أمام الملك الميدى إيخ تويكو من خيار سوى الخروج بنفسه على رأس جيش قاصدا فارس حيث اشتبك الجيشان على مقربة من باساركاد[٤] ودارت بينهما حرب طاحنة انتهت بانتصار كوروش وأسر الملك الميدى.

وعلى الرغم من امتزاج تلك الحكاية بالطابع الأسطورى، فإنها توضح بجلاء استياء الفرس، بل والميديين من حكم الملك الميدى وأنهم كانوا عونا للفرس وكوروش لإسقاط مملكة الميديين، وأن كوروش قد وحد طوائف الفرس.

وقد كتب نبونيد ملك بابل هذه الحادثة: "جمع (أى الملك الميدي) جيشاً وتوجه لمحاربة كوروش، ولكن جيشه تمرد عليه، وقبض على إيخ تويگو وسلمه إلى كوروش، وسيطر كوروش بعد ذلك على همدان، فاستولى على كنوز من الذهب والفضة والأموال الطائلة، وحمل تلك الغنائم كلها إلى أنشان".

وحدث الاستيلاء على همدان عام ٥٥٠ ق.م[٥]

الاستيلاء على ليديا:

خضعت مملكة الميديين الكبرى لحكم كوروش بعد الاستيلاء علـــى همـــدان وكان ظهور الدولة الفارسية وازدياد قوتها ونفوذها سببا فى إزعاج ثلاث من الدول الكبرى حينذاك وهى: مملكة الليديين، ومملكة البابليين ومملكة المصريين فجـــرت بينها محادثات لتحقيق الاتحاد بينهم لمواجهة كوروش، وقد وقفنا مـــن قبـــل علـــى أحوال الليديين؛ وكان ابن آليات كرزوس **Cresus** قد بذل قصارى جهـــده لتعميـــر مملكته بعامة وعاصمته التى كانت تسمى سارد بصفة خاصـــة، وبلـــغ ازدهارهـــا وبهاؤها درجة كبيرة، حتى إن اليونانيين كانوا يسمون أشياءهم النفيسة باسم ســـارد طلائى أى سارد الذهبية.

وكان ما يمتلكه كرزوس من نفائس وخزائن وثروات كبيرة جدًا لدرجة أنها عشيت بالدهشة أبصار الحكماء اليونانيين ومشاهيرهم – من أمثال ســـولون **Solon** وبياس **Bias** (وهما من الفلاسفة اليونانيين السبعة المشهورين، والقانون الذى ســـنه سولون مشهور فى أثينا) وغيرهما وكانوا يدعون لزيارة سارد، ونظرًا لأن أهـــالى ليديا لم يكونوا من المحاربين الأشداء فقد فكر كرزوس فى الاستيلاء على كثير من المدن والمستعمرات اليونانية فى آسيا الصغرى، فبدأ بالاتحاد مع مدينة مـــى لـــت (ملاطه)، ثم اتحد مع مدن أخرى حتى يتمكن من الاستعانة بقواتها إذا لزم الأمـــر. هذا هو الحال الذى كانت عليه الأوضاع فى مملكة الليديين حـــين فوجئـــت بخبـــر سقوط دولة الميديين الكبرى ونمو قوة فارس وانتشارها فى آســـيا الغربيـــة الـــذى أزعج دول ذلك العصر؛ لذا أمعن الملك الليدى فى هذا الحدث وأخذ يفكر مليا فـــى أمرين: هل يكتفى بالحرب الدفاعية؟ أم يشن حملة هجومية على إيـــران؟ واســـتقر تفكيره فى نهاية الأمر على أن يرسل شخصا إلى معبد دلـــف – وكـــان موضـــع احترام اليونانيين وتقديسهم – سائلاً أحد المنجمين آنذاك – وكانوا يعرفون باسم بى تى **Pythie** – "ماذا يمكن أن يسفر عنه الأمر إذا قمت بشن حملة على إيران؟".

فأجاب إجابة غامضة ذات وجهين وقال بى تى: "إذا عبر الملك من نهر رودها ليس فستنتهى دولة كبرى وتتلاشى".

ظن الملك الليدى أن المنجم يقصد دولة الفرس الكبرى، وأخذ يعد العدة. ودخل فى محادثات مع الإسبارتيين (إحدى الدول اليونانية) وضمها إلى جانبه، واتحدت بابل ومصر كذلك مع الدولة الليدية: وبعد ذلك توجه كزروس قاصدا إيران.

واحتل مكانا مرتفعًا يعرف باسم: ب ت ريوم – العاصمة القديمة للحيثيين. وجرت حرب ضروس بين الجيشين الليدى والفارسى فى خريف هذا العام انتهت دون نتيجة لصلابة مقاومة الليديين. وحين أقبل الشتاء ظن الملك الليدى أن الفرس لن يجرؤوا – لما رأوا من مقاومة شديدة من جانب الجيش الليدى – على مهاجمة أرض ليديا أثناء الشتاء وبخاصة وأنه يلقى تأييدًا من بابل؛ فسرح جيشه عاقدا العزم على وضع نهاية لأمر فارس فى السنة التالية حين يصل الجيش الموحد لبابل ومصر.

ولكن كوروش بادر على الفور لإجراء محادثات مع الدولة البابلية وعقد معاهدة صلح مع نبونيد، ثم توجه قاصدا سارد. واضطر كرزوس فى تلك الأثناء إلى جمع جيش على وجه السرعة وتحارب مع جيش كوروش على مقربة من العاصمة، وأرسل فى بداية الأمر خيالته النظامية ذات الكفاءة القتالية العالية لحرب كوروش، ولكن الجمال التى دفع بها كوروش أمام صفوفه سببت ذعرا للخيول لتنتهى الحرب بانتصار الفرس والاستيلاء على سارد ووضع نهاية للدولة الليدية (٥٤٩ ق.م).

ويذكر هيرودوت أن كوروش كان يود – فى بداية الأمر – أن يحرق الملك الليدى، ولكنه أفاق وعدل عن هذا الرأى وزاد من إكرامه وتعزيزه وكان الباعث له عن عدوله عن رأيه أنهم حين أضرموا النار وزودوها بالحطب، صاح كرزوس قائلا (آخ سولون سولون) فسأله كوروش عن معنى قوله فأوضح له حكاية مجىء

سولون واضع القانون اليوناني بسارد وقال إنه اطلع على ما لدى من نفائس وخزائن، وبعد ذلك سألته: من هو السعيد فى رأيك؟ وكنت على يقين تام أنه سيذكر اسمي، ولكنه أجاب: لا يوصف بالسعادة من هو على قيد الحياة. والآن أدركت صحة ما قاله هذا الرجل. وكان ما قاله كرزوس سببا فى يقظة كوروش من غفوته، فأمر بإخماد النار؛ ولكن الفرصة كانت قد أفلتت من يديه، وعندئذ توسل كرزوس بآبلن أحد آلهة اليونانيين فنزلت أمطار أخمدت النار. ويشك بعض الباحثين المحدثين فى صحة تلك الرواية لأسباب منها:

أولاً- أن حرق الأشخاص كان منافيا لمعتقدات الفرس؛ لأنهم كانوا يقدسون النار ويعتبرون تلويثها ذنبًا كبيرًا.

ثانيا- أن كوروش كان فى جميع الظروف والأحوال رءوفا رحيما مع الملوك المهزومين، فقد أكرم الملكين الميدى والأرمني.

أما من يؤيدون صحة هذه الرواية فليس لديهم من دليل سوى أن المؤرخين اليونانيين الذين جاءوا بعد هيرودوت بعدة قرون قد ذكروها، ولكن هذا الدليل ليس كافيا فنحن نعلم أن المؤرخين اليونانيين تعودوا - فى أغلب الأحيان - أن ينقلوا الأخبار والروايات التى وردت فى كتب السابقين دون الإشارة إلى الكتب التى نقلوا عنها.

الاستيلاء على المستعمرات اليونانية فى آسيا الصغرى:

اليونانيون القدامى من الشعوب الهند وأوروبية، وقد نزحوا من الناحية الشمالية إلى المنطقة الواقعة جنوب شبه جزيرة البلقان والتى تسمى يونان فى وقت غير معلوم، وانتصروا على المقيمين بها أو البلاسكيين، وكان البلاسكيون قد وفدوا إلى المنطقة فى وقت غير معروف أيضًا قادمين من ناحية بحر الغرب و"أقاموا هناك حضارة رفيعة. وحوالى القرن العاشر ق. م أقبل قوم يعرفون بـ الدوريين[٦] وكانوا من الأقوام اليونانية وهاجموا شبه جزيرة البلوپونيز **Peloponese** مما

اضطر كثيرا من اليونانيين إلى الهجرة خارج الجزيـرة... وعلـى هـذا وجـدت المستعمرات اليونانية فى آسيا الصغرى واعتزلت المدن اليونانية الليديين بعد عـدد من المعارك والاصطدامات؛ لأن الليديين كـانوا متـأثرين بالحـضارة اليونانيـة وصناعتها وديانتها.

وحين استولى الفرس على ليديا، أصاب اليونانيين الفزع الـشديد لأنـه قـد أصبح لزاما عليهم أن يتعاونوا مع دولة أقوى من الدولة الليدية، وتتفوق على الدول اليونانية فى النظم والحضارة تفوقا تاما.

وكان كوروش قبل الاستيلاء على سارد قد كلف اليونانيين بالاتحـاد معـه ولكنهم أبوا، وعادوا فأرسلوا رسلا إلى كوروش طالبين منه أن يجدد الاتفاقية التى قدمها، فلم يرد كوروش عليهم وذكر هذا المثل: اقترب عازف ناى مـن شـاطئ البحر، وقال فى نفسه، لو عزفت على الناى لاشك أن الأسماك سـترقص طربـا وجلس يعزف بغير جدوى فلم ير السمك يرقص، عندئذ حمل شبكته وألقى بها فـى الماء. فكانت الأسماك تقفز إلى الشبكة ثم تقع قال: "ترقص الأسـماك الآن فاقـدة وعيها، وكان عليها أن ترقص حين كنت أعزف" أراد كوروش من ذكر هذا المثل أن يوضح أن الوقت قد فات. أما فيما يتعلق بالمستعمرات فقد فعل الآتـي: وافـق على عزل مدينة ملاطيه الكبرى وكانت قد أعطيت للملك الليدى، وبعد انتزاع تلك المدينة تمت سيطرته على جميع المدن اليونانية بآسيا الصغرى والجزر اليونانيـة كذلك، مثل لسبوس **Lesbos** وخيوس **Chios** وبعض الجزر الأخرى لجـأ بعـض سكان المستعمرات اليونان إلى دولة اسبرطه متوسلين فأرسلت تلك الدولة بـدورها سفيرا إلى كوروش مهددا بأنه لن يتحمل سوء معاملة اليونانيين. فقـال كـوروش: إننى لا أخشى مطلقا من أناس يتجمعون فى ميدان ويقسمون ويكذب كل منهم على الآخر، وسأظل ما بقيت حيا أعمل على أن أجعلكم تئنون من ذلكم بدلا من التحدث عن اليونانيين.

ويجب أن يكون معلوما أن كوروش بعد الاستيلاء على سارد قد عـاد بعـد وقت قصير إلى إيران وترك أمر الاستيلاء على أجزاء آسيا الـصغرى الأخـرى مثل: فريجيه Phrygie وقليقيه Cilycie – وليقيه Lycie والمستعمرات اليونانيـة إلى قواده. وهكذا تمت سيطرته على آسيا الصغرى كلها عام ٥٤٥ ق.م وأصبحت خاضعة للفرس، واختار كوروش لكل مدينة حاكما مستقلا بها، حتى لا يتحد الحكام معا ولا يقوى أمرهم. وهاجر أهالى بعض المدن اليونانية الذين أبوا التـسليم مثـل مدينة فوسه.

الاستيلاء على الممالك الشرقية

لم تترك العمليات الحربية المتلاحقة والسريعة التى قام بها كوروش فرصـة لبابل ومصر لاستكمال استعداداتهما وأضحى كلاهما متوقعا حملة كوروش عليـه، إلا أن كوروش لم يتوجه مباشرة إلى بابل واتجه إلى الممالك الواقعة شرق فـارس وماد، ولا نعلم كيفية الحروب التى خاضها معها، وكل ما هو معروف أنه اسـتمر فى عملياته الحربية وغزواته فى شمال إيران وشرقها طوال ثمان سـنوات وتقـدم من الناحية الشمالية حتى وصل إلى حدود نهر سيحون حيث بنى مدينة باسمه على شاطئ هذا النهر (فكانت هذه المدينة تسمى إبان عصر الإسكندر دور ترين شـهر كوروش) ويعتقد أنها مكان مدينة أوراتيه الحالية.

ثم تقدم بعد ذلك فى الناحية الشرقية حتى وصل إلى نهر الـسند، وبعـد أن ثبت دعائم حكمه فى الشرق والغرب، توجه إلى بابل، ويعتقد بعـض البـاحثين أن غزوات كوروش إلى الشرق والشمال الشرقى قد تمت بعد الاستيلاء على بابل.

الاستيلاء على بابل:

يبدو الاستيلاء على بابل أمرا فى غاية الصعوبة، لأن استحكام برج بابل[٧] وأسوار المدينة ومنعتها كان أمرا مشهورا طبق الأفاق[٨]، وعلى الرغم من هذا كله فقد توجه كوروش للاستيلاء عليها، وعبر الجيش الإيرانى نهر دجلة فى ربيع عام ٥٣٩ ق.م. وكانت بابل آنذاك قد تعاقب على حكمها بعد وفاة بخت النصر ٥٦١ ق.م ثلاث ملوك خلال ستة أعوام. وفي عام ٥٥٥ ق.م. تمكن رجال الدين فيها من تولية عرشها لأحد التجار وكان يسمى نبونيد. ولم يكن هذا الشخص بقادر على أن يحفظ للدولة البابلية مكانتها المهمة التى احتلتها وتليق بها، فقد ذكر أنه كان ذا ميل مفرط لمعرفة الآثار القديمة، وأجريت حفريات – تلبية لأمره – فى خرائب المعابد القديمة لبابل، واستخرجت تبعًا لذلك ألواح.

وفيما يتعلق بأمر استيلاء كوروش على بابل وصلت إلى أيدينا روايتان الأولى عن هيرودوت وشعب بنى إسرائيل الذى أسر فى بابل، وتعتمد الرواية الثانية على ما لدينا من مصادر أساسها ما أسفرت عنه الحفريات فى بابل وما دار حولها من بحوث. وكان الاستيلاء على بابل طبقا لما ذكرته الرواية الأولى ما يلي:

هزم الملك البابلى فى حرب جرت بينه وبين الفرس على مقربة من مدينة بابل، فلجأ مع عدد كبير من جنوده إلى تلك المدينة، وعندئذ ترك قيادة جيشه لابنه المسمى بالتشر[٩].

وكان الاستيلاء على المدينة بشن حملة عليها أمرًا مستحيلاً كما كانت محاصرتها للاستيلاء عليها يستغرق وقتا طويلاً، لأن البابليين كانوا يزرعون المناطق الشاسعة المحيطة بالمدينة وبداخلها، ولذا أمر كوروش بتحويل مجرى نهر الفرات، وبعد أن قل الماء فى المجرى القديم عبره الجيش الإيرانى حتى بلغ مدينة بابل (٥٣٨ق.م) ولكنه لم يعمل السلب والقتل بالمدينة، وعامل كوروش الأهالى

بغاية الرحمة، وطبقا لما ذكرته المصادر البابلية فإن نبونيد كان قد حمل إلى بابل تمثال الإله (اور) فتألم من هذا أتباع آلهة البابليين (بل مردوك، فتصالحوا مع كوروش ودفعوا له الجزية: وحين نقصت المياه فى نهرى ديالة والفرات غيرً كوروش مجريهما ودخل إلى المنطقة الواقعة بين مدينة بابل وسد بخت النصر، ثم تقدم بعد ذلك إلى الناحية الشمالية، حيث فصل بين الجيش البابلى وبين المدينة، ثم أوقع الهزيمة به وبعد ذلك تقدم (كئوبروو) قائد الجيش الفارسى ودخل المدينة من الناحية الجنوبية فاستسلم الملك البابلى، وتوج الملك كوروش فى معبد بابل الكبير طبقًا للمراسم الدينية البابلية.

وأظهر مزيدا من الاحترام والتقدير لمذهب المواطنين ومعتقداتهم، ويذكر أحد المعاصرين لتلك الأحداث أن كوروش أدخل السكينة والطمأنينة فى قلوب الأهالى، وبعد الاستيلاء على بابل خضعت كل الممالك التابعة لها لكوروش.. ويجب أن نذكر من بينها فلسطين وفينيقية وكانت المدينتان الفينيقيتان المعروفتان بصور وصيدا من أشهر مدن العالم آنذاك، وأظهر كوروش مزيدا من العطف تجاه بنى إسرائيل الذين أسروا إبان حكم بخت النصر، وحباهم بنوع خاص من العطف والشفقة: فرد إليهم أطباق الذهب والفضة التى كانت بخت النصر قد أحضرها من بيت المقدس وسمح لهم بالعودة إلى فلسطين، وأخذ يعمر المعابد القديمة ببيت المقدس والتى كان الآشوريون قد خربوها، وبنى لهم معبدًا جديدا، وتنفيذا لسماحه لبنى إسرائيل بالعودة إلى فلسطين رجع اثنان وأربعون ألفا من بنى إسرائيل ومعهم سبعة آلاف نفر من الغلمان (والجوارى) وعملوا على تجديد بيت المقدس[١٠]، ولكن سرعان ما دب الخلاف بين من بقوا فى فلسطين ومن عادوا من بابل. ولذا أوقف كوروش بناء المعبد الجديد؛ وهذا واضح من أقوال أنبياء بنى إسرائيل الذين أبدوا احتراما فوق العادة تجاه كوروش[١١]. وأذاع كوروش فى بابل بيانا لاستمالة قلوب البابليين عثر عليه فى حفريات بابل ويعرف الآن بعمود كوروش[١٢] أو أسطوانة كوروش –وقد أسمى كوروش نفسه فى هذا البيان بخادم مرداخ (مردوك إله البابليين

الكبير)، ويقول إنه بعد إحضار تمثال الإلهة (أور) إلى بابل، اختاره مردوك وأمسك بيد كوروش ملك انشان(١٣) – وأن الإله قد اختاره لحكم العالم كله – وطلبه بالاسم وبعد ذلك يقول الملك: حين بلغت تين تير(١٤) يحيط بى السكون والهدوء، دخلت إلى القصر الملكى تحيط بى صيحات الفرح والسرور من المواطنين، جلست على عرش الحكم، ثم قفل كوروش راجعا إلى إيران بعد الاستيلاء على بابل والشام وفلسطين والمدن الفينيقية وغيرها واتجه إلى غزو بلاد المشرق، ولكن لم تتوافر لنا معلومات عن أعماله آنذاك. وتوفى كوروش عام ٥٢٩ ق.م.

وهناك روايات مختلفة عن وفاته. يقول هيرودوت: إنه قتل أثناء حربه مع الماساجت(١٥) الذين كانوا يقطنون بين بحر الخزر وبحيرة آرال، وتوضيح ذلك أن كوروش طلب الزواج من ملكته الماساجت فأجابته رافضة ساخرة؛ ووقعت الحرب بينهما وأسر ابن الملكة فى تلك الحرب وقتله كوروش ثم جرح كوروش فى الحرب التى نشبت بعد ذلك ومات، فأمرت الملكة بقطع رأس كوروش وإلقائها فى طست من الدماء ووجهت إلى تلك الرأس خطابا قالت فيه: إنك لم ترتو من الدماء فلتمتص الدماء الآن علك ترتوى. ويذكر برس أن كوروش قتل أثناء حربه مع عشيرة الدها (إحدى عشائر السكا) على مقربة من جرجان، ويذكر كتزياس أنه قتل بعد أن جرح أثناء حربه مع السكا ودفن فى پاسارگاد(١٦).

خصال كوروش:

يعتقد المؤرخون أن كوروش كان ملكا يتصف بالعقل والحزم والعزم والرأفة، وأنه كان يمضى إلى آخر المطاف فى أى عمل يبدأه، ولا يترك أى عمل دون إتمام، وكان يلجأ إلى العقل أكثر من لجوئه إلى القوة، وكان يعامل الشعوب المغلوبة معاملة حسنة تتصف بالرأفة والشفقة بخلاف ما كان عليه الحال عند الملوك الآشوريين والبابليين، وكان يعامل الملوك المهزومين معاملة طيبة جدا

لدرجة أنهم كانوا يصبحون أصدقاء حميمين له وكانوا يقدمون له العون إذا حزبه أمر، ولم يكن يتدخل فى ديانات الشعوب ومعتقداتها، بل كان يظهر احترامًا كبيرًا لمراسيمهم الدينية، ويتضح ذلك من إعادته لجميع الآلهة إلى أتباعها بعد فتح بابل وكانت قد تعرضت للغارات.

ولم يعمل السلب والنهب أو القتل فيما خضع لحكمه من مدن وممالك، على العكس من الملوك الآشوريين الذين كانوا يملأون نقوشهم وكتاباتهم بأن فلانا قد سوى تلك المملكة بالأرض وأنه تركها خرابا يبابا فلم يعد يسمع فيها نباح كلب أو صياح ديك (ونلاحظ مثل ذلك عند العيلاميين). وحين رأى الناس سلوك كوروش وقارنوا ذلك بما كان سائدا ومتبعا آنذاك كانوا يعتبرونه مخلوقا فوق العادة وأنه مبعوث من قبل الله.

وقد أرسى هذا الملك الأسس الأخلاقية فى العالم القديم، وأدخل أسلوبا جديدا مع معاملة الممالك التابعة والشعوب المغلوبة، وربما يكون هذا هو السبب فى اعتبار عهده حدا فاصلا لقسمين من أقسام التاريخ القديم الأربعة[١٧]. ويجب أن نقول كذلك إن كوروش واحد من بين شخصين أو ثلاثة ظلت أسماؤهم حية نابضة فى أذهان شعوب عصرنا، ولعل سبب ذلك أن أنبياء بنى إسرائيل قد أثنوا عليه كثيرا وأن أتباع المذاهب الذين يعتبرون التوراة كتابا مقدسا يستمعون إلى اسم هذا الملك منذ طفولتهم ويألفونه[١٨].

الثاني: كمبوجيه

أنجب كوروش من كاسان دان ابنين كان الأول يسمى كمبوجيه وكان يحكم بابل، وكان يعهد إليه بأمر الحكم فى إيران نائبا عن والده أثناء غيابه وذكر هيرودوت أن الابن الثانى كان يسمى سمر ديز، وذكره داريوش الكبير فى نقش بيستون باسم بردیا[١٩]، وتولى برديا حكم خوارزم وباختر وبارت وكرمان.

وقد قتله كمبوجيه خفية بعد توليه لتعلق الناس به. وداعبت خيال كمبوجيه بعد وفاة والده الاستمرار فى الفتح والتوسع الذى درج الفرس عليه، ولكنه فوجئ بعد وفاة والده بثورة بعض الولايات عليه وخروجها عن ربقة الطاعة له، فأخذ فى إخضاعها وقمع الثورات بها واستمر ذلك ثلاثة أعوام، وتوجه قاصدا مصر عام ٥٢٦ ق.م.

وأخذ أحمس فرعون مصر فى إعداد ما يلزم لمحاربته والتصدى له؛ فأبرم اتحادا مع الجزائر اليونانية فى بحر المغرب (البحر الأبيض المتوسط) ومع حاكم (جبار)[٢٠] جزيرة سامس Samos، لإمداده بقواتهم البحرية، نظرًا لأن اليونانيين فى آسيا الصغرى وكذلك الفينيقين، كانوا خاضعين لإيران وكانت قواتهم البحرية تعد جزءًا من البحرية الإيرانية. وتصور فرعون مصر أن كمبوجيه سيهاجم مصر من ناحية البحر، ولذا كان يطلب الإمداد البحرى من اليونانيين.

ولكنه سرعان ما أدرك ببالغ الأسى أن كمبوجيه سيهاجم مصر عن طريق خليج السويس – وتفصيل ذلك أن كمبوجيه تمكن من توقيع اتفاقية مع مشايخ البدو من الأعراب نصت على أن يقدم آلاف من الأعراب القرب المملوءة بالماء ويضعونها فى المنازل (المحطات)، وبذلك يعبر الجيش الإيرانى الصحراء الممتدة من فلسطين إلى مصر. وقد ساعد حسن الحظ كمبوجيه فقد توفى آنذاك أحمس فرعون مصر وكان

قويا ذا عزيمة، وتولى العرش خلفا له بسماتيك الثالث، ولم يكن ينعم بما كان ينعم بـــه سلفه من قوة ونفوذ، ودارت المعركة الأولى بين المصريين والفرس فى بلـــوز Peluse وهزم الجيش المصرى، ليواصل الجيش الإيرانى زحفه إلى ممفيس عاصـــمة مـــصر دون عناء ويسيطر عليها عام ٥٢٥ ق.م.

ويقول هيرودوت إن معاملة كمبوجيه مع فرعون مصر اتـــسمت فـــى البدايـــة بالخشونة، ولكنه بعد تجربته أحسن معاملته، وقد اتضح بعد ذلك أن كمبوجيه قـــد أمـــر بقتله بعد اشتراكه فى الثورة على إيران (بينما يذكر كتزياس أنه نفى إلى شوش).

وكان سلوك كمبوجيه ومعاملته للمصريين مثل سلوك كوروش فى المناطق المفتوحة بمعنى أنه لبس ثياب ملوك المصريين، واحترم طقوسهم وأجرى مراســـم البلاط الفرعونى، حتى اعتبره المصريون واحدا من كبار فراعنتهم، ثم اتجه بعـــد ذلك للاستيلاء على الممالك المجاورة فاستسلمت ليبيا وسيرن التى كانت مـــستعمرة يونانية (وهى الآن جزء من طرابلس الغرب) ثم خضعت برقة بعد ذلك.

أرسل ملك سيرين آرك زيلاس Arkesilas خمسمائه مينا اى ٩٢٦٠ تومانا أو ٤٦٣٠٠ فرنكا ذهبيا إلى كمبوجيه الذى قبلها دون تقدير، وقسمها على جنوده.

وكان كمبوجيه يرغب فى شن حملة على قرطاجنـــة (كارتـــاج – تـــونس الحالية) تلك المملكة المشهورة المملوءة بالثروة، والتى تضم تحت سيطرتها كثيـــرا من الممتلكات فى بحر المغرب (البحر الأبيض المتسط) ولكن الفينيقيـــين – نظـــرًا لأن غالبية أهالى قرطاجنة كانوا من المهاجرين الفينيقيين – رفضوا إمداد كمبوجيه بالسفن لذا فكر كمبوجيه فى الاستيلاء على قرطاجنة عـــابرا الـــصحراء الليبيـــة، فأرسل – لتحقيق هذا الهدف – خمسين ألفا من الجنود إلى آمون – المعبد المقـــدس عند المصريين – ولم يعلم عنهم أى شيء بعد ذلك (فقـــد دفنـــوا تحـــت الرمـــال المتحركة عام ٥٢٤ ق.م).

وبعد ذلك تقدم كمبوجيه قاصدا مملكة نا باتـا (الـسودان الحاليـة تقريبـا) وإثيوبيا وفى تلك الحملة عبر الجيش الفارسى جزءًا من نهر النيل، ولكنه بعـد أن دخل إلى الصحراء الجرداء التى لا زاد فيها ولا ماء، أصابته عسرة فـى المـؤن فاضطر كمبوجيه تحت وطأة ما أصيب به من خسائر فادحة إلى العودة إلى مصر، وعلى الرغم من فشله فى حملاته التى أرسلها لإخضاع نا باتا والحبشة وما أصاب جيشه من دمار فى سفرته إلى آمون، فإن تلك المناطق والممالك أضحت جزءًا من إيران فى عهد داريوش كما سيتضح فيما بعد. يقول هيرودوت إن كمبوجيه كـان مريضا بداء الصرع.

فحين فشل فى حملاته إلى البلاد والممالك التى سبق ذكرها عاوده المـرض واشتد به فأدركه الجنون، فارتكب الكثير من سفك الدماء والتدمير والحماقات والتى راح ضحيتها أخته رك سانا (روشنك) إذ قتلها، ودفن اثنى عشر فردا مـن كبـار رجالات فارس أحياء، وأصاب عجل آبيس المقدس عند المصريين فـأرداه قتـيلا. مما سبب استياء عاما وشديدا عند المصريين تجاه الإيـرانيين. وأحـرق موميـاء أحمس (فرعون مصر السابق) ولكن توافرت للباحثين منذ سنوات عدة وثيقة مهمة لواحد من كبار رجالات البلاط الفرعونى فى ذلك الوقت، يوضح فيها أن كمبوجيه كان يحافظ على جميع السنن المصرية ويؤدى سائر الطقوس الدينيـة المـصرية. حتى أنه كان يسجد فـى معبـد سـائيس احترامـًا وتقديـسًا لـنيت آم الآلهـة المصريين[٢١].

وطبقًا لهذا يمكن القول بأن سلوك كمبوجيه (خلال الثمانية شهور الأولـى) كان موافقا لسلوك كوروش الكبير عند استيلائه على بابل.

وإذا كانت أقوال هيرودوت صادقة، فإن أحواله وسلوكه قد تغيرت نتيجة لإصابته بالصرع.

وعلى كل فإن من المسلم به تاريخيا أن إصابته عجل أبيس ليست سوى خبر كاذب، فقد ثبت بالوثائق أن العجل كان قد نفق في بداية غزو كمبوجيه للحبشة، كما توضح النقوش الحجرية التي ترجع إلى عصر كمبوجيه أنه كان يركع أمام العجل المقدس للمصريين.

وعين كمبوجيه حاكما من قبله على مصر سنة ٥٢٣ق.م ورجع إلى إيران وأثناء عودته وبينما كان بالشام سمع أن أحد المغان الميديين أطلق على نفسه اسم برديا - ابن كوروش وشقيق كمبوجيه - وجلس على العرش. واجتمع الناس حوله، عندئذ استاء كمبوجيه استياء كبيرا فكان يعلم يقينا أنه قتل برديا، ولكنه لم يكن بمقدوره أن يعلن ذلك، عندئذ بلغ به الثبوط منتهاه فطعن نفسه طعنة قاتلة في مدينة إكباتانا بالشام توفى على إثرها، وباح بسره الدفين قبل وفاته للخاصة من مرافقيه الفرس في رحلته من مصر (٥٢٢ ق.م).

واقعة برديا المكذوب:

أوضح داريوش الكبير في نقش بيستون هذه الواقعة بثلاث لغات هي الفارسية القديمة والعيلامية والآشورية، وهذه ترجمة لتلك الواقعة كما سطرت بالفارسية القديمة في هذ النقش:

"يقول الملك داريوش، هذا ما فعلته بعد أن أصبحت ملكا، كان كمبوجيه ابن كورش من عائلتنا وتوج ملكا قبل ذلك، وكان لكمبوجيه أخ شقيق يدعى بردى؛ ثم إن كمبوجيه قتل برديا، ومع أن كمبوجيه قتل برديا فإن الناس لم يعرفوا أنه قتل،

وبعد ذلك توجه كمبوجيه إلى مصر، وبعد ذهابه إلى مصر، استاء الناس وتضايقوا، وانتشرت أخبار كاذبة بين الناس فى فاوس وماد وسائر الممالك.

"يقول الملك داريوش بعد ذلك خرج أحد المغان ويدعى كئومات من بى سى ى أو وده) وانطلق من جبل يدعى أركادرس فى الرابع عشر من شهر ويخن (الشهر الأخير من الشتاء) وخدع الناس جميعا قائلا: إننى برديابن كوروش شقيق كمبوجيه، عندئذ ثار الناس جميعا على كمبوجيه، وانضم الناس إليه من فارس وماد وسائر الولايات مؤيدين له فاستولى على العرش فى التاسع من شهر گرمه بد (الشهر الأول من فصل الربيع). وبعد ذلك توفى كمبوجيه منتحرا يقول دار يوش الملك إن أريكة السلطنة التى انتزعها كئوماتاى المغ من كمبوجيه كانت فى أسرتنا من قديم وقد انتزع كئوماتاى المغ فارس وماد وممالك أخرى من كمبوجيه واستولى عليها وأضحى ملكا عليها.

"يقول الملك داريوش، إنه لم يظهر أى شخص من فارس أو ما داو من عائلتنا ليسترد الحكم من كئوماتاى المغ، وكان الناس يخشونه لأنه قتل عددا كبيرًا ممن كانوا يعرفون برديا، وكان يقتلهم خوفا مما كان يدور بخياله" إن أحدًا لا يعرفنى ولا يعرف أنى لست ابن كوروش ولن يجترئ أحد على أن يقول شيئا عن كئوماتاى المغ، حتى أتيت وطلبت العون والتوفيق من أهورا مزدا، وفى اليوم العاشر من شهر (باغ ياديش) (الشهر الأول من الخريف) قتلت ومعى عدد قليل من الناس كئوماتاى المغ ومن معه من أعوان قتلته فى قلعة فى ماد تسمى (سى ك ى هو اتيش) فى منطقة نى ساى (قرب همدان) واستردت الملك منه، وأصبحت ملكا بفضل أهورامزد...."(٢٢).

"يقول الملك داريوش، لقد أعدت الحكم إلى أسرتنا بعد أن سلب ونزع منها وأعدت الأمر إلى نصابه، وبعد ذلك شرعت فى ترميم المعابد التى كان گئوماتاى المغ قد خربها وذلك من أجل الناس، وأعدت لسائر الطوائف كل ما سلبه گئوماتاى

المغ من أسواق وحشم ومساكن، وأعدت أمور فارس وماد والممالك الأخرى إلى ما كانت عليه، وفعلت هذا كله بفضل آهور مزد وتحملت ما تحملت من آلام حتى أوصلت عائلتى إلى ما كانت تنعم به من علو المقام قبل ذلك".

يذكر هيرودوت أن گئوماتاى المغ، بعد أن تولى العرش، قد أحسن معاملة رعايا جميع الممالك التى خضعت له وأعفاهم من الضرائب ثلاث سنوات وبعد أن خاف أن يتعرف عليه أحد من الناس، انقطع عن أهله وأقاربه، ولم يسمح لأحد بزيارته، وكان سلوكه هذا سببا فى سوء ظن الفرس به. وعرف رؤساء الطبقة الأولى منهم ــ وهم أعضاء العائلات السبع من إحدى نساء گئومات - ابنة هوتانه - أن هذا الشخص ليس برديا وأنهم كانوا قد قطعوا أذنه قبل ذلك. عندئذ أقسموا جميعا ومعهم داريوش - الذى كان قد وصل من الشام لتوه، وكان يظهر مزيدا من الطاعة والاحترام لگئومات - أقسموا على دخول قصر برديا ولم يستطع من بالباب من الحراس والأعوان التصدى لهم وبعثوا بداريوش نفسه مع أحد مرافقيه إلى الداخل، وقتل داريوش گئوماتا (٥٢١ ق.م)، وقتل فى ذلك اليوم عدد كبير من المغان، وكانوا يتخذون هذا اليوم عيدا لسنوات عديدة[٢٣].

يقول هيرودوت إن رؤساء الأسرات السبع ومعهم داريوش اجتمعوا بعد ذلك للتشاور فى طراز الحكم، فكان منهم من يؤيد الأخذ بأسلوب الحكومة القومية ومنهم من رأى الأخذ بأسلوب حكم الأقلية من الشعب (أوليجارشية).

ولكن دار يوش رأى أن أمور فارس وما وصلت إليه من سعة تستدعى حكما لا يفشى فيه ما تعزم عليه ويقدر على التنفيذ السريع، ونسأل رأيه فى النهاية تأييد الأغلبية من المجتمعين، وبعد ذلك تباحثوا فيمن يتولى أمور الملك، وتنازل هوتانه عن الدخول فى هذا الاختيار لأنه كان يتجه برأيه إلى الحكم القومى... وجرت المباحثات بين الستة الباقين واتفقوا على ما يلى:- "أن يخرجوا جميعا عند الفجر من المدينة، وحين يصلون إلى منطقة معينة، فمن صهل جواده يكون الملك. قاد أمير

اصطبلات داريوش جواده إلى تلك المنطقة المعهودة، وأراه فرسة وهكذا حين وصل الجواد إلى ذلك المكان تذكر الفرسة فصهل، وعندئذ أصبح دار يوش هو الملك ويبدو أن ما قاله هيرودوت هو حديث خرافة: فإذا كنا نعلم أن داريوش يرجع نسبه إلى خشيارشا بن داريوش، وقد ذكر هيرودوت ذلك فإنه يكون أقرب الناس لاعتلاء العرش، كما أنه على رأس المجموعة التى أقدمت على قتل برديا الكذاب، ويكون من الأمور المستبعدة أن يثور خلاف على تقدمه على من كانوا معه، ويصبح لزاما أن لا يترك الانتخاب فى مثل هذا الأمر المهم إلى صهيل حصان.

الثالث - داريوش الأول، الكبير

يعتقد المؤرخون أن أحدًا من ملوك العالم لم يواجه فى بداية حكمه بمثل ما ووجه به داريوش من مشكلات عديدة وضربات طاحنة، وعلى الرغم من هذا كله فقد تمكن داريوش بما اتصف به من إرادة حديدية وقوة النفس من التغلب على كل الموانع والمشكلات، والواقع أنه أسس إمبراطورية إيران من جديد فمنذ أواخر حكم كمبوجيه نتيجة لغيابه عن إيران فترة طويلة، وخروج برديا الكذاب وما ارتكبه من ضعف ووهن مع الممالك التابعة له فقد أصبحت جميع ولايات إيران تموج بالثورة والغليان، وكانت الخطوات التى اتبعها داريوش فى هذا الشأن طبقًا لما ورد فى نقش بيستون على هذا النحو.

بدأت الثورة فى عيلام فقد أعان التمرد على داريوش أحد أعقاب حاكمى عيلام السابق وكان يسمى آترين، فأرسل داريوش إلى شوش حيث قبض على المتمرد وقتله؛ وفى بابل خرج شخص – أسمى نفسه بخت النصر الثالث بن نبونيد ملك بابل السابق. ورفع راية العصيان، فتوجه داريوش على رأس جيش إلى بابل ولم يكن عبور دجلة أمرًا ميسورًا نظرًا لقوة البحرية البابلية، فسلك داريوش سبيل الحيلة وغافل خصمه وعبر دجلة، وأنزل بالبابليين هزيمة نكراء فى معركتين، فلجأ البابليون إلى مدينة بابل وتحصنوا بها، فحاصرها داريوش ولكن ترامت أخبار الثورات والاضطرابات التى شملت كل مكان إلى مسمعه وقتذاك، فقد ثار واحد من أهل فارس يدعى مرتى ي(٢٤).

وقاد حملة هاجم بها مدينة شوش ولكن أهلها قبضوا عليه وقتلوه؛ وتمرد جيش ماد – وكان مكلفا بحماية تلك المملكة بإغراء شخص اسمى نفسه فرورتيتش وكان من أعقاب هووخشتر، واختاره الميديون ملكا عليهم ففى أول الأمر أمر دار

يوش أحد قادته بإخماد ثورة الميديين، وجرت معارك كثيرة بين الجيش لم تسفر عن نتائج حاسمة، فأمر دار يوش بإيقاف القتال لحين وصوله، وأرسل دار يوش إلى أرمينيا أحد قادته من الأرمن كذلك لإحلال الهدوء بها،فخاض ذلك القائد ثلاثة حروب لم تسفر عن نتيجة أيضا مما اضطره إلى إرسال قائد إيرانى إلى أرمينيا من جديد.فخاض حربين لم تسفرا عن نتيجة كذلك، مما حدا به إلى إصدار أمره إليه بإيقاف القتال لحين وصوله، فقد كان الملك يعلم جيدا أن السيطرة على بابل مفتاح لسائر الفتوحات الآخرى. ولذا ركز كل اهتمامه للفراغ من أمر بابل [٢٥] فاستولى عليها (٥٢١ق.م).

وهاجم دار يوش ماد بعد ذلك، وهزم جيشها الميدى وأمر بالقبض على فرورتيش الذى كان قد فر، وتم إعدامه شنقا فى همدان.

وظهر فى ساگارتى كذلك شخص يدعى جيتر تخمة، وادعى أنه من نسب هووخ شتر فقبض عليه دار يوش بواسطة واحد من قواده وقتله. وفوض أمر إخماد الثورة فى بارت (خراسان) وكَرِكَانِ إلى ويشتاسب والد دار يوش حاكم تلك المناطق؛ الذى وفق فى إنجاز ما أوكل إليه وأخضع مرگو (مرو الحالية) التى كان أحد الأشخاص يدعى فرد قد استولى عليها، وعاون داريوش فى ذلك حاكم باختر. وفى تلك الأثناء خرج فى فارس شخص يدعى وهى يزدات، واسمى نفسه برديا بن كوروش.

ولكن دار يوش تمكن من القبض عليه سريعا، وأعدمه ومن كانوا معه شنقا. كما تمكن بمعاونة حاكم رخج (الجنوب والغرب من أفغانستان الحالية). من إنزال الهزيمة بالجيش الذى أرسله برديا الثانى الكذاب إلى تلك المناطق، وفى تلك الأثناء أيضا ثار أهالى بابل بتحريض من شخص أرمنى أسمى نفسه بخت النصر، ولكن نار الفتنة أخمدت حين تصدى لها أحد قادة دار يوش. الميديين وقتل المتمردين. وأخضع السگا كذلك. وبعد ذلك بدأت الاضطرابات تتفاقم فى ليديا. وقد أورد هيرودوت تفصيل ذلك بقوله:كان أرى تس حاكم تلك المملكة يرغب فى الاستقلال

ولكن دار يوش عاجله قبل تحقيق أمله وقتله بيد واحد من أتباعه. وبعد ذلك توجـه دار يوش إلى مصر عام ٥١٧ ق.م حين بدأت الثـورات والاضـطرابات يـزداد أوارها نتيجة لسلوك واليها؛ ولذا قتل ذلك الوالى بعد وصوله إلى مصر، وكان ذلك الوالى يسمى آرياندش[٢٦].

واستمال قلوب رجال الدين وكانوا ذوى النفوذ الكبير فيها إلى جانبه، فأغدق عليهم الهبات ليحقق ما يريد.

وشارك المصريون فى مراسيم التعازى فى وفاة عجل أبيس متلافيا ما كان كمبوجيه يرتكبه من أعمال وسلوك دون تفكير أو روية، وأبدى حزنه ووعد بـدفع مبلغ مائه تالان[٢٧] لمن يعثر على الثور المقـدس الـذى يتـوافر فيـه شـروط المصريين، حتى ظفر فى رحلته هذه بمحبتهم وتقديرهم: فقد كـان يتوجـه إلـى معابدهم، ويظهر مزيدًا من الاحترام لآلهتهم؛ وشيد للمصريين معبـدا فـى آمـون وأعاد الكاهن الكبير سائيس وكان قد نفى إلى شوش؛ وزاد مـن إكرامـه، وأمـر بترميم ما خربه جيش كمبوجيه، ثم أصلح الطرق التجارية فى مصر بعدما أصابها من تخريب، وعادت سيرتها الأولى؛ وأوصل بحـر المغـرب (البحـر الأبـيض المتوسط) بالبحر الأحمر لتعود التجارة مباشرة بين مصر وبلاد الهند.

ونتيجة لذلك عم الشعور بالرضا عن دار يوش جميع المصريين واعتبـروه واحدًا من كبار منفذى القانون؛ ويجب القول بأن دار يوش لم يحدث أى تغيير فى أوضاع مصر الداخلية، فقد أبقى على الأراضى كما كانت فى يد نجباء المـصريين ورجال الدين منهم، ولكنه ترك حامية فى ممفيس وفى مكانين آخـرين للمحافظـة على الأمن......

وكانت مصرفى عهد داريوش تعيش فى رفاهية، إلا أن الفلاحين ثاروا فـــى أواخر حكم داريوش (٤٨٦ ق.م) نتيجة للتقدير الجزافى للخراج. استغرقت عمليات دايوش الحربية لإخضاع الممالك الثائرة عشرين سفرة، وأعدم داريـــوش وقادتـــه تسعة أشخاص ممن إدعوا أنهم ملوك.

نظـم داريـوش

لم يكن دار يوش معبدا لتأسيس الدولة الهخما نشية فحسب، بل كان واضـــعا ومؤسسا لنظم إدارية سهلت إدارة مملكة إيران الواسعة، وأمنت نشر الرفاهية بـــين أبنائها. وكانت تلك النظم الإدارية على النحو التالي:-

أولاً:

قسم دار يوش ممالك إيران إلى عدة أقسام، وعين على كل قسم منها واليـــا كان يطلق عليه بلغة آنذاك (خشثريوان) أى حارس أو حامى المملكة (كانت المدينة تعنى قديما المملكة) وكان اليونانيون يسمونه ساتراب. ويذكر اليونانيون أن أقـــسام ممالك إيران كانت ستة وعشرين قسما ولكن عدد الولايات التى ذكرها دار يـــوش فى نقش رستم بلغت بالإضافة إلى فارس ثلاثين ولاية. وعين فى كل ولاية اثنين من الموظفين من الإدارة المركزية كمساعده للوالى فـــى إدارة ولايتـــه وحتـــى لا تتركز السلطة فى يد فرد واحد تولى واحد من هذين الموظفين قيادة الجيش المحلى الذى يحرس الولاية(٢٧).

ويتولى الثانى إدارة أمور الولاية بوصفه رئيسًا للديوان، وكان الهدف مـــن تأسيس هذا المنصب أن يقف الملك على أحوال الولاية وهل تنفذ الأوامر الصادرة إليه من قبل الحكومة المركزية وعلى هذا فقد كان رئيس الـــديوان علـــى اتـــصال مباشر بالسلطة المركزية، وفى المهمات كانت الأوامـــر المركزيـــة تـــصدر إليـــه

مباشرة. وكان يدير أمور القلاع من يسمون (أرگ بت)(ارجبذ). وأوجد نظاما لحفظ الأمن العام حتى يعم جميع الولايات، وكان للسلطة المركزية مخبرون فى هذا النظام فى كل مكان بالولاية، وبالإضافة إلى ذلك كانت السلطة المركزية ترسل موظفين من قبلها لتفقد الأوضاع المالية للولايات مرة كل عام، وكان يرسل برفقة هؤلاء المفتشين - الذين كانوا يلقبون بعيون الدولة وآذانها - جنودًا لتنفيذ أوامرهم.....

ثانيًا:

لكى تصل أوامر العاصمة وأحكامها إلى الولايات بسرعة فائقة، وحتى لا يحدث ما يعوق حركة الجيوش أثناء الغزوات، مد دار يوش الطرق فى إيران والممالك الخاضعة لها. وكان أشهرها الطريق الممتدة من سارد حتى شوش، ليمتد من هناك حتى يصل إلى العاصمة وقد قدروا طوله بـ ٢٤٠٠ كم أى ما يقرب من أربعمائة فرسخ.

ومن الطرق التى كانت مشهورة آنذاك الطريق الممتدة من ممفيس عاصمة مصر آنذاك إلى مدينة كوروش الواقعة على نهر سيحون، وجهزت منازل وفنادق جيدة على طول هذه الطرق، كما أنشأوا مراكز للبريد وزودوها بقدر كاف من الخيول السريعة، وكانت الطرق تخترق الجبال فى بعض الأماكن فعينوا من الحاميات ما يكفى لحمايتها.

وكان حملة بريد الدولة يوصلون الرسائل الصادرة من العاصمة إلى أقرب مركز بريد لها فيتسلمها حملة بريد غيرهم حاضرون ويوصلونها إلى مركز البريد التالى. وهكذا كان حملة البريد فى حركة دائمة ليل نهار وكانت أوامر الدولة تصل بسرعة إلى الأماكن الموجهة إليها.

ثالثًا:

للوصول بالمقدرة العسكرية إلى الحد المطلوب، ووصولها بسرعة إلى أهدافها نظم دار يوش الجيش المؤرخون اليونانيون يطلقون عليه اسم (جاويدانش) (الخالد)؛ لأنه لم تعوزه العدة، كما كان يملأ الفراغ على الفور، وكان عدد أفراد هذا الجيش المعدة والمنتقاة والذين يتحركون فور صدور الأمر بالتحرك يصل إلى عشرة آلاف فرد. كانو يتولون حفظ الأمن، كما كانت هناك قوة أخرى من الأساورة والمشاة تبلغ أربعة آلاف جندى تتولى حراسة العاصمة والقصر الملكى.

رابعا:

لم يكن هناك نظام معين لحماية الأموال قبل تولى دار يوش الحكم، فقد كان الولاة يجبون كل ما يريدون، فنظم دار يوش هذا الأمر المهم ولم تكن مصادر الجباية معلومة، ولكن هيرودوت يذكر أن دار يوش فرض على كل ولاية من ولايات إيران العشرين مبلغا محددا يجبى كل سنة، ويقول هيرودوت إن حصيلة الأموال التى كانت ترد إلى الخزانة، كانت تعادل ١٤٥٦٠تالان (أوبي[٢٨]). ويذكر هيرودوت أن الأموال كانت تشمل نقدا وعينا[٢٩]. ويذكر بلوتارك أن دار يوش بعد أن حدد الجباية النقدية والعينية للممالك أخذ يعيد النظر ليتبين إذا كانت تثقل كاهل الناس أم لا، وبعد أن تبين أنهم يستطيعون دفع ما فرض عليهم خفض المطلوب إلى النصف، وقال إن الولاة سيجبون ضرائب إضافية من الناس للوفاء بمصاريفهم لهذا يجب تخفيف مايجبى منهم حتى لا يقع عليهم عبء متطلبات الولاة.

خامسا:

من الأعمال التى قام بها داريوش توصيل البحر الأبيض (بحر المغرب) بالبحرالأحمر وسبب ذلك أنه حين كان ببلاد الهند، لاحظ أن تجارة مصر والشام وغيرها تمر فى طريقها لبلاد الهند، عبر طريق موحش برى، لذا أمر بربط بحر

المغرب بالبحر الأحمر بواسطة إحدى شعب نهر النيل، وقد تم هــذا العمــل فــى عصر نخانو فرعون مصر عام ٦٠٩ق. م، إلا أن تلك القناة كانت قد سدت فــى عصر داريوش، فأمر بتطهيرها.

سادسا:

سك داريوش عملة ذهبية لتسهيل الأمور التجارية والمعاملات، وراجــت تلك العملة فى جميع ممالك إيران، وكانوا يسمون تلك العملة (دريك[٣٠]) ويتضح من تلك السكة أن عيارها الذهبى كان عاليا جدا، ذلك أن داريوش كــان ذا ولــع شديد بأن تكون عملتة من الذهب الخالص. وقد ضربت السكة لأول مرة فى ليدية فى منتصف القرن السابع ق. م ولكن عملة داريوش كانت أول سكة ضربت فى إيران.......

الاستيلاء على البنجاب والسند

بعد أن فرغ داريوش من تثبيت الأمن فى الممالك التابعة لإيران، ضم عــدة ولايات إليها إحداها البنجاب والأخرى السند وهما من الولايات الهندية، وقد جلــب لإيران من بلاد الهند كثيرا من الذهب، وكانت حرب داريوش فى بلاد الهنــد مــن الأحداث المهمة آنذاك، حتى صارت تلك الحرب واحدة من مبدأين اتخــذتا بدايــة لتاريخ الهند:

الأول: موعظة بوذا (مؤسس الديانة البوذية). والثانى غزو داريوش.

وحين كان داريوش فى بلاد الهند بنى الكثير من السفن وأرســل اســكيلاس **skylas** أمير البحر اليونانى إلى بحر عمان والخليج،لإجراء أبحاث حول ســواحل هذه البحار. وكان هذا من الأمور المهمة آنذاك[٣١]، وقرب ذلك الزمــان خــضعت جزيرة سامس وبعض الجزر اليونانية الأخرى لداريوش.

غزو أوربا ـ الاستيلاء على تراكية ومقدونيا:

توجه داريوش بعد ذلك إلى السكا، وكانوا أقواما مـن الـشعوب الآريانيـة غالبا، استوطنوا جنوب روسيا الحالية، وكما سبقت الإشارة إليه فإنهم قـد أغـاروا على آزربيجان وأرمينيا وآسيا الصغرى فى عهد هووخ شـتر ويبـدو أن أوربـا السبب، الذى حدا بداريوش لمهاجمتهم أنه كان يرغب فى شن حرب علـى يونـان أوربا، لذا فكر فى تأمين ظهره أثناء مهاجمته لليونان ولكن هذا التصور لا يمكـن أن يكون صحيحا، فقد تحقق له تأمين ظهره بالاستيلاء على تراكيا ومقدونيا، ولـذا يجب القول بأن تلك الغزوة كانت نتيجة للحملات والإغارات المستمرة التى كـان السكا يشنونها على إيران[٣٢]. وعلى أية حال فقد بدأ داريوش حملتة علـى مملكـة السكا فى سنة ٥١٥ق.م. فعبر مضيق البوسفور، حيث أمر داريوش يونانى آسـيا الصغرى التابعين لإيران بإنشاء جسر من السفن خول إليهم أمر حمايته، وبعد ذلك عبر الجيش الإيرانى تراكيا حتى بلغ مصب نهر الدانوب.

وهناك أمر رؤساء المستعمرات اليونانية (الجبابرة) ببناء جسر من الـسيف عبر عليه الجيش الإيرانى حتى بلغ مملكة السكا أو منطقة ستب الحاليـة **(steppe)** أضرم السكا النار فى المؤن وخزائن الغلال وطموا الآبار غاضبين ثم تقهقروا إلى داخل مملكتهم، فهددت مشكلات تلك المملكة وما أصابها من قحط الجيش الايرانى. ولكن قيادة الجيش الايرانى كانت قد أعدت المؤن الكافية للجيش فتمكن دار يـوش خلال شهرين من التقدم من نهر الدانوب حتى تانائيس (الدن اليوم) وقلب مملكـة السكا(روسيا الحالية) ويقول هيرودوت: أرسل داريوش رسولا إلى ملكهم لإبلاغـه بهذه الرسالة:

"لماذا تفر من أمامى حارب إن استطعت وإلاّ أطعنى ". فأجاب حاكم الـسكا إجابة ماكرة محيرة فقد أرسل إليه: طائرا، وفأرا، وضفدعة، وخمسة رماح. فَـسَّر أحد ندماء داريوش ويدعى گبرياس هذه الرسالة بقوله: إن حاكم السكايوديون أراد

أن يقول:إذا كنتم لاتستطيعون أن تحلقوا فى السماء تحليق الطيور، أو الاختباء فى الأرض كالفيران أو النزول فى الماء كالضفدع فلا خلاص لكم من سهامنا هذه. ومع قبول هذا التفسير فلم يتضح لماذا أرسل حاكم السكا خمسة من السهام. ويتضح الجانب الأسطورى مما ذكره هيرودوت، فقد دخل السكا - مع الجبابرة أو الحكام اليونانيين المكلفين بحراسة جسر الدانوب - فى محادثات لتخريب تلك الجسور حتى لايتمكن داريوش من العودة، ولكن الجبابرة الذين نالوا ماهم فيه من مكانة بحماية إيران لهم، امتنعوا عن تنفيذ ذلك، ورجع داريوش إلى سارد من الطريق الذى سلكه فى ذهابه إلى أوروبا إلا أنه ترك ثمانين ألف جندى تحت قيادة بغابيش (مگابيز عند اليونان) فى أوروبا للاستيلاء على المدن اليونانية فى تركيا ومملكة مقدونيا، وقد أتم هذا القائد ما وكل إليه من مهمة، وتقدم حتى بلغ سواحل بحر الأدرياتيك وهكذا خضع ملك مقدونيا آمين تاس لإيران.

الحرب مع اليونان

يتضح من القرائن أن داريوش لم يكن يقصد الهجوم على أثينا او إسبارته بل إن الغالبية من رجال البلاط الإيرانيين كانوا يرون عدم جدوى الحرب مع اليونانيين، ولكن اليونانيين الأوربيين هم الذين أجبروا داريوش على إرسال جيش إلى اليونان، وتفصيل ذلك على النحو التالى: كان ثلث الأراضى التى يسكنها اليونانيون - أى المستعمرات اليونانية فى آسيا الصغرى وتراكيا ومقدونيا _تابعة لإيران آنذاك، وكان الثلثان الآخران يتكونان من عدة دويلات كان بعضها لا يتعدى حكم مدينة من المدن وبعضها الآخر أكبر من ذلك، وكانت أثينا وإسيارته أشهر تلك الدول وكانت الأولى تحكمها حكومة وطنية.

بينما كانت تحكم الثانية حكومة أو لجارشية، أى أقلية. وكان كلاهما يخشى إيران جارتهم القوية ويتوجس منها خيفة، إلا أنه على الرغم من هذا فقد كانا يلجآن

إليها إذا ما حزبهما أمر، وخلاصة القول فإنه منذ ذلك التاريخ ومن نهاية الحكم الهخمانشى كان اليونانيون يفرون من بلادهم لاجئين إلى ولاة آسيا الصغرى، ولجوء العديد من اليونان إلى بلاط إيران معروف، وكان هؤلاء يحضون إيران دائما على الاستيلاء على اليونان أو التدخل فى شئونها، ولم تتدخل إيران فى أمور المستعمرات اليونانية، بل تركت أمور إدارتها لجبابرة اليونان، فإذا ما فقدت إيران الثقة فى أحد هؤلاء الجبابرة، عينت جبارا يونانيا آخر.

وفى سنة ٥١٠ ق، م ثار أهالى أثينا على هيب بياس**HIPPIAS** وكان من عائلة بى زيسترات وجبار أثنيا فعزله أهلها وأنشأوا حكومة وطنية بها، فلجأ إلى أرتافرن والى ليديا؛ ثم إن الأثينيين، لمعارضة أشراف إسبرطة لحكومتهم الوطنية مما أدى إلى حرب بينهما انتهت بوقوع أثنيا تحت ضغط دولة إسبارته، رأوا أن مصلحتهم فى التقرب لايران فأرسلوا سفيرا إلى والى ليديا؛ طالبين المساعدة من ايران، فرد الوالى نساعدكم بشرط خضوعكم لإيران ودفع الجزية لها، إلا أن الأثينيين رجعوا عما وافق عليه السفير (٥٠٨ ق. م) وبعد عامين عاود الأثينيون إرسال السفير إلى الوالى المذكور؛ طالبين تخليه عن حماية هيب بياس فأجابهم بضرورة قبول أثينا له، فرفضت أثينا هذا المطلب وفى هذا الحيص بيص بدأت الثورات والاضطرابات فى المدن اليونانية بآسيا الصغرى، وكان محركها آريستاگر**Aristajor** جبار مدينة ميلت، وكان يحكمها من قبل إيران، وكان السبب فى ذلك أن حماة هيس تيه **Histiaeus** حاكم ميلت السابق كان قد قدم خدمات كثيرة لداريوش أثناء غزوه لمملكة السكا، ولذا كافأه داريوش على ذلك بمنحه مقاليد الحكم فى مدينة ميرسين إحدى مدن تراكية.

تم استدعاؤه لإيران بعد أن تأكد مما يقوم به من بناء للاستحكامات هناك، حيث عومل بغير احترام، فحرض هذا الشخص صهره آريستاگر على الثورة، وحتى لايفتضح أمره حلق رأس احد الغلمان وكتب مايريده على فروة رأسه، وبعد

أن نبت شعر الغلام أرسله إلى ميلت آمرا إياه بإبلاغ صهره بحلق رأسه وقراءة ما سطر على جلد رأسه، وبعد ذلك بدأت الثورة، واضطر الجيش الإيرانى نظرا لقلة عدده إلى التقهقر أمام الثورة ولجأ إلى مدينة سارد؛ وحين علم آريستاگر أن جيش إيران سيصل من جهات متعددة، ذهب إلى اليونان طالبا العون، ولم تكن إسبارته مستعدة للعون بينما أمده الأثينيون بعشرين سفينة، وبعد ذلك امتدت الثورة إلى سائر المدن اليونانية فى آسيا الصغرى وجزيرة قبرص وغيرهما، واستولى اليونانيون على سارد، وأحرقوا المدينة ذاتها وغابتها المقدسة ولكنهم لم يوفقوا فى الاستيلاء على قلعتها لما كانت عليه من استحكامات قوية، وبعد ذلك توافد وصول الجيش الإيرانى إلى مكان الثورة من كل ناحية وأحكمت السفن الفينيقية القادمة من البحر الدائرة على المتمردين لتنشب الحرب فى نهاية الأمر قرب ميلت، ويضمحل اليونانيون أو يتوارون، ويعود الأثينيون إلى مملكتهم.

واستولى الإيرانيون على مدينة ميلت؛ حيث أنزلوا صارم العقاب بالمتمردين (٤٩٦ق.م). واضح أن دار يوش قد تأثر كثيرا بتدخل يونانى أوروبا فى أمور إيران الداخلية، ولذا سرعان ما قامت الحرب الأولى بين إيران واليونان وقبل وقوع الحرب أمر دار يوش – إرضاء ليونانيى آسيا الصغرى – بمسح الأراضى وتعديل الضرائب عليها وأرسل صهره (مردو نيه) لإخماد الثورة فى آسيا الصغرى وترا كيه وغيرها وخوله حق الإصلاح.

وكان هذا الرجل ينعم بالنجابة الفطرية وذا عقل وتدبير، فكان أول عمل أتمه تكوين حكومة وطنية فى سائر المستعمرات اليونانية بآسيا الصغرى حتى يسود الرضا بينهم عن إيران[٣٣]، وبعد ذلك سن حملة على أوروبا وتقدم حتى بلغ جبل آتس فى تراكيا، وأعاد مقدونيا إلى حظيرة إيران مرة أخرى ٤٩٢ ق. م، ولكن تحطمت وغرقت ثلاثمائة سفينة نتيجة لهياج البحر الذى حدث آنذاك.

وكان الخوف من الإيرانيين شديدا فى قلوب اليونانيين، إلا أنهم لم يتخذوا أية استعدادات لمواجهة ذلك، وكانت تلك الناحية المعنوية لليونانيين معروفة فى البلاط الإيرانى، فقد قام كثير من أشراف اليونانيين الفارين من الأحداث فى اليونان بالاحتماء بهذا البلاط وكانو يخبرون دار يوش بأحوال اليونان.

وكان جميع من بالبلاط الإيرانى يعتقدون أن دار يوش يستطيع إخضاع هذه المملكة دون حرب، وبناء على ذلك أرسل دار يوش رسلا إلى اليونان طالبين ضرورة تقديم الماء والتراب أى الطاعة والخضوع، فقبلت أكثرية المدن اليونانية ذلك، ولكن الرسل الموفدين إلى أثينا وإسپارته قتلوا على خلاف العرف السائد بين الدول آنذاك، لتبدأ الحرب من جديد (٤٩٠ ق. م).

ويقول هيردوت إن الجيش الإيرانى آنذاك كان تحت إمرة أحد القادة الميديين إسمه ديتيس **Datis** فرأى أن الصواب يكمن فى مهاجمة أثينا مباشرة عن طريق البحر وجزر سيگلاد فاستولى الجيش الإيرانى فى بداية الأمر على مدينة إرت رى **Eretiee** ورحل سكانها إلى آسيا، وبعد ذلك وصلت ستمائة سفينة ايرانية إلى شبه جزيرة آتيك **Attique** التى تقع فيها اثينا وألقت مراسيها، وفى بداية الأمر لم يرغب الأثينيون فى القتال، لأنهم كانوا ينتظرون الإمدادات من إسبارته، ولم تكن قد وصلت بعد. إلا أن ميلتياد أحد أبناء النجباء قام بتحريض الأهالى على القتال، وخرج الجيش الأثينى تحت قيادته لحرب الإيرانيين، وفى الطريق انضم إليه عدد من أهالى پلاته (إحدى المدن اليونانية).

واحتل جيش أثينا مدينة مارائن **Marathon** الواقعة فى الطرف الشمالى الشرقى من شبه جزيرة آتيك، وبعد ذلك بأيام بدأ ميلتياد القتال، ونظرا لأن اليونانيين كانوا يدركون أن الإيرانيين ذوو مهارة فائقة فى رمى السهام، وأنهم إذا حاربوا من بعيد لا تكون لهم القدرة على تصويبها، ودون ما وجل التقى جيشه بالجيش الإيرانى، والتحم الجيشان رجلا لرجل، وكانت أسلحة الجيش الأثينى ثقيلة

أى أن أسلحتهم كانت دفاعية فى حين كان الجيش الإيرانى مفتقدا لهذا النوع من الأسلحة كما كانت دروعهم لا تصل إلى ما كانت عليه الدروع اليونانية من المتانة والاستحكام، وعلى الرغم من هذا تمكن الإيرانيون من اقتحام قلب الجيش اليونانى ولكن جناحى هذا الجيش تغلبا مما اضطر الجيش الإيرانى إلى التقهقر بعد مقتل أربعة آلاف رجل وانسحب فى سفنه.

وكانت الجيوش الإيرانية ترغب فى بداية الأمر فى مهاجمة أثينا من طريق أكثر قربا منها إلا أن ميلتياد عرف خطتهم فسارع إلى الطريق المقترح محكما الدفاع عن أثينا، وبعد ذلك حين رأى القائد الإيرانى أن الأمر قد أصبح على هذا النحو، لم يخض حربا أخرى ورجع إلى آسيا. وفيما يتعلق بتلك الحرب يجب أن نقول إن أحداثها متناقضة: أولا كتب المؤرخون اليونانيون أن عدد جنود ايران كانوا مائة ألف بل ثلاثمائة ألف.. والحال أن الثابت أن الستمائة سفينة فى العهد القديم لا يمكن أن تحمل أكثر من ثلاثين ألفا من الجنود بكامل أسلحتهم ومعداتهم، ثانيا لو حدث أن الجيش الإيرانى اقتحم قلب الجيش اليونانى فما هى الترتيبات التى اتخذها الجيش اليونانى ليتمكن من الإطباق بجناحيه. وبناء على هذا والروايات الكثيرة التى لا يمكن ذكرها فى هذه العجالة فإن بعض المحققين مثل (نى پور) يعتقدون أن كتابات اليونانيين عن هذه الحرب والحروب الأخرى التى جرت بين إيران واليونان أشبه بالشعر والأسطورة والقصص الملحمى منه بالكتابة التاريخية، يقول (نى پور)[٣٤]. إن الأثينيين كانوا على درجة كبيرة من التقدم بشكل لم يكن مرتقبا ولا أدرى كيف كان ذلك.. وتوفى دار يوش بعد أربعة أعوام من هذه الحرب أثناء استعداداته لحرب جديدة وكان ذلك عام ٤٨٦ ق. م، ويعتقد بعض المؤرخين أنه لو طال به العمر لتمكن من جبر هذا الكسر الذى أصيب به، ولساء أمر اليونانيين كثيرا.

خصـال داريـوش

كان داريوش ملكا عادلا وذا إرادة قوية وعزم. وكان سلوكه مع المغلـوبين يتسم بالاعتدال إلا نادرا، كما كانت لديه بصيرة نفاذة فى اختيار الرجل المناسـب للعمل المناسب ولم يخطئ فى هذا المجال. ولو لم يتولى هذا الملك العـرش بعـد كمبوجيه لانتهى العصر الهخمانشى سريعا مثله مثل العصر الميدى، ولكن داريوش أسس الإمبراطورية الهخمانشية من جديد، وأحدث فيها تنظيمات وتشكيلات لم يكن هناك عمل أفضل منها فى ذلك الوقت حتى اقتفى أثرهـا الإسـكندر والـسلوكيون والساسانيون وغيرهم. وفى عهد داريوش بلغت إيران أقصى ما وصلت إليه مـن اتساع وبعده بدأت الدولة الهخمانشية فى التدهور وتولى أمورها عدد من الملـوك الضعاف، وعلى الرغم من عداء دار يوش لليونـان، فـإن كتابـات المـؤرخين اليونانيين وبخاصة كتابة أشيل الأديب والشاعر المشهور تبدى المزيد من الاحترام لداريوش، ويعتبره بعض الباحثين أهم ملوك إيران القديمة وذكروا أنه يمكن مقارنة أنوشيروان وحده به[٣٥] ....

الرابع: خشيا رشا(٣٦)

كان الجميع يعتقدون فى بداية الأمر أن (أرته برن)(٣٧) ابن دار يوش من زوجته الأولى سيكون وليا للعهد بعد والده ولكن دار يوش اختار لولاية العهد قبل وفاته ابنه من (آتس سا(٣٨)) ابنة كوروش الكبير. وأيده الجميع فى ذلك واسمه خشيا رشا (باليونانية گزرك سس).

تولى خشيا رشا مقاليد الملك وهو فى الرابعة والثلاثين من عمره، وجه اهتمامه فى بداية حكمه لإخماد الفتن التى حدثت بمصر، وولى عليها رجلا اسمه (خش) وتمكن من القضاء على تلك الفتنة ٤٨٤ق.م، وبعد ذلك أخمد ثورة بابل، وتوضيح ذلك أنه استولى على هذه المدينة بعد حصارها عدة أشهر وفى تلك المرة - كما يقول هيرودوت - سلك سلوكا مغايرا للمألوف؛ فقد أغار على المدينة. وجعل خزانة الآلهة البابليين (بل مردوك) من نصيب الفاتحين.

وبعد أن فرغ خشيا رشا من هذين الأمرين، بدأ فى الاستعداد لحرب اليونان " كتب المؤرخون أن هذا الملك لم يكن يرغب فى بداية الأمر الدخول فى حرب مع اليونان، ولم يكن يعطى أهمية لهزيمة الإيرانيين فى ماراتن، إلا أن (مرد ونيه) كان يحرض خشيا رشا على حرب اليونان حفاظا على أبهة إيران وشوكتها، ومعلوم أن اليونانيين الهاربين والمطرودين من اليونان الذين لجأوا إلى البلاط الإيرانى، وكثر عددهم به كانوا يشاركون مردونيه هذا الخيال ويذكر هيرودوت أن الاستعدادات لتلك الحرب استمرت ثلاث سنوات، وتم اختيار كابادوكيه الواقعة فى آسيا الصغرى مكانا لتجمع كل الجيوش.

وكما كتب المؤرخون اليونانيون فقد اشترك فى هذه الحرب ست وأربعون صنفًا من الشعوب والأجناس المختلفة، فقد كان الجيش مكونا من الفرس والميديين

وأهالى گرگان، والبارتيين والسكا، وانضم إلى هذا الجيش أفراد من الأوربيين والعرب والهنود والميديين والأحباش وسائر الممالك التى كانت خاضعة لإيران.

ويختلف المؤرخون القدامى فى عدد جنود خشيا رشا فمنهم من ذكر بأن عدده خمسة ملايين، وهذا العدد مبالغ فيه كثيرا، ومن المحتمل أن يكون عدد جيش خشيا رشا المكون من القوات البرية والبحرية قد بلغ ٣٥٠ ألف جندى، لأنه لم يكن بالإمكان – طبقا لما كان متاحا فى استعدادات ومواصلات آنذاك – تدبير مؤن لأكثر من هذا العدد.

وكان له فى البحر ١٢٠٠ سفينة حربية و٣٠٠٠ سفينة نقل وحمل لمعاونة الجيش، وقد أحضرت تلك السفن من قبل المصريين والفينيقيين وأهالى جزيرة قبرص والمستعمرات اليونانية فى آسيا الصغرى تلبية لأمر خشيا رشا، وعبر الجيش الإيرانى بوغاز الدردنيل – وكان يسمى آنذاك هليس پونت **Hellesponte** فوق جسر من السفن المتراصة بأمر خشيا رشا، ووصل إلى أوروبا خلال سبعة أيام بلياليهم. فقسم المشاة النظاميين عدة فرق وقسم الخيالة النظاميين ثلاثة أقسام، وكان قادة الجيوش كلهم من الفرس، وتحرك الملك ومعه كل العائلة الهخمانشيه مع الجيش.

وتقسيم الجيوش إلى فرق أصغر عليها قادتها التابعون للقيادة العليا، وتحرك مثل هذا الجيش العرمرم مرة واحدة من آسيا الصغرى حتى بلاد اليونان، يدل على أن تقسيمه إلى فرق؛ وحركته ووصول المؤن إليه وإقامة كبارى المرور وتعمير طرقه ونظامه وترتيبه كان غاية فى الدقة والإحكام، وإلا ما كانوا يستطيعون قطع هذا الطريق الطويل.

وفضلا عن الجسور العديدة التى أقاموها فى أماكن مختلفة، فقد حفروا قناة فى الطرف الشمالى من جبل آتس **Athos** حتى لا تتعرض السفن الإيرانية لما تعرضت له من طوفان وفيضان أثناء الحرب الإيرانية اليونانية الأولى (عثر فى تلك القناة عام ١٨٣٩ على ثلاثمائة قطعة ذهبية ضربت أيام دارا الأول وتسمى دريك).

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، لم يلاحظ اتحاد واتفاق بين اليونانيين فى بادئ الأمر: فقد كانت المدن اليونانية ترى كل منها نظرة خاصة لا تشاركها فيهـا غيرها من المدن، وإن كانوا جميعًا يعتقدون أن الحرب مع الإيرانيين لا نتيجة ولا فائدة منها، ولم يكن الأمر فى أثنيا بأفضل من ذلك، فقد كانت مترددة فـى ذلـك، محجمة عنه، ولكن ظهربين الأثينيين شخص يـدعى تيمـو سـتكل **Themistocle** تمكن من إشعال حمية الأهالى، وإيقاظ الرغبة فى القتال وتهيئة الأسباب اللازمـة لذلك، حتى تمكن فى النهاية من شحذ هممهم للقتال، عندئذ أرسلوا السـفراء إلـى المدن اليونانية الأخرى، بطلب عقد وتكوين اتحاد فيما بينها، فدخلت اسبرطة فـى البداية فى هذا الاتحاد وتعاقب انضمام المدن الأخرى إليه حتى بلـغ عـدد المـدن المتحدة إحدى وثلاثين مدينة. وتمكن الجيش اليونانى المكون من سبعة آلاف جندى من الاستيلاء على مضيق ترموبيل **Themistocle** ويقع هذا المضيق بـين جبـل وبحر وكان ضيقا يكاد يسمح بعبور عربة واحدة وكان ليونيداس **Leonidas** يقود الجيش اليونانى، ويتولى قيادة القوة البحرية (مكونة من ٢٧١ سفينة) أمير البحـر أورى بياد **Euribyades** وكان كلاهما حاكما لاسبرطة. تقدم الجيش الإيرانى عبر طريق قفر، واستسلمت له كل الطوائف والشعوب الواقعة عبر هذا الطريق حتـى بلغ مضيق ترموبيل. وبدأ الهجوم والزحف الإيرانى فى اليوم السـادس؛ وأظهـر الخيالة الميديون ورماة السهام من الكيسيين مهارة فائقة، ولكن الجنود الإسـبارتيين المعروفين بـ هوپليت **Hoplites** أى حاملى الأسلحة الثقيلة، لـم يمكنـوا الجـيش الإيرانى من عبور هذا المضيق، وصدوا حملاتهم وأوقفوهـا وحـين أدرك قـادة الجيش الإيرانى صعوبة العبور وأن هذا سيؤدى إلى خسائر جسيمة بين صـفوف الجيش الإيرانى، تحرك الجيش بقيادة هيدارن مستر شدًا

بهداية أحد اليونانيين، سالكا طريقا وعرة. تطـوق ظهـر اليونـانيين فـى ترموبيل (وحين علم الجيش اليونانى بتلك الخطة، انفصمت عرى وحدته وتشتت،

إلا أن لئونيداس ومعه ثلاثمائة جندى من الإسبارتيين، وسبعمائة جندى يونانى من سائر المدن اليونانية الأخرى ظلوا مقيمين فى ترموبيل لتأمين انسحاب الجيش المذكور، أى للسماح لهم بالخروج فى أمان من ميدان القتال، وبعد ذلك كان الجيش الإيرانى يتحرك فى المنطقة الجبلية عبر طرق وعرة ومجهولة حتى بلغ مؤخرة الجيش اليونانى المتبقى فى ترموبيل بقيادة ليونيداس وقبضوا عليهم جميعا وقتلوهم وقائدهم(٤٨٠م). وتعد هذه الحرب من أشهر المعارك فى تاريخ الحروب والتى تم فيها انسحاب الجيوش، كما ترك ليونيداس اسما كبيرًا فى التاريخ. ودارت فى تلك الأثناء حرب بحرية أخرى بين البحرية الإيرانية والبحرية اليونانية قرب جزيرة أوبه **Eubee**، وأصيب الطرفان إصابات بالغة، إلا أن البحرية الإيرانية حافظت على تفوقها البحرى، ونظرا لما أصيبت به البحرية اليونانية من خسائر فادحة، فإنها فرت من ميدان القتال حين علمت بعبور الجيش الإيرانى من مضيق ترموبيل، وأدرك الجيش الإيرانى فرار السفن اليونانية بعد يوم من فرارها، وأنهم إذا تعقبوا البحرية اليونانية، فإنهم يستطيعون القضاء عليها؛ وسميت هذه المعركة البحرية باسم المكان الذى حدثت فيه أى حرب آرتى ميز يوم **Artemisium** (٤٨٠ق.م) وأصبح الطريق ممهدا ومفتوحا أمام الجيش الايرانى لأثينا وتمام المدن اليونانية، ونتيجة لهذا رحل الأثينيون النساء والأطفال من أثينا وتمام المدن اليونانية، إلى جزيرة سالامين، حيث اجتمعت السفن اليونانية البالغ عددها ثمانى وستين وثلاثمائة سفينة.

تحرك الجيش الايرانى متجها صوب أثينا، واستولى عليها وانتقاما مما فعله اليونانيون فى سارد فقد أحرق معبد القلعة، وأبلغ خشيا رشا عمه أردوان الذى كان يحكم نائبا عنه – بفتح أثينا، وعندئذ أصبحت للإيرانيين اليد العليا بريا وبحريا؛ وأصاب اليأس اليونانيين وأرادوا التفرق وترك ميدان القتال، إلا إن تميستوكل احتال حيلة ودبر أمرا حتى تحدث المعركة البحرية على الفور ولا

يتفرق اليونانيون، ويجبر السفن الإيرانية على القتال فى مضيق ضيق (سالامين).. وتحقيقا لما هدف إليه أرسل أحد غلمانه إلى البحرية الإيرانية خفية مبلغا إياها بهذه الرسالة: "إن البحرية اليونانية تنوى الفرار ولأنى أأيدكم فى الباطن رأيت من الخير أن أطلعكم على ذلك" وعندئذ سارعت البحرية الإيرانية ببدأ القتال ولكن لم تـــتمكن سفنها جميعا من الاشتراك فى القتال لضيق المكان كما لم تستطع الـــسفن الكبيـــرة والسريعة من الاشتراك فى العمليات كذلك، لأنها كانت تصطدم بعضها بـــالأخرى، ونتيجة لذلك أصيبت البحرية الإيرانية بأضرار بالغة، فاضطرت لإيقاف القتال فى اليوم التالى (٤٨٠ق.م) وبعد تلك المعركة – وقد أصبح ميسورا للقـــوات البحريـــة اليونانية أن تتقدم، ولصعوبة نقل المؤن وحملها لمثل ذلك الجيش الكبير، فقد قـــرر خشيا رشا الرجوع بقوات كبيرة إلى إيران، وترك مردونيه على رأس مائتى ألـــف من أفضل الجنود فى اليونان لإنهاء الحرب بها...

ويذكر المؤرخون اليونانيون أن خشيا رشا قد أصابه خجل وضيق، لما تكبده جيشه من خسائر جسيمة أثناء عودته إلى إيران، ولكن المؤرخين الذين دققوا فـــى الأحداث وأمعنوا النظر فيها لا يقرون بهذا القول، لأن الاستيلاء على أثينا وحـــرق معبدها قد حقق لخشيا رشا ما كان يهدف إليه من إنزال العقاب باليونانيين، يضاف إلى ذلك أن جسر الدردنيل كان سالما لم يصب بأذى مما مكن الجيش الإيرانى من العودة إلى آسيا الصغرى سالما دون ضرر.. حرك مردونيه الجيش الإيرانى عبر الصحارى الواقعة فى تسالى (**Thessalie** فى وسط اليونان حاليًا)؛ حيث أمـــضى فصل الشتاء هناك، وأعاد تنظيم الجيش واستكمال تشكيلاته، وعمد هذا القائد إلـــى وضع حد لهذا الوضع إما بالحرب أو السلام ودخل فى مفاوضات مـــع اليونـــانيين لعب فيها الحاكم المقدونى الإسكندر – التابع لإيران – دور الوسيط بينهما، وطلب منهم إعلان الخضوع والطاعة للملك الإيرانى، على أن يترك لهم الملك فى مقابـــل ذلك حرية التصرف فى أمورهم الداخلية، وأن يعيد تعمير أثينا ومعابدها، فأوكـــل

الإسبارتيون للأثينيين النظر فى هذه المقترحات إما بقبولهـا أو رفـضها، فـأعلن الأثينيون رفضهم لها، لتبدأ الحرب من جديد ويحتل الجيش الإيرانى أثينا من جديد، ويخربها.. و تنشب الحرب من جديد بين الفريقين فى بلاته القريبة من تب Thebe إحدى الدول اليونانية وكان للجيش اليونانى فى تلك المعركة مائة وعشرة آلاف من الجنود يقودهم بوزانيوس حاكم إسبارته، وتفوق الإيرانيون لبـسالتهم فـى بدايـة القتال، إلا أن الدائرة دارت عليهم، لأسباب أهمها أن الجيش الإيرانـى لـم يكـن مزودًا بأسلحة الدفاع من خوذات ودروع، وكانت جناتهم من الخيزران، يـضاف إلى ذلك أن مردونيه القائد قد أصابه سهم فسقط من على حصانه، وبقـى الجـيش الإيرانى دون قائد، لذا أصبحت الغلبة من نـصيب الجـيش اليونـانى، وانـسحب أربعون ألف جندى من الجيش الإيرانى وقتل أو تفرق من بقى منه ٤٧٩ق.م.

وفى تلك الأثناء كانت قرطا جنة تحارب يونانيى جزيرة سيسيل وذاقت الهزيمة من حاكمها – أى جبار سيسيل – وبعد حرب سـالامين، هـاجم اليونـانيون الـسفن الإيرانية الموجودة فى رأس ميكال بجزيرة سامس، وقضوا عليها فى سـنة ٤٧٩.ق.م، واستولى اليونانيون على قلعة سس تس الواقعة على الساحل الأوربى لبوغاز الـدردنيل فى سنة ٤٧٨ق.م، ومنذ ذلك التاريخ ظل التفوق البحرى لليونانيين.

أسباب هزيمة إيران فى تلك الحرب

يجب أن نشير أولا إلى نقطة مهمة وهى أن الحروب الإيرانية اليونانية لـم يكن لها ما يبررها أساسا، ذلك أن إيران وما تمتلكه من عمران وما انضم إليها من أغنى ممالك ذلك العصر مثل آسيا الصغرى وبابل وفينيقية ومصر، فضلا عما كان يجرى فى اليونان من أحداث داخلية، كل هذا كان سيجبرها عاجلا أم آجـلا إلـى الدخول فى فلك إيران والانصياع لها، كما حدث بعد ذلك رغم ما أحرزته اليونـان

من تفوق وانتصار. أما ما يمكن توجيهه من نقد للجيش الإيراني كما ذكر المؤرخون فينحصر فيما يلي:

أولاً: كانت العدة العظيمة لهذا الجيش من أكبر أسباب ضعفه لأن مثل هذا الجيش الكثيف العدد. كان كافيا للمحافظة على تفوق إيران البحرى فقط، ورغم ذلك فلم ينتصر الجيش الإيرانى فى حرب سالمين.. وعلى الرغم من التفوق البرى للجيش الإيرانى فقد تعجل خشيا رشا فى التوجه إلى مضيق الدردنيل فقد أصبح إمداد الجيش بالمئونة أمرًا فى منتهى الخطورة.

ثانيًا: على الرغم من أهمية التفوق البحرى للإيرانيين وأهميته فى إحراز النصر فى تلك الحرب، فإن اختيار سالامين لتلك الحرب كان خطأ كبيرا ومن المؤكد أن تلك الحرب لو حدثت فى بحر مفتوح، لاضمحلت البحرية اليونانية، وبعد ذلك لا تسفر مقاومة اليونانيين عن نتيجة تذكر، لأن انتصار الإيرانيين فى ترموبيل والاستيلاء على أثينا قد فتح الطريق أمام جيش إيران للاستيلاء على اليونان كلها، يضاف إلى هذا أنه على الرغم من استيلاء الإسبارتيين على مضيق كرنتيا، فإن المضيق المذكور لم يكن ضيقا مثل مضيق ترموبيل، وكان بإمكان الجيش الايرانى لكثرة عدده – تطويق الجيش الاسبارطى من الخلف وكان بالإمكان كذلك دون عبور المضيق المذكور أن يستولى الإيرانيون ببحر يتهم على مدن البلوبونيز واحدة بعد أخرى، ولتمكن من إخضاع إسبارته، يضاف إلى ما سبق فقد حدثت بعض الأمور ساهمت فى عدم سيطرة الإيرانيين وتفوقهم منها:

١- سوء الأسلحة الدفاعية للإيرانيين وبدائيتها مع مواجهة الأسلحة الثقيلة لليونانيين، لأن الأسلحة الدفاعية لبقية الجيش الإيرانى – فيما عدا فرقة الخالدين – لم تكن دقيقة محكمة.

٢- كانت الأساورة الخالدون الإيرانية مدربة على السهول الإيرانية الواسعة. لذا لم يتمكن من مساعدة المشاة عبر الممالك الوعرة والمعابر اليونانية الضيقة - مساعدة فعالة. وقد أثبتت كل الحروب الإيرانية اليونانية أهمية الناحية المعنوية والروح القتالية للمحاربين، ونوعية أسلحتهم، كما أثبتت تلك الحروب أن زيادة عدد أفراد الجيش رغم أهميتها في إحراز الانتصارات، فإن التربية الأخلاقية لليونانيين كانت أمضى وأكثر تأثيرًا وأهمية فى إحراز النصر، فقد كان اليونانيون يربون على الشعور بحب الوطن والذود عن استقلاله وشرفه وكرامته، مما لم يكن له نظيرفى ذلك الزمان. لم تحدث أية حادثة مهمة فى عصر دار يوش بعد انتهاء الحروب اليونانية، وأخذ يمضى أوقاته بعد ذلك فى اللهو واللعب. وفى عام ٤٦٥ق.م اتفق ناظر قصر خشيا رشا واسمه مهرداد مع رئيس حرسه الخاص اردوان على قتله فقتلاه ومعه ابنة دار يوش (دارا). وتولى أردوان - من قبل ويشتاسب بن خشيا رشا - السلطة بالنيابة طوال سبعة أشهر حتى تمكن أردشير الأول بن خشيا رشا من قتله وجلس على العرش فى سنة ٤٦٥ق.م.

خصال خشيا رشا: لقد نسى اسم هذا الملك كليه من (القصص الإيرانى) فإذا استقرأنا خصاله مما كتبه المؤرخون اليونانيون نجد أنه كان ملكا وسيما يتمتع ببعد النظر، إلا أنه كان ضعيف النفس ينساق وراء الشهوات وبه لوثة؛ وكانت عودته السريعة بعد حرب سالامين إلى آسيا الصغرى واحدة من أسباب هزيمة الإيرانيين، ولم يستطع جبر كسره بعد ذلك، وقد بدأ عصر الملوك الضعاف الهخمانشيين وتدخل النساء ورجال القصور فى أمور الحكم والبلاط منذ عصره[٣٩].

الخامس – أردشير الأول (أرت خشتر)

كما علمنا مما سبق فقد تولى الحكم بعد خشيا رشا ابنه أردشير درازدست. ويسميه اليونانيون (أرتا كزر سس دراز دست (طويل اليد). وفى بداية حكمه تحالف ويشتاسب بن خشيا رشا مع أهالى باختر (بلخ) وادعى أحقيته بالملك وأعلن نفسه ملكا، إلا أنه هزم بعد حربين وانتهى أمره تماما ٤٦٢ق.م.

وبعد ذلك ثار أحد الأشخاص الليبيين فى مصر ويدعى إيناروس وحاصر الجيش الإيرانى فى ممفيس، وقبض على هخمانش أخى خشيا رشا والى مصر وقتله. وتدخل اليونانيون بجانب إيناروس وقدموا له ما يحتاجه من المشاة والبحرية، عندئذ أمر أردشير شخصا يسمى بغابيش [٤٠]، لمحاربته، وانتهت المعركة بانتصار أردشير (٤٥٤-٤٦٠ق.م) وفى بداية المعركة انتظر المصريون واليونانيون ولكن الإيرانيين تمكنوا بعد ذلك من تجفيف إحدى شعب النيل، وحطموا السفن اليونانية بأيدى اليونانيين أنفسهم وانتصر الإيرانيون... ورأى الأثينيون أن الأفضل لهم – نتيجة لأوضاعهم الداخلية – أن يبرموا صلحا مع الإيرانيين فأرسلوا كال لياس إلى البلاط الإيرانى مستفيدين من تفوقهم فى قبرص، وتم الاتفاق على أن يظل اليونانيون، الذين كانوا جزءًا من اتحاد دلس (وكانت أثينا قد شكلت هذا الاتحاد) أحرارًا فى إدارة شئونهم الداخلية على أن يسمح للسفن التجارية الإيرانية بالدخول للموانئ اليونانية. وصرف اليونانيون النظر عن أمر قبرص فى ذلك الوقت، وكانت هذه المعاهدة أمرا مشينا لإيران، لأن تقدم الإيرانيين وتفوقهم فى مصر قد أوضح أن قوتهم تتزايد عما كان عليه جيش اليونان خارج اليونان. ولو كان أردشير شخصا قوى الإرادة لتمكن من إيقاف اليونانيين فى آسيا الصغرى كذلك وإعجازهم، ويعرف هذا الصلح بصلح كيمون نسبة إلى قائد جيش أثينا فى

قبرص، وقد اعتقد غالبية المحققين أن معاهدة كال لياس لم يوقعها أردشير، وأعلن بغابيش والى الشام تمرده وعصيانه، وانتهى الأمر بعد حــربين بانتــصاره، وتــم الصلح بين الوالى والبلاط الإيرانى وصفح عنه الشاه. ثم إن أردشير أدركته الوفاة، وكانت وفاته فى سنة ٤٢٤ق.م. ولم يفعل هذا الملك شيئا فى أمور المملكة ســوى الضعف والهوان، وكما كتب المؤرخون فإن أمور المملكة كانت مركزة فــى يــد الملكة أميس تريس والدته، بينما يصفه المؤرخون الشرقيون بالعدالة والعمل علــى تحقيقها... وفى عهده وصل تميستكل القائد اليونانى فى حرب سالامين إلى إيــران بأمل تحريض إيران على التدخل فى الأمور الداخلية لليونان؛ إلا أنه لم يوفق إلــى ذلك، وولاه أردشير الحكم على عدة مدن من آسيا الصغرى، وظل تابعــا لإيــران حتى نهاية عمره مثله مثل سائر الجبابرة اليونانيين.

السادس – خشيا رشا الثاني

تولى خشيا رشا الثانى مقاليد الحكم بعد والده، إلا أنه قتل بعد خمسة وأربعين يوما فقط على يد (سغد يانس) بن أردشير وآلو گونه عشيقته(٤١).

السابع – سغد يانس

حكم سغد يانس ستة أشهر تقريبًا، ثم قتل على يد وهوك الابن الآخر لأردشير والى باختر، ويعرف وهوك فى التاريخ باسم داريوش الثانى، وقد أسماه اليونانيون دار يوش أخس و(ن تس) كذلك(٤٢).

الثامن – داريوش الثاني

تزوج دار يوش من خالته پريزاد الفاتنة الجمال، وكان لتلك الملكة اليد الطولى فى كل ما حدث بالبلاط من خداع ودسائس، وبصورة إجمالية يمكن القول بأن النساء ورجال القصر كانت لهم السيطرة الكاملة على كل أمور الدولة فى عهد هذا الملك، ونتيجة لهذا الوضع ثارت القلاقل والاضطرابات المتلاحقة فى سائر الممالك التابعة لإيران – كان من بينها ثورة أرسيت أخى الملك وتمرده؛ وقد عاونه اليونانيون المرتزقة فى ذلك، إلا أن دار يوش أغدق على اليونانيين العطاء، فتفرقوا عن أرسيت وانتصر عليه.

وفى عهد الملك استمرت حرب بلوبونيز وحمى وطيسها واشتد أوارها بين اليونانيين، وفى تلك الأثناء حاولت دولة الإسبارتيين التقرب من البلاط الإيرانى حتى تتمكن بمساعدته من إنزال الهزيمة بأثينا. ولم يكن دار يوش راضيا عن ذلك فى بداية الأمر،لأنه كان يعتقد أن الأفضل له أن تظل الدول اليونانية على عدائها وأن تحفظ التوازن بينها، إلا أن البحرية الأثينية تكبدت خسائر جسيمة ومنيت بهزيمة فادحة فى جزيرة سيسيليا، عندئذ رأى تيسافرن والى ليديا أن من صالح إيران أن تمديد التقارب مع الاسبارتيين فعقد اتحادًا معها وظلت إسبارته لا غالبة ولا مغلوبة.

واستمرت الحرب طويلا وظل الحال على هذا المنوال حتى عين كوروش ابن دار يوش واليا على آسيا الصغرى، فقدم مساعدات ضخمة إلى ليزاندر قائد جيش الاسبارتيين؛ كان من نتيجتها سحق القوات البحرية الأثينية على يد البحرية الإسبارتية فى معركة اكس پوتامس ودخل أمير البحر الإسبارتى أثينا، فهدم أسوارها ومبانيها بينما النساء الإسبارتيات يعزفن الألحان والفتيات الاثينيات يرقصن امتثالا لأمر الفاتح الغازى، وجعل المدينة خرابا يبابا.

وكان ما أحرزته إيران من تقدم وانتصارات آنذاك يرجع إلى فطنة وخبرة واليا آسيا الصغرى وهما تيسا فرن وفرنا باذ، خاصة وأن تيسا فرن والى ليديا كان قد استفاد كثيرا من النزاع الداخلى بين اليونانيين، وأضحت له اليد الطولى فى أمورهم الداخلية، وكان من نتيجة ما اتبعه من سياسة أن أضحى اليونانيون فى آسيا الصغرى أحرارًا بموجب نصوص معاهده كال لياس، وخضعت بعض الجزر اليونانية من جديد لإيران كذلك.....

ولكن يجب ألا يغيب عن أعيننا أن الجيش الإيرانى قد فسد حاله منذ ذلك التاريخ، فقد كان البلاط الإيرانى يحل ما يواجهه من مشكلات بإغداق الأموال ويستخدم الجنود اليونانيين المرتزقة ويمكن القول إن ما كان يموج به البلاط

الإيرانى من أحداث آنذاك لم يكن سوى انعكاس لما أصاب الأسرة الهخمانشية من هرج ومرج وتدهور، وارتكبت پر يزاد الكثير من الحماقات والأعمال الوحشية القاسية لما اتسمت به من قسوة قلب وغلظة طبع قل نظيرها؛ ففقدت الكثير. وتوفى دار يوش الثانى ٤٠٤ق.م.

وفى عهد هذا الملك ثارت مصر وأعلنت التمرد بقيادة شخص يدعى آميرته، ولم يستطع دار يوش إخماد تلك الثورة (٤١٥ق.م أو ٤١٠ق.م. كما يرى بعض الباحثين).

التاسع – أردشير الثاني
(أرت خشتر)

كان اسم هذا الملك أرشك، إلا أنه سمى بعد توليه العرش باسم أردشير؛ وقد أسماه اليونانيون من (أى قوى الذاكرة)، فقد كان يتمتع بذاكرة قوية. وكان كوروش بن داريوش الثانى الذى كان واليا على آسيا الصغرى ومعه پريزاد ورئيس الجيش، يرغب فى إبعاد أردشير الثانى عن الحكم وكانت خطته أن يتقرب إلى إسبارته، وكون جيشا من الإيرانيين بإشراف مدربين يونانيين، أخبر تيسا فرن داريوش بما يجول فى رأس كوروش من خيالات فاستدعاه دار يوش إلى بلاطه، إلا أن المنية عاجلت دار يوش قبل وصول كوروش إليه، وأراد كوروش قتل أردشير أثناء الاحتفال بتنصيبه وولايته العرش فى پاسارگاد، إلا أن تيسا فرن أخبر أردشير بذلك فأصدر حكما بإعدامه.

ولكن پريزاد ربطت ذؤابتيها برقبة كوروش واحتضنته للحيلولة دون تنفيذ الحكم مالم تصب بأذى، عندئذ لم يصب كوروش بأى أذى وعفا الملك عنه وأمر بنفيه إلى آسيا الصغرى.

شرع كوروش بعد عودته إلى آسيا الصغرى فى تكوين جيش من مائة ألف جندى واستأجر ثلاثة عشر ألفا من الجنود اليونانيين للعمل تحت لوائه وأمر عليهم كل آرخ Clearchns الأجير عازما على توسيع رقعة حكمه من آسيا الصغرى حتى قرب بابل، ثم نشبت معركة بين جيش أردشير وجيش كوروش فى مكان يعرف بكونا كسا Connaxa (خان اسكندرية اليوم) وانتهت تلك المعركة ببقاء حكم أردشير وسيادته، رغم ما أحرزه كوروش من انتصار قتل فى نهايته ومعه ثمانية من مرافقيه وأعوانه، فقد تشتت جيش كوروش بعد مقتله (ويعرف كوروش

فى التاريخ باسم كوروش الصغير)، وانسحب القسم اليونانى من جيشه متجها نحـو دجلة بعد مباحثات مع تيسافرن؛ إلا أن تيسافرن استدعى كبار رجالا ت هذا الجيش بعد وصولهم إلى نهر الزاب الصغير، ودعاهم إلى خيمته وقتلهم جميعا.

وفى هذه الظروف قبل أحد اليونانيين رياسة هذا الجيش اليونانى والتوجه به إلى بلادهم فى اليونان، فعبر عشرة آلاف من الجنود اليونانيين دجله إلى طرابزون ومنها إلى اليونان.

وكان هذا الشخص يسمى كزنفون **Xenophon** وكتب كتابا عن هذا الانـسحاب أسماه انسحاب العشرة آلاف جندى، وقد أوضح فيه بجلاء أوضاع إيران آنذاك.

وقد أسفرت تلك الحروب وما أعقبها من انسحاب عشرة آلاف جندى عـن نتائج سيئة، لأنها قد أثبتت للعالم ضعف الاستعدادات الحربية الإيرانية رغـم مـا كانت عليه إيران من وسعة ونفوذ، وتكدرت العلاقات بين إسبارته وإيران نتيجـة للمساعدات التى قدمتها إسبارته لكوروش، وزاد تقرب الأثينيين لإيـران، وجـرت العمليات الحربية للدولتين فى مياه لاسدمون تحت قياده باك نن.

أمير البحر اليونانى وأحرزت إنتصارات كبيرة، وتوجه فرناباذ بعد ذلك إلى أثينا، فاستقبله اليونانيون المعادين لإسبارته استقبال المخلص، وأعادوا بناء أسـوار أثينا بالأموال الإيرانية، وفى تلك الأثناء، رجع تيسافرن والى آسيا الصغرى السابق إلى هناك، هادفا إخضاع المدن اليونانية فى آسيا الصغرى، فاستاءت إسبارته لذلك، وعقدت العزم على منعه فاستعان آجه زيلاس **Agesilas** ملك إسـبارته بالعـشرة آلاف جندى يونانى العائدين لتوهم من إيران وتوجه بهم إلى آسيا الصغرى، وكان من المتوقع أن يحرز انتصارا كبيرا وبخاصة، وأنه يمتلك تحت رياسته جيشا قويا.

ووفق إلى ذلك وأحرز نصرا على مقربة من سارد عـــام ٣٩٤ق.م، إلا أن إيران سرعان ما أفسدت خطته، فقد أرسلت أموالا وفيـــرة لـــسائر دول اليونـــان لإثارتها ضد إسبارته ، ونجحت فى ذلك؛ فلم يمض وقـــت طويـــل حتـــى حـــدثت الحروب بينها، وأجبر آجه زيلاس على مغادرة آسيا الصغرى، ويقولون إنه قـــال عند مغادرته لآسيا الصغرى " هأنذا يخرجنى عشرة آلاف من الرماة الإيرانيين".

ويبدو أن الحرب بين تب وإسبارته استمرت ستة أعوام دون أن تحرز أيـــة نتيجة، إلا أن دولة أثينا بمعاونة إيران انزلت هزيمة فاحشة بالبحرية الإســـبارتيه، واستعادت تفوقها البحرى وانتهت الحرب بتدخل إيران؛ فقد فرض أردشير الثـــانى الصلح على الطرفين وتم ذلك عام ٣٨٧ ق.م.

وحين خضعت اسبارتة لسيطرة القوات البحرية الإيرانية، أرســـلت ســـفيرا يدعى آن تالسيد **Antalcidas** – إلى إيران وصدر الأمر التالي: "إن الملك العـــادل يعلم أن المدن اليونانية فى آسيا وفى جزيرة قبرص كذلك خاضعة له، ويعلم كـــذلك أن المدن اليونانية الأخرى كل واحدة منها مستقلة عن الأخرى، ولا يتحد اثنان منها ضد ثالثة وإلا فإنه سيسحق المخالفين بالمال والبحرية".

وتعهدت دولة اسبارتة رسميا – نتيجة لوفاقها مـــع دولـــة إيـــران – علـــى ألايكون بينها وبين أية مدينة يونانية فى آسيا الصغرى أية روابط، وكان هذا الأمر يعنى التدخل الإيرانى التام فى شئون المدن اليونانية، مؤثرا فـــى الحالـــة النفـــسية لسائر هذه المدن، ويعتقد بعض المؤرخين أنه من الممكن اعتبار عمل ايران هـــذا ردًا وتعويضا عن فشل خشيارشا؛ وسمى هذا الصلح باسم السفير الإسبارته الموفد إلى البلاط الإيرانى أى صلح آنتا لسيد، وكان فرمان أردشير سببا فى اتحاد الـــدول اليونانية حتى قويت مقدونيا.

كانت الدول المذكورة ترسل سفراءها دائما إلى بلاط أردشير وتعتبر تدخله حكما بينها وتطلب ذلك، ولم يترك حكم أردشير الثانى فى المجال الداخلى لإيران سوى الضعف والهوان والاضمحلال: فقد حدثت ثورات واضطرابات فى مصر وآسيا الصغرى وجزيرة قبرص، تم القضاء على بعضها بالسياسة حينا وبالقهر حينا آخر، وانتهى بعضها الآخر بانتصار المتمردين (مثل تمرد ولاة كارية وكاپا دوكية وغيرهما) وقنع البلاط الإيرانى بدفع تلك الولايات للجزية، وتركت لهم حرية إدارة أمورهم الداخلية، فقد اختارت مدينة سالامين فى قبرص مثلا شخصا وعينته حاكما عليها، واعترف به البلاط الإيرانى.

وظلت مصر مستقلة، ولم يوفق الجيش الإيرانى فى هزيمة الجيش المصرى والاستيلاء على العاصمة.

وكان السبب فى ذلك أن القائد الإيرانى فرناباذ لم يستطع - لكبر سنه وتردده - من تنفيذ الخطة التى رسمها له ايفيگراتس القائد اليونانى الذى استأجرته إيران لهذا الغرض (أى الهجوم على ممفيس) فاستفاد المصريون من هذا الضعف وشنوا حملة دفاعية، أجبروا بها القائد اليونانى على العودة مهزوما إلى بلاد اليونان، وفى تلك الأثناء كذلك أعلن السكادوسيون المقيمون فى گيلان الثورة على إيران فأرسل إليهم أردشير جيشا لإخماد ثورتهم، إلا أنه لم يوفق فى ذلك وانتهى الأمر بعقد صلح بينهما، ورغم هذا الضعف فى الأمور الداخلية، فقد بلغ النفوذ الإيرانى فى بلاد اليونان درجة كبيرة من التقدم. وكانت الدول اليونانية تتسابق فيما بينها لإرسال السفراء دائما إلى البلاط الإيرانى طالبين تدخل إيران امتثالا وتنفيذا لأمر أردشير.

وقد حدثت جنايات كثيرة فى البلاط الإيرانى فى عهد أردشير الثانى، فقد سمت پريزاد زوجة أردشير استاتيرا وكانت يونانية ونفيت پريزاد إلى بابل عقابا لها على فعلتها. وبعد ذلك قتل داريوش بن أردشير - وكان وليا للعهد - بتحريض من أخس، وهو الذى حرض كذلك على قتل آرسام الابن الآخر لأردشير فقتلوه، وقد توفى والده حزنا عليه وهو فى السادسة والثمانين من عمره (٣٦١ق.م).

العاشر – أردشير الثالث

كان أردشير واحدا من الملوك الذين تولوا عرش إيران إبان ضعف المملكة وتدهورها ولم يكن يخشى شيئا في سبيل الوصول إلى أهدافه، ولم يكف عن استخدام أية وسيلة لتحقيق ذلك إلا فعلها، فقد قتل هذا الملك بعد جلوسه على العرش كل أقربائه مخافة من طمع أحدهم فى الملك، ثم توجه بعد ذلك لإخماد الثورات وقمع الاضطرابات التى عمت ممالك إيران آنذاك لطول حكم أردشير وما اتصف به من الضعف والتهور، ولأن الدولة الهخمانشية قد أخذت تولى وجهها شطر الإنحطاط والزوال، توجه أخس على رأس جيش إلى سوريا وحاصر مدينة صور واستولى عليها، وأقدم الناس فيها على الانتحار يأسا مما أصابهم وأحرقوا المدينة، وحين وصل أردشير إلى تلك المدينة المشهورة لم يجد بها سوى الخراب والأطلال والدمار (كتب المؤرخون أن عدد من قتلوا فى هذا الحريق بلغ أربعمائة ألف شخص[٤٣]) واستسلمت بعد ذلك جزيرة قبرص، وتوجه أخس من سوريا إلى مصر، واستولى عليها بمساعدة من تور القائد اليونانى فى جزيرة رودس، وقد تذكر الناس هناك أعمال كمبوجيه نتيجة لما ارتكبه أخس من فظائع (٣٤٤ق.م). وتوسط من تور عنده للعفو عن آرتاباذ والى آسيا الصغرى على ما كان قد أبداه من تمرد وثورة. وكان ما أحرزه أردشير من انتصارات راجعا إلى قوة إرادته وإلى من كانوا معه من الأشخاص الأكفاء ومن بينهم باگوآس كبير وزرائه، وأخوان يونانيان هما من تور ومم نن. وقتل أردشير مسموما (٣٣٨ق.م) على يد باگو آس.

وكتب المؤرخون أن هذا الوزير كان مصرى الأصل وأن ما ارتكبه أردشير من أعمال وحشية مع المصريين هى التى دفعته إلى ذلك، وساد السكون الممالك الغربية من إيران فى عهد أردشير؛ إلا أن الممالك الشرقية منها مثل ولايات الهند وآسيا الوسطى ظلت تموج بالثورة والغليان، ولم يتول عرش إيران رجل أو ملك قوى الإرادة مثل أردشير، ولو بقى الحال دون نمو قوة المقدونيين، لأن اليونانيين كانوا يؤيدون إيران آنذاك، وكان دموستين الخطيب اليونانى المشهور يؤكد دائما ويحض على صداقة إيران لليونانيين.

الحادى عشر – آرشك

تولى العرش بعد أردشير ابنه أرشك، إلا أنه قتل بدوره على يد وزيره في سنة ٣٣٦ق٠م، وكتب اليونانيون اسمه آرزس .Ohrses ثم أجلس هذا الوزير المذكور أحد أحفاد داريوش الثانى على العرش وسمى داريوش، وكتب اليونانيون اسمه كدمان **Codmanne**

ويعرف فى التاريخ باسم داريوش الثالث ويعرف فى القصص الإيرانى دارا ابن داراب.

الثانى عشر- داريوش الثالث

تولى داريوش الثالث مقاليد الحكم فى سنة ٣٣٦ ق.م، وقتل بعد توليه العرش وزيره باپگو آس الذى كان يود منه أن يسير وفق إرادته.

وغزا الإسكندر إيران فى عهد هذا الملك، وانتهت الأسرة الهخمانشية بموته، ويعتقد الباحثون أن الدولة الهخامنشية كانت تمضى نحو الزوال بخطى واسعة، إلا أنها تماسكت فى عهد أردشير الثالث لما تمتع به من قوة الإرادة، ولما كان يتسم به وزيره باگو آس من كفاءة، ولو لم يقتل داريوش الثالث وزيره وما كان يتصف به من قوة الإرادة والعمل، لكان من الجائز أن يحول دون غزو الإسكندر ويتصدى لفتوحاته، ولما انقرضت سلطنة الهخمانشيين كلية.

الفصل الثاني

غزو الإسكندر لإيران وانقراض الأسرة الهخامنشية

مقدمة

تقع مقدونيا فى شبه جزيرة البلقان، وكانت حدودها آنذاك على النحو التالي:

يحدها من الشمال ميزيه **Mysie**، ومن الجنوب اليونان وبحر الجزاير، ومن الشرق تراقية، ومن الغرب إيلليرى **ILLYRIE** وكان سكان تلك المملكة من جنسين:

١- قسم من الشعوب الهند وأوربية التى لا يعلم متى نزحوا إليها.

٢- والقسم الآخر من المهاجرين اليونانيين.

وكان القسم الأول من أولئك أقل حضارة من اليونانيين، وكانوا يسكنون الجبال، بينما كان اليونانيون يعيشون فى السهول وعلى شاطئ بحر الجزاير، ثم امتزج الاثنان فى القرون التالية، وانتشرت الحضارة اليونانية فى هذه المملكة، وكان أهالى مقدونيا عقلاء جدًا وإن اتصفت أخلاقهم وعاداتهم بالخشونة حتى أن من لم يقتل عدوه لايعد رجلا ولم يكن باستطاعته الجلوس بين أقرانه، وكانت الأسرة تقوم على نظام تعدد الزوجات. وخضعت تلك المملكة لإيران بعد غزو داريوش الكبير لمملكة السكا، إلا أنها انفصلت عنها بعد حرب بلاته.

كان فيليب أول ملك كون مملكة مقدونيا (٣٥٩-٣٣٦ق.م)، فقد وضع تنظيما للدولة المقدونية، وأعد جيشا يعتبر قدوة لجيوش ذلك العصر وحارب الدول اليونانية وأخضعها لحكمه، ثم شرع بعد ذلك فى الإعداد للحرب ضد إيران وأجبر اليونانيين جميعًا على انتخابه قائدًا عاما للجيش العام لليونان فى حربها مع إيران رغم معارضة اليونانيين فى الباطن له، لكنه قتل فى الوقت الذى عقد فيه العزم على غزو إيران (٣٣٦ق.م). وتولى ابنه الإسكندر العرش بعده، وشرع فى تنفيذ ما كان يدور برأس والده من خيالات فتوجه بعد عامين قاصدا إيران.

وقد أوضح الباحثون أسباب هجوم فيليب والإسكندر على النحو التالي:

١- الانتقام من إيران للحملات التى شنها خشيا رشا على بلاد اليونان.

٢- كف إيران عن التدخل فى أمور اليونان، وإلغاء فرمان أردشير الثانى المعروف (باتفاق آن تالسيد).

هذا هو الظاهر ولكن كانت هناك دوافع خفية له أهمها شهوة التوسع وبسط السيطرة المقدونية على إيران، كما كانت الثورة الذهبية الطائلة التى امتلأت بها الخزينة الإيرانية وثروات الممالك الغربية من الأسباب المحرضة لهذا الغزو، وقد تكون جيش الإسكندر من أربعين ألفًا من المقاتلين مناصفة بين زبدة المقدونيين واليونانيين، ونظرًا لأن اليونانيين كانوا يكنون العداء للمقدونيين ويتوقون لفتح إيران، وخوفا من استفادة إيران من هذه الأوضاع أثناء غياب الإسكندر فى حروبه البحرية مع أوربا، لم تسفر فتوحاته فى آسيا عن نتيجة، بل واضطرته إلى الاكتفاء بمن معه من الجنود والإبقاء على قوة للمحافظة على مقدونيا كذلك.

حرب گرانيك (GRANIQUE)

عبر الإسكندر بوغاز الدردنيل فى ربيع عام ٣٣٤ق٠م. ودخل آسيا الصغرى، وحدثت المعركة الأولى على شاطئ نهر گرانيك (يسمى حاليا كجاسو) الذى يصب فى بحر مرمرة، وكان الجيش الإيرانى يتكون آنذاك من عشرين ألفا من الأساورة، ومثلهم من المشاة المرتزقة اليونانيين. يقودهم القائد اليونانى ممنن، الذى فكر فى خطة هى أن يتحرز الجيش الإيرانى عن الدخول فى الحرب، وينظم عملية انسحاب، يتم بمقتضاها استدراج الإسكندر لدخول إيران، على أن يتلف الجيش الإيرانى كل ما يجده فى طريقه من مؤن، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى على البحرية الهخمانشية القومية تضييق المجال فى أوروبا على المقدونيين، إلا أن رئيس

الجيش الإيرانى رفض تلك الخطة لما رأى فيها من مخالفة لتقاليد الحرب الإيرانيـــة، واصطف بجنوده على الشاطئ الأيمن لنهر گرانيك، على أن تتقدم الأساورة صفوف الجيش وأن يبقى الجنود اليونانيون خلفهم، ويتضح للوهلة الأولى من هذا الترتيب أن النصر سيكون حليف الإيرانيين، لأن رماة السهام والرماح الإيرانيين قد أحدثوا فـــى صفوف العدو خسائر جسيمة، إلا أن الأمور تغيرت حين عبر الإسكندر بجنوده نهـــر گرانيك،وألقوا بأنفسهم دون خوف أو وجل داخل صفوف الجيش الإيرانى، الذى لـــم يستطع ردهم أو التصدى لهم، خاصة وأن الإسكندر بنفسه قد هـــاجم قلـــب الجـــيش الإيرانى وطرح مهرداد صهر داريوش أرضا، ليتمكن بعد ذلك مـــن تمزيـــق قلـــب الجيش الإيرانى، فأصابه الهلع والاضطراب ولم يستطع الثبات فـــآثر الفـــرار، ولـــم يتعقبه الإسكندر بل هاجم الجيش اليونانى القابع بالمؤخرة، ورغم مـــا تعـــرض لـــه هؤلاء اليونانيون من ضغط وعدم وصول مدد لهم فقد حاربوا، وعدا ألفـــين أســـروا منهم قتل الباقون عن بكرة أبيهم، عندئذ أعلن الإسكندر أن جميـــع المـــدن اليونانيـــة الخاضعة لإيران قد تخلصت من التبعية الإيرانية، وأصبحت حـــرة، ولكـــن مدينـــة هاليكارناس **Halicarnasse** التـــى كـــان يحكمهـــا الحـــاكم الإيرانـــى أرن تبـــات **Orontobates** وممنن اليونانى قد قاومت مقاومة شديدة، ولكنها غلبت فـــى النهايـــة، فسبى الإسكندر سكانها الذين قاوموه وباعهم كالرقيق.

وبعد استسلام أهالى تلك المدينة تمكن ممنن مـــن اللحـــاق بحـــرا بالـــسفن الإيرانية، عسى أن يتمكن من الانتصار على المقدونيين. وكان الـــبلاط الإيرانـــى يأمل فى نقل الحرب من آسيا إلى أوروبا، إلا أن هذا القائد المحنـــك الـــذى كـــان وجوده فى ذلك الوقت قيما، أدركته المنية أثناء العمليات الحربية فى مدينة مى لت، ففرح الإسكندر لموته، واشتد ساعده، فقد كان الإسكندر يعتبره منافسا ماهرا له.... بعد ذلك أخذ الإسكندر ينظر أمور المدن اليونانية. ودخل كاپادوكيه، وانتقل منهـــا إلى كيليكية ثم دخل فريكية، واتجه إلى سوريا، وكان على جيشه لينتقل من آســـيا

الصغرى إلى سورية أن يعبر ثلاثة معابر ضيقة وصعبة، وهذه المعابر هى معابر كيليكية وسورية وآمان. وهذه معابر ضيقة العبور فلم تكن تسمح بعبور أربعة أفراد متجاورين، ورغم قلة المدافعين عن هذه المعابر فقد تمكنت تلك القوة القليلة العدد من تعطيل الإسكندر وإنزال الخسائر الكبيرة بقواته، ولم تستفد إيران من هذه المواقع العسكرية.

وكانت الفنون الحربية والخطط العسكرية على درجة كبيرة من التقدم عند المقدونيين واليونانيين، بينما بذل داريوش جهوده لجمع وتكوين جيش كبير غير نظامى، متبعا الأساليب القديمة البالية فى ذلك، وقد انتقد أسلوب داريوش فى هذا المجال خارى دموى القائد اليونانى (الذى يعمل فى البلاط الإيراني) وكان ماهرا يحذق فنون القتال مثل ممنن قال: ما فائدة هذا الجيش الكبير غير النظامى، يلزم جيش نموذجى قليل العدد مدرب ليحول دون تحقيق الغزو المقدونى ويتصدى لحملات الإسكندر. (ويقول اليونانيون إن داريوش استاء من ذلك وقتله).

حرب أيسوس –(٣٣٣ق.م)

استعد داريوش للقاء جيش الإسكندر فى آيسوس قرب خليج الإسكندرونة وهنا جال بالخاطر أن الإسكندر يتعرض لخطر محدق، لو كان الجيش الإيرانى جيشا منظما، وتولى قيادته قائد محنك قوى، إلا أن حضور داريوش على رأس جيشه حال دون تحقيق ذلك، فقد تمكن الإسكندر من عبور مضيق آمان واتجه إلى سوريا، بينما عبر داريوش جبال آمان وأقام معسكره فى أيسوس مطوقا ظهر جيش الإسكندر، وقد أحدث إنتشار هذا الخبر أثرا عجيبا فى جميع الأطراف والأكناف، وعم الفرح أثينا؛ فقد اطمأنوا إلى قطع طريق العودة بين الإسكندر ومقدونيا وأصبح القضاء على جيشه أمرا محتوما، إلا أن الإسكندر حين رأى أن الوضع قد أصبح على ما هو عليه وسع جبهة جيشه. وهاجم ميسرة الجيش الإيرانى ذات الأسلحة

الثقيلة دون خوف أو تردد، فانسحب الإيرانيون فارين. وحين رأى داريوش ذلك ورأى الهزيمة ماثلة أمام عينيه آثر الفرار بدوره (وهنا أبلى الإيرانيون النجباء بلاء حسنا ولم يمكنوا الإسكندر من الوصول إلى الملك فوجد الفرصة لركوب فرسه ونجا بنفسه، وبعد هذه الموقعة زلزلت أقدام من بقى من الجيش الإيرانى الذين حاربوا بجسارة قبل ذلك، ففروا، ويذكر المؤرخون أن عدد جيش داريوش فى هذه الحرب بلغ ستمائة ألف جندي؛ وكان من بينهم ثلاثون ألفا من الجنود المرتزقة اليونانيين، الذين قاتلوا ببسالة – بعد اضطراب الجيش الإيرانى – وانسحبوا باحكام إلى الجبل، حيث اتخذوا لأنفسهم مواقع حصينة به، ولم يجرؤ المقدونيون على تعقبهم أو مهاجمتهم.

ويمكن الوقوف على أسباب هزيمة الجيش الإيرانى فى تلك المعركة، فقد وضح أن ميدان القتال كان ضيقا ومحصورا بين البحر والجبل. مما لم يمكن الغالبية من أفراد الجيش الإيرانى من الاشتراك فى القتال، كما لم تستطع الأساورة من الاشتراك فى العمليات الحربية كذلك، واستولى بار من ين **Parmenion** أحد قادة الإسكندر على خيام داريوش التى كانت تضم والدته وزوجته وابنته وأخته وغنم منها غنائم شتى، وأعلن داريوش شروط الصلح مع الإسكندر بعد هذه الهزيمة ونصت شروط الصلح على ما يلي:

١- تدفع إيران لمقدونيا عشرة آلاف تالان (أى اثنا عشرمليون بالعملة الحالية)

٢- تتخلى إيران عن جميع الممالك من دجلة حتى بحر المغرب وبحر الجزاير لمقدونيا.

٣- يزوج داريوش ابنته للإسكندر، على أن يرد الإسكندر جميع أفراد عائلة داريوش إليه.

ولكن الإسكندر لم يقبل هذه الشروط وقال إن الأسرى والغنائم وغيرها والتى نجمت عن الفتح تكون من حقه وتتعلق به، أما فيما يتعلق بالصلح فيجب على داريوش أن يذهب إليه بنفسه ويعرض عليه طلباته، وبعد ذلك توجه الإسكندر إلى الجنوب للإستيلاء على سوريا[٤٤]، ولكن مدينتى صور وغزة دخلتا فى حرب معه وتمكنتا من إيقاف تقدم الجيش المقدونى سبعة أشهر وأخيرا تحقق للإسكندر الانتصار، حين انسحبت من ميدان القتال مجموعة من السفن الفينيقية بعد أن أحست بضعف القوة الإيرانية، وانضمت إليه ولحقت بها كذلك سفن جزيرة قبرص، ولكن دخول الإسكندر وجيشه إلى صور لم ينه القتال، فقد قاوم أهلها مضحين بأرواحهم، وأجبروا المقدونيين على التحصن بالمنازل واعتبارها قلاعا (وإزاء هذا عاملهم الإسكندر بوحشية).

وكانت مقاومة أهل غزة وحامية قلعتها – وكانوا من العرب – سببًا فى مقتلهم عن بكرة أبيهم، وأخروا زحف الإسكندر لشهرين، وبعد ذلك دخل الإسكندر مصر واستقبله أهلها بأذرع مفتوحة، وتوجه الإسكندر بعد ذلك إلى معبد آمون واعتبره الكهنة المصريون ابن الإله[٤٥]، وبعد ذلك بنى الإسكندر مدينة الإسكندرية[*] على شاطئ بحر المغرب (البحر الأبيض المتوسط) وأخذ يتألف قلوب المصريين ويقربهم إليه، وحين هم بالتحرك ترك قيادة جيش مصر لقائد مقدونى، والادارة المالية لأحد اليونانيين وسلم أمر باقى الإدارات للمصريين (٣٣١ق.م)

(*) يقال إن الإسكندر تشاور فى هذه الشروط مع صديقه بامن ين، فقال له هذا: لوكنت مكانك لقبلت الصلح، فأجابه الإسكندر وأنا كذلك لو كنت مكانك لقبلته.

حرب گوگامل GAUGAMELES

تقدم الإسكندر من مصر قاصدًا نهر الفرات فى سنة ٣٣١ ق.م، وعبره ليدخل منطقة مابين النهرين، ثم عبر دجلة بعد ذلك وتابع سيره يسارًا حتى اصطدم بجيش دار يوش فى گو كامل القريبة من نينوى (سابقا) وآربل (آربيل الحالية)، وكانت هناك فرصة كبيرة متاحة لدار يوش، أثناء عبور الإسكندر وجيشه من نهر الفرات حتى دخوله گو كامل، إلا أنه لم يحسن الاستفادة منها فأولا كان السهل الواسع الممتد مابين النهرين مساعدًا الأساورة مع فرقهم العديدة لأداء عملياتها الحربية من توجيه حرب خاطفة لجيش الإسكندر أثناء تقدمه وإيقاف حركته، بل وإخلال توازنه كما فعل البارتيون فى نفس هذا الموقع بعد عدة قرون حين هاجموا الجيش الرومانى وأفقدوه توازنه وانتصروا عليه.

وثانيا كان دجلة صاخبا آنذاك وكان عبوره صعبا، وكان بإمكان الجيش الإيرانى – بمن فيه من الرماة المهرة – أن يوقفوا عبور جيش الإسكندر أو إنزال خسائر جسيمة به على أقل تقدير.

وفى گوكامل جرت معركة فى المرتبة الثالثة بين جيش إيران وجيش الإسكندر، وذكر أن عدد جيش إيران بلغ مليونا من الجنود وهذا رقم مبالغ فيه [١]، وكانوا قد أعدوا فى هذا المكان عددا من الفيلة الحربية.

وكان جيش إيران فى تلك المدة على درجة عالية من التدريب والكفاءة، وحين بدأت المعركة تمكن الإيرانيون من تضييق حلبة القتال – فى كثير من الأماكن – على المقدونيين، إلا أن قيادة داريوش كانت سببا فى هزيمة الجيش؛ ذلك أن الإسكندر حين شاهد شدة وطأة جيش ايران شدد حملته على الموقع الذى اتخذه داريوش لنفسه وركب عربته الحربية، وحين رأى داريوش أن الحروب تدور من حوله آثر الفرار ففر قسم من الجيش معه، وسرت تلك العدوى إلى بقية أقسام الجيش، لتنتهى الحرب بهزيمة

الإيرانيين، ثم اقتفى الإسكندر أثر داريوش محاربا حتى آربل فى مسافة تمتد سبعة عشر فرسخا فى الصحراء، وبعد ذلك ذهب إلى بابل واستولى - كما فعل كوروش الكبير - على تمثال بل مردوك، وأمر بتعمير المعابد التى خربها خشيا رشا، ثم دخل إلى مدينة شوش واستولى على خمسين ألف تالان ذهبا (ما يعادل سبعين مليون تومان) كانت مودعة بخزانة شوش. وتوجه بعد ذلك إلى برس بوليس (تخت جمشيد الحالية) وباسا رگاد (مشهد مرغاب الحالية كذلك) عن طريق بهبهان وقد طلب الكيسيون (الأوكسيان اليونانيون) الجزية من الإسكندر لأنه منذ أواخر العصر الهخمانشى كان المعمول به أن ينعم الملوك عليهم بها.

وبعد أن طرد هؤلاء تقدم الإسكندر إلى ممر فارس الجبلى الوعر (كوه گيلويه الحالية) حيث ووجه بمقاومة شديدة من قبل آرى برزن ومن معه من الجنود، لم يتمكن المقدونيون من التصدى لها، مما اضطر الإسكندر إلى أن يفعل ما فعله الإيرانيون فى ترموبيل؛ وبناء على هذا تحرك جزء من الجيش اليونانى عبر طريق ملتو مضلل. وطوق ظهر المدافعين، وأمعن فيهم القلع والقمع، وكان هذا هو الأسلوب الحربى المنظم والصحيح الذى نفذ فى ذلك الوقت.

وبعد دخوله إلى برس بوليس أجرى الإسكندر بها مقتلة، وأضرم النار فى قصر الملوك الهخامنشيين، وسبى من بقى من أهلها وباعهم رقيقا(٤٦) حتى يفهم الإيرانيون أن الإمبراطورية الهخمانشية قد انتهى أمرها.

وحتى ينتقم كذلك من الإيرانيين إزاء حرقهم لأثينا فى عهد خشيا رشا. واستولى فضلا عن ذلك على ما كان مودعا بالخزانة من ذخائر قدرت بمائة وعشرين ألف تالان (أى قرابة مائة وأربعة وأربعون مليون تومانا)

وتوجه الإسكندر إلى همدان بعد الاستيلاء على برس بوليس (٣٣٠ق.م) حيث ترك على خزانتها - التى كانت تضم مائة وثمانين ألف تالان - حامية مكونة

من ستة آلاف من المقدونيين، ثم تحرك الإسكندر متعقبا لداريوش سالكا طريق الرى، الذى لم يكن قد كف عن المقاومة رغم ما منى به من هزائم متلاحقة، بل وكان فى سبيله لإعداد جيش جديد.

وحين بلغ الإسكندر قرب دامغان الحالية سمع أن بس سوس والى باختر (بلنج) وبرسنتس والى رخج قد قبضا على داريوش، فأسرع للحاق بهما إلا أن بس سوس حين علم بمقدمه طعن داريوش طعنة قاتلة وفر هاربا، فلما وصل الإسكندر كان داريوش قد فارق الحياة، فأمر بنقل نعشه إلى پاسار گاد مع التشريفات وهناك دفن.

وبعد ذلك تحرك الإسكندر إلى مملكة التبوريين (طبرستان)، وتوجه منها إلى وركان (گرگان الحالية).

وطبقا للروايات الفارسية الزرادشتية فإن الإسكندر أمر بعد الاستيلاء على إيران بإحضار الأوستا من گنج شاپيگان وأمر بترجمة بعض أجزائها التى تتعلق بالطب والنجوم إلى اللغة اليونانية وأحرق الأجزاء الباقية، ولم يستطع المحققون معرفة أين كان گنج شاپيگان.

الفصل الثالث

حضارة إيران فى العصر الهخمانشى

اتساع الدولة الهخمانشية

ذكر هيرودوت الأقسام الإدارية لإيران وذكر المبالغ التى كانوا يؤدونها للدولة وقال إنها ست وعشرون إيالة: إلا أن كتابات هيرودوت تناولت إيران بعد عهد داريوش الأول أى بعد أن انفصلت تراقية ومقدونية عن إيران.

ذلك أن الدولة الهخمانشية بلغت أقصى اتساعها فى عهد داريوش الكبير، وأفضل وثيقة تاريخية لذلك هى الكتابة التى حفرت فى نقش رستم فى مقبرة هذا الملك، ويبلغ عدد ولايات إيران طبقا لهذا النقش ثلاثين ولاية.

وكانت حدودها آنذاك هي: من الشرق إلى الغرب من الشواطئ الغربية للمحيط الهندى حتى سواحل بحر الأدرياتيك وقرطاجنة. ومن الشمال إلى الجنوب ومن وراء نهر سيحون حتى الحبشة.... وعلى هذا يمكن القول بأن الدولة الهخمانشية كانت أكبر دولة كونت حتى ذلك التاريخ، وأنها كانت تضم ستا وأربعين صنفا من الناس من أجناس مختلفة لهم أديان ولغات وعادات وأخلاق مختلفة متباينة.

ومعلوم أيضا أن الممالك الغربية منها آسيا الصغرى والمستعمرات اليونانية وبابل وفينيقية ومصر كانت أكثر المناطق والولايات كثافة فى السكان وغنى فى الثروات، لما كانت تتمتع به من أراض خصبة، بل وكانت تعد من أرقى أماكن العالم آنذاك حضارة وصناعة وتجارة، وكانت ولايات الهند أيضا من المناطق ذات الكثافة السكانية والعمران والثراء.

ومن هنا يتضح أن إيران وقتذاك كانت أشبه بجسر يربط بين هذه المناطق الغنية صاحبة مناجم الذهب، وكانت جسرا تعبره قوافل التجارة بين الشرق والغرب أو من إيران إلى الممالك التابعة لها.

النظم

كانت كل مملكة تابعة لإيران ينعم أهلها بحرية العقيدة الدينية، ولم يفرض الملوك الهخمانشيون عقيدتهم الدينية على شعوب تلك الممالك، وظلت لكل مملكة عاداتها وأخلاقها ولغتها الخاصة بها، بل كان لكل مملكة فضلا عن ذلك حرية المحافظة على مؤسساتها القومية وأمرائها ورجال الدين بها (مثل مصر وقبرص وفينيقية واليونانيون فى آسيا الصغرى وغيرها) ولكن فى مقابل ذلك كان على جميع الأهالى أن يعتبروا أنفسهم عبيدا للملك أى أن عليهم أن يدفعوا له الأموال المقررة، ويرسلوا إليه الجند وقت الحرب فى أى مكان يحدده البلاط الملكى.

وبناء على هذا كانت طاعة أحكامه وأوامره شعارا يوحد مملكة إيران الواسعة ويربط فيما بينها، وقد أوجد داريوش الكبير نظما لتحقيق تلك الوحدة، وسيرد ذكر ذلك فى موضعه، ولم تكن تصرفات الملوك الهخمانشيين فى الشرق والغرب واحدة بل كانت متباينة، لأن مجرى الأحداث لم يكن واحدًا، فقد تعودت الشعوب السامية الأصل فى الغرب على المركزية، فى حين قويت النظم الآرية فى الشرق كما سبق ذكره فى المقدمة، وكانت تنظيماتهم خمس درجات، وبناء على هذا فإن الملوك الهخمانشيين رغم اقتباسهم أصول المركزية من بابل، فإنهم أجبروا على المحافظة على الأسلوب الوراثى فى ممالك الشرق، نتيجة رسوخ تلك التقاليد بين الشعوب الآرية لقرون عديدة، وكان الهخمانشيون يريدون مراعاة هذا الترتيب فى بداية الأمر، إلا أنه نجم عنه مضار كثيرة[٤٧]، فعملوا على تنفيذه، وفى هذا العصر كانت الترتيبات والنظم الآرية لا تزال قوية. حتى إن داريوش الكبير فى

كتاباته ونقوشه يعترف بضرورة ذلك فيقول: أنا داريوش بن ويشتاسب (العائلة) – الهخمانشى (الأرومة) – الفارسى (القوم) الآرى (الجنس).

وكان الاختلاف الآخر بين الممالك الشرقية والممالك الغربية هو أن الملوك الهخمانشيين كانوا يعتبرون الممالك الغربية مثل آسيا الصغرى وبابل ومصر وغيرها ممالك مفتوحة وملوكها من نوع واحد.

وفيما يتعلق بالضرائب التى كانت تجىء فسيرد ذكرها فى موضعها وينبغى الإشارة إلى القضاء فى عدة كلمات.

العدالة والجزاءات

يتضح من المعلومات المبتورة التى توافرت لدينا فى هذا الشأن، أن الشاه بنفسه يتولى جميع درجات القضاء، وكان يصدر أحكامه بعد دراسة مستفيضة، وكان هناك قضاة فى الولايات يتولون بحث الحقوق ويصدرون أحكامهم فيها، وكان الحكم فى الأمور السياسية ومخالفات الأمن منوطا بالملك ذاته، وكان ولاة الولايات يتولون الحكم فى المخالفات السياسية بتفويض من الملك، ويتضح من أبحاث المحققين ودراساتهم أن العدالة كانت تحتل أهمية خاصة فى إيران القديمة. وأن الملوك كانوا فى غاية القسوة وعدم الرحمة فى معاملتهم للقضاة المنحرفين، ومن ذلك مثلا أن كمبوجيه حكم بالإعدام على أحد القضاة وكان يسمى سى سام لقبوله الرشوة، ولم يكتف بإعدامه، بل أمر بسلخ جلده وفرشه ممدا على الكرسى الذى كان يجلس عليه للقضاء، وولى ابنه خلفا له وأجبره على الجلوس على ذلك الكرسى وكان أردشير الأول كذلك يعامل القضاة المنحرفين أو الذين يصدرون أحكاما مخالفة للعدل معاملة قاسية جدا، وطبقا للقانون السائد آنذاك أو للعادات المتداولة وقتذاك – لم يكن يصدر الأحكام بإعدام أى شخص لارتكابه جناية لأول مرة حتى إن الملك ذاته لم يكن يصدر حكما بالإعدام على الجانى لأول مرة.

وطبقوا عقيدتهم فى أمر عقاب الآخرة على العقوبات فى الدنيا فإذا ارتكب شخص جريمة يجب أن ينظر إلى حسناته، فإن كانت سيئاته أكثر من حسناته عوقب.

وبناء على هذا فقد حكم داريوش الأول بخلاص قاض من حبل المشنقة، بعد حكم بالإعدام صدر وقال إن هذا القاضى قدم خدمات جليلة من قبل، وفعل مثل ذلك حين أرسل والى آسيا الصغرى – سرهيس تيه – شخصا يونانيا متمردا مقتولا إلى داريوش الأول، فكما كتب هيرودوت فإن الملك قد اغتم لذلك، ولام الوالى قائلا: لم لم ترسله حيا وأمر بغسل رأسه ودفنه وسط مظاهر التقدير والاحترام، ذلك أن هذا الشخص كان قدم خدمات جليلة لإيران ولداريوش أثناء سفره لمحاربة السكا فى الدانوب.

وكان المتبع أنه إذا ارتكب شخص جرما فى حق الملك والدولة، فإنه كان يبعث به إلى العاصمة وتقطع أذناه أو أنفه ثم يعلن ذلك على الناس ويظهرونه لهم، ثم يرسل إلى ولايته التى ارتكب الخيانة فيها ويقتل.

الجيش

كان هناك فضلا عن العشرة آلاف جندى الذين كانوا يسمون جيش الخالدين والذين كانوا فى حالة استعداد وتسليح دائم، وفضلا عن قوات حراسة الحدود الخاصة بالولايات كانت هناك كتائب كثيرة من الجنود غير النظاميين الذين يقدمهم الأهالى فى الأوقات اللازمة سواء من العاصمة أو من الولايات المختلفة، وكانت تلك الكتائب تصل فى بعض الأحيان مئات الألوف من الجنود يجتمعون دون تدريب ودون أن يروا أنموذجا لهم، لغاتهم مختلفة ودياناتهم وعاداتهم متباينة، لا تربطهم رابطة روحية أو معنوية، وهذا ما نراه سببا فى عدم مقدرة جيش إيران على تنفيذ خطة حربية أو تحقيق انسحاب منظم وهذا هو السر فيما رأيناه من انسحاب أقسام من الجيش وهزيمتها إذا ما تعرض قسم منه للهزيمة. يضاف إلى

ذلك أن من الأسباب الجوهرية لهزيمة جيش إيران أثنـــاء الحـــروب اليونانيـــة أن أسلحة الجنود الدفاعية لم تكن محكمة، حقا إن أسلحة فرقة الخالدين كانـــت قويـــة محكمة إلا أن تلك الفرقة كانت تحتل قلب الجيش فقط فإذا هاجمت تلك الفرقة قلب صفوف العدو وتوغلت فيه، لم يكن بإمكان الجناحين التقدم مثلهم لضعف أسلحتهم، مما كان يضطر الجيش إلى الانسحاب.

وكانت البحرية الإيرانية تضطر إلى الاستعانة إذا لـــزم الأمـــر بالبحريـــة الفينيقية ويونانى آسيا الصغرى وجزيرة قبرص، وثابت كذلك أن الإيـــرانيين فـــى الحروب البحرية لم يكونوا سيئين، وخلاصة القول إن الدولة الهخامنـــشية كانـــت تحافظ على أمن ممالك إيران الواسعة الممتدة، ولم تكن تقبل أن يصيب أهلها ظلـــم أو إيذاء، بخاصة فى عهد كوروش الكبير وداريوش الأول.

ولذا تمكن من ممارسة الزراعة والتجارة والكسب فى أمـــان وراحـــة بـــال وكانت الشعوب غير الإيرانية تنعم بمثل تلك الراحة وهذا الأمان أيضا، ولم يكـــن الأثرياء فى ممالك إيران والممالك التابعة لها قليلى العدد.

الـــدين

لم يكن الملوك الهخامنشيون متعصبين دينيا. وكانوا يتركون لكل أمة الحرية المطلقة فى اختيار عقيدتها؛ ولم يكتفوا بذلك بل تركوا لهـــم الحريـــة التامـــة فـــى ممارسة طقوسهم الدينية وتأديتها فى ممالكهم، وكان الملوك يمارسونها معهم كذلك ويشاركونهم فيها؛ فقد كتب نابليون مثلا أن كوروش كان يعبد بـــل مـــردوك إلـــه البابليين الكبير، وكان داريوش فى عيد النوروز من كل عام يمسك تمثـــال الإلـــه المذكور؛ ويعتقد المصريون أيضا أن داريوش كان يؤدى طقوس المصريين الدينية فى معبد سائيس الكبير.

وواضح أن ممارسة الملوك الهخامنشيين لتلك الطقوس وأداءهم لها كان إلى حد كبير ذا صبغة سياسية لاجتذاب قلوب الأهالى حولهم، ولكن نجد هنا سؤالا يطرح نفسه: ما معتقدات هؤلاء الملوك التى كانت تسمح لهم بغض النظر عن الأديان الأخرى بل وبأداء طقوس هذه الديانات ؟

لم تكن كتابات المؤرخين اليونانيين واضحة دقيقة فى هذا المجال، ولم يبسطوا القول فيها، ولذا فإن كل ما يقال فى هذا الصدد إنما هو استنباط مما عثر عليه من الأوستا والنقوش والآثار الهخمانشية.

ويتضح – طبقا لتلك المصادر – أن الملوك الهخامنشيين كانوا يتبعون الديانة الزرادشتية، لأن الإله الكبير فى نقوشهم هو آهورا مزدا وهذا الاسم مختص فقط بالديانة الزرادشتية، إلا إنه يلاحظ فى نقوش داريوش الثانى التى اكتشفت فى شوش وهمدان شىء جديد، فإن هذا الملك يوجه حديثه إلى المعبد قائلا: نقشت عليه صورة الشمس والزهرة. ومن هنا يجب أن نستنتج:

أولاً: أن عبادة الشمس كانت سائدة منذ قديم الزمان فى عقيدة الآريين الإيرانيين، وكانوا يسمونها الإله الشمس ويقسمون بها، وقوى أمرها فى هذا الزمان.

ثانيًا: نظرا لأن نقش الإله أو الآلهة وعبادتها كان مخالفا لعقيدة الآريين الإيرانيين وزرادشت، فإن أردشير الثانى نقش صورا للشمس والزهرة.

وبعد ذلك أثرت المعتقدات البابلية والعيلامية فى عقيدة الملوك الهخمانشيين ودنستها بالخرافات. أما بالنسبة للزهرة (الأناهيد [٤٨]) فهناك آراء مختلفة فيرى بعض الباحثين أن عبادتها فى إيران القديمة ناتج عن التأثير البابلى، ويعتقد آخرون أن الإيرانيين كانوا يعبدونها من قديم.

ويجب أن نلاحظ كذلك أن ثمة اختلافات بين زرادشتية الملوك الهخمانشيين والزرادشتية التى راجت فى القرون التالية لذلك، فمن تلك الاختلافات مثلا: أن دفن

الميت طبقا للديانة الزرادشية ليس جائزًا لأن ذلك يؤدى إلى تدنيس الأرض وهى مقدسة، ويعتبرون تدنيسها إثما كبيرًا، ولكن الملوك الهخمانشيين كانت لهم قبورهم ومن هنا يمكن أن نستنتج أن عقيدة الهخمانشيين كانت متباينة عن الديانة الزرادشتية.

وفيما يتعلق بعقيدة الأهالى فى إيران آنذاك فليس بين أيدينا ما يوضح ذلك أو الحديث عنه والاحتمال الأقوى أنهم كانوا يعبدون بعد أهورمزده أربعة عناصر:

١ – النور (الشمس والقمر).

٢ – الماء.

٣ – التراب.

٤ – الرياح.

ولم يكن للمغان تأثير فى أمور الدولة آنذاك، ولكنهم كانوا يدعون فقط لإجراء مراسم القرابين.

وبعد كل ما قيل يتبقى سؤال بلا إجابة: ما أسباب التسامح والتساهل الذى أبداه الملوك الهخمانشيون تجاه المذاهب الدينية الأخرى ؟[٤٩]

أولاً: على الرغم من أن الديانة الزرادشتية كانت منتشرة فى إيران قبل هذه المرحلة بكثير، فإنها لم تقو لتصبح دينا رسميا آنذاك.

ثانيًا: إن الآريين يتميزون بالتسامح والتساهل فى الأمور الدينية منذ قديم الزمان حتى الوقت الذى توفرت لدينا معلومات، ولم تخضع الدولة الهخمانشية لنفوذ الجنس السامى بالدرجة التى تفقدها هذه الصفة كلية، لقد تقاربت الدولة الهخمانشية كثيرا فى الأمور السياسية إلا أنها حافظت على خصائصها وسماتها الآرية فيما يتعلق بالناحية الدينية، وتأثرت الدولة الساسانية بالشعوب السامية فى

آسيا الغربية والإمبراطورية الرومانية وبيزنطة تأثرا كبيرا وبصورة أوضح حتى فقدت هذه الصفة، ويأتى تفصيل تلك النقطة بصورة أكثر وضوحا بعد ذلك؛ لأن معلوماتنا عن الديانة الزرداشتية فى العصر الساسانى أكثر تفصيلا، ولذا آثرنا تأجيل الحديث فى هذا الموضوع حتى لا نكتب شيئا غير موثق.

نظام الطبقات

ليس لدينا معلومات مسهبة عن نظام الطبقات فى تلك المرحلة وما يمكن استنباطه من كتابات المؤرخين اليونانيين والنقوش الحجرية التى عثر عليها ينحصر فى الآتي:

الطبقة الأولى: وتتكون من النجباء (الأشراف) أو العائلات القديمة؛ لأنه لم يلاحظ أى نفوذ لرجال الدين فى تلك المرحلة، وكان من بين طبقة الأشراف، ست عائلات فارسية، وست عائلات ميدية والشيء الذى تجدر الإشارة إليه أن رؤساء العائلات الفارسية يحق لهم الدخول إلى قصر الملك دون استئذان.

كما كانت مناصب السفراء وقادة الجيش ورؤساء الولايات محصورة فى رؤساء تلك العائلات أو أعضائها ثم انتقلت بعد ذلك إلى عائلات الميديين، أما طبقة رجال الدين فلا نعلم عنهم شيئا.

وكانت هناك طبقتان أخريان فى تلك المرحلة طبقة الزراع وطبقة التجار والحرفيين ولكن ليس لدينا معلومات عن كيفيتها ولا تنظيماتها، وأغلب الظن أنها كانت مشابهة لما كانت عليه فى العهد الساسانى كما سنذكر فى حينه.

ونظرا لما تمتعت به إيران من موقع جعلها الطريق الوحيدة بين دنيا الغرب والممالك (الشرقية) مثل الهند وآسيا الوسطى، فقد فكر داريوش الأول فى إيجاد طريق قريب بين بحر المغرب (البحر الأبيض المتوسط) والخليج وبحر عمان

فوصل فرع نهر النيل بالبحر الأحمر، ويمكن من ذلك استنباط ما كـــانوا يعطونـــه للتجارة من أهمية فى ذلك الوقت، ولم يكن تعبيد الطرق كذلك لغرض سياســـى أو عسكرى فحسب، يقول هيرودوت: إن الاستفادة من منازل البريـــد الممتـــدة عبـــر الطريق كانت قاصرة على بريد الدولة فقط، والمقصود خيول الدولة فـــى منـــازل البريد، وواضح أن قوافل التجارة كانت تستفيد من تلك الطرق كذلك، ووجود المدن الكبرى مثل بابل وصور وسارد وغيرها تحت سيطرة ممالك إيران ونفوذها يؤكـــد وجهة النظر هذه، فقد كانت تلك المدن مراكز التجارة والصناعة فى ذلك الوقت.

الصناعات

خلف الملوك الهخمانشيون وبخاصة داريوش الأول وخشيارشا مبـــان فـــى المكان المعروف الآن بتخت جمشيد، وفى أماكن أخرى، وأمـــروا بكتابـــة نقـــوش كذلك، ورغم تهدم تلك المبانى وما أصابها من خراب فلا تزال آثار منها باقية حتى اليوم فى تخت جمشيد وشوش وپاسارگاده، وفيما يتعلق بالفن المعمـــارى والنحـــت والتصوير والنقش فى العصر الهخمانشى فقد دقق علماء الفنون فيها للكشف عـــن: هل الفن المعمارى والنحت فن إيرانى أصيل أم أن الإيرانيين قلدوا فيه غيرهم ؟

وإن كانوا قد قلدوا غيرهم فمن أية مملكة اقتبســوا ؟ واتـــضح مـــن هـــذه التحقيقات أن الفن المعمارى والنحت الإيرانى فى العصر الهخمانشى فن تركيبـــى اقتبس كل جزء منه من إحدى الممالك، وأن دور الايرانيين فيه لم يكن سوى إيجاد الوسيلة للربط والدمج بين هذه الاقتباسات المختلفة وكانت الممالـــك التـــى اقتـــبس الايرانيون منها هذا الفنهي: بابل ومصر وآشور، والمـــدن اليونانيـــة فـــى آســـيا الصغري: فقد اقتبسوا من الآشوريين بناء العمارات ذات الوجهات العاليـــة علـــى ربوات صناعية مرتفعة والربط بينها بالدرج من الجانبين وكـــذلك نقـــش الـــصور الملكية فى الطرقات وعلى الدرج، كما قلدوا الآشوريين فى استخدام الآجر المسوى

بدلا من الطوب النيئ ولكن أساس العمارات الهخمانشية وأعمدتها ودرجها كانت من الحجارة، ولذا بقى هذا الجزء منها وخرب ما كان مبنيا بالآجر نهائيا.

واهتم الهخمانشيون كثيرا بالأعمدة فى عمائرهم وأخذوها من الإلهة پوستيل(٥٠) الموجودة بالمعابد المصرية بعد فتح مصر. كما يشاهد التأثير المصرى فى التزيين والزخرفة التى تزدان بها قمة عرش الملك والدرگاهات، وفى المقابر التى نحتها داريوش وسائر الملوك الهخمانشيين فى الجبل، كما عثر على تماثيل يدل نحتها على اقتباسها من تماثيل المصريين الموجودة تحت الأرض، إلا أنهم أدخلوا عليها بعض التعديلات لاختلاف العقيدة بين المملكتين، من إيجاد بيت النار وتجلى آهورا مزدا وغير ذلك. ولا يمكن بيان التأثير اليونانى ولكن يظن أن كبار النحاتين اليونانيين قد تدخلوا فى صنع النحت فى العمارات، فقد ذكر پلين(٥١) أن الصناع اليونانيين كانوا يعملون فى بلاط الهخمانشيين، وقد استدعى اسيم تل فانس اليونانى من مدينة قوسه للعمل فى بلاط داريوش وخشيارشا.

وليس معلوما من أين اقتسبت رءوس أعمدة العمارات الهخمانشية، ويظن أن أصل رأس العمود اقتبس من آشور، ولكن رأس الثور وجزء من صدره ويده التى نحتت على وجه العمود من الناحيتين إنما هى من اختراع الإيرانيين أنفسهم، أما ما يتعلق بالقيشانى الذى غطيت به جدران القاعات، وقد عثر على نماذج منه – وتوجد الآن بمتحف اللوفر بباريس – فيعتقد علماء هذا الفن أنها اقتبست أصلا من البابليين ثم سما الإيرانيون به، بمعنى أن القيشانى الإيرانى ذو نقوش بارزة، وليست مسطحة كما هو الحال عند البابليين، ورغم هذه الاقتباسات الكثيرة، فإن ما أضيف إليها من خصائص يعد من الصناعات الإيرانية:

أولا: أوجدوا نوعا من التناسب بين الأساليب المختلفة حين دمجها بعضها بعضا، رغم أن كل جزء منها مقتبس من دولة أو ممكلة مختلفة.

ثانيًا: عظمة تلك المبانى وضخامتها لم يشاهد مثلها فى أى مكان من قبل.

ثالثًا: كثرة ما وجد بها من زخرف وزينة. وتلك نقطة أخـرى، فقد كـان الصناع يفعلون ذلك للملوك ولم يكن يخشون شيئا بالنسبة للنفقات.

آثار العصر الهخمانشى

يبدو من الآثار الباقية أن كل واحد من الملوك الهخمانشيين كان يبنى لنفسه أبنية خاصة، إلا أنها قد خربت وهدمت لبنائها من الآجر، ولم يبق منها سوى ما بنى بالحجارة من الدرج والأعمدة أو تماثيل الحيوانات المجسمة وذلك تقليدا للآشوريين، وقد بنى كوروش فى باساركاد العاصمة القديمة للأسرة الهخمانشية – وتعرف الآن بمشهد مرغاب – بناء خلد فيه ذكرى انتصاره على الميديين، ورغم أن هذا البناء قد دمر وخرب كلية ما عدا أعمدته، فإنه يوضح ما كان عليه من عمران وازدهار.

ويبدو مما بقى من آثار أن صورا قد نحتت من الحجر فى هذا المكان، ولكنها خربت وأن نقشا يظن أنه لكوروش قد درس، وعلى مقربة من هذا البناء بناء عظيم من الحجر يقع فى ستة مدرجات ويعرف هذا البناء اليوم باسم قبر أم سليمان ويعتقد المحققون أنه قبر كوروش. وقد وجد على مقربة من هذا البناء، نقش ترجمته: "أنا كوروش الملك الهخمانشي". وفى پاسارگاد تمثال بارز منحوت فى الحجر، يصور شخصا واقفا وقد مد يده خلفه وله جناحان، وأجنحته شبيهة بتماثيل الآشوريين، إلا أن لحيته إيرانية وتاجه مصرى وثيابه عيلامية، وكان يظن قبل ذلك أن هذا تمثال كوروش، ولكن يرجح الآن أنهم كانوا يريدون تصوير ملك.

وفيما يتعلق بپاسارگاد يجب القول بأن هذا المكان، كما دلت على ذلك الحفريات – مكان موغل فى القدم وأنها كانت مدينة كبيرة.

وتوجد فى تخت جمشيد – الذى يسميه اليونانيون پرس پوليس، والعاصمة الجديدة للملوك الهخمانشيين – خرائب وآثار قصور وأبنية كثيرة، بقيت الأجزاء الحجرية منها وقد بنى الجزء الأكبر منها داريوش الأول وخشيارشا وهناك قصور فوق ربوة عالية واسعة تسمى تخت جمشيد، يقود الشخص إليها عدة درج، اتساع الدرج سبعة أذرع وعددها ومائة ست (١٠٦) درجة، تنتهى تلك الدرج بعرصة أو بسطة واسعة يقع فوقها قاعة ذات مائة عمود وبها كذلك قصور داريوش وخشيارشا. وكانت قاعة خشيارشا تضم فى البداية أربعة وستين عمودا لا يزال قائما منها حتى الآن ثلاثة عشر عمودا، وارتفاع الأعمدة عشرون ذراعا تقريبا، والدرج المذكورة مزينة بحجارة منحوتة تصور رجال البلاط وأشخاصا آخرين.

وفوق تخت داريوش ثمانية وعشرون تمثالا يمثل كل تمثال منها مندوبا لولاياته وممالكه وقد وقف خلفه (داريوش) شخص يظن أنه خشيارشا.

فى نقش رستم: توجد ثلاث مقابر من مقابر الملوك الهخمانشيين خلف تخت جمشيد وعلى بعد فرسخ منه موضع يعرف بنقش رستم، وقد حفرت تلك المقابر فى الجبال وفى نقش رستم أقيم سرداب داخل المقبرة، وهو عبارة عن مدخل وحجرة ويضم هذا السرداب تسع مقابر، ولأن هذه المقابر عدا مقبرة داريوش بها نقوش، فلا يمكن تحديد بمن تتعلق من الملوك الهخمانشيين.

فى شوش:

يتضح من حفريات شوش أن الهخمانشيين قد شيدوا أبنية وعمارات كثيرة بها، إلا أن تلك الأبنية الآن ليست سوى تل ترابى، وقد عثر نتيجة للحفريات التى أجريت فى شوش على رأس عمود يرجع إلى عصر داريوش الأول وقد وجد ديولافوا نقشا[٥٢] قد صنع من آجر ذى بريق (قيشاني)، فإذا ضم مابه من قيشانى فإنها تظهر صورة من الجنود الإيرانيين النظاميين بحلتهم العسكرية المستخدمة آنذاك، والأسلحة التى يمسكها اثنان منهم هى القوس والكنانة والحربة، وأنهما يرفعانها عن الأرض كما لو كانا يؤديان التحية العسكرية.

ويغطى هذا الآجر الملون جدار قاعة العرش (أپادن) فــى قــصر شــوش وتزينه، وهذه الصورة موجودة الآن بمتحف اللوفر فى بــاريس وتعــرف برمــاة السهام الإيرانيين أو الخالدين (جاويدانها).

سروستان وفيروز آباد:

يقع هذان المكانان فى الطريق الممتدة من شيراز إلــى داراب گرد وبنــدر عباس، وقد بقى فى تلك الأماكن بعض حجرات وقبــاب لأبنيــة ســابقة، ويعتقــد ديولافوا أن هذين البناءين يرجعان إلى عصر كوروش الكبير، ويعتقد كذلك أن بناء الحجرات اختراع إيرانى وليس اقتباسا من الرومان.

وتشاهد آثار لمعابد النار فى أماكن مختلفة مــن إيــران تعــرف ببيــت النــار (آتشگاه)، من أشهرها حجر مكعب الشكل يعرف بتخت طاووس، ويقع فى ياســارگاد على مقربة من قبر كوروش، وكان هذا الحجر واحدًا من عتبات بيت النار.

وقبل أن نختتم هذا الفصل أرى من اللازم الإشارة إلــى أن بعــض النــاس يخلطون بين تخت جمشيد واستخر ويعتقدون أنهما اسمان لمكان واحد، فى حين أن استخر مدينة قديمة يعتقد بعض المحققين أن تاريخ بنائها يرجع إلى ما قبــل قــدوم الآريين لإيران، أو ترجع إلى حدود ألفى سنة ق.م؛ فى حين أن تخت جمشيد قد تم بناؤها فى القرن السادس ق.م.

اللغة والخط:

كتبت بعض النقوش الملكية الهخمانشية بثلاث لغات؛ أى بالفارسية القديمة والعيلامية والآشورية؛ وكتب بعضها الآخر بالفارسية القديمة فقط والــنقش الــذى كتب بتلك اللغات الثلاثة فضلا عن الآرامية نقش نادر. وقد كتبــت تلــك النقــوش بالخط المسمارى أى بعلامات شبيهة بالمسمار – عدا اللغة الآرامية. وقد كتبت تلك العلامات بصورة أفقية أو عمودية (رأسية) وحفرت فى الحجر من الــشمال إلــى

اليمين. والخط المسمارى الفارسى أسهل كثيرًا من الخطوط المسمارية العيلامية والآشورية؛ لأن لكل حرف صوتى فيه علامة واحدة.

ويتضح من النظرة الأولى لتلك النقوش أن اللغة الفارسية القديمة كانت لغة إيران فى العصر الهخمانشى وهذه اللغة جدة لغتنا (الإيرانيين) الحالية، لأن اللغة الفارسية اليوم مأخوذة عن الپهلوية التى اشتقت بدورها من اللغة الفارسية القديمة، إلا أن الدراسات المتعمقة والدقيقة تظهر خلاف ذلك لأن مقارنة الكتابات الهخمانشية بنحو اللغة الفارسية القديمة وصرفها توضح أن هذه اللغة كانت خاصة – طوال العصر الهخمانشى وخاصة قرب نهايته بالنقوش، وأن اللغة البهلوية أو لغة قريبة منها هى التى كانت تستخدم كلغة للكلام والمحاورة.

أما فيما يختص بكنه اللغة الفارسية القديمة، فيجب أن يكون واضحًا أنها مثل اللغة السنسكريتية – أى لغة الكتب الهندية المقدسة – واللغة الأوستائية أى اللغة التى كتبت بها الأفستا كتاب زرادشت المقدس، وأنهما قد نشآ عن اللغة الآرية المشتركة، أى أن هذه اللغات الثلاثة أشقاء من صلب واحد. أما عن معلوماتنا عن تلك اللغة المشتركة التى هى أصل اللغة الحالية، فليس بين أيدينا شىء عنها، لأن تلك اللغة المشتركة كان يستخدمها الآريون قبل ثلاثة آلاف سنة على الأقل قبل الميلاد، وتاريخ الكتابات التى خلفها الجنس الآرى لا ترجع إلى أكثر من ألف وأربعمائة سنة قبل الميلاد (ريگويدا) كتاب الهنود المقدس..

النقوش

أمر الملوك الهخمانشيون بكتابة نقوش فى أماكن مختلفة من إيران، ويبلغ عدد النقوش المكتشفة حتى الآن سواء على الأبنية المختلفة أو على أشياء أخرى أربعين نقشا، أهمها النقوش التى خلفها داريوش الكبير وأشهر نقوش الملك وأكثرها

تفصيلا نقش بيستون الكبير الذى حفر بثلاث لغات هى الفارسية القديمة والعيلامية والآشورية.. ويذكر داريوش فى هذا النقش نسبه ثم يتحدث عن واقعة برديا الكذاب والاضطرابات التى نشبت فى بداية توليه مقاليد الملك والحملات التى قام بها والحروب التى خاضها لإخماد تلك الثورات (وقد سبقت الإشارة إلى مضمونه). ويتحدث فى نهاية هذا النقش قائلا: إن الاضطرابات نشبت نتيجة ادعاءات كاذبة من بعض الأشخاص، فقد ادعى فرد فى كل ولاية انتسابه إلى العائلة الملكية وخدع الناس بذلك، وأنهى نقشه بهذه النصيحة:

"يامن ستتولى مقاليد الملك. احترس من الكذب بكل ما أوتيت من قوة وإن فكرت ماذا أفعل لكى أحافظ على مملكتى أقول لك فتش عن الكاذب واجتثه.. ولا تصادق الكاذب والظالم وجز رقابهما بالسيوف.

ويدعو فى نهاية هذا النقش لمن يحافظون على هذه الآثار ويحفظونها ويبلغون الناس بمضمونها.

وأشهر النقوش بعد هذا النقش معروف بنقش رستم الذى يوضح لنا اتساع إيران وحدودها فى ذلك الوقت[٥٣]. ومن النقوش التى خلفها داريوش:

الأسماء القديمة	الأسماء الحالية	الأسماء القديمة	الأسماء الحالية
ماد	مملكة ماد	آثورا	آسور
خووج	خوزستان	أرباي	عربستان (بلاد العرب)
پرتو	پارت (خراسان جرجان)	مودرايا (يه)	مصر
هراى و	هرات	أرمين	أرمنستان (أرالينيه)
باختريش	باختر – بلخ	كتاپانوك	كابادوكيه (القسم الشرقى من آسيا الصغرى)
سوغود (سوغده)	سغد (بخارا سمرقند)	سـپرد	مغرب آسيا الصغرى أو مدينة سارد
خوارزميش	خوارزم (خيوه)	ى ئون	يونانيو آسيا الصغرى
زرنك	سيستان	سكاتى ى تردريا	السك فى ذلك الطرف من البحر

الأسماء القديمة	الأسماء الحالية	الأسماء القديمة	الأسماء الحالية
هرخو واتيش	رخج (أفغانستان الجنوبية حتى قندهار)	سكودر	مقدونيا
ثاتا گوش	پنجاب الهند	يئو ناتك برا	تراقيه الحالية
گندار	كابل وپيشاور	پوتی یا	الصومال وعدن الحالية
هيندوس	السند	كوشيا (كوشا)	بلاد الحبشة
سكاهوم ورك	السك فى ما وراء سيحون	مكيا (مچيا)	برقه
سكاتيگر خئودا بابيروس	السك فى ما وراء سيحون بابل	كرخا (كركا)	قرطاجنة

واكتشفت خارج إيران نقش فى خليج السويس. ويتعلق بالقناة التى أمر داريوش بحفرها لربط البحر الأحمر ببحر المغرب (البحر الأبيض المتوسط). والنسخة المصرية لهذا النقش تحتل أهمية خاصة؛ لأنها تبين سلوك داريوش مع الممالك الخاضعة له وكيف كانت تتم معاملتهم.

وفى النسخة المصرية لهذا النقش: يوصف إينتاريوش (أى داريـــوش) بأنـــه فرعون مصر وأنه بناء على هذا ابن (بيت) أم الآلهة واخ لـــ (رع) آلهة الشمس وأنـــه أكثر عظمة ممن سبقه من الفراعنة، لأنه أخضع جميع الشعوب (الناس) لمصر.

وقد ذكر فى فهرست الممالك التابعة بارس أولا ثم مـــاد وذكـــر الـــسكا آخـــر الممالك. ولن نستطيع ذكر كل النقوش فى هذا المختصر؛ لذا سنكتفى بهذا القدر [٥٣].

الهوامش

١- كانت الطوائف الست الأولى هى الباساركادية – المرفى – الماسبيان – البانتال – دروز – الجرمن – والطوائف الأربعة الأخرى هى: الساركارايتيين – المرد – الدروبيك – الدائين، وبعض هذه الطوائف الأخيرة من السكا.

٢- المقصود بالوثائق:

أ- الإعلان الصادر من كروش إلى بابل المعروف بنقش أو عمود كوروش

ب- النقوش والكتابات الهخمانشية.

٣- سباكو يعنى الكلبة، وهذا هو الاسم الوحيد العامى الذى وصل إلينا من اللغة الميدية.

٤- كانت عاصمة لدولة فارس قبل داريوش الكبير، ويسمى هذا المكان الآن مشهد مرغاب.

٥- أى فى السنة التاسعة من حكم كوروش لانزان.

٦- **Doriens.**

٧- بابل از – باب ال، أى باب الله.

٨- كتب المؤرخون أن ارتفاع سور المدينة بلغ ثمانين ذراعا وأن قطره كان خمسة وعشرين ذراعا وكان على هذا السور خمسون ومائة برجا، وعليه بوابات من البرونز.

٩- ورد اسمه فى التوراة بلشصر.

١٠- "هكذا قال كورش ملك فارس: جميع ممالك الأرض دفعها إلى الرب إله السماء وهو أوصانى أن أبنى له بيتا فى أورشليم التى فى يهوذا. من منكم من كل شعبه ليكن إلهه معه ويصعد إلى أورشليم التى فى يهوذا فيبنى بيت الرب إله اسرائيل هو الإله. الذى فى أورشليم".(كتاب عزرا، الإصحاح الأول ٢-٤)

"هكذا يقول الرب فاديك وجابلك من البطن. أنا الرب صانع كل شيء ناشر السموات وحدى باسط الأرض.. القائل عن أورشليم ستعمر ولمدن يهوذا ستبنين وحربها أقيم.. القائل عن كورش راعى فكل مسرتى يتمم".

(كتاب أشعيا الإصحاح ٤٤، (٢٤ - ٢٨))

وهكذا يقول الرب لمسيحه أى لكورش إننى أمسكت بيمينه لأدوس أمما وأقضى على الملوك. ملوك أحل لأفتح أمامه الأبواب ولا تغلق. أنا أسير قدامك والهضاب أمهد. أكسر مصراعى النحاس ومغاليق الحديد أقصف، وأعطيك كنائز الظلمة وكنوز المخابئ لكى تعرف أنى أنا الرب الذى يدعوك باسمك إله إسرائيل".

(أشعيا الاصحاح ٤٥ (١-٣))

١١- هذا العمود مصنوع من الطين المحمى وقد كتب عليه خمسة وأربعون سطرا، وللأسف محى قسم من سطور هذا العمود، والتى كتبت باللغة البابلية.

١٢- أنشان كما يتضح من تاريخ عيلام هى نزان، ويتضح من هذا المنشور أن كوروش كان ملكا لانزان.

١٣- أى بابل

١٤- **Massagetes** قوم من السكا.

١٥- مشهد مرغاب الحالية.

١٦- يقسم بعض الباحثين التاريخ القديم أربعة أقسام:

أ- منذ الأزمنة القديمة حتى تأسيس الدولة الهخمانشية أى حتى كوروش.

ب- من كوروش حتى الإسكندر.

ج- من الإسكندر حتى ميلاد المسيح.

د- منذ هذا التاريخ حتى سقوط الدولة الرومانية الغربية.

١٧- يتجه التفسير الحديث للقرآن الكريم، الآية ٨٣ وما بعدها من سورة الكهف: " ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا. إنا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شيء سببا. فأتبع سببا حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوما. قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا.."

إلى أن المقصود بذى القرنين هو الملك كوروش. وممن قالوا بهذا التفسير أبو الكلام آزاد الذى نشر رأيه باللغة العربية الشيخ محمد حسن الباقورى فى كتاب "يسألونك عن ذى القرنين". وذهب إلى ذلك فضيلة الشيخ عبدالجليل عيسى فى تفسيره للقرآن الكريم.

١٨- اسمر ديز هو الاسم اليونانى لبرديا، ويسميه بعض اليونان مردياس ومردوس.

١٩- كان الأمراء وكبار المسئولين المعارضين لنظام الحكم يسمون عند اليونان باسم جبار.

٢٠- وثيقة أوجاگررسنت المودعة بالفاتيكان.

٢١- مكان النقط عبارات متكررة.

٢٢- يسمى اليونانيون هذا اليوم ماكرفونى أى قتل المغ.

٢٣- ورد اسمه فى النقش (نى دين توبل)

٢٤- يروى هيرودوت "أن حصار بابل استمر عشرين شهرا وأن زوبير الايرانى الذى كان ولاؤه وحبه لداريوش مضرب الامثال، قطع أذنيه وذهب إلى البابليين (المحاصرين) وأظهر لهم ما أصابه قاصدا بذلك إظهار أنه يريد الانتقام من داريوش، وبسرعة نال ثقة البابليين وأسندوا اليه رياسة فرقة من جيشهم، وبليل أفسح لجيش إيران الطريق الى بابل ". وتبدو هذه الرواية غير صحيحة ذلك أن ما أسفرت عنة حفائر بابل يبين أن الحصار لم يستمر أكثر من أربعة أيام وأن إخضاعها كان عام ٥٢١ ق.م. بينما رواية المؤرخين السابقين يجعلون هذا الحادث عام ٥١٩ ق.م. استناذا إلى رواية هيرودوت.

٢٥- ما يقرب من مائة وعشرين ألف تومان بالعملة الحالية فى إيران وما يساوى (١٢٠٠٠ جنيه مصري)

٢٦- كان اليونانيون يسمون من يتولى هذا المنصب كار انس، وتعنى كلمة كارا فى الفارسية القديمة سواد الناس والجيش.

٢٧- يعادل التالان (أوبه) الفضى ٥٦٥٧ فرنكا فضة، وهو بالنقد الإيرانى اليوم يعادل ١٢٠٠تومان....

٢٨- وكان ما يجبى من الهند يمثل أكبر قدر وهو ٢٦٠ تالانا ذهبا وهو يعادل ٤٦٨٠ تالان فضة. وبعد الهند تأتى بابل وأشور ويحصل منها ١٠٠٠ تالان فضة، ثم مصر وتؤدى ٧٠٠ تالان وأما سائر الولايات فتؤدى مابين

٥٠٠ و ١٧٠٠تالنا. أما الأموال العينية فكانت من الخيول والبغال والمهور والأغنام والغلة وعاج الفيل، وكانت عائدات مصايد الأسماك فـــى بحيـــرة موريس بفيوم مصر خاصة بالدولة. وكان على بابل أن تقـــدم خمـــسمائة خصى، ويقدم أهالى كلشيد مائة جارية كل خمس سنوات ويقدم الأعـــراب ألف تالان عددا.

٢٩- دريك أى الذهبى.

٣٠- يشك بعض الباحثين فى صدق ذلك، ولكن تأكـــد الآن أن أميـــر البحـــر اليونانى قد ألف كتابا حول أبحاثه ودراساته، وأن هذا الكتاب كان موجودا فى عصر الإسكندر.

٣١- يعتقد نولدكه أن السبب فى ذلك يرجع الى رغبة داريوش فى التوسع.

٣٢- أيد هيرودوت هذا القول.

٣٣- **Niebuhr. Voruagc uber Allc Geschichtc. T. II.p. 385-414.**

٣٤- ارجع إلى نولدكه: أبحاث تاريخية عن إيران القديمة.

٣٥- هكذا يسمى نفسه فى نقوشه.

٣٦- ابنة كبرياس، وهو نفس الشخص الذى كان يعاون داريوش فـــى واقعـــة وزعها الكذ اب (كتوبروو)

٣٧- **Atossa**

٣٨- ويعتقد بعض المؤرخين أن قصة استر ومردخا التى جاءت فى التـــوراة ترجع إلى ابتداء سلطنة خشيا رشا. والقصة المذكورة تقول إن الملك فـــى العيد أراد أن تخرج الملكة إلى المدعوين ليروا جمالها فامتنعت فغـــضب واختار امرأة أخرى هى ابنة أخ مردخا حارس بوابة القصر، ثم إن استير

صارت ملكة، وقد سماها استير ويعنى بها الستارة، وترتب على ذلك أن علا شأن مردخا فحقد عليه هامان وكان من المقربين من الملك، فأمر هامان بقتل كل يهود المملكة فى يوم عينه فتوسل مردخا باستر فأمرت بأن لليهود حقا ومانعت فى تنفيذ أمر هامان وقتل اليهود كثيرين من أعدائهم وصلب هامان على المشنقة. ويحكى هيرودوت أن رجلا من ليديا اسمه بى ثيوس قدم هدية لخشيا رشا هى ألفى تالان فضة و ٣٩٩٣٠٠٠ دريكا ذهبا، فرد الشاه هذه الهدية وقال أعطوه سبعة آلاف دريك حتى يكون لديه أربعة ملايين دريكا ذهبا ثم إن ابنه طلب بعد ذلك لتأدية الخدمة العسكرية فالتمس الرجل من الملك أن يعفى ابنه منها فأمر خشيا رشا بقطع رأس هذا الشاب وأن يلقى برأسه وجسده فى ناحيتين ثم أمر جنده بالمرور بين رأس وجسد القتيل.

٣٩- هو نفس الشخص الذى قتل اردوان وأصبح مقربا من أردشير.....

٤٠- همخوابه والمقصود بها المرأة التى تعيش كزوجة بغير عقد.

٤١- "أخس" تصحيف وهوك و"ن تس" بمعنى ابن الزنا، وهو الولد من غير زوجة شرعية.

٤٢- نولدكه: أبحاث تاريخية من إيران.

٤٣- يقال إن الإسكندر تشاور فى هذه الشروط مع صديقه بامن ين، فقال له هذا: لوكنت مكانك لقبلت الصلح، فأجابه الإسكندر وأنا كذلك لو كنت مكانك لقبلته.

٤٤- كانت أم الإسكندر قد قالت له إنه ابن الإله واعتقد الإسكندر بصدق قولها ولذا توجه إلى معبد آمون حتى يعترف الناس به على آنه ابن الله وقد اعترف له بذلك أيضًا معبدان يونانيان كانا فى أسيا الصغرى.

٤٥- هكذا ذكر كل من: ديودور الصقلى وكنت كورس وبلوتارك، أما آريــن فسكت عنه.

٤٦- ومن ذلك مثلا أن كوروش الكبير قد اختار فى بداية حكمه شخصا ليــديا لتولى الحكم فى ليديا، ثم عين بدلا منه شخصا إيرانيا – بعد طغيان الأول. وأراد كمبوجيه أن يولى أمر مصر لفرعونها السابق، إلا أنه عــدل بعــد اشتراك هذا الفرعون فى الثورة ضده.

٤٧- الأناهيد هى ربة الماء فى العصر الساسانى.

٤٨- هذا دليل على أن الهخمانشيين لم يفرضوا دينهم على أحد، وكانت السكة منذ زمان أردشير الثانى تحمل اسم ابلن الإله اليونانى فى آسيا الــصغرى كما حملت فى فينيقية اسم إلهها بعل.

٤٩- هى پوستيل: القاعة الكبرى أو ما اصطلح الإيرانيون على تسميته " جهل ستون معابد مصرى " أى المعابد المصرية ذات الأربعين عمودا.

٥٠- عالم رومانى عاش فى القرن الأول الميلادى، وله مؤلفات كثيــرة فــى العلوم الطبيعية وهى ذات أهمية لتاريخ العهد القديم.

٥١- فريز أو نقش، يرجع إلى فن العهد القديم، نقش على شكل مستطيل، ولذا عرف بالأفريز.

٥٢- لما كانت هذه النقوش تبين اتساع إيران فى ذلك الوقت، فإننا نذكر هنــا قسما منها حتى تكون نموذجا لإنشاء ذلك العصر وألقاب الملوك الهخمــا نشيين: إنه الإله العظيم أهور مزد الذى خلق هذه الأرض وتلــك الــسماء وهؤلاء البشر وخلق لهؤلاء البشر السعادة، وجعل داريوش ملكــا، وهــو الوحيد بين الملوك، وهو الوحيد الذى وضع القوانين. أما داريوش الملــك

العظيم – ملك الملوك – ملك الممالك – ملك هذه البلاد المترامية الأطراف – ابن ويشتاسب – الهخمانشي – الفارسي ابن الفارسي – الآرى من أصل آرى. يقول الملك داريوش إن هذا بإرادة آهور مزد. بالإضافة إلى فارس فهناك بلاد تحت تصرفى وأحكمها وتدفع لى الضرائب وتطيع أوامرى، وتطبق فيها قوانين. والجدول التالى ليس موجودا فى النقوش ولكننا نذكره هنا بهدف بيان الأسماء القديمة والجديدة:

٥٣- فهرست مختصر للنقوش الأخرى:

٥٤- اكتشف نقش لداريوش فى تخت جمشيد والوند (على مقربة من عباد أباد، قريبا من همدان) كما اكتشفت لوحتان أخريان فى همدان أخيرا، توضحان حدود إيران. واكتشفت كذلك نقوش لخشيارشا فى تخت جمشيد والوند ووان (وفى ارتوقابو) وهى نقوش صغيرة مختصرة، وتلقى ضوءا ساطعا على خشيارشا، نقش داريوش الثانى (وهى مدح للملك) نقش أردشير الثانى ويتعلق بتجسيم الشمس والزهرة. نقش اردشير الذى يوضح أن ويشتاسب وارسام لم يكونا ملكين، وما يحتويه هذا النقش من زهريات وأختام كثيرة، يجدر الإشارة إلى أنه منذ عدة سنوات اكتشف حجر فى واجهة قبر شاه نعمت الله بكرمان يتضمن نقشا باسم داريوش، ثم فقد الحجر بعد ذلك، ذكرنا قبل ذلك ما عثر عليه من نقوش مختصرة لكوروش، وفى عام ١٣٠٦ هـ اكتشف – فى باسارگاد – تمثال ناقص لكوروش، نقش عليه هذه الكلمات "أنا كوروش الملك الكبير" (وقد اكتشفه هرتسفلد).

الباب الثالث

العصر المقدونى واليونانى

الإسكندر والسلوكيون

الفصل الأول

فتوحات الإسكندر بعد موت داريوش الثالث

الإستيلاء على الممالك الشرقية لإيران

بعد أن فرغ الإسكندر من أمر تـــپورستان (طبرستان) شرع فى الاســـتيلاء على الممالك الشرقية لإيران. فتوجه فى بداية الأمر إلى جرجان (گرگان)؛ حيــث التقت الجيوش المقدونية فى زادكرت. وتوجه الإسكندر من جرجـــان إلـــى پارت (خراسان الحالية) وهراة ومنها إلى زرنگ (سيستان) ورخج[١] ثم دخل بلخ بعــد ذلك (٣٢٨ ق. م) وهناك ترامت إليه الأنباء عن هروب بس سوس قاتل داريـــوش من بلخ، وأنه قد عبر نهر جيحون، عندئذ أصدر أمره إلى ســـپيتـــامن **Spitamen** القائد الإيرانى ورئيس فرقة الخيالة العسكرية فى الصغد بالقبض عليه فتمكن مـــن ذلك بعد وقت قصير وصلب فى همدان[٢] وتوجه الإسكندر إلى مرگند (ســـمرقند) بعد عبوره لنهر جيحون، واستمر فى هجومه وزحفه حتـــى بلـــغ نهـــر ســـيحون وواصل زحفه على شاطئه حتى وصل إلى المكان الذى كان كوروش الكبير قـــد بنى لنفسه مدينة فيه فبنى الإسكندر على شاطئ هذا النهر مدينة عرفت بالإسكندرية القصوى (يعتقد أنها خجند الحالية) سمع الإسكندر فى تلك الأثناء أنباء عـــن تمـــرد ســـپيتامن وتمرده وأنه قد طلب من السكا تقديم العون والمـــساعدة لـــه، فهاجمـــه الإسكندر وأنزل به هزيمة قاسية بعد لأى، كان من نتيجتها أن قطع الـــسكا رأســـه وأرسلوها إلى الإسكندر.

الحرب مع بلاد الهند:

بعد ذلك تزوج الإسكندر فى سنة ٣٢٧ ق. من ركسانا[٣] ابنـــة إكـــسيارتس **Xiartes** أحد أمراء الصغد، وحين تمت الاستعدادات لغزو الهند، توجه إليها عابرا طريق هندوكش (كان عدد أفراد جيش الإسكندر فى تلك الحملة مائة وعشرين ألفـــا من الجنود) فعبر الإسكندر ممر خيبر والجسر الذى أقاموه على نهر الـــسند حتـــى

دخل مدينة (تاكسيلا) فى البنجاب فاستقبلة ملكها وأهلها بترحاب كبير، وتقدم منها إلى ناحية نهر هى داس بس Hydaspes (جلم الحالية) حيث كان پروس ملك تلك المملكة على رأس حيش من ثلاثين ألفا من الجنود والفيلة الكثيرة على استعداد لقتاله، وكان عبوره من جلم أمرا صعبا تغلب عليه الإسكندر بحيله الحربية وعبر النهر، ولكن المقدونيين حين ووجهوا بفيلة پروس اعتقدوا أن الحرب ستكون بلا نتيجة، واستغرق الإسكندر فى التفكير، إلا أنه حين أدرك تفوقه العددى على جيش بروس أمر جزءًا من جيشه بمهاجمة ميسرة العدو وتطويقه من الخلف، ونفذ المقدونيون ذلك. ورغم ذلك فقد حارب هذا الحاكم بضراوة وأحدثت فيلته خسائر جسيمة بالمقدونيين، ولكن بروس وقع فى النهاية أسيرًا لتنتهى الحرب بانتصار الإسكندر ٣٢٦ ق. م وكانت تلك الحرب من أصعب الحروب التى خاضها المقدونيون.. وهاجم الإسكندر بعد ذلك ما قابله من المناطق حتى وصل نهر هيفاز Hyphasis (نهر بيس الحالي) وعلم جنود الإسكندر حينذاك أنهم إذا توغلوا فى التقدم أبعد من ذلك فإنهم سيواجهون بمن هو أقوى من بروس وأكثر فيلة منه، عندئذ أخبرالإسكندر بذلك وقالوا إن ما تم من فتوحات كاف ولكل شئ حد، ولكل إنسان طاقة ولكل مشقة حد، ولكن الإسكندر لم يرغب فى العودة حتى قال له أحد قادته ويدعى كى نس Koinos: لم يبق من اليونانيين الذين قدموا معك سوى عدد قليل، فإن كنت تود الاستمرار فى التوسع فمن الأفضل لك العودة وإعداد جيش جديد. عندئذ رجع الإسكندر عن طريق نهر جلم. وهناك صنعوا سفنا تنفيذا لأمره – تتسع لثمانية آلاف فرد وأمر الإسكندر نه آرخ Nearchus أحد قادته بالتجول بهذه السفن من بحر عمان حتى خليج فارس(٤) وأن يجرى دراسات على المناطق المجاورة للبحر. وتوجه بنفسه على رأس قواته قاصدا مصب هذا البحر (٣٢٦ق.م) وحين وصل إلى پاتالا(٥) PATALA. أمر أحد قادته ويدعى كراتروس Craterus بايقاف القتال والعودة بجنوده وأفياله والتحرك إلى إيران عبر رخج وسيستان وتوجه هو نفسه إلى إيران سالكا طريق بلوجستان (٣٢٥ ق. م).

عودة الإسكندر إلى إيران ثم وفاته

توجه الإسكندر، أثناء عودته إلى إيران من پاتالا إلى ساحل المحيط الهندى، وكانت مكان تحرك جيشه فى الساحل القريب من المحيط والمعروف الآن بمكران وذهب الإسكندر بعد ذلك إلى مملكة گدرزى (بلوچستان الحالية)؛ حيث هلك عدد كبير من قواته لشدة الحر بتلك المنطقة وجدبها، فاضطر إلى التوجه إلى پورا (فهرج الحالية فى مقاطعة بلوچستان الإيرانية) وبعد أن مكث بها قليلا توجه إلى پاسار گاد عبر نهر هليل وسيرجان، وفى پاسارگاد علم أن قبر كوروش قد نبش، والتقت كتائب جيش الإسكندر كلها فى الأهواز ولحق بها نه آرخ قادما من بحر عمان وخليج فارس، ودخل الجيش المقدونى كاملا إلى شوش ولم يخض الإسكندر حربا بعد ذلك سوى مع الكوسيين الذين وردت الإشارة إليهم فى تاريخ عيلام، ويعتقد بعض الباحثين أن تلك الحرب قد خاضها الإسكندر مع الطوائف التى كانت تقطن مالمير الحالية ويسكنها البختياريون. ومما هو جدير بالذكر أن عدة آلاف من الكوسيين قد قتلوا قربانا – بأمر الإسكندر – لراحة روح قائد الإسكندر المحبوب (هفس تيون) الذى أدركته المنية حديثا (وقتذاك)[٦].

وتوجه الإسكندر بعد ذلك إلى بابل، حيث استقبل السفراء الموفدين من كل من قرطاجنة والحبشة وإيطاليا وبلاد الغال (فرانسة الحالية)، وبدأ يفكر فى غزو الجزيرة العربية، وشرع – تحقيقا لما دار بخياله – فى إجراء ما يلزم من دراسات عن الجزيرة العربية وأمر الفينيقيين بصناعة السفن، إلا أن الحمى القاتلة داهمته وأجهزت عليه وهو فى الثانية والثلاثين من عمره فى عام ٣٢٣ ق. م.

الفصل الثاني

سلوك الإسكندر وأعماله

بعد أن تم للإسكندر الإستيلاء على عاصمة إيران بدأ فى تغيير سياسته السابقة وبخاصة حيث كان فى سيستان، ويجب أن يكون واضحا لنا أن حكومة الحاكم المقدونى لم تكن حكومة مطلقة، وتوضيح ذلك أن الإسكندر كان يعد الشخص الأول بين أمراء المملكة وأشرافها وكانوا جميعًا يجلسون معًا فى المجالس وأثناء الاحتفالات وكان عدد منهم وهم المقربون يعدون أصدقاء للحاكم، وكان يتشاور فى أمور الدولة مع مجلس للشورى المكون من الرجال المحنكين، وكان هؤلاء الرجال أحرارا فى إبداء ما يرونه من أمور، إلا أن الإسكندر لم يستطع السير على هذا المنوال بعد استيلائه على إيران فقد كان أسلوب الحكم اليونانى والمقدونى وطريقته مغايرة لما كان عليه الوضع فى أمم الشرق كما كان الاختلاف البين فى طبائع اليونانيين والمقدونيين مع الإيرانيين سببا فى نفور الإيرانيين مما اضطر الإسكندر إلى اتباع أسلوب البلاط الإيرانى، واضطر اليونانيون والمقدونيون من ذلك التاريخ إلى الوقوف أثناء التشريفات الملكية طبقًا للعادة الإيرانية واضطروا إلى الركوع بإحدى أرجلهم إلى الأرض أثناء محادثتهم مع الإسكندر، ولم يكن اليونانيون والمقدونيون راضين عن هذا المسلك من الإسكندر فثاروا عليه مرتين، ولكنهم لم يوفقوا فى ثورتهم وقبض على عدد من المرافقين للإسكندر وقتلوا، وكان ممن قتلوا فيلوناس بن پارمينيون **Parmenion** قائد الإسكندر الشهير) والآخر گلبيت صديق الإسكندر الحميم الذى نجاه فى حرب گرانيك وأنقذه. وقبض على پارمينيون نفسه وقتله الإسكندر. ثم اتخذ الإسكندر مدينة بابل عاصمة له بعد الاستيلاء عليها. واتبع أسلوب داريوش الأول فى التنظيمات الإدارية وأعطى لحكام الولايات مزيدًا من الصلاحيات ويسمى اليونانيون هذا النوع من الولاة باسم ساتراب... وكان من بين الولاة واليان إيرانيان أحدهما آتروبات الذى تولى أمر آذربيجان، ويعتقد بعض الباحثين أن ولاية أذربايجان قد أطلق عليها آتور پاتكان نسبة

إليه[٧]. والآخر هو والى بابل الذى كان واليا على مصر فى عصر داريوش الثالث، وقد عين فى هذا المنصب جزاء وفاقا له على استسلامه (للإسكندر)... وقد اقتفى الإسكندر أسلوب داريوش الأول فى كل أموره مع اختلاف واحد هو تخصيص واحد من الرجلين اللذين يوفدان من قبل الشاه إلى الولايات للأمور المالية والثانى منهما لأمور الجيش. وتدثر الإسكندر بثياب الملوك الهخمانشيين واتبع مراسم البلاط الهخمانشى. وتزوج اثنتين من الإيرانيات (استاتيرا ابنة داريوش الثالث وركسانا إبنة اكسيارتيس) ثم أمر بعد ذلك بأن يتزوج عشرة آلاف من المقدونيين واليونانيين من الإيرانيات وبنات الشعوب الآخرى.

ورأى أنه من المحتم عليه سياسيا أن يعيد تنظيم الجيش من جديد، فسرح ـ تنفيذا لهذا الهدف ـ عشرة آلاف من المقاتلين المقدونيين من الجيش وأحل محلهم مثلهم من الإيرانيين والشعوب الأخرى، وقرر ضم ثلاثين ألفا من الأطفال الإيرانيين إلى تنظيمات الجيش المختلفة وتشكيلاته حتى يتعلموا سائر فنون القتال. وكان الإسكندر يهدف من هذا إلى تحقيق هدفين الأول: ألا يكون الجيش كله مقصورًا على المقدونيين واليونانيين لأن المعارضين للإسكندر منهم قد زاد عددهم. ثانيًا: أن يزداد التقارب بين الإيرانيين واليونانيين لإختلاطهما معًا لفترات طويلة.

أما فيما يتعلق بشخصية الإسكندر فينقسم الباحثون فريقين: يعتقد فريق منهم أنه كان شابًا شجاعًا فتيًا بهى الطلعة محبوبًا ذا عقل راجح قوى الذاكرة، إلا أنه فقد تلك الصفات كلها بعد الاستيلاء على إيران. وأصبح يتيه فخرًا بنفسه وكثير العمل شأنه شأن سائر الحكام. ويرى الفريق الثانى عكس ذلك وأرجعوا ما ارتكبه من سفك للدماء وأعمال ارتجالية إلى نشأته الأولى وأوضاعه وأحواله الخاصة. ولكن إذا نظر إليه نظرة منصفة محايدة يمكن القول بأن سلوك كوروش الكبير وداريوش الأول مع الشعوب المغلوبة كان أفضل من سلوك الإسكندر. فلم يرتكب أى منهما قتلا جماعيا فى أية مدينة ولم يسب أى منهما أهلها ويبيعونهم. ولم يبيحوا قتل أى

إنسان قربانا لروح إنسان آخر، كما فعل الإسكندر حين أمر بقتل الآلاف قربانا لراحة روح قائده المحبب إليه.

ودليل ذلك سهل ميسور فقد ذكر جوستن المؤرخ الرومانى فى القرن الثانى الميلادى أن داريوش الأول قد أرسل موظفا إلى قرطاجنة وحرم القرابين الإنسانية.

ويقيم بعض الباحثين غزوات الإسكندر وفتوحاته قائلين إنه كان يود التقريب بين شعوب العالم حتى يوجد بينها نوعًا من الألفة، إلا أن بعضهم يرى أن الحضارة اليونانية كانت ستسرى مسراها بين أمم المشرق دون ظهور الإسكندر، بل إن ظهور الإسكندر قد عمق حدة الخصومة بين الشرق والغرب؛ فقد نجم عن ذلك ظهور الدولة الأشكانية ثم الدولة الساسانية، وما حدث من حروب مستمرة بين إيران والسلوكيين والرومان والبيزنطيين لمدة استغرقت تسعة قرون كل هذا كان معاكسًا ومغايرًا لما قصد إليه الإسكندر، وعلى أية حال فقد أطلقوا عليه اسم الكبير[٨].

الفصل الثالث

خلفاء الإسكندر السلوكيون

ابتلى الإسكندر أثناء إقامته فى بابل بحمى شديدة، قضت عليه فى سنة ٣٢٣ ق. م بعد عدة أيام وهو فى الثانية والثلاثين من عمره، ولم يكن هناك ولى للعهد آنذاك، لأن روشنك (ركسانه) كانت تتهيأ للإنجاب، وقد عين خلفاؤه على هذا النحو: فى أوروبا: تولى أخوه فيليب مكانه، وتولى الحكم فى ممالك آسيا (نائبًا عن الملك) برديكاس أحد رجال البلاط البارزين، وقسمت الولايات بين قادة الإسكندر وتولى حكم آذربيجان آثروبات البارسى، وظلت الولايات الهندية كما كانت من قبل تحت سلطة الحكام المحليين.

ونظرًا لأن كل قادة الإسكندر لم يكونوا يرغبون فى الخضوع للحكومة المركزية فقد نشبت الثورات سريعًا فى سائر الممالك، واستولى كل واحد من الولاة المقدونيين واليونانيين على إحدى الممالك ونصب نفسه حاكمًا عليها خلفا للإسكندر (لهذا سموا جميعًا باسم الخلفاء). واستمر الصراع بين هؤلاء الخلفاء ما يقرب من عشرين سنة، وأنجبت ركسانه بعد وفاة الإسكندر ابنا، أسمته الإسكندر، ولكن الأمور لم تتغير عما كانت عليه وكان برد يكاس يرغب فى تسوية الأمور وإيجاد وحدة بينهم حتى هزم من بطليموس والى مصر وقتل بيد جنوده. وبعد ذلك تحارب الولاة كل مع الآخر وانتصر فى البداية أن تيگون والى قلقية، وأحرز انتصارًا فى شوش، إلا أن سلوكوس **Seleucus** أحد قادة الإسكندر تمكن من الانتصار عليه، واستولى على الجزء الأكبر من آسيا الغربية؛ حيث أسس أسرة السلوكيين التى بدأ حكمها منذ عام ٣١٢ ق. م، واتخذ مدينة بابل فى بداية الأمر عاصمة له ثم انتقلت العاصمة بعد ذلك إلى سلوكية التى بناها سلوكوس (أطلالها قريبة من بغداد على نهر دجلة) ثم انتقلت بعد ذلك إلى أنطاكية السورية[٩]. وكانت إيران فى بداية حكم

تلك الأسرة جزءًا من الدولة السلوكية، ولكن لم يمض وقت طويل حتـــى أعلنــت آذربايجان التمرد والعصيان على الحكم السلوكى، واستقلت بـــاختر (إقلـــيم بلـــخ) ويارت فى عهد أنتيوخوس الثانى حفيد سلوكوس، ولم تتوافر لنا معلومـــات كافيـــة عن مملكة باختر. ولكن يتضح مما عثر عليه من عملات وآثار أخـــرى أن هـــذه الدولة كانت يونانية بلخية (أو باخترية) وأن حضارتها كانت يونانية، وأنها كانــت تمتد من اسغد حتى مرو وبلخ، وكان أول ملك أعلن استقلال هذه الدولة عن الدولة السلوكية يسمى ديودوت الثانى (٢٥٦ ق. م).

وقد امتدت حدود هذه الدولة فى عصر دمتريوس حتـــى شـــرق افغانـــستان والبنجاب شرقًا. وتأسست دولة البارتيين فى سنة ٢٥٠ ق. م وسيأتى ذكرهـــا فـــى الباب الرابع، وحكم السلوكيون القسم الأكبر مـــن إيـــران ثمـــانين عامًـــا، وكـــان أنتيوخوس الثالث أشهر حكام تلك الأسرة وكانوا يسمونه الكبير، وأخـــذت الدولـــة السلوكية تتجه صوب الاضمحلال والانهيار بعد هذا الحكم. وأخذت الممالك التابعة فى الانفصال واحدة بعد الأخرى، حتى انحصر الحكم السلوكى فى سوريا وحـــدها لتصبح بدورها جزءًا من الإمبراطورية الرومانية فى سنة ٦٤٠ ق. م.

ومعلوماتنا عن إيران وأوضاعها فى عصر الإسكندر والسلوكيين قليلة، وما يمكن استنباطه من كتابات المؤرخين مثل آريان وبولى بيوس وغيرهما هو أن نظم الحياة والعادات لم تكن متباينة تباينا جذريًا بين الإيـــرانيين والمقـــدونيين، فكـــان كلاهما يعشق الحرب والصيد ويستمتع بأطيب المأكولات ويشرب أفضل الـــشراب ويحب الغنائم وتعدد الزوجات. وكان اليونانيون يمتدحون الديانة الإيرانية لـــسموها عن الديانة اليونانية ولأنها تحض على الصدق وتحرص عليه. وكـــان الإســـكندر ينظر إلى الإيرانيين نظرة احترام، ولذا كانت أسباب الاتصال بين هاتين الأمتـــين كثيرة ولم يكن اليونانيون يعتبرون إيران دولة أجنبية، لأن أمهـــات ولـــى العهـــد

المقدونيين والسلوكيين كن إيرانيات، ولذا يعتبر بعض الباحثين الأسـرة الـسلوكية أسرة إيرانية يونانية.

لم تكن أمور أشراف إيران فى تلك الفترة سيئة بدرجـة كبيـرة، لأن عـدد الولاة والقادة الإيرانيين كانوا كثيرين ولم يحدث اختلاف فى أحوال الزراع وسكان الخيام فقد كانت الطبقة الأولى ترزح تحت نير الاستعباد والاضطهاد، وأما الثانيـة فكانت تحيا حياة حرة، ولا يمكن تشخيص التأثير الحضارى اليونانى فـى إيـران، وما بقى من الشواهد الأثرية والكتب توضح أن الإسكندر والسلوكيين قد شيدوا فى ايران سبعين مدينة وبخاصة تلك المدن التى تحمل اسم الاسكندرية فـى سيـستان وأفغانستان وبلوچستان وعلى شاطئ نهر سيحون وكثير من الأماكن الأخرى، كما شيدوا مدينة واحدة فى فارس باسم أنطاكية، كما تـشير تلـك المـصادر إلـى أن الإسكندر قد شيد فى ماد قلعة ومدن للحيلولة دون هجوم الأقوام الشمالية، ويذكرون إسم مدينة صد دروازه (أى المائة بوابة) فى الجنوب الغربى من دامغان. ما ذكرناه عن أماكن تلك المدن إنما هو أقرب الاحتمالات إلى الصواب.

وكان يقطن هذه المدن كثير من المهاجرين اليونانيين، وقد سرت منها كثير من العادات والسلوك والسمات الأخلاقية اليونانية إلى المناطق والبلدان المجـاورة لها، وبخاصة وأن الـپارتيين قد خالطوا اليونانيين وامتزجوا بهم، وإن كـان مـن المسلم به أن هؤلاء المهاجرين اليونانيين قد انصهروا بعد عدة قرون فـى بوتقـة الايرانيين، وفقدوا هويتهم الأصلية، ونستطيع فى نهاية حديثنا أن نقول إن التـأثير الحضارى اليونانى فى إيران كان تأثيرًا سطحيًا لم ينفذ إلى الأعمـاق[١٠] ويمكـن القول إن الأسباب التى عجلت بانفصال الإيرانيين عن دولة الـسلوكيين هـى: أن السلوكيين كانوا أصلب عودا من شعوب آسيا الغربية الآخرين، فضلاً عـن تبـاين التنظيمات السياسية للآريين الإيرانيين عـن الأسـلوب المركـزى الـذى رغـب السلوكيون فى إقامته وإحداثه، وكانت الأمم الشرقية من إيران أكثر محافظة علـى

التنظيمات السياسية الآرية من بابل وآشور ــ بخاصة وأن الپارتيين لم تكن لــديهم الشجاعة والاستعداد الكافى لقبول المركزية الشديدة، مما أدى إلى التــصادم بــين أرشك ووالى السلوكيين فى پارت، فهب الپارتيون هبة أخرجوا بها عــدوهم مــن إيران، وحكموا إيران وبعض الأماكن الأخرى لمــدة خمــسة قــرون بالأســلوب السياسى الآرى.

الهوامش

١- رخج أو هر خو واتيش جنوب أفغانستان الحالية، وقد سماها اليونانيون أرخزيا.

٢- حكم بس سوس عدة أشهر فى باختر باسم أردشير الرابع.

٣- Roxana يسميها الإيرانيون روشنك ويعتقدون أنها ابنة داريوش بينما يعتبرها الباحثون ابنة أكسيارتس.

٤- وقد سمى نفسه آرخ الخليج بالخليج الفارسى منذ ذلك الوقت وذلك فى تقريره الذى رفعه للإسكندر المقدونى سنة ٣٢٦ ق. م، وإلى هذا التقرير ترجع هذه التسمية للخليج (المراجع).

٥- مدينة تقع فى المكان الذى يتشعب فيه نهر السند.

٦- لم يشر أرين إلى هذه الحادثة، وإن كان بعض المؤرخين من أمثال بلوتارك وكنت كورس وغيرهما قد أكدوا هذا الحدث.

٧- كانت تسمى بهذا الاسم فى العصر الساسانى.

٨- يعتقد بعض الباحثين المعاصرين أن الإسكندر ظل لست سنوات الحاكم المطلق للامبراطورية الإيرانية، وأنه خلال تلك المدة لم يترك سوى أعمال قليلة فلم يحدث أى تغيير فى تنظيم الولايات، وأبقى الطرق والموانئ وسائر إدارات الدولة على ما كانت عليه منذ عهد كوروش، حقًا إن الاسكندر أمر ببناء سبع عشرة مدينة باسم الإسكندرية، واحتلت بعض تلك المدن أهمية كبرى، إلا أنه خرب مدينة صور مما أفقد التجارة بين الشرق والغرب أمنها وأهميتها، ويقول المؤرخون إن الإسكندر قد صبغ

الشرق بالصبغة اليونـــانية، والحـــال أن اليونانيين كانوا موجودين بكثـــرة — قبل مجيء الإسكندر — فى بابل ومصر. ويستطرد الباحث قوله ناقــدًا لأعمال الإسكندر ومعـــددًا لهـــا: H.G. WELLS. Esquisse de L,Hist. Univers. paris 1926.

٩- أسماء الحكام السلوكيون الذين حكموا فى إيران:

- سلوكوس نيكاتر (من ٣١٢-٢٨١ ق. م)
- سلوكوس بنكاتر (من ٣١٢ – ٢٨١ ق. م)
- أنتيخوس الثانى ت أ س (٢٦٢-٢٦٤)
- سلوكوس الثانى كالى نى كس (٢٤٦-٢٢٦).
- سلوكوس الثالث ستر (٢٢٦-٢٢٣)
- أنتيوخوس الثالث (٢٢٣-١٨٧).
- سلوكوس الرابع ابى فان (١٨٧-١٧٥)
- أنتيوخوس ابى فان (١٧٥-١٦٤).
- أنتيتوخوس الخامس أباترى (١٠) دمتريوس ستر حكم الأول عـــامين والثانى اثنى عشر عامًا، وسيأتى ذكر لأسماء أخرى حين الحديث عن تاريخ بارت

١٠- كان لليونان تأثير بين فى بابل وسوريا ومـــصر خاصـــة. لقـــد بقيـــت الإسكندرية قرنين مركزا للعلـــوم والفنـــون، وكـــذلك المكتبـــة - مكتبـــة الإسكندرية — أو المتحف وهى معروفة للكافة. وكتبت كتب عـــدة باللغـــة اليونانية منها كتاب تاريخ كلدة ومصر، الذى ألفه برس الكلدانى ومان تن المصرى.

الباب الرابع

عصر البارثيين

الفصل الأول

البارثيون والملوك الأشكانيون

بارث تعنى خراسان الحالية - اختلف المؤرخون والباحثون لفتـرة حـول أصل البارثيين، فاعتبرهم البعض من الجنس الآرى واعتبرهم آخرون من الجـنس الأصفر (الجنس الصينى والمغولي)، كما عدهم البعض الآخر جنسا خليطـا مـن هذين الجنسين. غير أنه بعد التعمق فى دراسة لغتهم وعـاداتهم وأخلاقهـم قـوى الرأى القائل بأن البارثيين نوع من الآريين الإيرانيين، ولكنهم تأثروا فى عـاداتهم وأخلاقهم وعقائدهم بقبائل السكا بحكم الجوار معهم. ذلك أن أقوامًا من السكا يطلق عليهم عشيرة "داه" كانوا يشغلون قديمًا الأراضى الواقعة بين جرجـان وكراسـنو ودسك[1] الحالية - ولهذا السبب تسمى هذه المنطقة باسم دهستان- فحدث اخـتلاط بينهم وبين البارثيين المجاورين لهم، وبرزت بعد ذلك طائفة آپـارنى من عـشيرة داه، وخرجت أسرة الأشكانيين من هذه الطائفة. ومن ثم فإن أصل الأشكانيين يرجع إلى السكا، ولكنهم أصبحوا إيرانيين بحكم الإقامة الطويلة فى إيران. ويتضح ممـا سبق ذكره أنه لا يمكن اعتبار الأشكانيين أمة أو أسرة أجنبية. وقد اعتبرهم بعـض المؤلفين الإيرانيين من الجنس الأصفر، غير أن هذا الرأى ليس له أى سـند مـن الصحة، خاصة وأن السك كانوا آريين أيضًا.

ويجب أن يؤخذ فى الاعتبار أن عدد ملوك هذ الأسرة غير معروف علـى وجه اليقين، كما أن تاريخ حكم بعضهم مجهول تمامًا أو محدد على وجه التقريـب ذلك؛ لأنه لم تدوّن تواريخ على النقود الخاصة بأوائل ملوك هذه الأسرة. ويجب أن نشير هنا أيضًا إلى أن تاريخ هذه الفترة ليس واضـحًا، إذ إن مـؤرخى اليونـان والروم تحدثوا عن الوقائع والأحداث المرتبطة بدولهم، وذكروا معلومات مـوجزة عن بعض الأحداث الأخرى، وأحيانًا لم يذكروا شيئًا على الإطلاق، فـى حـين أن

هذه الدولة القوية لم تكن تزاحم إمبراطورية الروم فى تقسيم آسيا الغربية فحسب، بل قامت بالتأكيد بأعمال فى الشمال والشرق أيضًا فيما بعد.

أما عن تسمية الأشكانيين بهذا الاسم، فيعتقد البعض أن موطن الأسرة الأشكانية كان فى (آساك) وأن اسمهم أخذ من اسم ذلك المكان (تعرف آساك على أنها قوجان الحالية). والرأى الغالب أن الأشكانيين سموا أنفسهم بالأرشكيين حتى يصلوا بنسب هذه الأسرة إلى أردشير الثانى الهخامنشى الذى كان يسمى باسم أرشك، وتحولت بعد ذلك كلمة أرشكان إلى أشكان.

أشك الأول – أرشك الأول:-

تعاون هذا الشخص مع عشيرته أپارنى، ورفع لواء العصيان على السلوقيين فى عام ٢٥٦ ق.م. ودخل فى حروب متعددة معهم، وتغلب عليهم فى النهاية، وأسس دولة البارثيين (٢٥٠ق.م أو ٢٤٩ق.م كما ذكر البعض). واتجه بعد هذا الانتصار إلى باختر (بقطر، بلخ). ودخل فى حرب مع هذه المملكة التى كانت تتمتع بالاستقلال أيضًا، ولكنه قتل أثناء الحرب.

ولما كان أرشك هو مؤسس سلطنة الأشكانيين، فقد قدسه الملوك الأشكانيون الآخرون، كما أنهم منحوه لقب إپى فانِس[٢]. وأضافوا إلى اسمه كلمة أرشك[٣] (التى صارت أشك بعد ذلك) كتذكار على أنه كان أول الأسرة الأشكانية، وقد ذكر المؤرخون هذه المسألة.

أشك الثانى – تيرداد الأول:-

جلس على العرش بعد أخيه، واستفاد من اشتغال السلوقيين فى الغرب، فضم جرجان إلى بارث، ثم تحالف بعد ذلك مع ديودور[٤] ملك بلخ، وهزم سلوقوس الثانى وأطلق على نفسه اسم الملك الكبير (شاه بزرگ). وقد عدّ البارثيون جلوسه

على العرش بداية التاريخ (٢٤٧ ق.م). ولكى يصل الأشكانيون بنسبهم إلى الهخامشيين كانوا يقولون إن فرى ياپيت هو والد أرشك، وأن تيرداد الأول هو ابن أردشير الثانى.

أطلق اليونانيون اسم هكاتُم بيلس–أى المدينة ذات المائة بوابة– على عاصمة الأشكانيين. وهناك خلاف بين الباحثين حول تحديد موقعها الحالى. والرأى الغالب أنها كانت تقع فى جنوب غرب دامغان. وصارت الرى وهمدان وطيسفون[٥] أيضًا عواصم فيما بعد. وتُوفِّى تيرداد فى سنة ٢١٤ق.م.

أشك الثالث ـ أردوان الأول:ـ

جلس على العرش بعد أبيه، واستفاد من اشتغال أنتيوخوس الثالث (الكبير) أخى سلوقوس الثالث فاستولى على ولاية المرديين[٦] والرى وهمدان ولكنه انسحب بعد أن قدم ذلك الملك إلى إيران بجيش كبير، وسلم عاصمته أيضًا للسلوقيين.

توجه بعد ذلك أنتيوخوس إلى جرجان، ولكنه لم ينتصر على فرسان البارثيين. وتم عقد معاهدة بين الدولتين، واعترف رسميا بأردوان ملكًا على إيران والجدير بالذكر أن أنتيوخوس أغار فى هذه المعركة على معبد أناهيتا (الأناهيذ) المشهور، واستولى على ذخائر ونفائس كثيرة منه. ويقال إن قيمة هذه الذخائر كانت أربعة آلاف تالان[٧] (٢٠٨ق.م).

أشك الرابع – فرى يابيت:ـ

جلس على العرش عقب أبيه، وحكم فى أمن وهدوء، ذلك لأن سكان بلخ كانوا قد وجهوا اهتمامهم للهند، ولم يكن لهم شأن مع البارثيين. وتُوفِى فى سنة ١٨١ق.م.

أشك الخامس – فرهاد الأول:-

جلس على العرش بعد أبيه واستولى على تبورستان، وأجبر طائفة المردين على حماية مضيق بحر الخزر (أو كما يسميه الأوروبيون ببوابة الكاسبيان) والطريق الممتد من خراسان إلى ميديا. وقد أقام هذا الملك مدينة خاراكس(٨) فى الرى.

أشك السادس – مهرداد الأول:(١٧٠ـ ١٣٨ق.م)

جلس على العرش بعد أخيه وساهم فى جعل دولة بارت دولة عظيمة. وكانت دولة السلوقيين قد أنهكها الضعف فى ذلك الحين نتيجة حروبها مع الروم واليهود. فاستولى مهرداد على مرو وأخذها من البلخيين فى بداية الأمر، ثم انتزع بعد ذلك آذربيجان من الأمراء المحليين الذين كانوا قد استقلوا هناك. واستولى بعد ذلك على خوزستان وفارس وبابل، ثم اتجه إلى الهند فضم إلى مملكته منطقة تمتد حتى نهر جلُم. فاتسعت دولة البارثيين منذ ذلك الوقت.

حارب هذا الملك دمتريوس السلوقى ولكن لم يحالفه الحظ فى البداية، ذلك أن اليونانيين كانوا يساعدون دمتريوس ويساندونه، كما ثارت بلخ على البارثيين، غير أن مهرداد دخل فى مفاوضات الصلح ثم غافل دمتريوس وهاجمه وأسره وألقى به فى السجن. وقد لقب هذا الملك نفسه بلقب إمبراطور (شاهنشاه) مقلدًا ملوك الهخامنشيين.

أشك السابع – فرهاد الثانى:-

جلس على العرش بعد أبيه، استولى أنتيوخوس سى ده أخو دمتريوس على مملكة سورية فى غيابه، ولم يكتف بذلك بل أراد السيطرة على إيران، وقد حالفه الحظ فى بداية الأمر، إذ ثار أهل إيران على فرهاد، وضاقت السبل أمامه ولم يبق له سوى مملكة بارث، فأراد فرهاد عقد صلح، ولكن شروط الصلح كانت مجحفة

جدًا، إذ كان يحب عليه أن يكتفى بمملكة بارت وأن يدفع الجزية. ولكى يخلق الملك حربًا أهلية فى سورية أخرج دمتريوس من السجن حتى يسترد مملكة الشام الكبرى من أخيه، غير أن فرهاد قد وفق من ناحية أخرى، ذلك أن شدة ظلم السلوقيون قد استمالت الناس إلى جانب فرهاد، وقدم أنتيوخوس بجيش جرار إلى إيران، ولكن فرهاد لم يعطه الفرصة، فهجم عليه. وقتل الملك السلوقى أثناء الحرب، ولم يجرؤ السلوقيون منذ ذلك الوقت فصاعدًا على الاعتداء على إيران مرة أخرى، وبدأ الضعف يدبّ فى كيان الأسرة السلوقية. وهنا ظهرت مشكلة أخرى أمام فرهاد وهى أنه كان قد طلب من قبائل السكا مساعدته، ووعدهم بمبلغ كبير من المال ولما انتصر دون مساعدتهم ولم يعطهم شيئًا، أخذوا يغيرون على الولايات ويقتلون أهلها. وقتل فرهاد فى المعركة التى خاضها معهم "١٢٥ق.م".

فى ذلك الوقت تقريبًا، أغارت شعوب آرية تعرف باسم السك "سكها" على إيران وأقاموا فى أفغانستان الحالية وسيستان؛ ولذا سميت تلك البلاد فيما بعد باسم "سكستان" بعد أن كانت تسمى باسم "زرنگ"، ثم تغير هذا الاسم إلى سيستان (منتصف القرن الثانى قبل الميلاد).

ولفهم هذه الأحداث لابد من القول بأن تاريخ إيران كان مرتبطًا بتاريخ الصين آنذاك، إذ إن شخصًا يدعى "تسين" استولى على السلطة فى الصين بعد انقراض أسرة أباطرة "شو" وسيطرة ملوك الطوائف بعد ذلك، وأسس دولة قوية، وأقام سور الصين لمنع هجمات سكان الصحراء الرحل الأجلاف.

ولما لم تتمكن الأقوام المعروفة بالهون - وهى من الجنس الأصفر - من التقدم إلى الصين والهجوم عليها، فإنها اتجهت إلى النواحي الغربية، وأغارت على شعوب صفراء أخرى تعرف بشعوب الـ"يونه چي"، وأخرجوهم من ديارهم "٢٠٠ق.م" فضغطت هذه الشعوب المذكورة بدورها على الشعوب المعروفة بالـ"سكا" أو السك، وهكذا تدفق السك على بلخ وبرثيا.

أشك الثامن – أردوان الثانى:-

هو عم فرهاد الذى حارب شعوب اليوئه چى، فجرح ومات متأثرًا بجراحه، وكانت قبائل الهون قد دفعت هذه القبائل ناحية إيران، فنتقلت دولة باختر نتيجة ضغطها إلى الهند، ثم انقرضت بعد ستين عامًا، فأسس اليوئه چيون دولة فى بلخ تعرف فى التاريخ باسم "كوشان"، ويبدو أن مدة حكم أردوان كانت سنتين، وخلفه من بعده ابنه مهرداد.

أشك التاسع – مهرداد الثانى – الكبير:-

يعتبر هذا الملك واحدًا من ملوك الأشكانيين العظماء. وقد انتصرت فى عصره إيران على شعوب السك الذين كانوا يضغطون من الشمال على بلاد إيران. ومنوا بهزائم ساحقة على يد مهرداد، حتى إنهم لم يعتدوا على إيران لحقبة طويلة من الزمن. دخلت إيران منذ عصر ذلك الملك مرحلة جديدة كذلك، إذ إن دولة الروم المترامية الأطراف كانت قد بسطت نفوذها على عالم الغرب كله، وصارت على مقربة من حدود إيران. وظهرت أوضاع جديدة فى آسيا الغربية خلاصتها أن دولة الروم كانت ترى أن السيطرة على إيران والهند لازمة من أجل سيطرتها التامة على العالم من ناحية، وأن إيران –التى كانت قد بسطت نفوذها وتوسعت ناحية الغرب– كانت مضطرة لمواجهة هذا المنافس القوى المقتدر الذى أعجز العالم من ناحية أخرى. وقد أدت هذه الأحداث التاريخية إلى دخول إيران وبلاد الروم فى حروب ومعارك معًا طوال عدة قرون بغية تقسيم العالم، واستمرت المنازعات بين الأشكانيين والروم لمدة ثلاثة قرون. ولم تنقطع هذه السلسلة من المعارك بسبب انقراض الأشكانيين، ذلك أن الساسانيين – كما سيأتي– دخلوا هم أيضاً فى حروب مع الروم واليونان طوال أربعة قرون.

وهنا ينبغى إلقاء نظرة على أرمينية التى كانت ميدانًا من ميـــادين الحـــرب وكذلك على آسيا الصغرى.

أرمـــينيـــة

سبق أن ذكرنا أنه قامت دولة فى أرمينية تعرف باسم دولـــة أرارات، وأن الآشوريين دخلوا فى حروب معها، ولكنهم لم يتغلبوا عليها نهائيًا.

أما عن الوقت الذى تغيرت فيه دولة أرارات إلى دولـــة أرمينيـــة، فيقـــول هيرودوت: إن الأرمن كانوا يقطنون فى بداية الأمر فى "فريگية" وهى إحدى بـــلاد آسيا الصغرى، ثم هاجروا منها متجهين إلى آرمينية، وكانت هـــذه الـــبلاد تابعـــة لإيران فى عصر الدولة الهخامنشية كما سبق أن ذكرنا، وقد ضـــمت فـــى عهـــد الإسكندر إلى ممتلكاته وصارت من بعده تابعة لدولة السلوقيين. وصـــل مهـــرداد الأول - الذى وسع دولة بارث - إلى أرمينية، وحرر الآرمن أنفـــسهم مـــن نيـــر السلوقيين بمساعدته فى عهد أنتيوخوس إبى فانس.

وهنا شكلت دولة كان حكمها بيد أحد فروع الأسرة الأشـــكانية، مثـــل فـــال آرشك[٩] الذى حكم من سنة ١٥٠ حتى ١٢٨ ق.م، وحكم من بعده ملوك آخـــرون حملوا لقب ملك (شاه)، وكانوا تابعين للملوك الأشكانيين.

وفى عهد مهرداد الثانى لم يقبل ملك أرمينية آرتاگسياس[١٠] خضوع بـــلاده لإيران، فتوجه مهرداد إلى آرمينية وفتحها بعد أن كان قد أنـــزل هزيمـــة فادحـــة بشعوب السكا، ولكى يؤمن تبعية أرمينية له أخذ الابن الأكبر لتيگران ملك أرمينية ليقيم عدة سنوات فى البلاط الإيرانى كرهينة، وقد اتسعت حدود أرمينية فى عهـــد تيگران بعد ذلك.

ولما كانت هذه البلاد ممتدة من خليج إيسوس – أى من بحـر المغـرب – حتى بحر الخزر، فقد كان الملوك الأشـكانيون يعطـون مزيـدًا مـن الاهتمـام لخضوعها وتبعيتها لإيران. ومن ثم خاضوا الحروب مع الروم من أجلها.

آسيـا الصغرى

كانت هذه البلاد –كما سبق أن ذكرنا– تابعة لإيران فـى عهـد كـوروش الكبير، كما كانت تابعة لمقدونيا أيام الإسكندر، ثم صارت تابعة لدولة السلوقيين، وأحيانًا جزءًا من مقدونيا. إلى أن ضعفت الدولتان، فصارتا جزءًا من دولة الروم، وقامت دولة صغيرة متعددة فى آسيا الصغرى مثل پنـت، قليقيـة، پرغمـه[١١]، پافلاگونيه[١٢]، كبدوكية(بلاد القباذق)، وغيرها. إلا أن أى واحدة من هذه الدول لـم تلق اهتمامًا كالدولة الأولى، ذلك أن ملكها ميثرى دات (مهرداد) السادس –والـذى كان يصل بنسبه إلى الأشكانيين والهخامنشيين– قد قوّى هذه المملكـة ووسـعها، وأصبح أكبر عدو للروم فى آسيا. (لا يتضمن هذا المختصر شرحًا لهذه الأحداث).

أول اتصال بين إيران والروم

عندما سمع مهرداد الثانى الأشكانى فى سنة ٩٢ق.م أن لوسيوس سولا جاء إلى آسيا الصغرى سفيرًا من قبل مجلس الشيوخ الرومى، ولما كان غير راضٍ عن مسلك أرمينية تجاهه، فقد أرسل سفيرًا يدعى أرباذ إلى سولا حتـى يقـيم إتحـادا دفاعيًا وحربيًا مع دولة الروم، إذ إن دولة أرمينية احتلت بعض الأماكن التى كانت قد سلمتها لإيران فيما مضى، ولم تكتف بهذا بل تطاولت على حدود إيران أيـضًا. وقامت مباحثات وديّة بين سفير إيران وسولا، لكنها لم تثمر، فلم يكن لـدى سـفير الروم أمر بشأن إقامة اتحاد أو أنه لم يرغب أصلاً فى عقد مثل هـذه المعاهـدة. والجدير بالذكر أن سولا كان يشغل مكانًا محترمًا فى الاجتماعات، إذ كان يجلـس

بين ملك كبدوكية وسفير إيران. فتسبب سلوكه هذا فى ضيق مهـرداد وغـضبه، وعندما عاد سفيره إلى إيران قضى عليه بسبب عدم محافظته على كرامته.

لم يهزم مهرداد الأشكانى السك فحسب، بل إنه وصل بحدود إيـران حتـى جبال الهيمالايا فى شمال الهندوستان، وقد تم الحصول على هذه المعلومـات مـن نقود الأمراء الأشكانيين الذين حكموا فى تلك المناطق.

أشك العاشر- سندروگ

مضت مدة بعد مهرداد حتى جلس سندروگ أخو فرهاد الثانى على العرش فى سنة ٧٧ق.م[١٣]. وقد ذكر البعض أنه ابن أرشك ديكـايوس[١٤]، وأنـه كـان عجوزًا ضعيفًا. وكانت دولة أرمينية فى ذلك الوقت قوية قادرة نتيجة اتحادها مـع دولة بنت، لذا استولى تيگـران على آذربايجـان وأغـار علـى وادى الفـرات، وتطاول على بقايـا ممتلكـات الـسلوقيين، وأطلـق علـى نفـسه اسـم ملـك الملوك(شاهنشاه).

ويجب أن يؤخذ فى الاعتبار تمامًا أن تاريخ إيران يتسم بالغموض فى الفترة الواقعة بين سنتى ٨٨ و٦٦ ق.م، وما وصل إلينا يدل على ضعفها آنذاك. وكانـت مدة حكم سندروك سبع سنوات.

أشك الحادى عشر – فرهاد الثالث ـ٦٩ـ٦٠ق.م:ـ

جلس على العرش بعد أبيه، وأقيمت علاقات مرة أخرى بين دولـة إيـران ودولة الروم فى عصره، فعندما دخل بومبى آسيا الصغرى حديثًا، وكانت أرمينيـة قوية، أرسل رسولا إلى فرهاد يبلغه بأنه إذا توجه ملك إيران بجنده إلـى أرمينيـة فستصبح مدينتا كردفين وآديابن[١٥] من نصيب إيران، عندئذ أغـار فرهـاد علـى

أرمينية بجيش كثيف ومعه ابن تيگران الأكبر والأمراء الآرمن الذين كانوا فى البلاط الإيرانى، وحاصر آرتاكساتا.

وفرّ تيگران ناحية الجبال، وظن ملك إيران أن الأمر قد انتهى وعاد، ولكن بمجرد أن سمع تيگران بخبر عودته رجع وفرق الجيش المحاصر. وبعد أن هزم بومبى أرمينية وأخضعها له، لم يوفِ بوعده.

وقد أدى هذا السلوك المنكور وكذلك عدم رغبة بومبى فى مخاطبة فرهاد بلقب ملك الملوك إلى سوء العلاقات بين ملك إيران وبينه، وأراد القائد الرومى فى بداية الأمر أن يحارب إيران، ولكنه أدرك بعد قليل من التأمل خطورة الأمر فامتنع عن ذلك.

وسويت هذه المسألة بحكمة بين إيران وبلاد الروم فيما بعد. وطالما كان بومبى فى آسيا فإنه كان يتودد إلى الدولة الأشكانية، ولكن الأوضاع دلت بوضوح على أن الدولتين الكبيرتين – إيران والروم– ستلتقيان كخصمين بسرعة؛ أولاً لأن فرهاد طلب من بومبى أن يصير نهر الفرات حدًا بين الدولتين، فلم يعطه إجابة شافية. وثانيًا لأن بومبى أقام روابط وعلاقات مع خوزستان وفارس وآذربايجان.

وقد دسّ السم لفرهاد ولداه مهرداد وأُرُد (٦٠ق.م).

أشك الثانى عشر – مهرداد الثالث

جلس مهرداد على العرش بعد أبيه، وحكم أربع سنوات. وثار عليه العظماء والشعب نظرًا لقسوته وسفكه للدماء، وأجلسوا أخاه الأصغر أُرُد على العرش. ذهب مهرداد إلى كابينيوس[١٦] والى الروم فى سورية، فظن الوالى المذكور أن هذا الحدث يعد سببًا مناسبًا للتدخل فى شئون إيران فى بداية الأمر، ولكنه سرعان ما التفت إلى شئون مصر وصرف النظر عن مساعدة مهرداد.

أشك الثالث عشر – أرد الأول – (٥٥-٣٧ق.م):-

هو أحد ملوك الأسرة الأشكانية المشهورين. بعد أن أصـــاب اليـــأس أخـــاه مهرداد من والى سورية، لم يهدأ وقام بأعمال ضد أخيه، ولكنه سرعان ما أُسر فى بابل وقتل. وحدثت أول حرب بين إيران والروم فى عهد أرد، وانتهـــت بانتـــصار إيران، ذلك أن كراسوس(١٧) – وهو أحد الرؤساء الثلاثة لبلاد الـــروم المترامية الأطراف(١٨) – صار حاكمًا على سورية والبلاد الخاضعة للروم فى آسيا، ووضع ضمن مخططاته الاستيلاء على إيران والهند. ولهذا أغار فى المرة الأولى بالفيالق الرومية(١٨) **Legion** على ما بين النهرين، وأحرز تقدمًا، ثـــم عـــاد إلـــى الـــشام (٥٤ق.م). عندئذ التقى به آرتاڤاردس(١٩) ملك أرمينية فوعده بأن يعطيه ستة عشر ألف فارس وثلاثين ألف جندى من المشاة، وقال لكراسوس"إذا حاربت فى أرمينيـــة مع إيران فإن فرسان جيش إيران لن يتمكنوا من عمل شيء، وسينتصر مشاة جيش الروم نهائيًا، فقد اعتادوا على المناطق الجبلية". ولكن كراسوس رجح منطقـــة مـــا بين النهرين ليهجم منها على إيران، لأنه كان يعرفها جيدًا بسبب سفره السابق.

عندئذ أرسل أرد سفيرًا إلى كراسوس ليسلم هذه الرسالة التى يقول فيها:"إذا كان شعب الروم يريد محاربتى فإننى حاربت ولم أخش أســوأ عواقـــب الحـــرب. ولكن إذا كنت تتطاول على أرض إيران بهدف المنافع الشخصية كما فهمت، فإننى مستعد للعفو عن سفاهتك وإعادة أسرى الروم". فقال كراسوس للسفير:"سأرد علـــى ملكك فى سلوقية". فأجاب السفير ضاحكًا: إذا كان من الممكن أن تنبت شعرة فـــى كفة يدى فإنك سترى سلوقية". عندئذ توجه كراسوس إلى ما بين النهـــرين بجـــيش جرار يتكون من الفيالق المدربة التى يصل عددها إلى اثنين وأربعين ألف جنـــدى. ولكن أرد دخل بجنوده المشاة أرمينية بمنتهى السرعة، فاحتل هذه البلاد، ممـــا لـــم يمكن ملكها من إرسال فرسان جيشه لمساعدة كراسوس.

وفى النهاية أرسل سورنا[٢٠] – وهو أحد القواد العظام الأكفاء– ومعه كل الفرسان البارثيين لحرب كراسوس. غير أن كراسوس الذى كان يود فى البداية السير بمحاذاة ساحل الفرات والحرب أمام سلوقية، غير خطته بإغراء أحد شيوخ العرب المتحالفين مع أرد، ودخل سهول ما بين النهرين، وتقدم حتى اقترب من حران (كاره)[٢١]، وهناك ظهر جيش سورنا فجأة.

ولجأ القائد الإيرانى إلى حيلة، إذ أخفى قسما من فرسان إيران لخداع الروم وغطّى أسلحة القسم الآخر بأغطية جلدية، وعندما رأى كراسوس قلة عدد فرسان الجيش الإيرانى وقلة أسلحتهم وعتادهم، ظنّ أنه سيحرز نصرًا سهلاً للغاية، فبدأ الحرب قبل أن يتيح لجنده فرصة للراحة والشراب.

وهنا تحركت فيالق الروم تجاه العدو، واستخدموا أولاً الحراب، ثم تبارزوا بالسيوف وجهًا لوجه. وكانت الصفوف المذكورة تتكون من جنود مدربين ملتصقين ببعضهم تمامًا، وبمجرد أن تحركت الصفوف الرومية، تعالت دقات طبول الجيش الإيرانى وتجمع الفرسان الإيرانيون المختبئون من كل جانب، وخلعوا الأقنعة ودخلوا المعركة. ولم تكن السهام الرومية مؤثرة وفعالة فى مواجهة فرسان الجيش الإيرانى، ذلك لأن البارثيين كانوا يحاربون من بعيد نظرًا لمهارتهم فى رمى السهام، وعندما اقترب مشاة الجيش الرومى استخدم فرسان الجيش البارثى أسلوب حرب الكر والفر، أى يحاربون فترة ثم يفرون من كل ناحية، ويلقون بسهام معوجة حتى يسحبوا الروم إلى أماكن لا يتوفر فيها الماء والعلف، ثم يعودون من كل جانب ويحملون على الفيالق الرومية، ويصيبونهم بخسائر فادحة.

فى ذلك الوقت وصل فابيوس[٢٢] ابن كراسوس الذى كان تحت إمرة يوليوس قيصر أعظم قائد رومى، وكان قد تعلم فنون الحرب فى بلاد الغال[٢٣] (فرنسا الحالية) ومعه ألف وأربعمائة فارس، وأسرع لمساعدة كراسوس ولكن رغم ما أبداه فرسان بلاد الغال من شجاعة نادرة، فإنهم لم يتمكنوا من التغلب على

الفرسان البارثيين، ذلك أنهم فروا من أمام فابيوس ثم عادوا وهجموا من كل ناحية، وفى الوقت الذى أراد فيه كراسوس أن يعطى الأوامر بالهجوم لجيشه، رأى فجأة رأس ابنه ترتفع على طرف حربة بين البارثيين.

وبمجرد أن شاهد فرسان البارثيين الرأس، ازدادت جرأتهم وجلدهم وضيقوا الخناق على الروم، فقرر أوكتافيوس[٢٤] - وهو أحد رؤساء أركان الحرب وصار قيصرا للروم فيما بعد- الانسحاب.

أراد جيش الروم أن يتجه إلى المنطقة الجبلية حتى يحتمي هناك من هجمات فرسان الجيش الإيرانى، ولكن لم يتحقق لهم ما أرادوه بسبب خطأ ارتكبه المرشد الذى كان يدل الجيش المذكور على الطريق، فالمنطقة التى احتلها جيش الروم لم تكن تمنع العمليات الحربية التى يقوم بها فرسان الجيش الإيرانى، عندئذ طلب سورنا من كراسوس عقد هدنة، واتفق معه على أن يذهب ناحية النهر لتوقيع الهدنة.

فاطمأن كراسوس واتجه وحده مع سورنا ناحية النهر، وبعد تحرك كراسوس قلق رؤساء أركان الحرب، فربما حدثت خيانة له، ولحقوا به وهنا حدثت معركة بين فرسان البارثيين والروم وقتل كراسوس، وبمجرد أن سمع جيش الروم خبر مقتله، أصابهم رعب شديد، ووقعوا أسرى فى أيدى البارثيين أو فى أيدى العرب، ماعدا ألفين منهم استطاعوا الهرب. ويروى أن خسائر جيش كراسوس فى هذه الحرب بلغت عشرين ألف رجل، وأن عدد الأسرى الذين أسرهم البارثيون وأرسلوا إلى مرو بلغ عشرين ألف جندى تقريبًا (٥٣ق.م).

وينسب البعض مقتل كراسوس إلى فتنة حدثت فى جيش الروم، ويقال إن سورنا كانت له يد فى هذه الفتنة. ويتفق مع الرواية الأولى أن تصرفه كان من باب الخيانة، ولكن الرواية الثانية تبدو أصح، لأن حالة الروم المعنوية كانت سيئة، وكان الانسحاب قد اختير منعًا للفتنة. حملوا رأس كراسوس إلى أرد عندما كان فى

أرمينية، وألقوا بها تحت قدميه، وذلك في الوقت الذي كان يقدم فيه عرض تمثيلي من مصنفات أوريبيد[٢٥] **Euripide** المصنف اليوناني المشهور – في البلاط بمناسبة زواج پاكر إبن أرد من ابنة ملك أرمينية، فرفع أحد الممثلين اليونان الرأس عاليًا، وأخذ يقرأ شعرًا لأوريبيد مناسبًا للمقام.

ويستفاد مما كتبه مؤرخو الروم أن سورنا أثر تأثيرًا غريبًا في الروم، وكان موضع اهتمام خاص. وكان هذا القائد قد أعد عشرة آلاف فارس من أملاكه وتابعيه لهذه الحرب، وقادهم إلى ساحتها. وبعد فتح حران اتجه أرد للاستيلاء على سورية، فتحارب مع كاسيوس[٢٦] الذي كان قد عاد مع بقية جيش الروم إلى تلك البلاد.

وهناك استخدم الروم أسلوب البارثيين، وسحبوا الجيش الإيراني إلى كمين وهزموهم. عندئذ عقدت هدنة طويلة بين إيران والروم، ثم عاد أرد فأرسل في سنة ٣٩ق.م م پاكر ولابي نيوس القائد الرومي الذي كان في خدمة ملك إيران، بجيش كثيف للاستيلاء على سورية.

وكان النصر حليفهم في بداية الأمر، ولكنه تحول إلى جانب الروم بعد مجيء ڤينتيديوس باسوس[٢٧] إلى سورية، ذلك أن باكر قتل في هذه المعركة، فصرف أرد النظر عن الاستيلاء على سورية، إلى أن كره السلطنة بعد وفاة ابنه فأعطاها لابنه الأكبر فرهاد.

حران وماراتن

لمعركة حران أهمية كبيرة في تاريخ إيران، ذلك لأن الروم كانوا منتصرين في كل مكان حتى ذلك الحين، وقد ألقت هذه الهزيمة ظلالاً على صولتهم، ورفعت اسم دولة بارث عاليًا في العالم. وتشبه معركة حران معركة ماراتن، فكما اصطدمت آنذاك الدولة الهخمانشية العظيمة في حركتها ناحية الغرب والمرة الأولى بحائط يوناني محكم، وتوقفت توسعاتهم، كذلك اصطدمت دولة الروم –

فاتحة الدنيا- للمرة الأولى بسد إيران المتين، وانتهت توسعاتها فى آسيا منذ ذلك الوقت فصاعدًا. وعندما كان يوليوس قيصر حاكمًا مطلقًا على الروم فكر فى أن يعوض هزيمة الروم فى إيران، وشُغل بجمع الفيالق ولكنه سرعان ما قتل.

أشك الرابع عشر- فرهاد الرابع

يرى بعض المؤرخين أن باكر هو أشك الرابع عشر، ولكن هذا الرأى لا يتفق مع مقتله فى عهد أبيه. وبمجرد أن جلس فرهاد الرابع على العرش قضى على إخوته، كما قتل أباه الذى وجه إليه اللوم على فعلته هذه (٣٧ق.م).

الحرب الثانية مع الروم

تشدد فرهاد فى معاملته مع العظماء إلى درجة أن بعضهم هاجر من وطنه، وذهب مُنْزِس - أحد قواده المشهورين- إلى مارك أنطونيو[٢٨] الذى كان أحد ثلاثة تولوا زمام الأمور فى الروم، وكان واليًا على مصر، وأخبره بأنه قد حان الوقت لكى تأخذ الروم بثأرها من إيران انتقامًا لهزيمة كراسوس وعندما سمع فرهاد هذا الخبر استمال هذا القائد المذكور وأحضره، وطلب أنطونيو من فرهاد عن طريقه أن ترد إلى الروم البيارق الرومية والأسرى الذين مازالوا على قيد الحياة، ولكن هذا كان ظاهر الأمر، فى حين أن أنطونيو كان يستعد للحرب سرًا. وعندما استعد توجه إلى إيران بجيش قوامه مائة ألف جندى، وأعطاه ملك أرمينية آرتافاردس[٢٩] ستة آلاف جندى من المشاة، ونفس هذا العدد من الفرسان. أراد أنطونيو أن يدخل إيران من ناحية الفرات، ولكن عندما رأى البارثيين وقد تحصنوا فى كل موقع اتجه ناحية أرمينية، فقال له ملك أرمينية:"إن كل جيوش إيران موجودة فى نواحى الفرات، لذا يمكنك غزو آذربايجان والاستيلاء على عاصمتهم پراسپا[٣٠]، فتوجه ناحية تلك المدينة، وعندما وصل إليها ورآها مدينة حصينة، وبها حامية عسكرية

كافية، انتظر مجيء مؤن الجيش وأدوات الحصار. ولكن البارثيين تعرضوا للروم بأسلوبهم الحربى وقتلوا عشرة آلاف شخص منهم، وأصيب جيش آرتاڤاردس بهزائم فادحة عقب ذلك. وأصبح موقف أنطونيو صعبًا. وخلال هذا الهرج والمرج انقض البارثيون أيضًا على مؤن جيشه وغنموا كثيرًا منها، ولم ير القائد الرومى بدًا من الانسحاب. وسلك الطريق الجبلى حتى ينجو من فرسان البارثيين، ولكن طريق الجبل لم يستغرق أكثر من يومين، وفى اليوم الثالث وبمجرد أن دخلوا السهل ظهر البارثيون على الفور وتصدوا لهم.

وفى خلال التسعة عشر يومًا التى قضاها على أرض إيرن قتل ثمانية آلاف رومى. وبعد عبوره من أرَس، وعلى الرغم من أن البارثيين لم يتعقبوه بعد ذلك، فإن ثمانية آلاف رومى قد لقوا حتفهم كذلك بسبب زمهرير الشتاء وعدم توفر المؤن ومشقة الطريق، ونجت البقية الباقية من الجيش الرومى التى كانت فى حالة يرثى لها من التعب والعناء (٣٦ق.م)، وكان خط انسحاب الروم من الشاطئ الشرقى لبحيرة أورميه والأماكن التى تقع اليوم فى تبريز تقريبًا.

ذكر بلوتارك أن أنطونيو عندما رأى مشقة الانسحاب وصعوباته فى هذا السفر كان يقول دائمًا:"تعالوا أيها الجنود العشرة آلاف" يعنى العشرة آلاف جندى يونانى الذين انسحبوا من كوناكسا فى عهد أردشير الثانى بعد مقتل كوروش الصغير، وتحملوا كل هذه الصعوبات. وتمجيد أنطونيو لليونانيين المذكورين فى محله. غير أنه إذا أخذنا فى الاعتبار تفاوت الأوضاع فى هذا الزمن وزمن أردشير الثانى، فإن آلام الروم ومحنهم كانت أكبر بكثير، ذلك أن أحدًا لم يتعرض للعشرة آلاف يونانى المذكورين من كوناكسا وحتى طرابزون فى ذلك الوقت، وفى هذه الحرب عندما خرج ثمانون ألف رومى من إيران كانوا يحمدون الله على نجاتهم من يد رماة السهام الإيرانيين.

الحرب الثالثة مع الروم

اشتعلت الحرب من جديد بين إيران والروم بعد مرور سنتين على الأحداث التى سبق ذكرها، وذلك بسبب الغنائم التى تم الحصول عليها بعد انتصار إيران على الروم، إذ لم يرض ملك ميديا[٣١] عن حصته، ولكنه لم يتمكن من الاعتراض خوفًا من فرهاد؛ فما كان منه إلا أن أرسل شخصًا إلى مارك أنطونيو يدعوه لحرب إيران، فجمع جيشًا على الفور وتوجه إلى أرمينية، ذلك أن الهزيمة التى حلت به منذ سنتين قللت من هيبته وعظمته، وزادت من عظمة ملك إيران. وبعد أن دخل أنطونيو أرمينية صب جام غضبه على آرتاڤاردس فورًا، فاستولى على كل أرمينية، وترك حامية قوية هناك، وعاد إلى مصر. ثم رجع فى سنة ٣٣ق.م متجهًا هذه المرة إلى أرس، وعقد معاهدة مع ملك ميديا، وأعطاه بعض أجزاء من أرمينية، ووضع تحت تصرفه عددًا من مشاة الروم.

وفى ذلك الحين اشتدّ الخلاف بين مارك أنطونيو وأكتافيوس الذى كان فى بلاد الروم، فاستفاد فرهاد من تلك الأوضاع وهزم أولا ملك ميديا وأسره، وصحب معه بعد ذلك آرتاكسياس ابن ملك أرمينية ودخلها، وأسر أفراد الحامية الرومية واحدا بعد الآخر، وقضى على فرقة[٣٢] القائد الرومى ستاسيانوس[٣٣]، ومن ثم اشتد الأمر على مارك أنطونيو، فاضطر إلى التخلى عن أرمينية متكبدًا خسائر فادحة والعودة إلى مصر، وعادت أرمينية إلى سيرتها الأولى تابعة لإيران.

زادت هذه الحرب من قدرة فرهاد ومكانته، وعمومًا فإن الانتصارات المتوالية التى حازها البارثيون فى هذه الحروب الثلاثة جعلت إيران تبدو فى نظر العالم آنذاك على أنها ند ومنافس قوى لدولة الروم العظيمة، ومن ثم فإن الروم لم يتعرضوا لإيران بعد ذلك ولمدة قرن.

حدثت بعد هذه الحروب ثورة فى بلاط إيران، فقد تمرد على فرهاد شخص يدعى تيرداد وذلك بسبب حدة طبعه وغلظته وعنفه، وأجبر فرهاد على أن يفر إلى آسيا الوسطى، فأجلس الشعب تيرداد على العرش، وحكم ثلاث سنوات، ثـم عـاد فرهاد بجيش من بدو صحراء آسيا الوسطى إلى إيران وجلس على العرش.

وعندما رآى تيرداد الأوضاع تسير على هذا المنوال، حمل أصـغر أبنـاء فرهاد وذهب إلى أوكتافيوس الذى كان فى سورية آنذاك، حتى يستعين به، فقبلـه أوكتافيوس واحتفظ بابن فرهاد كرهينة، لكنه امتنع عن حرب فرهاد.

أصبح أوكتافيوس إمبراطورًا على بلاد الروم بعد سبع سـنوات، فـدخل معـه فرهاد فى مفاوضات وطلب أن يسلمه تيرداد، فلم يقبل. ولكنه أعاد ابن ملـك إيـران، وطلب أن يرد فرهاد فى مقابل ذلك البيارق الرومية. ومع أن فرهاد قد سُرّ لرؤية ولده إلا أنه لم يكن مستعدًا لإعادة بيارق الروم، غير أنه أعادها نظرًا لإصرار أوكتافيوس.

وقد تركت هذه المسألة أثرًا عميقًا فى بلاد الروم، كما أن أهل تلـك الـبلاد سروا بذلك، وسجل كتّاب ذلك العصر هذه الواقعة بالتفصيل، ومـدح هـوراس[٣٤] الشاعر الرومى المشهور أوكتافيوس.

لم يكن أوكتافيوس يفكر فى توسيع بلاد الروم، وكان يتّجنب الحـرب ولمـا كانت دولة إيران طرفًا هامًا وقويًا فى الشرق، فقد أقام صداقة مع فرهـاد وتلقـى فرهاد تلك العلاقات الطيبة بقبول حسن. وأرسل القيصر بعد ذلك لفرهـاد جاريـة إيطالية تسمى موزا[٣٥] لتوطيد العلاقات، كما أرسل فرهاد أبناءه عند الإمبراطـور ليقيموا فى بلاد الروم. وكان هذا التصرف بإيحاء من زوجته الإيطالية التى كانـت تريد إبعاد أبناء فرهاد عن العاصمة لكى تمهد لابنها ولاية العهد.

أرمينية

ظلت الأوضاع التى أوجدها فرهاد فى أرمينية كما هى، أى أن أوكتافيوس كان يعترف بأرتاكسياس ملكًا عليها، وصار أخوه ملكًا من بعده. ولكن حدث خلاف فى وجهات النظر بين إيران والروم بعد موته بشأن انتخاب ملك جديد. وكان فرهاد يميل إلى تيگران الذى أصبح ملكًا بإجماع الآراء. فصدمت هذه المسألة إمبراطورية الروم، ولما كان غير راغب فى الحرب، فإنه أرسل حفيده كايوس(٣٦) إلى المشرق بصلاحيات تامة حتى يسوّى هذه المسألة. وفى هذه الأثناء مات فرهاد مسمومًا بتحريض من إبنه فرهاد الذى أنجبه من المرأة الإيطالية (عامان قبل الميلاد تقريبًا).

أشك الخامس عشر – فرهاد الخامس

أطلق المؤرخون الروم اسم فراتاسس(٣٧) على فرهاد هذا، ويقال إن هذا الاسم هو مصغر فرهاد. جلس على العرش مع أمه بعد سم أبيه، وخلق إمبراطور الروم مشكلة حول الاعتراف به. وفى النهاية استقر الأمر على أن يلتقى فرهاد بكايوس فى جزيرة نهر الفرات، وأن تسوّى المسألة وديًا. ولما رأى فرهاد أن مكانته مزعزعة صرف النظر فى هذا اللقاء عن أرمينية، بشرط أن يعقد معاهدة صلح مع الروم (١ق.م)، غير أن النبلاء قاموا بخلعه عن السلطنة بسبب كراهية الناس له، ثم قتلوه. ويوجد على نقوده صورة الأم والابن.

أشك السادس عشر – أرد الثاني

كان أميرًا أشكانيًا. وجلس على العرش بعد فرهاد، وقتل بعد أربع سنوات فى المصطاد (٦م) (٣٨).

أشك السابع عشر – ڤانان

طلب المغستان (مجلس الأمراء ورجال الدين الزردشتى) – بعد أرد الثاني– من إمبراطور الروم إرسال أحد أبناء فرهاد حتى يتولى الحكم، فأرسل ڤانان (ذكر الروم اسمه ڤنونس)، ولما كان قد اعتاد أخلاق الروم وتخلق بها، فإنه لم يستمكن من الحكم، وجلس مكانه على العرش أردوان (سنة ١١ميلادية تقريبا).

أشك الثامن عشر – أردوان الثالث

أردوان الثالث هو الذى يصل نسبه من ناحية أمه إلى الأشكانيين، وكان ملكا على آذربايجان وخاضعا لملك إيران. ثم أخذ العرش من ڤانان وفرّ إلى أرمينية، وصار ملكًا على هذه المملكة (١٦م)، ولكن أردوان أبعده من هناك بقوة.

وفى تلك الأثناء فر ڤانان إلى سورية وأصبح تحت حماية الروم، وتدخل الروم فى أرمينية وفقًا للاتفاق الذى عقدوه مع فرهاد الخامس، ونصبوا آرتاكسياس[٣٩] ملكًا. فغضب أردوان من هذا التصرف، وكتب رسالة شديدة اللهجة إلى تيبريوس[٤٠] إمبراطور الروم، ثم ذهب إلى أرمينية وأجلس ابنه أرشك على عرش تلك البلاد، فاستشاط تيبريوس من رسالة أردوان غضبًا، وأرسل أحد أبناء فرهاد إلى سورية حتى يثير حربًا أهلية فى إيران. وحرض سكان الشمال مثل الگرجيين[٤١] وغيرهم على غزو أرمينية فألقى أرشك القبض عليهم وقتلهم. ودخل أردوان فى الحرب، ولكنه لم ينتصر، عندئذ لم يرض عنه البارثيون نظرًا لعدم توفيقه هنا وفى أماكن أخرى، فخلعوه وأجلسوا تيرداد مكانه. ذهب أردوان إلى جرجان، وزاد أنصاره بعد فترة، فتوجه إلى طيفسون وجلس على العرش. وعندما رأى إمبراطور الروم الأوضاع على هذه الحالة، أسرع فى طلب الصلح مع إيران. وبموجب الاتفاق قبل أردوان أن تكون أرمينية خارج منطقة نفوذ إيران ثم لم

يرض عنه البارثيون فخلعوه من جديد. ولكن لم يمض وقت طويل إلا وعاد إلى عرشه حتى مات (٤٠م). ومن أحداث سلطنته ثورة السلوقيين وقتل اليهود.

أشك التاسع عشر، العشرون، الواحد والعشرون - فاردان- گودرز- ڤانان الثاني

قامت الحرب الأهلية - بعد أردوان الثالث - بين ولديه ڤاردان وگودرز وكانت الغلبة لفاردان. ولكن قبل أن يصل إلى العاصمة قبض عليه گودرز وبعد أن كشف فتنة ضد الملك تصالحا. ولم يمض وقت طويل إلا وقتل ڤاردان وجلس گودرز على العرش، ولما كان قاسيًا وظالمًا إلى أبعد الحدود طلب (المغستان) من إمبراطور الروم مرة ثانية إرسال مهرداد ابن فرهاد الرابع إلى إيران، ففعل ذلك، ولكن گودرز هزمه وقطع أذنيه حتى لا يتمكن من الحكم، ثم مات گودرز أيضًا بعد ذلك بقليل (٥١م). وجلس ڤانان على العرش، ثم ترك العرش لابنه بعد مرور سبعة أشهر.

ويرى جوت شميد أن ڤانان كان أخا لأردوان الثالث، وحكم حتى سنة ٥٤م.

أشك الثانى والعشرون - بلاش الأول:-

جلس بلاش بن ڤانان على العرش فى سنة ٥١م تقريبا، وعزم على الاستيلاء على أرمينية، ولكنه اضطر رغم توفيقه للعودة نظرًا لانتشار المرض والقحط. وقامت بعد ذلك المنازعات بينه وبين ملك أديابن التابع له وفى ذلك الحين وصلت أخبار تفيد بأن عشيرة داه وبعض الطوائف من بدو الصحراء هجموا على حدود إيران، فأسرع إلى حدود جرجان. وفى هذه الحرب وفق فى إبعادهم عن إيران، وعند عودته كان موضوع أديابن قد سوى، ذلك أن ملكها الجديد ومنوبازوس كان يتصرف بطريقة لا تضايق بلاش. وعندما فرغ بلاش من الشئون الداخلية وجه كل اهتمامه ناحية أرمينية فغزاها بجيش. وفر ملك أرمينية راداميستاس الذى كان خاضعًا للروم، تاركًا عرش بلاده لتيرداد بن بلاش.

ومعروف إلى أى مدى تعارض هذ العمل الذى أقدم عليه بلاش مع عظمة الروم، فعلى أثر ذلك أمر قيصر الروم نيرون[٤٢] أعظم قائد رومى وهو كربول[٤٣] بمحو هذه الإهانة. وهنا ظهرت مشكلتان أمام بلاش؛ الأولى ثورة ابنة فاردان عليه، والثانية ثورة أهالى جرجان. وشغل بلاش بالشئون الداخلية، فى حين دخل تيرداد ملك أرمينية فى حرب مع الروم، ولم يحرز تقدمًا. وكانت النتيجة أن قسمت دولة الروم أرمينية وأعطتها للملوك المجاورين التابعين لها.

وبعد خلع فاردان وإخماد ثورة جرجان أخبر الملك بلاد الروم بأنه لم يتنازل عن حقه بالنسبة لأرمينية، وهجم بجيشه على ما بين النهرين، ثم بدأت المفاوضات بعد ذلك بين إيران والروم. واستقر الأمر على أن تسحب الدولتان جيوشهما من أرمينية حتى تحل القضية وديًا فى بلاد الروم. لكن سفير إيران عاد من بلاد الروم غير راض، ونشبت الحرب من جديد مع الروم، فعبر جيش الروم الفرات، وحصن مواقعه على الضفة الشمالية منه ودخل بتوس[٤٤] القائد الرومى الآخر بلاد أرمينية، وأغار عليها فلم يجد مقاومة، إذ إن جيش إيران كان يحتفظ بشاطئ الفرات، ولما وجد أن الأمور قد انتهت على هذه الشاكلة، ذهب إلى المشتى، وأعطى إجازة لكثير من قواده، واستفاد بلاش الذى كان يراقب الأوضاع من ذلك، فحمل على جيش الروم فجأة، وانتصر عليه، وقبل بتوس شروط بلاش للجلاء عن أرمينية، غير أن كربول القائد الرومى لم يكف عن القتال، واتجه ناحية أرمينية حتى يعوض هزيمة بتوس. عندئذ كانت المفاوضات التى بدأت مع الروم قد وصلت إلى ما يرضى الدولتين، واستقر الأمر على أن ينصب تيرداد بن بلاش ملكًا على أرمينية بعد أن يذهب إلى بلاد الروم ويتسلم التاج من يد نيرون (٦٣م).

ويتصور أكثر الباحثين أن الإشارة الموجودة فى دين كرت[٤٥] إلى جمع الأفستا فى عهد بلاش، تعنى بلاش الأول، ذلك أنه طبقًا للروايات الزرتشتية، فإن الأفستا كانت قد ضاعت بسبب استيلاء الإسكندر والمقدونيين على إيران. فتولى ذلك الملك جمعها، وتم هذا العمل فى عهد أردشير بابكان. وقد كان بلاش وعائلته متدينين جدًا.

تتويج تيرداد فى بلاد الروم

ماطل تيرداد فى التحرك، وكان يجب أن يتوج فى بلاد الروم طبقًا للمعاهدة، وسافر إلى هناك بعد ثلاث سنوات، وتم سفره كما يقال فى أبهة وضجة. واستغرق سفره إلى بلاد الروم وعودته إلى أرمينية تسعة أشهر. وكانت الخزانة الرومية قد دفعت لمصروفاته ثلاثين ألف تومان بعملة اليوم، لأن تيرداد لم يرغب فى السفر عن طريق البحر نظرًا لتدينه، فالماء أحد العناصر المقدسة ويعد تلويثه بالقاذورات ممنوعًا ومحرمًا طبقًا للدين الزرتشتى.

وبعد عودة تيرداد إلى أرمينية جعل بلاطه كبلاط ملوك الأشكانيين وأوجدت المعاهدة التى عقدت بين بلاش ونيرون سلامًا ثابتًا بين الدولتين الكبيرتين إيران والروم، فلم يحدث نزاع بين الطرفين طوال خمسين عامًا.

وفى عهد هذا الملك اتفق الآلانيون[٤٦] مع الگرجيين، وأغاروا على أرمينية وآذربايجان، وطلب بلاش العون والمدد من قيصر الروم فسباسين، ولكنه لم يقدم له يد العون، وقد غنمت تلك الشعوب المذكورة غنائم كثيرة من إيران بعد غزواتهم (٧٥م).

وفى سنة ٧٧م تُوفِى بلاش، وحكم من بعده ثلاثة أشخاص غير أنه لا يعرف أصلهم ونسبهم وتاريخ حكمهم على وجه الدقة. ويبدو أن طالبى الحكم آنذاك كانوا

كثيرين نتيجة الحروب الداخلية، وقد حكم كل واحد منهم فى قسم من إيران بلقب ملك الملوك (شاهنشاه)، وعلى أية حال فها هى أسماؤهم:

بلاش[٤٧] باكر الثانى -أردوان الرابع

استمرت تلك الأوضاع حتى سنة ١٠٧م. وفى هذا العام جلس خسرو على العرش، وكان بلاش الأول آخر ملك أشكانى مشهور وقوى نسبيًا. واتجهت من بعده الدولة الأشكانية إلى الانحطاط والتدهور وأصابها الضعف، وإذا دققنا النظر وجدنا أن ضعف هذه الدولة بدأ بعد فرهاد الرابع، ذلك أن الروم عندما وجدوا أنهم لن يتفوقوا على منافسهم فى ميدان الحرب حاولوا إضعافه عن طريق آخر، إذ سبب وجود الجارية الإيطالية فى البلاط الإيرانى أضرارا كثيرة للدولة الأشكانية، فقد كانت هذه المرأة سببًا فى ذهاب أبناء فرهاد إلى بلاد الروم وإقامتهم هناك، فاستفاد الروم من هذا الوضع فوائد كثيرة، وأظهروا للعالم أن هؤلاء الأمراء رهائن البارثيين فى بلاد الروم. وبهذه الطريقة طووا تحت أجنحتهم طالبى السلطنة. وكلما اقتضى الأمر أوجدوا حربًا أهلية فى إيران عن طريقهم. وكما مر، فقد خدع الروم هؤلاء الأمراء مرة ثانية، وحققت سياسة الروم أهدافها إلى حد ما، وإلا لما وفقوا فى بسط نفوذهم على أرمينية التى كانت داخلة فى منطقة نفوذ إيران بالتحديد.

أشك الثالث والعشرون – خسرو – (١٠٧-١٣٢م)

اشتعلت نيران الحرب من جديد فى عهد هذا الملك بين إيران والروم بعد صلح دام خمسين عامًا، ذلك أن تراجان[٤٨] إمبراطور الروم آنذاك والذى يعتبر واحدًا من القادة المشهورين فى عصره، قام بفتوحات فى داكيّة (رومانيا الحالية)، ووفق بالإضافة إلى ذلك فى إعداد جيوش منظمة ومدربة؛ لأنه كان يفكر فى

الاستيلاء على العالم، أى أنه كان يريد أن يجعل من نفسه الإسكندر الثانى، والمعروف أن الاستيلاء على العالم لا بد أن يبدأ من ناحية إيران.

وفى ذلك الوقت تُوفى تيرداد ملك أرمينية (١٠٠م). وأجلس باكر على الفور أحد أبنائه على عرش تلك البلاد، وكان يدعى إكْزدارس[٤٩] دون أن يستشير فى ذلك دولة الروم. ولم يقبل تراجان هذ التصرف مطلقًا، فاتخذ منه ذريعة لتحقيق أحلامه، واتجه بعد ذلك إمبراطور الروم بجيش جرار مدرب إلى آسيا، وعندما بلغ مقدونيا ذهب إليه سفير خسرو محملاً بالهدايا، وأخبره أن خسرو مستعد لعزل إكزدارس وتعيين بارتا مازير[٥٠] بن تيرداد ملكا على أرمينية بشرط أن يتسلم التاج من يد الإمبراطور. ولما كان تراجان ميالا للحرب لم يقبل هذا الوضع، ورفض قبول الهدايا وأجاب بأنه سيعمل ما فيه الصالح بعد دخول الشام. وبعد دخول سورية، وجد الظروف مهيأة فدخل أرمينية (١١٥م)، وانتظر بارتامازير، ذلك لأنه كتب إليه يخبره بأنه سيعترف به ملكًا على أرمينية إذا تسلم التاج من الإمبراطور كوالده، فحضر الأمير الأشكانى بسرعة وأخذ التاج، ووضعه طبقًا لشروط المعاهدة بين قدمى تراجان منتظرًا أن يعيد التاج، لكن تراجان لم يرد إليه التاج بل أخبره بأنه معزول عن الحكم، ولم يكتف بهذا أيضًا بل قبض عليه بعد انصرافه وقتله.

وقد كان هذا التصرف من العار إلى درجة أن العالم فى ذلك الوقت استنكره كذلك. قام تراجان بعد ذلك بفتوحات فى أرمينية وما بين النهرين واستولى على آديابن والحضر[٥١] ودخل بابل، ثم استولى على سلوقية وطيسفون وهبط من دجلة متجهًا إلى الخليج، ورفع العلم الرومى فوق مياهه للمرة الأولى. ومن ناحية أخرى لم يكن خسرو مستعدًا أن يمكّن الروم منه، ولكنه لم ير أن من صالحه مواجهة الروم كذلك. فعمد إلى إثارة الولايات الخاضعة لهم، ولم يمض وقت طويل إلا وبلغ تراجان خبر الثورة والعصيان من كل مكان، فأصابه الخوف والذعر، وانقطعت

خطوط اتصاله مع سورية بسبب هذه الفتن، فهاجم الحضر ولكن الثوار أجبروه على التراجع، عندئذ رأى أن السبيل الوحيد الذى يجب أن يسلكه هو الانسحاب، فأجلس أحد الأمراء الأشكانيين على عرش السلطنة فى طيسفون، وأعطى الأمر بالانسحاب وتوفى تراجان بعد ذلك بعام (١١٧م).

صار هادريان(٥٢) إمبراطورا على الروم. وتغيرت سياسة دولة الروم على يد الإمبراطور الجديد. ذلك أن الحفاظ على ما بين النهرين وأرمينية كان يشكل صعوبة للروم بسبب جوارهم لدولة إيران، مما أدى إلى حروب مستمرة؛ لذا اعتقد هادريان أن رأى أوكتافيوس أوجست إمبراطور الروم الأول حول حدود الإمبراطورية كان صحيحا، وأنها لا يجب أن تتجاوز الفرات. ونتيجة لهذا القرار انسحب الروم من البلدان الثلاثة التى استولوا عليها. وتم لقاء بعد ذلك فى سنة ١٢٢م بين إمبراطور الروم وملك إيران على حدود الدولتين، وكانت لهذا اللقاء نتائج حسنة أفادت العلاقات الطيبة بين البلدين.

ويجب أن يؤخذ فى الاعتبار أنه فى عهد تراجان وبعده بقليل كانت دولة الروم فى أوج عظمتها، بينما كانت الدولة الأشكانية تتجه إلى الضعف.

أشك الرابع والعشرون – الخامس والعشرون – بلاش الثانى وبلاش الثالث

جلس بلاش الثانى وبلاش الثالث على العرش بعد خسرو. وبدأت فى عهد بلاش الثانى هجمات الآلانيين من جديد. ويرجع السبب فى هذه المرة إلى تحريض "فَرَسْ مَنْ" ملك الكرجيين. ولم يتمكن بلاش من مواجهتهم، فأعطاهم مالاً فى النهاية ليبعد شرهم عن آذربايجان والبلاد المجاورة، وقد أظهر هذا التصرف ضعف الدولة الأشكانية (١٣٥م).

توجه بلاش الثالث فى سنة ١٦١م إلى أرمينية وأخرج ملكها الذى كان تابعًا للروم، فخرج لحربه القائد الرومى إليوس – ڤريانوس[٥٣] فهزمه، وعبر بعد ذلك البارثيون نهر الفرات ودخلوا سورية. وهناك صدهم قائد رومى مشهور يدعى كاسيوس. وكانت حربه فى البداية دفاعية، ولكنه هاجم بعد ذلك البارثيين، فانسحبوا ناحية الفرات. استولى بعد ذلك كاسيوس على أرمينية وخرب آرتاكساتا، واستدعى ملكها السابق من الروم وأجلسه على عرش أرمينية. ولم يكتف بهذا بل أراد أن يفتح بلادا أخرى مثلما فعل تراجان. وبهذا الهدف استولى على سلوقية ونهبها. وانتشر وباء الطاعون فى ذلك الوقت، فأصاب الجيش الرومى بأضرار بالغة، وانتشر فى كل بلاد الإمبراطورية الرومية. وأدى ذلك إلى دخول القسم الغربى من بلاد ما بين النهرين مع نصيبين ضمن بلاد الروم (١٦٥م). وكانت وفاة بلاش الثالث فى سنة ١٩١م طبقًا لما هو مسجل على النقود.

أشك السادس والعشرون – بلاش الرابع

جلس على العرش بعد أبيه، ونشبت المعارك فى عهده مع الروم من جديد (١٩٤–١٩٧م)، إذ ثار سكان القسم الواقع فيما بين النهرين الذى كان قد ضم إلى الروم، وعندما جاء سبيتيمس سڤرس[٥٤] إلى ما بين النهرين للقضاء على الثورة وسير سفنًا فى دجلة كما فعل تراجان، استولى على سلوقية وضم آديابن إلى بلاد الروم. ولم يحدث اعتراض من جانب البارثيين بسبب ضعف دولتهم. وعندما رأى سڤر مشكلات الفتوحات فى تلك البلاد صمم على العودة، ولكنه كان يريد الاستيلاء على الحضر لوجود معبد خاص بإله الشمس بها، وهذا المعبد له شهرة واسعة لما يحتوى عليه من أشياء ثمينة وثروات طائلة. وطال حصار الحضر وأصاب الإمبراطور اليأس من الاستيلاء عليها فانسحب. ولكن آديابن صارت جزءًا من بلاد الروم، وثبت تفوق الروم فى أرمينية وإدس–الرها–(اورفا)[٥٥]. وتوفى بلاش فى سنة ٢٠٨م.

أشك السابع والعشرون، الثامن والعشرون - بلاش الخامس وأردوان الخامس

بعد بلاش الرابع تنازع ولداه بلاش وأردوان الملك، وقررا في النهاية أن يحكم بلاش في بابل وأردوان في بلاد إيران الغربية. والمعروف أن أي بلد لا يحتمل وجود ملكين فيه، فاشتعلت الحرب الأهلية. وسُر الروم سرورًا عظيمًا، وهنأ إمبراطور الروم كارا كالا ابن سبيتيم سفر مجلس الشيوخ الرومي على تلك المشاكل التي أصيب بها عدو الروم بسبب الحروب الداخلية. وأرسل كارا كالا - الذي كان قد اعترف في بداية الأمر ببلاش الخامس حاكما على إيران- سفيرا محملا بالهدايا إلى أردوان، وأخبره في رسالة معه أنه إذا زوج أردوان أخته له، فإن هذه الصلة ستكون باعثًا على توطيد العلاقات بين الدولتين اللتين تحكمان العالم آنذاك. ولم يقبل أردوان في بداية الأمر لما كان يعمله عن سلوك كارا كالا المتّسم بالخيانة تجاه ملك إدس وأرمينية، وأجابه بأدب ردا على رسالته. ولم يسلم كارا كالا بهذا، بل أرسل سفيرًا من جديد مكررًا طلبه، فطلب أردوان أن يأتي الإمبراطور ويحمل امرأته. فكان أن قدم كارا كالا بجيش كبير إلى حدود إيران وأقام حفلا، وعندما دخل أردوان ومرافقوه خيمة الإمبراطور هجم الروم -الذين كانوا قد أعدوا كمينًا- على البارثيين وقتلوهم جميعًا، ونجا أردوان فقط. وبعد هذه الحادثة المخجلة بوقت قصير قتل [كارا كالا] بالقرب من حران (٢١٧م). أما أردوان فإنه شغل على الفور بجمع جيش واتجه للقاء الجيش الرومي. وقبل أن يصل إلى حدود إيران وصل سفراء ماكري نوس الذي خلف كارا كالا، وبدأت االمفاوضات، فطالب أردوان بالانسحاب من ما بين النهرين ودفع غرامة كبيرة. ولما لم يستجاب لطلبه قامت الحرب من جديد، واستخدم الفرسان البارثيون في هذه المعارك أسلوبهم القديم مرة ثانية، وأعجزت سهام الإيرانيين وحراب فرسانهم لابسي الدروع والراكبين فوق الجمال من جنود الروم. ولم تسفر المعركة عن شيء خلال يومين، وفي اليوم الثالث انتصرت الجيوش الإيرانية نصرا مؤزرا،

وطلب الروم الصلح، ودفعوا مبلغًا كبيرًا غرامة[٥٦]. ولكن لم يتم الانسحاب من بعض أقسام بلاد ما بين النهرين التى كانت قد بقيت تحت تفوذ الروم منذ الحرب السابقة، وذلك بسبب انقراض الدولة الأشكانية.

ومن أعمال كارا كالا المتسمة بالخزى والعار أيضًا أنه أخرج عظام ملوك الأشكانيين فى آربل وألقاها بعيدًا، ويستفاد من ذلك أن الأشكانيين كانوا يدفنون موتاهم، وذلك رغم أن هناك ما يفيد أن المتأخرين منهم كانوا يحرقون موتاهم.

وقد عدّ البعض أردوان الرابع آخر ملوك الأشكانيين، واعتبره جوت شميد أردوان الخامس، ويقول إنه انتصر على بلاش الخامس منذ سنة ٢١٦م.

وفى عهد هذا الملك انقرضت الأسرة الأشكانية نتيجة عدم رضا الشعب عنها والحروب الأهلية طمعًا فى عرش السلطنة، والضعف الذى كان يتزايد يومًا بعد يوم. وانتقل الحكم فى إيران إلى الأسرة الساسانية. والشخص الذى قاد هذا العمل وصاحب الفضل فيه هو أردشير بابكان الذى خرج على أردوان الخامس ونجح فى ذلك (٢٢٤م). وبعد مقتل أردوان فى رام هرمز سك شخص من الأشكانيين يدعى آرتافاسدس[٥٧] نقودًا كثيرة، ولكن ليس معروفًا ما هى الصلة التى كانت تربطه بأردوان، والظن الغالب أنه كان ابنه.

الفصل الثانى

أحوال إيران فى عصر البارثيين

الحضارة الأشكانية

اتساع الدولة الأشكانية

امتد العصر الأشكانى ٤٧٠ عامًا كما ذكرنا، ويمكن تقسيم ذلك العصر إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول الذى استمر مائة عام على وجه التقريب، وفيه قام الأشكانيون بإرساء قواعد دولتهم الفتية، وقضوا على دولة باختر (بلخ) فى الشرق، وأخرجوا السلوقيين من إيران. والقسم الثانى وهو عصر عظمة الدولة الأشكانية وازدهارها، وفيه دخل الملوك الأشكانيون فى حروب موفقة مع الروم وشعوب الشرق القوية مثل السك وغيرهم. وكانت إيران البارثية إحدى دولتين عظيمتين تحكمان الدنيا فى ذلك الوقت (دولة الروم والدولة الأشكانية)[٥٨]. وفى القسم الثالث اتجهت الدولة الأشكانية إلى الضعف.

أما عن حدود هذه الدولة وهى فى أوج عظمتها، فيجب أن يؤخذ فى الاعتبار أن الأسرة الأشكانية قسمت إلى عدة شعب، وكانت كل شعبة تحكم قسما: فكانت الشعبة الأولى تحكم فى إيران، والثانية تحكم فى أرمينية والولايات المجاورة لها مثل أُسْران(إدس) – الرها– وغيرها، والثالثة تحكم فى باختر والمناطق المجاورة لها حتى البنجاب والسند. ومن ثم فإن حدود دولة الأشكانيين المركبة عبارة عن: نهر الفرات من ناحية الغرب، والبنجاب والسند من ناحية الشرق، والخليج وبحر عمان والمحيط الهندى من ناحية الجنوب، وجبال الهيمالايا ونهر سيحون وبحر الخزر والقفقاز من ناحية الشمال.

النظم الإدارية فى الدولة الأشكانية

لا توجد معلومات كثيرة حول نظم هذا العصر، ذلك لأنه لم تصل إلينا نقوش عن الملوك الأشكانيين توضح هذا الموضوع. وما نعلمه عنهم مستقى من مصادر أرمنية ورومية ويونانية. ومن هذا كله ومن النقود والمعلومات الناقصة

التى وصلتنا، فمن المسلم به أن الدولة الأشكانية لم تكن دولة ذات إقليم واحد، بل كانت إيران فى ذلك الوقت مقسمة لعدة دويلات مثل: أرمينية، ميديا، آديابن، فارس، خوزستان، أصفهان، الرى، كرمان، يزد، بلخ، وبعض أقسام الهند وغيرها.

وكانت هذه الدويلات مستقلة فى شئونها الداخلية، وتحافظ على دينها وعاداتها وأسر ملوكها (كان الملوك غالبًا من الأشكانيين). أما العون الذى تقدمه للملك الكبير أو ملك الملوك فيكون عن طريق اشتراكها فى مجلس الشورى الذى يعقد لانتخاب الملك الكبير، وإعداد الجيوش فى وقت الحرب، وإرسالها إلى المكان الذى تحدده الحكومة المركزية.

وكانت المدن اليونانية -كما يذكرنا عصر الإسكندر والسلوقيون- حرة تماما فى تسيير أمورها الداخلية أيضًا، وتقوم بدفع الضرائب (مثل سلوقية وغيرها). وفى الأماكن التى لم يكن فيها ملك محلى كان يعين الوالى أو الـ(ڤتياكسا) من قبل العاصمة ويستفاد كذلك أنه لم يكن للملوك الأشكانيين فى العاصمة حكم مطلق، إذ يوجد مجلس شورى يبتّ فى الأمور العامة، وهو يشكل من الأمراء الأشكانيين الذين بلغوا سن الرشد أو من رؤساء أسر الدرجة الأولى. وأحيانًا كان يشكل من هذين المجلسين معًا ومعهم رجال الدين من الدرجة الأولى، ويطلقون على المجلس بصورته هذه اسم مغستان.

وقد أطلق المؤرخون الروم اسم "سنا" (مجلس الشيوخ) على مجلس الأمراء والعظماء. وكان لهذا المجلس نفوذ قوى، فى حين أنه لم يكن لمجلس المغستان مثل هذا النفوذ فى بعض الأمور.

وإجمالاً يجب القول بأن البارثيين حافظوا على النظم الآرية أفضل وأكثر نظرًا لبعدهم عن بابل وأشور كما سبق أن ذكرنا، ولذا فقد كان لرؤساء الأسر والطوائف صلاحيات أكثر، وكان الملوك المحليون فى الواقع حكامًا سابقين

تعارضت اختياراتهم مع قدرات السلطنة فكانت تمر عند انتخاب الملك الجديد فترات تمتد أحيانا لثلاثين عاما.

وقد تبيّن للباحثين من دراسة أحوال الدولة الشكانية ومقارنتها بأحوال أوروبا فى القرون الوسطى وجود تشابه كبير بين هذا العصر وذاك العهد، وهذا نفسه يبين أن النظم السياسية والاجتماعية عند الآريين كانت تتفق مع سائر الشعوب الهند وأوربية مثل الاسكندنافيين والجرمان وغيرهم فى العصور القديمة.

الديانة

كان البارثيون يعبدون العناصر والشمس والقمر والنجوم، وذلك أثناء معاشرتهم للسك. وعندما اختلطوا بالفرس والميديين كانوا يعبدون أهورا -مزدا. ولما كانت عبادة الشمس والزهرة (ناهيد) شائعة فى إيران، فقد دخلت عبادتهما ضمن معتقدات البارثيين.

وبعد قدوم الإسكندر إلى إيران وانتشار ديانة اليونان وحضارتهم، دخلت عبادة بعض آلهة اليونان كذلك ضمن ديانة الملوك الأشكانيين. ولذا فإنه يجب القول بأن ديانتهم كانت مركبة كحضارتهم. والمعروف أن الديانة الخاصة بعبادة هرمزد لم تبق على صورتها الأولى بل اختلطت بمعتقدات أخرى، فمثلاً شاعت عند البارثيين – تقليدا لليونان- إقامة التماثيل لهرمز أو رسم صوره وبناء معابد وغير ذلك مما كان يخالف الديانة الزردشتية عند الفرس.

شيء آخر كان يرى عند الأشكانيين ولم يكن له مثيل من قبل وهو عبادة الأجداد، فقد أوصل ملوك الأشكانيين أشك الأول الى مرتبة الإله، ويوضح ذلك أيضًا لقب إبى فانس – وهى كلمة يونانية – الموجود على نقود ملوك الأشكانيين. وكان البارثيون يعبدون أجدادهم أيضا، كما كانوا يعنون بحفظ صورهم فى

المنازل. ولم يتقيد الملوك الأشكانيين بديانة الميديين والفرس، ولم يعتنوا بالحفاظ عليها، إلا واحدا من الأشكانيين وهو بلاش الأول الذى تصدى لجمع الأوستا. وكان رجال الدين فى الدولة الأشكانية هم نفسهم (الموابذة)، ويتولى الملك الأشكانى رئاسة رجال الدين، غير أن القيام بإجراء طقوس الديانة كان من شأن المغان.

وقد بلغ نفوذ الموابذة فى البداية إلى درجة أن المغستان كان يتدخل فى شئون الدولة، وعندما استنكر ملوك الأشكانيين تدخلهم فى الأمور، قللوا من نفوذهم بمرور الوقت بطريقة جعلتهم يفقدون أهميتهم.

ولم يكن عمل الموابذة ينحصر فى الأمور الدينية فحسب، بل كان منهم الكثيرون يعملون أطباء أو مدرسين أو معلمين أو منجمين أو كتّاب تقويم كذلك. وقد ذكر إسترابون أنه كان يقال لرجال الدين فى ذلك الوقت المحافظين على بيت النار. وهذه العبارة ترجمة "آثروان" التى هى بفارسية اليوم (آتشبان=حارس النار). ويستفاد مما ذكر أنه لم يكن لإيران دين رسمى فى عصر الأشكانيين، وكما كان لبابل تأثير فى معتقدات الملوك فى العصر الهخامنشى، فقد حلت اليونان محل بابل فى هذا العصر.

اللغة والخط

لغة هؤلاء القوم أصلا آرية إيرانية، ولكن دخلت فيها كلمات سكائية، وبها أسماء سكائية كثيرة. وهذه اللغة هى نفسها التى عرفت فيما بعد باسم اللغة البهلوية[٥٩]، وهى منزلة وسطى بين اللغة البارسية القديمة وفارسية اليوم[٦٠].

انتشرت اللغة اليونانية أيضًا فى البلاط البارثى وبين النبلاء منذ عهد الإسكندر وخاصة منذ عصر سيطرة السلوقيين وما تلاه.

وقد كتبت عبارات النقود الخاصة ببعض الملوك الأشكانيين باللغة اليونانية وخطها. وكان الأمراء الأشكانيون يعرفون اللغة اليونانية غالبا، كما كانوا مطلعين على الأدب اليونانى. ويقال إن أردوان الأول كان يجيد هذه اللغة، وأن أرد الأول تعلم آدابها جيدًا، وكتب تاريخا بها. ولما كان محبًا لهذا العلم فإنه أمر بكتابة تاريخ العصر الهخامنشى طبقا للمصادر الآشورية.

وكانت تقام فى بلاط الملوك الأشكانيين العروض المسرحية والألعاب اليونانية وخاصة مصنفات أوريبيد[٦١] اليونانى التى كانت تلقى إقبالا منقطع النظير. ولكن ضعفت معرفة اللغة اليونانية منذ عهد گودرز وما تلاه، ذلك لأن الخطوط اليونانية المكتوبة على نقود ذلك العصر لم تكن واضحة.

والخط فى العصر البارثى خط آرامى سريانى وليس خطا مسماريا، والدليل على ذلك شيئان:

أولهما، تلك النقود التى كتبت عليها كلمات بهلوية بخط آرامى (مثل نقود مهرداد الرابع وبلاش الأول والثالث والرابع والخامس وأردوان الخامس وغيرها)، وثانيهما، ثلاث نسخ خطية مكتوبة اكتشفت فى أورامان بكردستان فى سنة ١٩٠٩م، نسختان منها كتبتا بخط يونانى والثالثة كتبت باللغة البهلوية وبخط آرامى.

وقد كتبت هذه النسخ الثلاث على جلد غزال، وترجع إلى عصر الأشكانيين[٦٢]. ولكن لا يجب أن نتصور أن الخط المسمارى قد ترك كلية، فقد عثروا على ألواح فى بابل ترجع إلى العصر الأشكانى وهى بالخط المسمارى.

وعندما اتصل الأشكانيون بالروم كانوا يستعملون فى بداية الأمر اللغة اليونانية، ولكن ازداد نفوذ لغة الروم وحضارتهم أيضًا فى بلاط الأشكانيين بسبب توثيق الصلات معهم وإقامة الأمراء الأشكانيين فى بلاد الروم بعد ذلك.

الصناعات والفنون

لم يعثر حتى الآن على آثار معمارية ونقوش حجرية لملوك الأشكانيين باستثناء فقرة أو فقرتين، ولم تكتشف كذلك نقوش حجرية باللغة البهلوية ترجع إلى عهد الأشكانيين.

وطبقًا لدراسات علماء الآثار القديمة فقد بقيت عدة خرائب من عهد الأشكانيين هي كما يلي:

١- خرائب معبد كنگاور الذى يشبه إلى حد بعيد المعابد اليونانية، ويقال إنه كان معبد الـ"ديان"[٦٣] الإلهة اليونانية.

٢- هناك معبد فى همدان أيضًا اسمه أناهيتا أو ناهيد، وكانت تقام فيه آنذاك مراسم تقديم القرابين كما ذكر الروم. ويشبه أسلوب تشييد أعمدته واحدا من أساليب تشييد الأعمدة عند اليونان.

٣- توجد خرائب فى الحضر (هاترا) على شاطئ دجلة (من الناحية اليمنى) يصل نصف قطر دائرتها إلى ألف متر تقريبًا، وترى فيها أبنية إيرانية ولكن طاقاتها مبنية على الطراز الرومى.

٤- قلد گودرز داريوش الأول فى بيستون وأشار إلى انتصاره على مهرداد بنقوش حجرية بارزة، وأيضًا بكتابة كتبت باللغة اليونانية.

كما عثر بارون دوبود[٦٤] فى سنة ١٨٤١م على نقوش حجرية فى مضيق ساولك بجبال بختيار، يرجعها بعض الدارسين إلى العصر الأشكانى. ولم يصل إلينا شيء مهم عن الصناعات الأشكانية فى إيران سوى النقود. ولكن عثر على أشياء ترجع إلى العصر الأشكانية من حفريات مدينة تدمر[٦٥] التى تقع فى الشام،

والتى كانت واسطة تجارية بين إيران وبحر المغرب، وأيضًا فى الهند وصناعات هذا العصر من حيث المجموع قليلة جدًا، وهى دون صناعات العصر الهخمانشى.

وتعتبر الفنون الحربية من فنون هذا العصر التى لا شبهة فيها، وكانت رائجة عند البارثيين جدًا، وخاصة الفروسية والرماية التى وجب على الشباب تعلمها. وشاع أسلوب حربى واحد لدى الفرسان البارثيين يعرف بحرب الكر والفر (جنگك گريز)، وقد سبق شرحه. ولم تكن لديهم خبرة بفن الحصار واستعمال آلاته وأداوته، إذ كانوا يحطمون آلات الحصار وأداوت الاستيلاء على القلاع التى يمتكلها الروم بعد الاستيلاء عليها، ولم يكن جنود المشاة يقدرون قيمتها.

كما أنه لم ير فى هذه الفترة الجيش الدائم الذى كان موجودًا فى العصر الهخامنشى.

أما بالنسبة لعلوم العصر الأشكانى، فلا يمكننا ذكر شيء فى هذا الصدد، إذ إنه لم تصلنا آثار بشأنها. ولكن لما كانت هناك أشياء كثيرة معتادة فى عصر الأشكانيين وبقيت كما هى فى عصر الساسانيين أيضًا، فمن هنا يمكن استنباط أن رجال الدين كانوا يعلمون الناس القراءة والكتابة والحساب كما هو الحال بالنسبة للعصر الساسانى.

التجارة

كان لإيران الأشكانية تجارة جيدة نظرًا لموقعها بين الصين والهند من ناحية وبين البلاد الغربية من ناحية أخرى. ويستفاد مما كتبه المؤرخون الصينيون أن سفارة قدمت إلى إيران للمرة الأولى فى عهد مهرداد الثانى الأشكانى (بين ١٢٠ و٨٨ق.م)، كما أرسل سفير إلى إيران وبلاد الروم يدعى كان يينگك[٦٦] من قبل القائد الصينى المعروف پاچا أو.

وقد انتقل هذا السفير من مدينة صددروازه (المائة بوابة) وهمدان حتى بابل، وكان يريد السفر من خليج فارس حتى خليج العقبة عن طريق البحر، ولكنه انصرف عن ذلك. ويبدو أن الدولة الأشكانية لم تكن ترغب في أن يعرف الصينيون الطرق البحرية. وبعد فترة قدم سفير للمرة الثانية، ويذكر أن تاتسين – أى الروم– يريدون أن يتاجروا مع الصين عن طريق إيران. ولكن آنسيه –أى البارثيون– يمانعون ويريدون أن تكون تجارة حرير الصين بواسطتهم.

ونرى بعد ذلك، ونظرًا لهذه الممانعة، إمبراطور الروم مارك أرل أنطونيو[٦٧] يرسل البضائع فى سنة ١٦٦م كعظم الفيل والسلاحف إلى الصين عبر الطريق الممتد من الهند إلى الصين. وتدل هذه المعلومات على أن إيران كانت واسطة التجارة بين الشرق والغرب، ولم يرغب الأشكانيون فى فقدان هذا الموقع وتلك المنزلة، وكانت الجمارك تحصل فى ذلك العصر على الواردات.

النقود

كانت النقود البارثية من الفضة والبرونز فقط. وقد دخلت النقود الذهبية فى عصرهم إلى إيران عن طريق التجارة فقط. ودخل إيران ذهب كثير فى عهد أردوان عن طريق الغرامة التى دفعها الروم لها، وكانت النقود الذهبية الرومية تسمى آيورى[٦٨] (مثل الدريك الهخامنشى بمعنى الذهب). ويقال لوحدة النقود الأشكانية دَرْخَم، وهذه الكلمة يونانية، وكان وزن الدرهم يعادل أكثر من أربعة جرامات أو أقل أحيانًا[٦٩]. وكانت هذه العملة تنافس الدينار الرومى فى آسيا الغربية كلها. والنقود الأشكانية فئة أربعة دراهم ودرهم واحد، وعلى العموم فقد كانت النقود الأشكانية دون النقود الساسانية من الناحية الجمالية.

والألقاب التى اختارها الملوك الأشكانيون مختلفة جدًا، وكل منها تقليد لنقود دولة، فمثلاً الملك العظيم وملك الملوك تقليد للهخامنشيين، والعادل والفاتح

والملك[٧٠] من السلوقيين، وإبى فانس[٧١] من اليونان. وقد أطلق الملوك الأشكانيون الأوائل على أنفسهم لقب محب اليونان[٧٢]، وعلى وجه النقود صور الملوك الأشكانيين وقد جلسوا على العرش وأمسكوا فى أيديهم قوسا شد وتره. كما يوجد على بعض النقود صور للآلهة اليونانية. ويتضح مما سبق أن الفضة كانت أساسًا لنقود إيران فى العصر الأشكانى.

الديانات الأجنبية

نهج الملوك الأشكانيون سياسة التغاضى عن الديانات الأجنبية، وكانت هذه السياسة من خصائص الآريين، ولم تحدث فى عهدهم أية حروب دينية. وكان الأشكانيون يعطفون على اليهود بصفة خاصة، ويحمونهم من الروم.

كما كانوا يغضون الطرف عن الديانة المسيحية وسائر الأديان، ووصل التسامح إلى درجة أنهم لم يمنعوا نشر الديانات الأجنبية داخل إيران. وذكروا عن بلاش الأول فقط أنه كان ينظر نظرة سيئة إلى نشر الديانات الأجنبية داخل حدود إيران، وذلك نظرًا لتعصبه. ولم يكن على وفاق مع اليهود، بل كان يرغب فى اشتراك فرسان البارثيين فى مساعدة الروم فى حرب فلسطين.

النتيجة

نستخلص مما ذكر حول حضارة البارثيين والأشكانيين أن حضارتهم كانت مركبة، أى ترى فيها آثار من عادات السكائيين وأخلاقهم وديانتهم. كما تركت الحضارة اليونانية بصمات من حيث الدين واللغة والخط وغير ذلك على ملوك الأشكانيين والنبلاء ورجال البلاط وذلك بعد مجيء الإسكندر إلى إيران. ومع وجود هذه الحضارة اليونانية فى إيران، فقد كانت سطحية ولم تؤثر فى البارثيين بعمق على الإطلاق.

الهوامش

١- Krasnowodsk تقع على الشاطئ الجنوبى الشرقى لبحر الخزر.

٢- أبى فانس تعنى فى اللغة اليونانية مشهور وعظيم.

٣- أشك يذكر عند اليونان باسم أرزاكس، وهذا الاسم الأخير هو يونانية أرشك.

٤- Diodore

٥- كان مقر السلطنة بالتناوب تبعًا للفصول الأربعة فى المدن الأربعة التالية: مدينة المائة بوابة، الرى، همدان،طيسفون(على شاطئ دجلة).

٦- كان المرديون (مردها) يسكنون فى تبورستان.

٧- تساوى أربعة ملايين وثمانمائة تومان تقريبا.

٨- يعتقد البعض أن خاراكس هى مدخل ميناء بحر الخزر، ويرى آخرون أنها ولاية صغيرة، وهناك رأى آخر يستند على ما ذكره ايزيدور الخاراكسى (وهو أحد الجغرافيين القدماء) من أن وطنه خاراكس يقع فى وسط جبال البرز، فاعتبروا ميناء بحر الخزر مطابقًا لمضيق خوار.

٩- Val-Arsaces.

١٠- Artaxias

١١- Pergam

١٢- Paphlagonie

١٣- يرى جوت شميد -العالم الألمانى الذى قام بأبحاث حول تاريخ الأشكانيين- أن أردوان جلس على العرش بعد مهرداد الثانى الكبير، وكان جلوسه فى سنة ٨٦ق.م تقريبا، وقد اعتبره المؤلف المذكور أردوان الثانى.

١٤- **Dikaios** باللغة اليونانية تعنى العادل.

١٥- **Codovne, Adiabene** هاتان الولايتان كانتا من ولايات أشور القديمة.

١٦- **1-Gabinius – 2- Crassus**

١٧- الاثنان الآخران هما: يوليوس قيصر وبومبى.

١٨- الفيلق أو **Legion** هو الوحدة الرئيسية فى الجيش الرومانى، وقد استعمل المؤلف هنا كلمة "لژيون" فى الفارسية، وهى مأخوذة عن هذه الكلمة المذكورة.(المترجم).

١٩- **Artavardes**

٢٠- **Surena**

٢١- **Carrhae**، كانت حران تقع فى ما بين النهرين بين إِدِسْ (أورغا) ورأس العين، وتعد منذ العصور القديمة مركزا للصابئين، وكان لها أهمية عظيمة قديما نظرًا لموقعها التجارى ومن أنجبتهم من الفضلاء والعلماء الكثيرين، وهى الآن ليست أكثر من قرية.

٢٢- **Fabius**

٢٣- **Gaule**

٢٤- **Octaviaus**

٢٥- أوريبيد أو أفريبيدس هو شاعر تراجيدى يونانى مشهور، ولد فى جزيرة سلاميس Salamis فى ٢٠ أكتوبر عام ٤٨٠ق.م. وكرس حياته للتأليف الدرامى وتوفى عام ٤٠٧ق.م. ويقال إنه كتب خمسا وسبعين مسرحية تراجيدية وصلتنا منها تسع عشرة مسرحية فقط(المترجم).

٢٦- Cassius

٢٧- Vintidius bassus

٢٨- Mare Antoine – الاثنان الآخران هما أوكتافيوس أو أوگست.

٢٩- Artavardes

٣٠- يقال لها فى الفارسية القديمة (فراد اسبه)، وقيل لها بعد ذلك برسبه، وتقع هذه المدينة على بعد ٢٥ فرسخا من بحيرة أورمية من الناحية الجنوبية والشرقية، وهى الآن تعرف باسم تخت سليمان.

٣١- المقصود بميديا (ماد) الصغيرة أى آذربايجان الحالية.

٣٢- ستون: عبارة عن نظام يجعل كل مجموعة من الجيش تقع عقب الأخرى ويتم هذا الترتيب عند التحرك.

٣٣- Statianus

٣٤- هوراس شاعر رومانى صاحب ملحمة الأوديسا (٦٥-٨ق.م) (المترجم)

٣٥- كان اسم هذه الجارية ت أموزا أورانيا Thea Musa Urania

٣٦- Caius

٣٧- Phrataces

٣٨- م بمعنى ميلادية

٣٩- Artaxsias

٤٠- Tiberius

٤١- گرجستان: كان يسميها اليونان والرومان فى ذلك الوقت باسم إيبرى، ويطلق الإيرانيون عليها أيام الساسانيين اسم ورزان وگرزان.

٤٢- Neron

٤٣- Corbulo

٤٤- Lucius Paetus

٤٥- الدين كرت أحد الكتب الدينية الزرادشتية.

٤٦- الآلانيون من الآريين الإيرانيين، كانوا يسكنون فى بداية الأمر بالقرب من وادى داريال، ولكنهم استولوا بعد ذلك على أرض واسعة من السهول الواقعة على شاطئ بحر الخزر وحتى مصب نهر الڤولجا أو الأديل. وقد أجبرهم المغول على الهجرة فى القرن السابع الهجرى وطردوهم إلى بلاد أخرى. كما نرى لهم آثار فى الصين، ويطلق عليهم أيضًا اسم (الآس). وتعد شعوب الأستْ التى تسكن القفقاز من أعقابهم.

٤٧- يجب أن يكون هذا هو بلاش الثانى الذى سيأتى ذكره فيما بعد.

٤٨- Trajan

٤٩- Exedares

٥٠- Partamasiris

٥١- الحضر هى نفسها المدينة التى كان الرومان يطلقون عليها اسم (هاترا) وكانت تقع على مسافة ثلاثة أيام من الموصل الحالية، وبها قلعة حصينة.

وقد ذكر الكتاب المسلمون أشياء عن عظمة هذه المدينة، وهى الآن أطلال وخرائبها فى الطرف الجنوبى الغربى من الموصل.

٥٢- **Hadrien**

٥٣- **Aelius Severianus**

٥٤- **Septimus Severus**

٥٥- كانت أدس مدينة مهمة، وهى تعرف اليوم باسم (أورفا) وتقع بالقرب من ديار بكر ويسميها العرب الرها.

٥٦- تقريبا ٢٠ كرورتومان بعملة اليوم.

٥٧- **Artavasdes**

٥٨- هذا القسم من مهرداد الثانى حتى آخر سلطنة بلاش الأول.

٥٩- يرى علماء اللغة أن (بَرتْو) وهو اسم هؤلاء الناس يتفق مع كلمة (بَرْهَوْ) طبقا للمعايير العلمية، وبدلت بعد ذلك إلى (بلهو) و(بهلو)، ولهذا أطلق النبلاء البارثيون على أنفسهم اسم بهلو وبهلوان، وهم الذى كانوا ينسبون إلى قوم بارت ومن ثم فإن بهلوى وبهلوانى يعنى المنتسب إلى البارثيين.

٦٠- هناك فرق ضئيل بين البهلوية الأشكانية والبهلوية الساسانية.

٦١- **Euripide**

٦٢- الآراميون شعب من أصل سامى كانوا يسكنون بين الشام الكبرى ودجلة، وكانت للغتهم لهجتان شرقية وغربية أو كلدانية وسريانية. وقد راجت لغتهم وخطهم فى العصور القديمة فى آسيا الغربية وخاصة فى

كلده والشام الكبرى. كما كتب العبريون بعض كتبهم بهذه اللغـــة. والخـــط الآرامى مشتق من الخط العبرى. واللغة الآرامية غير مستعملة الآن. غير أن بعض أهالى قرى الشام الكبرى يتحدثون بلغة قريبة من هذه اللغة.

٦٣- كانت إلهة القمر Diane

٦٤- Baron De Bode

٦٥- تدمر هى التى سماها اليونان بالمير، وتقع أطـــلال هـــذه المدينـــة فـــى صحراء الشام. وتدل الآثار على أنها كانت مزدهرة فى الماضى.

٦٦- Kan-Ying.

٦٧- Marc-Aurele-Antoine.

٦٨- Auru كان الأيورى يزن من ثمانية إلى أربعة جرامات ونصف تقريبا.

٦٩- أربعة أخماس مثقال تقريبا.

٧٠- Dikaios. Nicatar. Theos

٧١- Epiphanes

٧٢- Philhellene

الباب الخامس

عصر الـپارسيين (الفرس) الثانى

الفصل الأول

الملوك الساسانيون

مقدمة

كان ساسان سادنا لبيت نار أقيم فى إصطخر للزهرة (ناهيد)، وكانت زوجته- رام بهشت- ابنة أحد ملوك البازرنگين الذين كانوا يحكمون فى نيسايه (سميت هذه المدينة باسم البيضاء، وذلك منذ استيلاء العرب على فارس نظرا لبياض جدرانها).

وكان بابك بن ساسان يحكم فى مدينة خير الواقعة على شاطئ بحيرة بختگان، وقد حصل لابنه أردشير على رئاسة قلعة مدينة داراب من گوزهر البازرنگى، ومنذ ذلك الوقت بدأ ارتفاع شأن هذه الأسرة. ثم قتل بابك گوزهر ونصب نفسه ملكًا، وطلب من أردوان الخامس لقب ملك لإبنه الأكبر شاپور، فرفض أردوان.

ومع ذلك أطلق شاپور على نفسه لقب ملك بعد موت أبيه، فأجبر أردشير على تبعيته. ولم يستمر ذلك طويلاً إذ توفى شاپور تحت أنقاض قبو تهدم بقصر ملكه، الذى كان يسمى باسم "هماى"، فأصبح أردشير ملكًا (٢١٢م)[١]

الأول: أردشير الأول (آرت خشتر)

كان أردشير يفكر فى سلطنة كبيرة بينه وبين نفسه، إلى أن حان الوقت فى سنة ٢٢٣م فرفع راية العصيان وقام بحملة على كرمان، وهزم ملكها بلاش، وجعل ابنه أردشير حاكمًا هناك، ولهذا السبب عرفت كرمان لحقبة من الزمن باسم (به اردشير) (كان العرب يسمونها بردشير). ثم خضع له ملوك خوزستان وعمان بعد هزيمتهم.

وعندما رأى أردوان الأشكانى ارتفاع شأن أردشير توجه إليه بجيش كثيف، وحاربه فى هرمزد گـان بخوزستان، فقتل أردوان (٢٢٤م)[٢].

ويرجع نسب ساسان طبقًا للروايات الفارسية إلى أردشير صاحب اليد الطولى[٣]، أى أن جد جده ويسمى أيضًا ساسان وهو ابن دارا كان معاصرًا للإسكندر، وهاجر من وطنه إلى الهند. ثم إن أحد أبناء ساسان (الجيل الخامس) قدم من الهند إلى فارس بعد مائتى سنة وتسمى أيضًا ساسان فى عصر بابك وصار راعيًا لأغنامه. وقد زوج بابك ابنته لملك فارس الخاضع لأردوان الأشكانى على أثر رؤيا كان قد رآها، وجاء أردشير نتيجة هذا الزواج.

وهذه الرواية مشكوك فى صحتها، أولاً: لأنها لا تتفق مع التاريخ، فقد مر أكثر من خمسمائة عام منذ انقراض الأسرة الهخامنشية وحتى عصر بابك.

ثانيًا: إذا كان ساسان قد ذهب إلى الهند وبقى أولاده هناك، فمن المستبعد جدًا أن يبقى إيرانى بعد خمسة قرون ويعود ساسان المعاصر لبابك إلى فارس ويصبح راعيًا له. وقد رووا هذه القصة حتى يرجعوا نسب الساسانيين إلى الهخمانشيين (بالكيانيين الأسطوريين). والأشكانيون كما رأينا كذلك يرجعون بنسبهم إلى أردشير الثانى الهخمانشى.

استولى أردشير على طيسفون بعد سنتين من مقتل أردوان، ودخلت إيران تحت حكم أردشير بعد ذلك. وبقيت أرمينية وگرجستان مستقلتين مؤقتًا.

ذهب أردشير إلى الهند بعد استيلائه على خراسان وبلخ وخوارزم وتوران ومكران، فاستولى على البنجاب ووصل بالقرب من سيرهند، وقدم ملكها (جونه) الجواهر والذهب والأفيال الكثيرة كجزية لأردشير، فعاد أردشير إلى إيران وعقد العزم على حرب الروم بعد أن أرسى دعائم ملكه، إذ اعتبر نفسه وارثا للهخامنشين، عبر أردشير الفرات سنة ٢٢٨م، وكتب إليه قيصر الروم اسكندر

سفر رسالة مذكرًا إياه بالهزائم التى حاقت بالبارثيين أيام تراجان وسبتيم سفر[٤]، فاختار الملك أربعمائة رجل من الرجال الأشداء ذوى القامات الفارعة فى كامل أسلحتهم ومعهم جياد عليها سروج مذهبة، وأرسلها إلى إمبراطور الروم، وأجابه " إن ما يمتلكه الروم فى آسيا هو إرث لى، ويجب على الروم الاكتفاء بأوروبا والانسحاب من آسيا! فأمر إسكندر سفر بالقبض على سفراء إيران وألقى بهم فى السجن، وشغل بعد ذلك بالاستعداد للحرب وقسم الجيش الرومى إلى ثلاثة جيوش، وكلف الجيش الأول بالاستيلاء على آذربايجان، وتحرك الجيش الثانى ناحية شوش، وتولى هو بنفسه قيادة الجيش الثالث. وأراد أن يغزو قلب إيران وأجابه بقوله "إن ما يمتلكه الروم فى آسيا".

ولما كانت الصلة منقطعة بين هذه الجيوش، فقد استفاد أردشير من ذلك، وهزم الجيش الثانى بكل قواته. ورغم أن الجيش الأول كان موفقًا فى بداية الأمر فإنه أصيب بخسائر فادحة أثناء انسحابة، وانسحب الجيش الثالث بسرعة بعد هذه الهزائم.

ومن نتائج هذه المعارك أن وقعت نصيبين وحران تحت سيطرة أردشير وكان فى إمكان أردشير أن يدخل سورية، ولكنه رأى ان يتوجه إلى أرمينية أولاً، وقد قاوم خسرو ملك أرمينية مقاومة شديدة، ولما لم يتمكن الفرسان من إضعاف مقاومته، قتل أردشير ملك أرمينية بخدعة فى نهاية الأمر، واستولى على تلك البلاد بعد ذلك، وفر إبن ملك أرمينية.

ولكى يستميل أردشير عواطف الشعب إلى جانبه، قام بجمع الأفستا وأكثر من رجال الدين (المغان) وأشعل النار المنطفئة فى بيوت النار، وجعل دين زرتشت هو الدين الرسمى لإيران، ورقى رئيس رجال الدين الذى كان يلقب بالموبدان موبد[٥] إلى أعلى منصب حكومى.

ولكى يحقق أردشير أهدافه استفاد كثيرًا من كراهية الناس لإسراف الملوك والأمراء المحليين فى شهواتهم واستبدادهم فى العصر الأشكانى، وأيضًا من عدم رضاء رجال الدين، فتعقب الأمراء الأشكانيين بشدة وبدون رحمه، وقتل كثيرًا منهم، وفر بعضهم إلى ما بين النهرين والهند وأفغانستان الحالية. وبقى عدد قليل منهم فى أماكن قليلة محصنة وكان أردشير على وفاق معهم (مثل جسنفس فى طبرستان).

وتتلخص أعمال أردشير بالنسبة للشئون الداخلية[٦] فيما يلى:

١- إيجاد المركزية وإبدال الملوك والأمراء المحليين بنبلاء البلاط ومنحهم ألقابًا مختلفة.

٢- جمع الأفشتا الذى كان قد بدأ منذ عصر بلاش الأول، وقد قدم تنسر - الذى كان هيربذان هيربذ- مساعدات معنوية لأردشير فى هذا العمل كما سيأتى فيما بعد.

٣- جعل دين زرتشت دينا رسميا والسماح لرجال الدين بعقاب المرتدين، وفتح وصايا المتوفين وتقسيم التركات.

٤- تقسيم الشعب إلى طبقات وتصنيف موظفى الإدارات.

٥- إحياء جيش داريوش الأول الدائم.

٦- تخفيف العقوبات ومنع قطع اليد.

وكان أردشير يعتقد:

١- بأنه يجب أن تحل النظم والقوانين الواحدة محل الإباحية التى كانت شائعة فى عصر الأشكانيين.

٢- أن الدولة والدين توءمان ولا يقوم أحدهما دون الآخر.

الثانى: سابور الأول (شاه بوهن)

جلس شابور (سابور) على العرش بعد أبيه فى سنة ٢٤١م. وفى بداية حكمه ثارت أرمينية وحران، فقضى على ثورة أرمينية بسرعة، ولكن القضاء على ثورة حران كان يشكل صعوبة، فقد سبق أن ذكرنا أن تراجان وسبتيم سفر عجزا أمام أسوارها المحكمة، وتركا المدينة وذهبا. وفى ذلك الوقت حدثت حادثة يسرت الأمر على سابور، إذ أرسلت ابنة ملك حران رسالة إليه تخبره فيها أنها مستعدة لتسليم المدينة بشرط أن يتزوجها، فقبل سابور هذا الاقتراح وخانت الابنة والدها وسلمت المدينة ولكنها أعدمت بعد الاستيلاء على المدينة بأمر الملك كما ذكر المؤرخون(٧).

الحرب الأولى مع الروم

استمرت هذه الحرب منذ عام ٢٤١ وحتى ٢٤٤م، فعندما رأى شابور اضطراب الأحوال الداخلية فى بلاد الروم حاصر مدينة نصيبين(٨) واستولى عليها، واتجه بعد ذلك إلى ناحية بحر المغرب واستولى على أنطاكية. ولم يمض وقت طويل إلا وصار گردينَ(٩) إمبراطورًا على بلاد الروم بعد منازعات داخلية فإتجه إلى ناحية الشرق بجيش جرار، وهزم جيش إيران فى سورية فاضطر للإنسحاب.

وعبر الجيش الرومى نهر الفرات واستولى على نصيبين، ثم عبر نهر دجلة وحاصر طيسفون. وفى تلك الأثناء ثار الروم على گردين وقتلوه، وتصالح فيليب العربى- الذى اغتصب العرش من بعده- مع سابور، وترك الشرق، وأصبحت أرمينية وما بين النهرين جزءا من إيران طبقًا للمعاهدة التى عقدت بينهما.

الحرب الثانية- أسرفاليان(١٠)

استمرت الحرب الثانية من سنة ٢٥٨ حتى سنة ٢٦٠م. وفى هذه المرة عبر شابور نهر الفرات مرة أخرى بنجاح، واتجه ناحية أنطاكية، فاستولى على تلك

المدينة، وهنا أسرع إمبراطور الروم ڤالريان- الذى كان عجوزًا- لتحرير أنطاكية، فاستردها وتقدم متعقبًا جيش الروم ومحاصرًا، وكلما حاول الروم فتح ثغرة لهم لكى يفروا فشلوا، وأسر الإمبراطور.

وقد أثرت هذه الحادثة تأثيرًا غريبًا آنذاك فى العالم، وزادت من عظمة الأسرة الساسانية وقوتها فى أنظار العالم زيادة عظيمة، وذكر الكتاب الأجانب المعاصرون أن سابور أجبر قيصر على خدمته وقيد يديه بالسلاسل، وكان يضع قدميه على ظهره أثناء ركوبه.

وفى النهاية، وبعد أن مات ڤالريان من شدة ما قاساه وعاناه، سلخ جلده وحفظه للذكرى. ويرى بعض الباحثين الجدد ومنهم يوستى[١١] أن ما نسب إلى سابور كان عن طريق الكتاب المسيحين (من رجال الدين) بسبب عدائهم للإيرانيين، وليس له أساس من الصحة. ومن المسلم به أن سابور قد أجبر أسرى الروم على إقامة جسر شوشتر والسد العالى المعروف باسم شادروان والمقام من حجر الجرانيت.

نصب شابور بعد هذا الانتصار ممثلاً شخصيًا له من أهل أنطاكية اسمه سيرياديس[١٢] إمبراطورًا على الروم، وأعطاه لقب قيصر. وأجبر ڤالريان على السجود تكريمًا له. وبعدئذ عبر شابور نهر الفرات واستولى على أنطاكية، ثم توجه إلى ناحية آسيا الصغرى واستولى على قيصرية مازاكا[١٣]ولكنه لم يؤسس نظامًا فى الشام الكبرى ولا فى (كابا دوكية) وعمد إلى القتل والسلب، ثم عاد إلى إيران محملاً بالغنائم الوفيرة.

أصبح شابور فجأة وبعد هذه الفتوحات خصمًا لأذينة ملك تدمر[١٤] (٢٦٠-٢٦٣م)، ذلك أن تلك المدينة كانت تقع فى وسط الطريق المتجه من ما بين النهرين إلى دمشق، وهى قلعة ينسب بناؤها إلى هادريان إمبراطور الروم. وقد صارت هذه المدينة المذكورة مدينة تجارية نظرًا لما تتمتع به من موقع جغرافى

بين مملكتين غنيتين وقديمتين هما ما بين النهرين وسورية. وعندما توجه شابور بجنده إلى سورية كتب أُذينة (أدناتوس عند اليونان) ملكها رسالة إليه وأرسل له هدايا، إلا أن شابور غضب من لهجة رسالته وقال: "من هو أُذينة؟ ومن أى مملكة هو، حتى يكتب لسيده رسالة بهذا الشكل؟ يجب عليه أن يأتينى ويخر ساجدًا صاغرًا أمامى اعتذارًا عما بدر منه".

وأمر بإلقاء حاملى الهدايا فى نهر الفرات. وقد سبب هذا الغرور والتصرف الذى لا روية فيه من قبل شابور عناء عظيمًا، ذلك أن أذينه تحين الفرصة وبمجرد أن سمع أن شابور إتجه من آسيا الصغرى إلى إيران محملاً بغنائم لا حصر لها، جهز جيشًا من أعراب البادية وهجم على جيش سابور فى السهول التى لم يكن بها ماء ولا علف، وأنزل به خسائر فادحة واستولى على كثير من الغنائم، وأسر بعض نساء سابور، ووصل جيش إيران فى نهاية الأمر إلى دجلة بعد عناء كبير وصعوبة بالغة، وتخلص من تعقب أذينه له.

أعمال سابور فى وقت السلم

من أعمال سابور بناء سد شادروان الذى بنى على يد مهندسى الروم وأسراهم على نهر كارون فى شوشتر (ربما عرف بسد قيصر لهذا السبب)، وأيضًا بناء مدينة سابور التى كانت تقع بالقرب من گازرون فى فارس، وما زالت أطلالها باقية. وينسب إليه أيضًا بناء نيسابور فى خراسان وجندى سابور فى خوزستان (بين شوشتر ودزفول)[١٥]، وذكر مؤرخو گرجستان أن شابور أرسل ابنه مهران لحكم گرجستان وأسس هناك أسرة السلاطين الخسرويين، ثم اعتنق الدين المسيحى.

ويعتبر سابور واحدًا من ملوك الأسرة الساسانية المشهورين، وكان وسيمًا شجاعًا صاحب عزم، ومحبوبًا من شعب إيران. ولكنه لم يفد إيران كثيرًا بفتوحاته بالنسبة للسياسة الخارجية، ذلك أن غروره كان يقضى على انتصاراته أحيانًا، ويعتبره البعض دارا (داريوش) الأسرة الساسانية، ولكن لا يوجد وجه للمقارنة بينه

وبين ذلك الملك العظيم. وكانت حروبه لمجرد الكر والفر فى أغلبها، وليس من أجل الاستيلاء على البلاد وحكمها.

ومع هذا فقد كان من حسن حظ الأسرة الساسانية أن ملكين من أوائل ملوكها- وهما أردشير وسابور- جعلا من هذه الأسرة أسرة عظيمة في نظر العالم، ووضعا دعائم راسخة للدولة الساسانية. وقد توفى فى سنة ٢٧١م.

ومن الأحداث المهمة فى عصره ظهور مانى الذى أتى بدين أعلن مبادئه على الناس أثناء تتويج سابور (٢٤٢م) وسيأتى شرح هذا الدين فى موضعه.

الثالث- هرمز الأول (أنوهرمزد)

جلس على العرش بعد أبيه، وحكم سنة واحدة وإستدعى مانى الذى كان قد رحل عن إيران، وحماه فى قصره فى دستكرد ورعاه، وتوفى سنة ٢٧٢م، ويقال إن هرمز كان شجاعًا وأنه شارك فى حروب شابور مع الروم.

الرابع- بهرام الأول (وره ران)

تولى الحكم بعد أخيه، وحكم أربع سنوات. وقد طلبت زنوبيا ملكة تدمر - وهى زوجة أذينة والتى تولت الحكم من بعده- العون من بهرام نتيجة ضغط الروم على بلادها، فاتخذ سياسة خاطئة، إذ أرسل قوة صغيرة لمساعدة الملكة، وكانت النتيجة أن دمرت تدمر، وغضب أورليان[١٦] إمبراطور الروم أيضًا من تدخل إيران. ولما سمع بهرام أن الإمبراطور على وشك الدخول فى حرب مع إيران، أرسل له عباءة فاخرة أرجوانية اللون وهدايا أخرى (اللون الأرجوانى من اختراع الفينيقيين، وكانت له أهمية فى العالم القديم).

ومع ذلك فقد عرف أورليان بعد قليل أن الدور قد جاء على إيران بعد تدمر، فعمد إلى إثارة شعوب الآلان حتى يغيروا على شمال إيران من ناحية ققفازية.

وكان موقف إيران صعبا فى وجود ملك ضعيف الشخصية كبهرام. ومن حسن حظه وحظ الأسرة الساسانية أن قتل أورليان بعد دخوله بيزنطة (٢٧٥م) وسرعان ما مات بهرام كذلك.

وقد تم القبض على مانى بأمر هذا الملك، وسلخ جلده وهو حى وعلق بسهمين فى جنديسابور وعرضوه لكى يشاهده الناس.

الخامس- بهرام الثانى (وره ران)

جلس على العرش بعد أبيه (٢٧٥م)، وكان فى بداية الأمر جبارًا سفاكًا للدماء، ولكنه غيَّر من سلوكه بناء على نصيحة أحد الموابذة بعد ما ثار عليه الشعب طالبًا خلعه، ومن أعماله إخضاع قبائل السك الذين كانوا قد استقروا فى سيستان وأفغانستان فى منتصف القرن الثانى ق.م، كما سبق أن ذكرنا. واستولى بهرام بعد ذلك على بلاد أخرى فى الناحية الشرقية من إيران، وكان يريد أن يواصل فتوحاته غير أن حروب الروم حالت دون ذلك، إذ أراد إمبراطور الروم كاروس[١٧] أن يحقق ما رسمه أورليان، وبدأ حربه مع السارماتيين[١٨] الذين كانوا يقيمون فى نواحى جبال القفقاز وفى جنوب روسيا الحالية، ووصل إلى حدود إيران. ولما كان بهرام قد توجه بقواته ناحية الشرق، وكان بعيدًا عن الحدود الغربية لإيران، فقد أرسل سفيرًا إلى كاروس لكى يقوم بمباحثات حول إستمرار السلام والصلح فأجابه كاروس بقوله: "طالما أن ملك إيران لا يخضع فلن أترك القتال، وسأجعل إيران جرداء لا شجر فيها كما خلت رأسى من الشعر" وبدأ القتال بعد ذلك، فاستولى على ما بين النهرين وحتى طيسفون.

ولكن حدث فى تلك الأثناء رعد وبرق، ووجد الإمبراطور ميتًا بعد ذلك ولا يُعرف هل صعقه البرق أو توفى لسبب آخر. وعلى أى حال، فقد اعتبرت جيوش الروم هذه الحادثة علامة على غضب الله، وثاروا طالبين العودة.

وتوفى بهرام سنة ٢٨٢م. وتوجد على نقوده صورة الملكة وابنها الشاب كذلك.

السادس- بهرام الثالث (وره ران)

جلس ابن هرمز على العرش، ولكنه لم يحكم أكثر من عدة شهور ويعرف هذا الملك باسم سكانشاة، لأنه كان قد نصب حاكمًا على سيستان بعد الاستيلاء عليها فى عهد أبيه.

السابع- نرسى (نرسه)

جلس بعد بهرام الثالث على العرش (٢٨٢م) واعتبره البعض ابن سابور، وعده البعض الآخر ابن بهرام الثالث، والرأى الغالب أنه ابن سابور. قام نزاع بين نرسى وأخيه هرمز حول عرش السلطنة فى بادئ الأمر، وانتصر نرسى.

ومن الأحداث المهمة آنذاك تلك الحروب التى قامت مع الروم، فقد كانت أرمينية تابعة لإيران منذ عهد أردشير، غير أن الأرمن لم يقبلوا أمراء الأسرة الساسانية نظرًا لتعصبهم للديانة الزرتشتية. وعندما أصبح ديوكلتين[١٩] إمبراطورًا على بلاد الروم فى سنة ٢٨٦م أخذ ينفذ سياسة كاروس، وكان أول ما قام به هو تعيين تيرداد بن خسرو ملك أرمينية- الذى كان أردشير قد قتل والده- ملكًا على هذه البلاد، وأرسله بجيش إليها، فاستقبله الأرمن بالترحيب. ولم يدم ذلك طويلاً، فقد أبعده نرسى من هناك، وذهب تيرداد إلى ديوكلتين- الذى كان على درجة كبيرة من القوة فى ذلك الوقت، وطلب حمايته.

فأمر گـالريوس[٢٠] قائد جيش الروم فى الدانوب بالتوجـه إلـى سـورية وتحريك الجيش الرومى ناحية إيران. ومن ناحية أخرى، هجم نرسى على ما بـين النهرين، والتقى الجمعان فى سهول تلك البلاد بالقرب من حران. ونشبت معـارك شرسة بين الطرفين، ولم تسفر المعارك عن شئ خلال يومين. وفى اليوم الثالـث هزم الفرسان الإيرانيون الجيش الرومى، فتفرق ولم تسنح له فرصـة الانـسحاب، فألقى گـالريوس وتيرداد نفسهما فى الفرات ونجيا بشق الأنفـس (٢٩٦م). وفـى العالم التالى وخلال فصل الشتاء (٢٩٧م) أرسل ديوكلتين نفس ذلك القائد إلى إيران حتى يعوض هزائمه. ونظرًا للتجربة التى خاضها گـالريوس، فقد تجنب الحـرب مع فرسان إيران فى السهول والوديان، وهاجم إيران من ناحية أرمينيـة، وفاجـأ الجيش الإيرانى ليلاً وإنتصر عليه. وكان من نتيجة ذلك أن جرح نرسى وهـرب بصعوبة بالغة. وأسر كثير من النبلاء الإيرانيين، فأرسـل نرسـى رسـولاً إلـى گـالريوس يطلب الصلح، وقدم بعد ذلك رسول من عند الروم إلى نرسـى وحـدد شروطًا صعبة للصلح، هى:

أولاً: تسلم الولايات الخمس الواقعة على الساحل الأيمن لنهر دجلة.

ثانيًا: عدم تدخل إيران فى أرمينية، والتنازل عن قلعة زِنْتا (الواقعـة فـى آذربايجان) بالبلاد المذكورة.

ثالثًا: التصديق على أن گـرجستان تحت حماية الروم ووصايتهم، وتأتى أهمية هذا الشرط من أن الگـرجيين كانوا يسيطرون على مضيق داريال بين جبـال القفقاز وكان سكان الشمال يستطيعون الاعتداء على حدود إيران بموافقتهم.

رابعًا: الاعتراف بأن نهر دجلة هو الحد الفاصل بين الدولتين.

خامسًا: أن تكون نصيبين هى المكان الوحيد الذى يتم فيه تبـادل البـضائع التجارية بين إيران والروم. (حذف هذا الشرط نزولاً على رغبة نرسى).

وأسماء الولايات المذكورة هى:

١- أرزون. ٢- مُكْ. ٣- زابده. ٤- رحيمه.

٥- كاردو أو كُردو[٢١]. وأصبح دجلة حدًا بين الدولتين طبقًا لهذه المعاهدة (٢٩٧م).

وأدى جوار الروم إلى وقوع آذربايجان وطيسفون تحت التهديد.

لم يسبق لإيران عقد مثل هذه المعاهدة السيئة مع دولة الروم فى أى وقت سواء فى عصر الأشكانيين أو بعد ذلك. ولم يتمكن نرسى فيما بعد من الحكم عقب عقد هذه المعاهدة، فترك الحكم ومات بعد قليل كمدا (٣٠١م).

الثامن- هرمز الثانى (أنو هرمزد)

جلس على العرش بعد أبيه، ولما كان محبًا للعدل فقد سعى لنشره، وزاد فى تعمير إيران.

غير أن مدة حكمه كانت قصيرة (٣٠١- ٣١٠م) وقتل فى إحدى المعارك مع العرب فى سنة ٣١٠م، إذ كان العرب قد استولوا على البحرين[٢٢] واعتدوا من هناك على حدود إيران. وتوجد على نقوده صورة للملكة.

التاسع- آذرنرسى (آذرنرسه)

تولى الملك بعد أبيه، وأدت قسوته وسفكه للدماء إلى إعدامه على يد كبار رجال الدولة، كما فقأوا عينى ابنه (٣١٠م) ولم يكن هناك من يجلس على العرش من زوجة شرعية فى العائلة المالكة؛ فقد هرب هرمز أخو الملك المقتول من سجنه وذهب إلى بيزنطة.

ولم يرغب عظماء إيران فى انتخابه كملك بسبب أن عاداته وأخلاقه كانــت يونانية. ومن ثم انتظروا ولادة طفل لامرأة هرمز الثانى، وبمجرد أن أعلن الموبــد أنه سيكون ولدًا اعتبروه ملكًا، وعلقوا التاج فى مخدع الملكـــة، وأصـــبح الجنـــين صاحب تاج وعرش.

العاشر- سابور الثانى (شاه بوهـر) الكبير

حكم سابور لمدة سبعين عامًا، منها عدة شهور قبل أن يولد. تـــولى الملـــك زمام الأمور فى سن السادسة عشرة من عمره، وكانت إيران حتى ذلك الوقت قـــد نهجت فى سياستها الخارجية أسلوب الحيطة والروية والدفاع ضد الاعتداءات التى حدثت على حدودها، والتى كانت تحدث أحيانًا من ناحية البحرين، وأحيانًا أخـــرى من ناحية ما بين النهرين أو الشمال، وتهدد أيضًا طيسفون نفسها.

وكان أول ما قام به سابور من أعمال أن سير سفنا فى الخليج، فخذل عرب البحرين وأصابهم بنكبات. ويروى أنهم كانوا ينقبون اكتاف الأسرى بأمر شـــابور ويمررون بها حبلاً، ولهذا السبب عرف باسم ذى الأكتاف(٢٣)، غيـــر أن البـــاحثين المعاصرين يعتقدون أن نسبة هذا العمل لسابور غير صحيحة، وأنه لقب بهذا اللقب لأنه كان عريض المنكبين، وعندما نسى السبب فى تلقبه بهذا اللقـــب فيمـــا بعـــد، اختلقوا هذه الرواية حتى يوجدوا سببًا(٢٤).

الحرب الأولى مع الروم

كان وضع سابور صعبًا بعد تسوية الأمور مع العرب، ذلـــك لأنـــه إذا لـــم يحارب الروم سيكون عرضة للاضطرابات الداخلية والسخط، وإذا قام بذلك فإنـــه سيصير طرفًا فى مقابل إمبراطور كقسطنطين الذى كان جادًا نشطًا، ويعتبر أفضل قائد فى عصره، ولكى نتفهم الأحداث لابد لنا أن نتذكر أن الدين المـــسيحى كـــان

الدين الرسمى للروم فى ذلك الوقت (مرسوم ٣١٣ المعروف بمرسوم ميلان)، وصار قسطنطين نفسه بعد أن اعتنق هذا الدين نصيرًا مخلصًا له وناشرًا إياه، وإعتبر حماية المسيحيين المقيمين فى إيران ضمن مهامه أيضًا. ومن هنا أضاف خصومة دينية إلى جانب الخصومة القومية التى كانت موجودة بين الإيرانيين والروم فى كل آسيا الغربية. ومن حسن حظ سابور أن تطورت الأمور، ورأى نفسه قادرًا على حرب الروم، فقد توفى قسطنطين عدوه اللدود (٣٣٧م)، وغضب أهل أرمينية على الملك تيرداد أيضًا بعد قيامه بنشر الدين المسيحى، ولم يكن خلفاؤه الذين خلفوه بعد موته أقوياء (٣١٤م).

وأدت تلك الأوضاع إلى قيام الحرب مع الروم، وبدأها سابور، واستمرت هذه الحروب اثنى عشر عامًا دون أن يحصل أى من الطرفين على نتيجة حاسمة (٣٣٨- ٣٥٠م).

وفى تلك الأثناء، وقعت حوادث فى الولايات الشرقية اضطر شابور على أثرها إلى ترك حصار نصيبين والذهاب إليها (٣٥٠م) والحادثة التى اقتضت حضور سابور إلى البلاد الشرقية الإيرانية هى هجوم الهون على حدود إيران.

استمرت حروب سابور مع الهون البرابرة سبع سنوات (٣٥٠- ٣٥٧م)، وخرج من هذه الحروب منتصرا. وفى هذه المرة التى قصد فيها بلاد الروم ثانية كان قسم من الهون مع ملكهم گرومابات ضمن جيشه كذلك، وقد كان لانتصار شابور هذا أهمية كبيرة فى الحفاظ على الحضارة الإيرانية[٢٥].

الحرب الثانية مع الروم (٣٥٩-٣٦٣)

عندما كان سابور مشغولاً بحرب الهون؛ استفاد ملك أرمينية من هذه الظروف، فتزوج ابنة أحد عظماء الروم عن طريق إمبراطورهم، وصارت

الزوجة الرومية ملكة، وعلى أثر ذلك خرجت أرمينية مرة ثانية من تحت سيطرة إيران، وفى تلك الأثناء التى كان فيها شابور مشغولاً بالحرب على الحدود الشمالية الشرقية الإيرانية سمع أن إمبراطور الروم يرغب فى أن تبدل الهدنة إلى صلح دائم وثابت، فكتب رسالة بهذا المعنى إلى إمبراطور الروم يقول فيها: "تحية وسلامًا من أخى الشمس والقمر الملك سابور إلى أخيه القيصر كنستانسيوس. إن كتابك يشهدون على أن المناطق الواقعة بين نهر إستريمون (إستروماى حاليًا) وسواحل مقدونيا كانت ملكًا لأجدادى فى الماضى، وإذا كنت أريد منك إعادة كل هذه البلاد فإننى بذلك لا أتجاوز الحد، ولكن روح المسالمة والإعتدال هى التى دفعتنى إلى الإكتفاء باسترداد أرمينية وما بين النهرين اللتين استوليت عليهما من جدى بدون وجه حق. وأفيدكم علمًا أنه إذا عاد رسولى دون الحصول على النتيجة المرجوة، فإننى سأدخل معك فى الحرب بكل ما أملك من قوة بعد مرور الشتاء "، ولكى يمنع قيصر الروم وقوع الحرب، أرسل رسله إلى البلاط الإيرانى، ولم يتحقق الهدف المنشود، ففى سنة ٣٦٠م بدأ سابور الحرب فاستولى على قلعة "آمد" الحصينة والتى تعرف الآن بديار بكر بمشقة بالغة، ثم استولى على بزابد[٢٦] (بازبدى)، ولم يستطع كنستانسيوس عمل شىء نظرًا لاشتغاله بالشئون الداخلية. وعندما صار جوليان[٢٧] إمبراطورًا على بلاد الروم اقتفى على الفور أثر سياسة تراجان الخاصة بإيران، فجمع جيشًا كبيرًا فى سنة ٣٦٣ فى سورية وأرسل سابور رسولاً إليه، فرده القيصر بخشونة بعد أن كان قد استعد تمامًا، ووصل عدد أفراد جيشه إلى مائة ألف جندى، ودخل جوليان مع العرب فى مباحثات بحيث يحافظ فرسانهم على طرق المواصلات، ويقومون بعمليات ضد فرسان إيران، لكنه لم يعطهم نقودًا وقال على الإمبراطور المحارب أن يكون لديه الحديد لا الذهب. ولهذا اختلف العرب معه فى الباطن، ورغم ذلك عبر إمبراطور الروم بنجاح نهر الفرات لما كان له من قوة كبيرة، واستولى على بعض مدن ما بين النهرين ومنها مدينة فيروزسابور. وتقدمت السفن الرومية من الفرات إلى دجلة عن طريق قناة رئيسية.

وكان عددها يصل إلى ألف ومائة سفينة. وعبر الجيش الرومي إلى الساحل الشمالي للنهر المذكور.

وعلى شاطئ دجلة نشبت معركة للمرة الأولى بين الفريقين، فقد أرادت حامية طيسفون أن توقف زحف الروم بأفيالها الحربية. ولكن جوليان هجم ليلاً على الساحل الأيسر لنهر دجلة بعد أن تفادى الأفيال. وبعد أن استولى الروم على مواقع حصينة في الطرف الأيسر للنهر المذكور وقعت المعركة، وقاوم الإيرانيون إثنتي عشرة ساعة ثم احتموا بطيسفون، ووقعت غنائم كثيرة في أيدي الروم.

أراد جوليان في بادئ الأمر حصار طيسفون، لكنه عندما وجد أنها حصينة إنصرف عن ذلك، وأمر بحرق كل السفن الرومية في نهر دجلة، وانسحب إلى كردستان، وبمجرد أن علم جيش إيران بانسحاب الروم قرر تعقبهم، ووقع الروم في مشكلة بسبب المؤن، فقد قطع الإيرانيون خطوط اتصالهم، وهنا أدرك جوليان قيمة المساعدة التي كان يمكن أن يقدمها العرب للروم. ولم تسفر الحرب عن شئ في اليومين الأولين، وفي اليوم الثالث هاجم الإيرانيون الجيش الرومي من المقدمة والمؤخرة، وفي الوقت الذي كان فيه جوليان ينتقل من موقع الى موقع لقيادة جيشه رماه أحد الجنود الإيرانيين بحربة فقتله، وبعد موته انتخب أحد كبار رجال الدولة الرومية وهو جوفيان[٢٨] ليتولى قيادة الجيش. وكان جل همه إخراج الجيش الرومي من منطقة هجمات الجيش الإيراني. وكانت هذه الهجمات متصلة وشديدة إلى درجة أن الجنود الروم لم يجدوا بدا من عبور نهر دجلة سباحة، فألقوا بأنفسهم فيه.

وبعد أن تعب جيش إيران من الحرب مع الروم أمر سابور بعقد صلح معهم، فقبله الروم بترحاب شديد. وكانت شروط الصلح كما يلي:

أولاً: عودة الولايات الخمس التي سلبت إلى الروم في عهد نرسي إلى إيران.

ثانيًا: عودة نصيبين إلى إيران وكذلك الحال بالنسبة لسنجار.

ثالثًا: أصبح القسم الشرقى من ما بين النهرين مرتبطًا بإيران.

رابعًا: اعتراف دولة الروم بأن أرمينية خارجة عن منطقة نفوذ الروم (٣٦٣م).

وقد أعطت هذه المعاهدة - التى كانت ذات فائدة عظيمة لإيران- مكانة عظيمة لسابور فى التاريخ ذلك أن المؤرخين يعتقدون أن إيران لم تكن قد بلغت مثل هذه المرتبة العالية منذ عصر الإسكندر وحتى ذلك الحين، ولهذا السبب، ولفتوحات سابور الأخرى، أطلقوا عليه لقب الكبير.

وعز على الروم استرداد الولايات الواقعة فى تلك الناحية من دجلة، وخاصة ضياع نصيبين التى كانت تعد قلعة حصينة للروم فى الشرق. هذه القلعة التى صارت- كما سنذكر- منطلقًا لعمليات الإيرانيين الحربية المهمة فى حروبهم ضد الروم، وبدأت من جديد حروب شابور مع الروم بعد قليل، فلم يبق جوفيان فى منصب الإمبراطور إلا لفترة قصيرة، وقسم فالن سين[٢٩] إمبراطورية الروم بعد موته إلى قسمين، وخص نفسه بالقسم الغربى، وعهد بالقسم الشرقى إلى أخيه والنس[٣٠]. ولما كان جو فيان هو الذى عقد المعاهدة السابقة الذكر، فضلاً عن كونها مهينة للروم، فقد راعى فالين سين بنودها فى الظاهر، ولكنه كان يود إلغاءها فى الباطن، ومن ناحية أخرى تعجل سابور تنفيذ المعاهدة، فشب النزاع والعداء مرة أخرى بين إيران والروم حول أرمينية وگرجستان، ودخل سابور وفالن سين فى حرب استمرت عدة سنوات دون نتيجة تذكر. وفى النهاية تعب الطرفان فى سنة ٣٧٦م وقررا ألا يتدخل أحدهما فى شئون دولتى أرمينية وگرجستان ويسيطر عليهما.

توفى بعد ذلك شابور فى سنة ٣٧٩م بعد حكم دام سبعين عامًا، وترك لخلفائه دولة إيران القوية التى تغلبت فى عهده على كل المشكلات التى تعرضت لها: فقد توقفت اعتداءات العرب والهون والگرجيين على حدود إيران، وعادت

الولايات التى كانت قد انتزعت منها أيام جده. وكان لصد الهون أهمية كبيرة جدا لإيران، فهم أنفسهم الذين إنتزعوا شعوب اليوئه چي والسك من مواطنهم وأبعدوهم إلى آسيا الوسطى، وهم أنفسهم بدو الصحراء الأجلاف الذين ضغطوا على شعوب أوربا الشرقية والوسطى أى شعوب القوط الشرقيين[٣١] والقوط الغربيين[٣٢] وغيرهم. ونتج عن ذلك هجرة كبيرة لشعوب الجرمان وغيرهم فى أوروبا، كما أدى فى النهاية إلى انقراض دولة الروم الغربية ذات الألف عام، وينسب إلى سابور بناء مدينة شابور فى المرة الثانية.

الحادى عشر- أردشير الثانى (آرت خشتر)

جلس على العرش بعد أبيه (٣٧٩- ٣٨٢م)، وكان أردشير ضعيف الشخصية، ولكنه كان حسن الطبع والخلق، ومن الحوادث التى وقعت خلال حكمه أنه ألغى كل الضرائب، ومن هنا عرف باسم أردشير الخير. وخلع فى السنة الرابعة بسبب رغبته فى تقليل نفوذ النبلاء العظيم.

الثانى عشر- سابور الثالث (شاه پور)

جلس سابور ابن سابور الثانى على العرش بعد أردشير (٣٨٢- ٣٨٨م). ومن أهم الحوادث التى حدثت فى عصره تقسيم أرمينية، فقد استقاد الروم من ضعف أردشير بعد وفاة شابور الكبير وأجلسوا على عرش أرمينية أحد الأمراء الأشكانيين ويعرف باسم فرزدات[٣٣] وهو الذى قتل الوزير الذى عينه الروم. وثار أخوه مانويل[٣٤] ضده، وطلب العون من أردشير، فأرسل له جيشًا لمساندته. وأدى هذا العمل وغيره من الحوادث الأخرى إلى اشتداد النزاع بين إيران وبلاد الروم حول أرمينية، ولكن طلبت الدولتان الصلح فى هذه المرة، لأن أردشير لم يكن يميل للحرب، كما كانت دولة الروم مشغولة بالشعوب المسماة بالقوط[٣٥]، هذه الشعوب

التى اعتدت على أراضى الروم الشرقية (على أثر ضغط الهون علـــى الــشعوب الأوروبية). وأدى ذلك إلى انتهاء المباحثات التى كانت قد بـــدأت أيــام أدرشـــير الثانى، وقبل الطرفان فى النهاية تقسيم أرمينة، فقسمت هذه الــبلاد- التـــى كانــت موضع نزاع وسببا فى حروب بين إيران والروم لعدة قرون فى العصر الأشـــكانى وفى هذا العصر- بطريقة جعلت القسم الأكبر منها جــزءًا مــن إيــران والقــسم الأصغر (الغربى) جزءًا من إمبراطورية الروم، سوى أنه قد عين لحكم القــسمين أمراء أشكانيون من قبل إيران وبلاد الروم (٣٨٤م).

الثالث عشر- بهرام الرابع (وزه ران)

جلس على العرش بعد أخيه (٣٨٨- ٣٩٩م) ويعـــرف هـــذا الملـــك باســـم كرمانشاه، لأنه كان واليًا على كرمان أيام أبيه، وفى عهده ثار خسرو والى أرمينية الإيرانية، فقد عهدت إليه دولة الروم بحكم أرمينية الروم أيضًا، وكـــان أن اتفـــق خسرو هذا مع تيودوس[٣٦] إمبراطور الروم على الخروج عن طاعة إيران فأرسل بهرام جيشًا إلى أرمينية، وأحضره إلى إيران، وحبسه فـــى قلعـــة فراموشـــى[٣٧] ونصب أخاه الذى يدعى بهرام سابور بدلاً منه. وقد قتل بهرام أثناء الاضـــطرابات التى حدثت فى صفوف جيشه.

وذكر البعض أن تقسيم أرمينية يرجع إلى عهده، ويعتقدون أن هذه الحادثـــة حدثت فى عام ٣٩٠م[٣٨].

وفى تلك الأثناء قسم تيودوس إمبراطورية الروم إلى قسمين (٣٩٥م):

القسم الشرقى، وهو الذى عرف بالروم الشرقية أو بيزنطة. والقسم الغربى، وهو الذى يعرف بالروم الغربية.

وكانت القسطنطينية عاصمة القسم الأول وروما عاصمة القسم الثانى. ومنذ ذلك الوقت فصاعدًا جاورت الروم الشرقية[٣٩] إيران الساسانية.

الرابع عشر- يزدگرد الأول (يزدكرت)

جلس ابن شابور الثالث على العرش فى سنة ٣٩٩م[٤٠] ويطلق عليه فى الروايات الإيرانية لقب الأثيم (بزه كار) غير أن المؤرخين الأجانب يقولون إنه كان ملكًا ذا إدراك طيب ومروءة. وقد سمى بالأثيم لأنه أراد الحد من نفوذ العظماء ولم يفسح المجال أمام تعصب المغان الدينى.

وقد دخلت إمبراطورية الروم الشرقية تحت حماية يزد گرد، فعندما أحس آركاديوس[٤١] إمبراطور بيزنطة بدنو أجله، وكان ولى عهده تيودوس ما زال طفلاً فى المهد، ولكى يجلس ابنه على العرش دون عقبات ويحفظ الإمبراطورية الشرقية من خطر الحروب مع إيران، أوصى بها ليزدگرد فى وصيته، وطلب منه حماية الإمبراطورية. وبمجرد أن اطلع يزد گرد على محتوى الوصية أرسل عالمًا عظيمًا مجربا يدعى آنتيوخوس إلى القسطنطينية حتى يعلم تيودوس ويربيه، وأعلن لمجلس الشيوخ فى بيزنطه أن عدو الإمبراطور الصغير هو عدو للملك.

كبر تيودوس الثانى فى رعاية يزدگرد وجلس على العرش، ويقال إنه يزدگرد لم ينقص من فتوته ومروءته تجاه بيزنطة فى أى وقت طوال حياته، ولم تسبب إيران أى أذى لهذه الدولة. وحتى بعد أن أرسل الإمبراطور رسوله إلى بلاط حاميه طالبًا رعاية المسيحيين المقيمين فى إيران، قد استقبل يزد گرد السفير المذكور- وكان من رجال الدين ذوى الدرجة الرفيعة- استقبالا حارًا، وعدل من سلوكه تجاه المسيحين، وأصدر أوامره بمنح الحرية لمسيحيى إيران فى بناء الكنائس وعبادة المسيح (٤٠٩م).

وفى تلك الأثناء، كانت دولة بيزنطة تعانى بشدة من ضغوط شعوب قوية فتية فى الشمال، وهى تتكون من طوائف مختلفة وتهاجم دائمًا القسم الشرقى والغربى من بلاد الروم نتيجة ضغط الهون عليها، كما سقطت مدينة روما عاصمة دولة الروم الغربية ذات الألف سنة فى يد الآلاريك عام ٤١٠م. ويعتقد المؤرخون أن يزدگرد إستطاع فى ذلك الوقت الاستيلاء على بقية ما بين النهرين والشام الكبرى وآسيا الصغرى كذلك ولكن حب يزدگرد للصلح والمودة التى أظهرها آركاديوس تجاهه منعت قيام الحرب بين إيران وبيزنطة.

وتعد مدينة يزد من إنشاء يزدگرد، ولا يعرف محل وفاته. وقد توفى طبقًا لرواية إيرانية بالقرب من بحيرة سو (چشمه سبزنيشابور) من رفسة فرس الماء فى حين يظن البعض أنه مات نتيجة مؤامرة (٤٢٠م).

وبعد يزدگرد أراد ابنه شابور - الذى كان يحكم فى أرمينية- أن يجلس مكان أبيه على العرش. ولكن لم يمض وقت طويل إلا وقتله كبار رجال الدولة وأجلسوا على العرش أحد أقرباء يزدگرد ويدعى خسرو.

الخامس عشر- بهرام الخامس (گور)

شب بهرام عند النعمان ملك الحيرة[٤٢] فى قصر الخورنق[٤٣]، وجلس على العرش بمساندة المنذر بن النعمان. وطبقًا للرواية الإيرانية فإن الأمر استقر على إنهاء النزاع بين بهرام وخسرو على عرش السلطنة بأن يوضع التاج بين أسدين، ومن يلتقطه من هذين المتنافسين يصبح ملكًا، فوفق بهرام، وفى عصر هذا الملك هاجمت شعوب جديدة من بدو الصحراء الولايات الشمالية الشرقية لإيران وباختر (بلخ)، ولمزيد من الإيضاح لابد أن نذكر أنه فى سنة ١٦٣ ق. م ضغطت شعوب اليونه چى على السك الذين كانوا يعيشون بين جيحون وسيحون وطردوهم إلى باختر، ثم أخذوا منهم باختر فى سنة ١٣٠ ق.م فإتجه السك إلى البلاد المجاورة لها

من ناحية الجنوب. وقد أخضعت طائفة من اليوئة چى تسمى "كويشان" طوائف أخرى فى العصور التالية، وأقامت دولة عرفت باسم "كوشان" وأقام الروم علاقات معهم لكى يسببوا متاعب لإيران.

وفى تلك الأثناء (٤٢٥م) أغارت شعوب من بلاد ما وراء جيحون على بلاد كويشان من جديد، وكانت هناك صلة قرابة بين هذه الشعوب وشعوب اليوئه چى، ويسميهم الصينيون باسم (يزا) والروميون (هفتالت) والمؤرخون الإيرانيون باسم الهياطلة، ومن المعتقد أن هذه التسمية الرومية والإيرانية لهم مأخوذة من كلمة "يتاليت" بمعنى الرئيس، كما سموهم أيضًا بالهون البيض.

وكان الهياطلة قومًا أقوياء أشداء، وقد سبب ظهورهم فى هذه الناحية من جيحون واحتلالهم لباختر (بلخ) ذعرًا فى الشرق (٤٢٥م)، واضطرب الإيرانيون من هجماتهم.

ولكى يخفى بهرام حركته ناحية شمال إيران وشرقها توجه أولاً إلى (آذربايجان)، ثم تحرك فى جوف الليالى، فوصل بسرعة محيرة إلى الهياطلة، ودخل فى حرب معهم فى طليعة الصباح، فقتل خاقانهم واستولى على غنائم كثيرة. ثم تعقب الهياطلة حتى نهر جيحون، وعبر النهر المذكور ووجه إليهم ضربة كانت من الشدة بحيث أنهم لم يتجهوا ناحية إيران مرة أخرى طوال حكم بهرام. وتم تزيين بيت نار آذرگشتاسب المشهور بمدينة شيز[٤٤] بتاج خاقان الهياطلة الذى كان ضمن الغنائم.

الحرب مع بلاد الروم الشرقية

كان السبب فى قيام هذه الحرب- كما ذكر مؤرخو اليونان- هو ما كان يتعرض له المسيحيون المقيمون فى إيران من أذى، وفرارهم من تعصب المغان (الكهنة الزرادشتيون)، وذهابهم إلى بيزنطة، فطلب بهرام تسليمهم، ولما علم

تيودوس أنهم سيعرضون لعقوبات شديدة امتنع عن تسليمهم فأمر بهرام بحبس العمال الروم الذين كانوا يعملون فى صناعة الذهب والفضة ومصادرة أموالهم فى إيران. وعلى أثر ذلك تصاعدت الأزمة، وانتهت بقيام الحرب.

دخل مهر نرسى، وهو من عظماء الطبقة الأولى فى إيران ويصل نسبه إلى ويشتاسب والد داريوش الكبير (دارا)، فى حرب ضد جيش بيزنطة قرب نصيبين، ولكنه لم يحقق انتصارًا، عندئذ أسرع بهرام لمساعدة نصيبين. وبمجرد أن علم القائد الرومى بهذا أحرق كل أدوات الحصار ومعداته وانسحب إلى الأراضى الرومية. وحاصر بهرام تيودوسيوبوليس التى تعرف اليوم باسم أرززوم[٤٥]، ولكنه لم ينجح فى السيطرة عليها.

استمرت الحرب بعد ذلك فى السنة التالية (٤٢٢م)، ورغم أن الإيرانيين لم يوفقوا فيها، فإنهم سرعان ماعوضوا خسائرهم. وتعب الروم فى نهاية الأمر فطلبوا عقد صلح، وتم عقد معاهدة مدتها مائة عام كان من بنودها حرية الديانة المسيحية فى إيران وحرية الديانة الزرتشتية فى الروم.. وطبقًا لشرط آخر من شروطها تعهدت دولة الروم بدفع مبلغ سنوى لدولة إيران لرعاية الحاميات القوية فى قلعة داريال بالقفقاز، حتى يمنعوا بذلك اعتداءات سكان الشمال على حدود إيران والروم. ولم تنفذ المادة الخاصة بحرية الديانة المسيحية بسبب معارضة المغان. وتوفى بهرام سنة ٤٢٨م، ويقال إنه سقط فى مستنقع. وقد أطلقوا عليه لقب بهرام گور، لأنه كان مغرمًا بصيد حمار الوحش. وقد نظم نظامى الگنجوى كتاب "هفت گنبد" عن هذا الملك[٤٦]. وكانت الهزيمة التى حاقت بالهياطلة على يد بهرام ذات أهمية كبيرة بالنسبة لإيران فى ذلك الوقت.

وفى عهده طلب عظماء أرمينية تعيين حاكم، لأنهم لم يرغبوا فى أن يكون ابن بهرام شابور ملكا على أرمينية، وأن تصير هذه البلاد إحدى ولايات إيران، وطبقًا للروايات الإيرانية، توجه بهرام إلى الهند بعد انتصاره على الهياطلة، فسلم

إليه ملك الهند ولايتى السند ومكران فى مقابل إبعاد خطر الهياطلة الذين كانوا يشكلون خطرا عظيمًا على هذه البلاد، وأحضر بهرام معه من هناك اثنى عشر ألف شخص من اللوريين(٤٧) للعزف والغناء فى إيران.

ولا نعرف مدى صحة هذه الروايات، ولكنها تبين وجود علاقات بين إيران والهند فى ذلك العصر.

السادس عشر- يزدگرد الثانى (يزد كرت)

جلس على العرش بعد أبيه، وقد منعته غارات الهياطلة على الولايات الشمالية والشرقية الإيرانية من الاهتمام بأمر الروم. وفى ذلك الوقت كانت الديانة المسيحية قد انتشرت فى أرمينية، وأراد يزد گرد أن يجعل الزرتشتية دينها حتى لا تنفصل عن إيران، ولكن الخط الذى كان قد اخترعه ميسروب الأرمنى (٣٩٧م) قوى أسس القومية لدى الأرمن، وشجعهم على المقاومة والصمود.

وقد نشر وزير إيران مهر نرسى إعلانًا رفض فيه مبادئ الدين المسيحى، وكتب كبار رجال الدين الأرمن اعتراضًا على هذا الرفض، وثار بعد ذلك الأرمن.

وهنا أسرع يزد گرد إلى أرمينية بعد أن أنهى حروبه فى الشرق مع الهياطلة ونشبت حرب دموية فى آوارأنير، وقتل قائد جيش الروم واردان مامى كنى، وأسر زعيم رجال الدين الأرمن مع عشرة من كبار القساوسة. وساد الهدوء بعد ذلك وأشعلت النيران فى بيوت النار. وكانت الردة التى حدثت عن المسيحية واعتناق الدين الزردشتى ناتجة عن عدم تأصل الدين المسيحى بين عامة الشعب فى ذلك الوقت. ومن أحداث سلطنة يزد گرد تلك المعاهدة التى عقدها مع الروم الشرقية، وتعهد تيودوس بموجبها بعدم إقامة تحصينات بالقرب من الحدود الإيرانية، وقبل كذلك دفع مبلغ سنوى حتى ترعى إيران حامية قوية فى دربند

(قفقازية- على شاطئ بحر الخزر) حتى تمنع سكان الشمال من الاعتداء على حدود إيران والروم الشرقية، ولم يوفق يزدگرد فى حروبه مع الهياطلة ذلك التوفيق الذى كان لبهرام گور، ولكنه رغم ذلك وفق فى منع غاراتهم على حدود إيران. وقد استمرت هذه الحروب من سنة ٤٤٣ حتى سنة سنة ٤٥١م.

السابع عشر- هرمز الثالث (أنو هرمزد)

جلس على العرش بعد أبيه، لأن أخاه الأكبر فيروز كان فى سيستان بعيدًا عن العاصمة (٤٥٧م)، وعلى أثر هذا الخبر ذهب فيروز إلى خان الهياطلة واستعاد العرش من أخيه بمساعدته.

الثامن عشر- فيروز الأول (پيروز)

جلس على العرش بعد أخيه (٤٥٩م)، وفى عهده حدث قحط كبير فى إيران، واستمر عدة سنوات. ولكن فيروز أدار البلاد بحكمة؛ إذ خفف الضرائب ووفر المؤن والغلال من خارج البلاد للشعب، وقرر مساعدة الأغنياء للفقراء.

وفى ذلك العهد نشأ الاحتفال بعيد المطر (آب ريزگان)[٤٨] كتذكار للأمطار التى سقطت.

ولم تقم الحرب فى عهده ضد بيزنطة، إذ شغلت الدولتان كلتاهما بشعوب الشمال القوية التى أغارت على بلادهما، فقد أغار الهياطلة على إيران وأغار الهون وغيرهم على بلاد الروم الشرقية. وحدث أن استفاد الآرانيون (الألبان)[٤٩] من الحروب التى وقعت بين هرمز وأخيه فيروز، فتمردوا ثم خضعوا من جديد لإيران نتيجة ما بذله فيروز.

بعد أن فرغ فيروز من هذه المشاكل اتجه إلى النواحى الشرقية من إيران حتى يشتبك فى حرب مع الهياطلة ولكنه لم يوفق، فطبقًا للروايات الإيرانية رضى ملك الهياطلة، الذى يسميه بعض المؤرخين آخ شنواز ويسميه البعض الآخر خشنواز، بالصلح بشرط أن يزوجه ملك إيران ابنته. فقبل فيروز ولكنه أرسل له جارية بدلاً من ابنته، وأدرك خشنواز تلك الخدعة، فطلب من ملك إيران أن يرسل له عددًا من كبار الإيرانيين لتعليم جنوده وتدريبهم وإعدادهم للحرب. عندئذ أرسل فيروز ثلاثمائة من كبار رجال الدولة، فقتل خشنواز بعضهم وأصاب الباقين بعاهات وأعادهم إلى فيروز مع رسالة يبلغه فيها بأن هذه الفعلة هى الرد على الخدعة التى قام بها الملك. وهكذا بدأت الحرب الثانية بين الهياطلة وفيروز.

هجم فيروز هذه المرة من ناحية جرجان فأسر. وتفصيل ذلك كما جاء فى الروايات الإيرانية التى ذكرها الطبرى أن خشنواز سحبه بالخدعة إلى واد ليس له مخرج، وعندما دخل فيروز بجيشه هذا الوادى سد مدخله. ولم يكن هناك بد أمام فيروز سوى بدء مباحثات الصلح، وقبل خشنواز الصلح الأبدى بشرط أن يخر ملك إيران صاغرًا أمامه على الأرض. وكان قبول هذا الشرط من جانب فيروز أمرًا صعبًا جدًا، لكنه لما لم يجد بدًا من ذلك قبل وقال له أحد الموابذة مطيبًا خاطره: إن هذه الحركة من جانب الملك تعنى عبادته للشمس. وفى النهاية غضب فيروز من سلوك خشنواز المتسم بالإهانة، فصمم على الخروج من هذا الشرَك.

ولما كان قد اتفق فى المعاهدة، وكذلك أقسم فيروز على ألا يتجاوز المنارة، فقد انتزعوا هذا العمود بأمر الملك وحركوه فى مقدمة الجيش. وبهذه الطريقة توجه فيروز إلى بلخ بجيش كبير وخمسمائة فيل، ولكن الهياطلة سدوا عليه الطريق وقالوا لجنوده إنهم إذا حاربوا فإن القسم الذى أقسمه ملك إيران بألا يتجاوز تلك المنارة سيمنعهم. ولهذا انفصل نصف جنوده فى خندق كان خشنوار وجنوده قد حفروه على رأس الطريق وأخفوه، ولقوا جميعًا حتفهم (٤٨٣م).

وأحداث هذه الواقعة متناقضة، وأغلبها يشبه الأساطير، فمثلا إذا كان فيروز قد حوصر في واد فكيف تأتي له جمع خمسمائة فيل، وإذا كانت الأفيال معه فلماذا لم يستول عليها خشنواز بعد حصار فيروز؟ شيء آخر، إذا كان جيش خشنواز قد سد مدخل هذا الوادى ولم يكن له مخرج فكيف تسنى لفيروز الذهاب إلى بلخ؟ كذلك تبدو مسألة المنارة شيئًا خرافيا. وحقيقة الأمر يجب أن تكون على النحو التالي: أغار فيروز على الهياطلة من ناحية گرگان ولم يوفق، فأراد أن ينسحب بعد ذلك، فضل الطريق في صحراء آخال الحالية دون ماء ولا علف، وحوصر بعد ذلك في موضع ما وقتل أثناء القتال.

ولا يجب أن تكون مسألة إرسال جارية إلى خشنواز بدلا من أخت فيروز صحيحة كذلك، ولهذا السبب اختلقوا هذه الرواية وهي أن تزويج خان الهياطلة غير المتحضر من ابنة ملك إيران كان أمرًا عسيرا على الإيرانيين.

شيد فيروز سورا في گرگان امتد من بحر الخزر على امتداد نهر گرگان من الناحية الشمالية حتى يكون سدا في مقابل الهياطلة، وتعرف بقاياه اليوم باسم سد الإسكندر.

وفي عهد فيروز ثارت أرمينية وانتخب لحكمها ملك يدعى ساهاك، ويرجع سبب هذه الثورة إلى تعصب المستخدمين الإيرانيين ومعاداتهم للدين المسيحى، ولحق الگرجيون بالأرمن أيضًا، غير أن القائد الإيرانى "زرمهر" قاد جيشا على نفقته إلى أرمينية وذلك في غياب فيروز وقاتل ساهاك وقتله. وخمدت الفتنة مؤقتا لكن الأوضاع الحقيقية لهذه البلاد لم تكن على ما يرام.

التاسع عشر- بلاش (ولگاش):

حكم بعد أبيه (٤٨٣– ٤٨٧). وقد أمر حاكم سيستان "سوخ" بالدخول في مفاوضات مع "خشنواز" وعقد صلح معه، ولكى يوفق هذا الحاكم في مفاوضاته أعد جيشًا ثم بدأ المفاوضات.

ووافق خشنواز على إعادة الأسرى والغنائم التى كان قد غنمها من جيش فيروز مع "فيروز دخت" ابنة فيروز وزوجاته، وعلى عقد الصلح مع إيران بشرط أن تدفع مبلغًا سنويًا.

وقبل البلاط الإيرانى هذا الاقتراح (٤٨٣- ٤٨٥م). ويعتقد بعض المؤرخين أن هذا المبلغ كان يدفع لمدة عامين. واهتم بلاش بشئون أرمينية بعد استرداد الأسرى، وطلب "واهان" قائد الأرمن من الملك أن يعلن حرية الدين المسيحى فى أرمينية، لكن بلاش لم يوافق فى بداية الأمر. وفى غمرة هذه المشاكل تعرض بلاش لكارثة حرب أهلية، ذلك أن أخاه "زارن" طالب بعرش السلطنة. فأسرع وأهاب بكل قواته لمساعدة الملك. وكان أن قبل بلاش رغبة واهان بعد أن انتهى من هذه الحرب، وصار الدين المسيحى دينا رسميًا فى أرمينية وگرجستان. وأصبحت هاتان الدولتان حليفتين لإيران سرًا.

العشرون- قباد الأول (گوات)

قباد هو ابن فيروز. أراد أن يستولى على العرش أيام حكم بلاش لكنه لم يوفق.

وهرب إلى خشنواز، فاستقبله خان الهياطلة بحفاوة بالغة، وأعد له جيشًا بعد ثلاث سنوات لكى يحارب بلاش. لكن بلاش مات فى تلك الأثناء (٤٨٧م).

وقبل عظماء إيران تولى قباد للعرش، وقد حكم هذا الملك مرتين خلال سنتى ٤٨٧ و ٥٣١م، وأهم أحداث عصره ما يلى:

اهتم قباد فى بداية الأمر بشعوب الخزر، وهم شعوب من الجنس الأصفر الذين اختاروا الإقامة على السواحل الغربية لبحر الخزر، واشتغلوا بالتجول فى الصحراء والإغارة على البلاد المجاورة لهم، وكانوا غالبًا ما يفدون إلى وادى نهر

كورا (كوروش القديم)، فدخل قباد معهم فى حرب وانتصر عليهم وقتل عددًا كبيرًا منهم، واستولى على غنائم لا حصر لها.

ظهور مزدك ـ خلع قباد وعودته إلى الحكم

كان مزدك بن بامداد من أهالى نيسابور (يعتقد البعض أن مزدك من مكان تعرف أطلاله اليوم باسم تخت جمشيد). وقد جاء هذا الشخص بدين سيأتى الحديث عنه فى موضعه، وخلاصته أنه يجب أن تكون الأموال والنساء شركة، وقد قبل قباد دينه فى أول الأمر بهدف الحد من نفوذ النبلاء ورجال الدين، ولكن ضاعت هيبته بعد ذلك بين الناس، فاجتمع النبلاء ورجال الدين على أثر ذلك وخلعوه، وأجلسوا أخاه جاماسب على العرش. وبلغ الغضب بالناس إلى درجة أنهم أرادوا قتله بادئ الأمر، لكن جاماسب منعهم من هذا التفكير وحبسه فى قلعة فراموشى (النسيان) (٤٩٨م).

هرب قباد من محبسه بمساعدة زوجته وذهب إلى الهياطلة، ثم عاد إلى إيران بمساعدتهم. ولما لم يقاومه جاماسب، جلس على العرش من جديد (٥٠١م) ولم يتبع مزدك فى هذه المرة رسميًا، وقد ذكر البعض أنه كان يؤمن به سرًا، لكن سلوكه بعد فترة يكذب هذا.

الحرب مع بيزنطة

كان قباد قد تعهد فى مقابل مساعدة الهياطلة له بدفع مبلغ إضافى، ولكن لم يكن بالخزانة ما يكفى لهذا، وفى هذه الظروف تذكر قباد أنه يجب على دولة الروم الشرقية أن تدفع مبلغًا سنويًا للمحافظة على الحامية القوية فى دربند طبقًا للمعاهدة الأخيرة التى عقدت بين يزدگرد الثانى وتيودوس إمبراطور بيزنطة ومدتها ستون سنة، ولم تدفعه فى وقت الصلح؛ لذا طالبها بالأقساط وتعلل آناستاس[٥٠] إمبراطور

بيزنطة بأنه مادامت إيران لم تطالب بهذا الحق فى حينه فإن مرور الوقت يسقط حقها. وعلى أثر هذا الرد بدأت الحرب بين الدولتين، ولكى لا يعطى قباد مجالاً للعدو حتى يعد نفسه دخل بسرعة مدهشة أرمينية الروم، وحاصر أرزروم واستولى عليها، ثم استولى بعد ذلك على آمد (ديار بكر) أيضًا، واشتبك فى معركة مع جيوش بيزنطة وهزمها. وماكاد يقترب من عقد صلح مع الروم بشروط صعبة إلا ووصله خبر هجوم الهياطلة على شمال شرق إيران، فاضطر إلى التوجه إلى هذه الناحية. وبمجرد أن علم الروم بما يواجهه من مشاكل حاصروا آمد ونصيبين. وأخيرًا التقى سفير من قبل قباد بالروم، وعقد هدنة لمدة سبع سنوات، ودفعت بيزنطة مبلغًا إلى إيران وأعادت آمد[٥١].

وفى سنة ٥٠٦م قبلت دولة الروم الشرقية دفع مبلغ سنوى لدولة إيران للحفاظ على الحامية القوية فى قلاع القفقاز ثم اتجه قباد إلى الهياطلة فحاربهم لمدة عشر سنوات، وانتصر نصرًا مؤزرًا أبعد خطرهم عن إيران بعد ذلك (٥٠٣-٥١٣م).

الحرب الثانية مع بيزنطة

بعد أن فرغ قباد من حرب الهياطلة إتجه إلى بلاد الروم الشرقية، ذلك أن گرجستان ثارت على إيران فى ذلك الحين، ويرجع السبب فى ذلك إلى أن قباد اتبع السياسة السابقة للبلاط الإيرانى بالنسبة لتعقب المسيحيين وتقييد حرية دينهم التى كانت قد منحت لهم فى عصر بهرام گور، وأدت هذه السياسة إلى لجوء گرگين ملك گرجستان إلى الروم. وكان الروم قد استفادوا من قبل من اشتغال قباد بحربه مع الهياطلة، فأقاموا قلاعًا على حدود إيران (منها مدينة دارا بالقرب من نصيبين) فاعترض الملك، لكن الإمبراطور لم يعطه جوابًا شافيا.

تحالف بعد ذلك جوستين[٥٢] مع الهون الذين كانوا يقيمون فى شمال القفقاز ضد إيران، واستمال إلى جانبه أيضا لازيكا (كان القسم الغربى لگرجستان الحالية على شاطئ البحر الأسود يعرف باسم لازيكا) وفى سنة ٥٢٦م دخلت الجيوش الإيرانية گرجستان ولازيكا واحتلت هذه المناطق.

قدم الروم أيضًا إلى أرمينية إيران، ولكنهم لم يوفقوا هناك ولا فى ما بين النهرين، فقامت الحرب من جديد بعد سنتين وهزم بى ليزار[٥٣] قائد بيزنطة الشهير، ونتيجة لهذه الظروف أضاف جوستنيان[٥٤] ألفين من الجنود إلى الجيش الرومى، وأخذ جيشًا متطوعًا من الشعوب الشمالية المعروفة باسم (ماساجيت) واستعد لحرب جديدة.

ذهب القائد الإيرانى فيروز مهران إلى دارا، وهناك نشبت الحرب بين الفريقين، فأظهر رماة السهام الإيرانيون مهارة فائقة، وعندما نفذت سهامهم قاتلوا الروم وجهًا لوجه، فانتصروا على ميمنة الجيش الرومى وميسرته. غير أن الماساجتيين كانوا يعضدون الروم فى المرتين، فانسحب الإيرانيون، وكانت خسائر الروم كبيرة لدرجة أن بى ليزار لم يتعقبهم.

وقد كانت لهذه الحرب أهمية كبيرة رغم أنها انتهت بانتصار الروم فى الظاهر، ذلك أنها اثبتت أن جيش بيزنطة كان ضعيفا بالنسبة لسابق عهده، ومن المؤكد أنه كان سيهزم لولا مساندة الماساجتيين له. والواضح أن الإيرانيين كانوا قد تقدموا فى فن الحرب بالنسبة للعصور السابقة، ولهذا السبب أثارت مقاومة الإيرانيين وانضباطهم العسكرى دهشة بى ليزار القائد البيزنطى الشهير.

وفى سنة ٥٣١م توجه جيش إيران إلى سورية، وقطع بى ليزار الطريق على الإيرانيين بجيشه المكون من طوائف رومية وغير رومية فأدى ذلك إلى نشوب معركة فى كالينيكوس[٥٥] هزم فيها الجيش الرومى. غير أن الإيرانيين لم

يستفيدوا أى فائدة تذكر من هذه المعركة، إذ سرعان ما وصل خبر مــوت قبــاد، فتحركت الجيوش الإيرانية الى ناحية دجلة.

والخلاصة أن حروب قباد مع الروم لم تؤد إلى نتيجة تذكر، ومن ثــم ظــل الطرفان على أوضاعهما التى كانا عليها قبل الحرب. وعموما يجب القــول بــأن الحروب التى قامت بين إيران والروم أو العكس منذ عصر قبــاد ومــا تــلاه قــد أضعفت دولتين قويتين كانتا صاحبتى نفوذ وسيطرة فى العــالم آنــذاك، ومهــدت السبيل للفتوحات العربية.

أتباع مزدك

ثار أتباع مزدك فى أواخر حكم قباد وأجبروا الملك على ترك الحكم لابــن من أبنائه يدعى كيوس[٥٦]، لأنه كان قد وعد بإعلان الديانة المزدكية دينا رسميا.

وقد أظهر قباد شعورا طيبا فى بداية الأمر، ولكنه غافل أتباع مــزدك بعــد ذلك ودعاهم إلى احتفال وقتلهم جميعا بمساعدة ابنه خسرو (كسرى أنوشيروان فيما بعد) ما عدا مزدك الذى فر (٥٢٩م).

وتوفى قباد فى سن الثانية والثمانين من عمره (٥٣١م)، وكان اعتناقه لــدين مزدك لخدمة سياسية وهى الحد من نفوذ النبلاء ورجال الدين. ولما وصل قباد إلى مراده بعد ذلك قضى عليهم، ويقال إن أحدا من ملوك الساسانيين لم يشيد مدنا بقدر ماشيد هو، ومن هذه المدن مدينة كازرون فى فارس ومدينة گجنه فى قفقازية. وقد بدأ فى عهده كذلك حصر الأملاك بهدف تعديل الجباية ومنع اعتــداءات مــوظفى الدولة وظلمهم، وأتم ذلك أنو شيروان.

الحادى والعشرون - خسرو الأول أنو شيروان العادل (خسراو آنوشك ربان)

يقول الطبرى: عندما فر قباد وذهب إلى الهياطلة، تزوج ابنة دهقان فى نيسابور وولد له منها خسرو. وكان قباد يحبه حبا جما؛ ذلك لأن مولده صادف موت بلاش وانتهاء الحرب الأهلية، فتفاءل بهذه المصادفات. ولما كان لقباد أبناء آخرون أقرب لعرش السلطنة من خسرو فقد رأى فى أواخر حياته أن يودع ابنه خسرو عند جوستين إمبراطور الروم حتى يجلس على العرش بعد موته بمساعدة القيصر، وذلك كما فعل من قبل إمبراطور الروم أركاديوس الذى أودع ابنه تيودوس عند يزدگرد الأول وأقدم على ذلك لتحقيق هدفه.

لكن الإمبراطور رفض طلبه ويرجع السبب فى ذلك إلى احتمال توفر ظروف الاستفادة للروم فى المستقبل، وحينئذ يضطر الإمبراطور للتضحية بالسياسة فى سبيل الوفاء بوعده، كما حدث ليزدگرد فى مثل تلك الظروف. وظل الأمر على هذا المنوال إلى أن توفى قباد، واشتعل النزاع بين خسرو وأخويه كيوس وجام على العرش، إلا أن عرش السلطنة وتاجها كانا من نصيبه بسبب مساعدة مَهبوذ الذى كان وزيرا، وسرعة تصرف خسرو. ويجب تقسيم أعمال خسرو المهمة إلى قسمين:

السياسة الداخلية

أولى خسرو اهتماما بالغا فى بداية الأمر بإخراج إيران من حالة اضطراب الفكر وإعادتها إلى حالتها الطبيعية. وذلك أن مذهب مزدك كان قد انتشر فى أنحاء إيران ووجد له أنصارا إلى حد انقسام الناس إلى فريقين أحدهما مزدكى والثانى غير مزدكى حتى فى أرمينية المسيحية، ودب النزاع بينهما فرأى خسرو ضرورة اتخاذ ما يلى:

أولاً: القضاء على مزدك وأتباعه وإزالة الأسباب التى أدت إلى تقدم هذه الديانة، ومن ثم قام بالقضاء على زعيم هذه الديانة وأتباعه من ناحية، وبعمل إصلاحات مهمة من ناحية أخرى. وكان مزدك قد بقى سالما بعد فراره فى عصر قباد، ولكن قبض عليه بأمر خسرو وقتل مع عدد كبير من أتباعه. وعندما علم خسرو بعد ذلك أن من أسباب انتشار هذا الدين وتقدمه سنوات القحط التى حدثت أيام فيروز واعتداءات عمال الدولة على الشعب وسيطرة النبلاء ورجال الدين ونفوذهم الكبير، قام بإصلاحات بدأها بتعديل الضرائب. والخلاصة فإنه على أثر الإصلاحات التى تمت بجهد خسرو وكفاحه أمر بأن تكون الضرائب عشر المعلوم ثم خفضها ثانية. وسيأتى بيان ذلك فى موضعه.

ثانيًا: أرسل القضاة إلى الولايات لكى يحققوا فى شكاوى الناس ويحولوا دون ظلم عمال الدولة.

ثالثًا: قسم إيران إلى أربعة أقسام لسرعة تنفيذ الأحكام ومنع نفوذ الأقوياء وعين على كل قسم حاكمًا ذا كفاءة عالية. ويطلق على كل قسم من هذه الأقسام بادكس(٥٧) وعلى الحاكم اسم باذكس بان.

رابعًا: حول الجيش غير النظامى إلى جيش دائم، وقرر للجند والقادة رواتب ومؤن.

وكان الملك بالإضافة إلى هذه الإجراءات يحقق فى المسائل القضائية بنفسه وكانت الأحكام التى يحكم بها تنفذ على وجه السرعة فى أنحاء إيران.

وبعد أن قام خسرو بإصلاح حال الجيش والبلاد اتجه إلى المعارف كما سيأتى فى موضعه.

أما عن أمن البلاد، فبالإضافة للحرب التى خاضها خسرو ضد سكان الصحراء كالهياطلة والخزر وغيرهم وأدت إلى خضوعهم له أو هزيمتهم على يديه، فإنه شيد قلاعا وأسوارًا متعددة للحيلولة دون هجماتهم مثل سد دربند(٥٨) فى قفقازية وقلاع گرگان وأترك وغيرها.

ومن أعمال خسرو أيضًا عنايته الخاصة بالزراعة والصناعة والتجارة، فقد أعطى الزراع الأرض والبذور والحيوانات المستأنسة حتى تتقدم الزراعة، وأمر بأن يتزوج كل رجل حتى يزداد عدد السكان، كما عاقب المتسولين والمتشردين، ومهد الطرق لإزدهار التجارة، واستقبل المسافرين الأجانب بترحاب ومودة. ولما كان خسرو قد أمن بأعمالة راحة إيران ورفاهية أهلها، لذلك سمى بأنوشه روان (الروح الخالد)(٥٩)

السياسة الخارجية

عندما جلس خسرو على العرش، لم تكن الأوضاع تستدعى أى خصومة مع بلاد الروم الشرقية مطلقا؛ فقد كان خسرو يعلم تماما أنه يجب القيام بالإصلاحات الداخلية بادئ ذى بدء، وأن يعيد البلاد إلى حالتها الطبيعية وكذلك الحال بالنسبة لجوستنيان إمبراطور بيزنطة الذى كان مشغولاً بشئون إيطاليا وأفريقيا، وكان قائده "أو بى لى" قد تقدم تقدما عظيما؛ لذا لم يكن يود أن يصبح طرفا مع إيران فى المشرق. فعقدت الدولتان معاهدة بالشروط التالية:

١- أن تدفع دولة بيزنطية مبلغا سنويا لدولة إيران، وأن ترعى دولة إيران حامية قوية فى دربند والأماكن الأخرى فى القفقاز(٦٠) (تجنبت دولة الروم احتواء المعاهدة على مثل هذه المادة؛ إذ تصورت أن دفع مبلغ سنوى لإيران يعتبر نوعا من الجزية).

٢- أن يبقى كل ما كان تحت سيطرة الطرفين من ولاية لازيكا قبل حرب قباد مع الروم كما هو. (هكذا كانوا يسمون گرجستان الغربية الحاليـة وكـانوا يسمونها قديما باسم كُلشيد).

٣- يمكن للروم حكم مدينة دارا، ولكن لا ينبغى جعلها مركزا لقواتهم فى مـا بين النهرين.

٤- أن تتحد إيران وبيزنطة (٥٣٢م).

وقام جوستنيان بعد هذا الصلح بفتوحات فـى إيطاليـا وإفريقيـا، وأحـرز انتصارات عظيمة على يد قائدة الشهير " بى لى زار".

فكر خسرو فى المكاسب التى حصلت عليها الروم، وكـان يعتقـد أن قـوة الإمبراطورية الشرقية تشكل خطرا على إيران، فأراد فى بادئ الأمـر أن يطلـب تعويضات من جوستنيان، ولكن انصرف عن هذا التفكير؛ لأنه كان يـشكل مانعـا دون تنفيذ هدفه الأصلى وهو الحيلولة دون قوة بيزنطة، فقرر الحرب.

الحرب الأولى مع بيزنطة

كان لابد من وجود سبب لقيام الحرب وسرعان ما توفر لخسرو هذا السبب، إذ حدث نزاع بين الملكين العربيين الحارث بن جبلة والمنذر بن النعمـان. وكـان الأول ملكا على غسان وتحت حماية الروم الشرقية. وكان الثـانى حاكمـا علـى الحيرة وهو من ملوك اللخميين ويتبع إيران. فتدخل جوستنيان فى النـزاع القـائم بينهما، وجعل من نفسه حكما دون الرجوع الى دولة إيران. واستفاد أنو شيروان- الذى كان يبحث عن ذريعة- من هذه القضية، فعبر دجلة بجيش جرار وهجم على ما بين النهرين، ثم عبر الفرات بسرعة واتجه ناحية الشام، واستولى على أنطاكيـة التى كانت عروس مدن آسيا الغربية. وأحضر من هناك غنائم كثيرة، فاضـطربت

دولة بيزنطة التى كانت مشغولة بالحرب فى أماكن أخرى. وكانت هذه الضربات مفاجئة لها. وبدأت مفاوضات الصلح بعد ذلك من جانب الروم وقبل (أنو شيروان) اقتراحهم بعد أن كان قد وصل إلى تحقيق مراده. واشترط للصلح ما يلى:

أولاً: أن تدفع دولة بيزنطة خمسة آلاف ليبرا ذهبا (٣٢٥,٠٠٠ مثقالا من الذهب) كغرامة للحرب.

ثانيًا: أن تدفع إلى إيران مبلغ خمسمائة ليبرا من الذهب سنويا لرعاية قوات الحامية فى قلاع القفقاز (٥٤٠م).

ولم يدم هذا الصلح أيضًا؛ وبدأت الحرب من جديد فى لازيكا كما سيأتى ويقال إن مدينة أنطاكية حازت إعجاب أنو شيروان إلى درجة أنه أقام مدينة مشابهة لها على يد اليونانيين بالقرب من طيسفون (المدائن)، عرفت باسم (به از انديو خسرو)[٦١]

الحرب من أجل لازيكا:

نظرًا لجوار إيران وبيزنطة للازيكا فقد كان يحس نفوذ كلتا الدولتين هناك تمامًا، وكانت بلاد الروم قد عينت حاكما على مدينة بترا[٦٢] (على شاطئ البحر الأسود)، وعندئذ حدد حاكم هذه المدينة التجارة؛ فثار ملك لازيكا ضد الروم؛ لأنه لم يرض عن هذا التصرف، وطلب العون من إيران. فاغتنم أنو شيروان هذه الفرصة لكى يصل بحدود إيران إلى البحر الأسود، وهناك يؤسس قوة بحرية ويهدد القسطنطينية عند اللزوم.

وكان أن جهز جيشًا على الفور ودخل لازيكا وحاصر مدينة بترا واستولى عليها. ورغم أن هذه الولاية كانت خاضعة لإيران، فإن سلوك الإيرانيين الزرتشتيين مع الأهالى المسيحيين أوجد عداء بينهما أضر بأهداف أنوشيروان.

وبعد عدة سنوات من الحرب وبعد ما تعب الطرفان، إلى جانب أعمال أنوشيروان المهمة فى الأماكن الأخرى، فقد استقر الأمر على عقد هدنة لمدة خمس سنوات، وبدلت هذه الهدنة فى سنة ٥٦٢م بصلح مدته خمسون سنة بالشروط التالية:

١- أن تتخلى إيران عن لازيكا وتعيدها إلى الروم، وتتعهد دولة الروم بدفع ثلاثين ألف قطعة ذهبية سنويا ولمدة خمسين عاما لإيران فى مقابل هذا[٦٣].

٢- أن يتمتع مسيحيو إيران بالحرية فى ديانتهم، ولكن ليس من حقهم الدعوة لدينهم.

٣- أن تحتفظ إيران بحامية فى قلعة دربند بالقفقاز.

الحرب مع الهياطلة

استفاد أنو شيروان من صلحه مع بيزنطة، فأغار على مملكة الهون البيض. ولكى يضمن نجاحه تحالف قبل ذلك مع الترك ضدهم. ولا نعلم كيفية هذه الحروب، وما نعلمه هو أن ملك الهياطلة قتل أثناءها، وأن هذه المملكة قسمت بين إيران وبين خاقان الترك، بحيث صار نهر جيحون هو الحدود الشمالية الشرقية لإيران، وصارت باختر وطخارستان (فى شرق باختر) وزابلستان ورُخَّجْ جزءا من إيران (فى حدود ٥٥٧م تقريبًا).

ويعتقد البعض أن ممتلكات إيران فى الهند خرجت عن سيطرتها مؤقتا بسبب ضغط الهون، وعادت إليها فى ذلك الوقت. ومن ثم يعتبرون السند والبنجاب ضمن بلاد إيران آنذاك.

ولكى يضمن أنو شيروان تنفيذ هذه المعاهدة تزوج ابنة خاقان الترك. ولما كان اسم الترك يذكر للمرة الأولى، فلابد من بيان أن الترك كانوا طائفة من الهون، وكانت هذه الطائفة التى تعرف باسم (آسنا) قد هاجرت إلى الغرب هربا من ضغط

إمبراطور الصين فى سنة ٤٣٣م، وانقسمت إلى قسمين فى أزمنة لاحقة، فاختار القسم الشرقى الإقامة فى الأراضى الواقعة بين مغولستان وجبال الأورال، واحتل القسم الغربى المناطق الواقعة بين جبال آلتاى وسيحون. وكلمة ترك مأخوذة من الجبل الشبيه بقبعتهم، التى تسمى فى التركية دورك[٦٤] ويدعى ملكهم خاقان، وتومن[٦٥] هو أول خاقان للترك، وقد توفى سنة ٥٣٣م تقريبًا. ويسمى خاقان الترك الذى عاصر أنوشيروان باسم موكان خان[٦٦] (٥٥٤م).

الحرب مع الخزر

توجه فى ذلك الوقت أنوشيروان إلى الخزر، إذ إنهم قاموا بالاعتداء على الولايات الواقعة على حدود إيران، وانتهت الحرب معهم بانتهاء الإيرانيين أيضًا. ولكى يبث أنوشيروان الرعب والخوف فى قلوبهم قتل آلافا منهم، واستولى على غنائم كثيرة.

السيطرة على اليمن

لجأ أحد أمراء أسرة حميَرَ التى كانت تحكم فى اليمن إلى البلاط الإيرانى فى عهد أنوشيروان وطلب العون منه لاسترداد التاج والعرش الذى ضاع منه، ذلك أنه فى أوائل القرن السادس الميلادى حكم الحبش المسيحيون بلاد اليمن، ودعم القائد الحبشى أبرهة حكمه هناك بعد قيامه بعدة فتوحات، وأقام كنيسة فى صنعاء. وسر إمبراطور الروم لهذه الأوضاع بينما غضب لذلك أنوشيروان فكان أن استفاد أنوشيروان من لجوء الأمير المذكور وأرسل من يدعى وهرز بجيش للاستيلاء على اليمن. وتقدم هذا القائد بنجاح من الخليج حتى اليمن فاستولى على عدن، وطرد الجيش من اليمن (٥٧٠م)[٦٧].

استقرت بعد ذلك أسرة حِمْيَرَ وخضعت لإيران؛ وبقى بها وهـرز وجنـوده الإيرانيون، واختلطوا بالأهالى، وسموهم العرب فى العصر الإسلامى بالأبناء.

الحرب مع الترك

قوى الترك بعد أن استولوا على قسم من مملكـة الهياطلـة، وأرسـل ديزابول[٦٨] خاقان الترك سفيرا فى سنة٥٦٧م إلى بلاط إيران لعقد معاهدة اتحـاد بينهما. فغضب أنوشيروان من تصرفه هذا غضبًا شديدًا، وتوفى بعد ذلـك سـفير الترك (من المعتقد أن أنوشيروان دس له السم)، وغضب خاقان الترك علـى أثـر هذه الحادثة وأرسل سفيرا إلى بيزنطة، وذهب سفير من القسطنطينية إلى الخاقـان أيضًا (٥٦٩).

وبدأ الترك يغيرون على حدود إيران، ولكنهم انـسحبوا بمجـرد أن توجـه جيش إيران إلى تركستان. ولما رأى ديزابول فيما بعد أنه لم يستطع مواجهة إيران فى ميدان الحرب عاد فأرسل سفيرا إلى إمبراطور الروم، وحرض دولـة الـروم الشرقية على نقض معاهدتها مع إيران (٥٧١م). وأثرت تحريضات خان تركستان فى بلاط الروم، إذ كان الطريق ممهدًا، ذلك لأن إمبراطور بيزنطة جوستين الثانى كان قد أصابه قلق شديد بسبب فتوحات أنوشيروان خارج إيران وخشى من تـأثير قوة إيران فى التوازن، كما أن أنوشيروان كان قد بلغ من العمر سبعين عاما فـى ذلك الوقت، فظن القيصر أن ملك إيران لن يقوى على القيادة بـسبب شـيخوخته، وستكون مدة الحرب قصيرة. ومن ثم نقض معاهدة عام ٥٦٢، وحاصـر الجـيش الرومى نصيبين (يمكن اعتبار رغبة دولة الروم فى امتلاك كل أرمينيـة وأيـضًا گـرجستان من ضمن دوافع هذه الحرب).

بمجرد أن علم الملك بنقض المعاهدة ومحاصرة نصيبين، تولى قيادة الجيش بنفسه على خلاف ما كان يتوقعه إمبراطور الروم وعبر دجلة بسرعة فائقة. وأسرع لمساعدة نصيبين وطرد جيش الروم من هناك، حتى تقدم إلى مدينة دارا وحاصر هذه المدينة وهناك أغارت على سورية قوة طائرة[٦٩] قوامها ستة آلاف من خيرة الفرسان بقيادة آذرمهان، وأشعلت هذه القوة أطراف أنطاكية وخربت مدينة آبارما ثم عادت. ولحقت بجيش إيران أسفل قلعة مدينة دارا (٥٧٢م).

وفى سنة ٥٧٣خضعت قلعة دارا لجيش إيران، فبجانب آلات الحصار وأدواته التى استخدمها أنوشيروان للسيطرة عليها، قطع الماء عن المدينة، فاضطرت القلعة للتسليم. وأحدث سقوط مدينة دارا أثرا عظيما فى عالم ذلك الوقت. إذ كانت هذه المدينة قلعة الروم الحصينة فى الشرق، وكانت السيطرة عليها تبدو من الأمور المحالة. وأدى هذا الانتصار إلى عدم قدرة جوستين على الحكم بعد ذلك فترك الحكم وخلفه كونت تى بريوس[٧٠] وحينئذ فهم أن الأسد العجوز ما زال قويا وخطيرًا.

بعد أن جلس الإمبراطور الجديد على العرش لم يجد بدا من عقد هدنة مدتها عام مع أنوشيروان. وقد اشترى هذه الهدنة بمبلغ خمسة وأربعين ألف قطعة نقود ذهبية، وشغل بجمع جنود من الرجال الأشداء الأقوياء من سكان سواحل نهرى الراين[٧١] والدانوب[٧٢] ولكنه لم يجرؤ على الدخول فى حرب مرة أخرى بعد إنتهاء مدة الهدنة. ومن ثم جدد الهدنة لثلاث سنوات أخرى، وقبل أن يدفع لإيران مبلغ ثلاثين ألف قطعة ذهبية كل عام. ذهب أنوشيروان بعد ذلك إلى أرمينية إيران واستولى عليها، ثم دخل أرمينية الروم. وهناك هزم هزيمة جزئية من كورس[٧٣] السكائى الذى كان فى خدمة قيصر الروم مع عدد كبير من السلك. ولكنه سرعان ما عوض هذه الهزيمة؛ إذ هاجم أطراف جيش الروم ليلا بالمشاعل المشتعلة

وهزمه، ثم عاد إلى إيران فى عام ٥٧٦م لقضاء الشتاء. وأنزل أنوشيروان بالجيش الرومى هزيمة فادحة، وشغل الطرفان بالحرب فى السنوات التالية دون أن يحصل أى منهما على نتيجة حاسمة فعبر أنوشيروان- الذى كان يتعرض لهجمات الروم- نهر دجلة لتجهيز معدات الحرب، ودخل طيسفون و سرعان ما قضى نحبه(٧٤).

صفات أنو شيروان

يعتبرالمؤرخون الشرقيون أنوشيروان أعظم ملك فى إيران القديمة، ويرجع السبب فى ذلك إلى أن ملوكًا مثل كوروش وداريوش الكبير قد دخلوا فى طى النسيان، لكن هذا لم يحدث لأنوشيروان خاصة بعد أن عرفت الآن أوضاع إيران القديمة وأحوالها(٧٥). أما عن كونه أعظم ملك فى ملوك الأسرة الساسانية، فهذا أمر لا شك فيه، والتاريخ يبين أنه نادرا ما تجتمع صفات القيادة وخصائص إدارة الدولة فى شخص واحد. ويمكن أن نقول بشأنه أيضًا إنه كان ملكا عادلا وحازما، محاربا وإداريا، قائدا ومديرا، وتتضح صفاته هذه من أعماله التى ذكرت فى هذا الفصل وما سيأتى ذكره فى الفصل التالى أيضًا.

وصلت الأسرة الساسانية فى عصره إلى أوج عظمتها، فقد هزمت أباطرة الروم ودفعوا لها الغرامات وزالت دولة الهياطلة من الوجود. وتأدب أهل الخزر البرابرة، واستقر أتراك جيحون فى موطنهم، وتم إجلاء الحبش عن اليمن التى خضعت لإيران. ومن ناحية أخرى، فإن الإصلاحات التى قام بها للشئون الداخلية فى إيران نفخت فى إيران روحا جديدة، واطلع الإيرانى للمرة الأولى على العلوم اليونانية. والجدير بالذكر أيضًا أن أنوشيروان كان آخر نجم لمع فى أفق إيران القديمة، إذ إن إيران الساسانية اتجهت بسرعة من بعد موته الى التدهور نتيجة تخبط خلفائه ولأسباب أخرى.

ولم يمض وقت طويل إلا وانقرضت دولة أردشير بابكان وبدأ عهد جديد لإيران.

وعلى هذا، فإن أنوشيروان العادل هو آخر ملك جسد فى شخصه عظمة إيران القديمة[٧٦].

وطبقا لما تذكره الروايات الإيرانية فإن بزر جمهر (بزرگ مهر) هو الشخص الذى قدم مساعدات قيمة لأنوشيروان فى الإصلاحات التى قام بها فى البلاد. وقد كان بزرجمهر فى بداية الأمر معلما لهرمز بن أنوشيروان، وعندما شاهد الملك علمه ولياقته اختاره للوزارة. وقد رويت حكايات كثيرة بشأن حكمة عقل هذا الوزير وكفاءته لا يمكن أن يضمها هذا المختصر. ويقال إن (بزر جمهر) قتل فى عهد خسرو برويز وبأمره[٧٧]

الثانى والعشرون – هرمز الرابع (آهورمزد)

تولى الحكم بعد أبيه (٥٧٩م). وتعاقبت الحروب التى كانت قد بدأت فى عهد أنو شيروان، ولكن لم يصل أى من الطرفين إلى نتيجة حاسمة. ذلك لأن كلا الطرفين كان يعطى أهمية كبيرة للاستيلاء على دارا. وفى سنة ٥٨٨م عندما كان جيش إيران فى حرب مع الروم، وصل خبر هجوم الترك على الحدود الإيرانية، إذ كان خاقان التركستان قد رأى كراهية الشعب لهرمز وانشغال جيش إيران بالحرب، فأراد أن يستفيد من هذه الظروف. وكان وضع هرمز شيئًا، إلا أن قائدًا إيرانيًا شهيرًا يدعى بهرام چوبين (رئيس أسره مهران) أسرع إلى ناحية التركستان ومعه نفر قليل من الجيش، ودخل فى معركة طاحنة مع الخان الكبير فقتله، ثم دخل معركة أخرى مع الترك وأسر ابن الخان الكبير واستولى على غنائم كثيرة. ويقال إنه احتاج لمائتين وست وخمسين جملاً لحمل الذهب والجواهر التى استولى عليها. وكان خاقان التركستان قد استخدم فى تلك الحرب الأفيال والأسود الحربية، ولكنها ارتدت نتيجة سهام الرماة الإيرانيين، وعادت إلى مواقع جيش الترك. وقد استفاد القائد الإيرانى من الاضطراب والفوضى اللذين حدثا فى جيش الخصم، فأنزل بهم هزيمة ساحقة، حتى إنهم قبلوا دفع ضريبة سنوية لإيران (٥٨٨م).

وأصاب القلق هرمز بعد هزيمة الترك وانتصار بهرام، فأرسله لحرب الروم فى لازيكار (٥٨٩م) وهنا هزم بهرام، وبدلا من أن يمد له هرمز يد العون ستر بهزيمته، وأرسل له علبة بها أدوات الحياكة وملابس النساء. فغضب جنود إيران من سلوك هرمز هذا تجاه قائدهم، واتفقوا مع جيش إيران الذى كان يحارب فى ما بين النهرين، وتحركوا إلى ناحية طيسفون حتى ينتقموا من هرمز وأرسل هرمز جيشا لمنعهم من ذلك، ولكنه انضم للمتمردين كذلك. وعندما وصلت هذه الأنباء إلى العاصمة ثار الشعب وفر هو ووقع فى يد بيستام (ويستاخم) الذى كانت تربطه به صلة قرابة وقتل عام ٥٩٠م.

وبالنسبة لهرمز يجب القول بأنه ذكرت روايات تبين ما له وما عليه، بمعنى أنهم اعتبروه سفاكا وعادلاً فى نفس الوقت. ومن ثم يعتقد بعض الباحثين أن هذا الملك كان يريد الحد من نفوذ العظماء، وعدم إعطاء مجال للمغان ليتعصبوا للدين، وكان نفس هذا الحسم باعثا على وصفهم له بأنه سفاك، فقد قيل مثلاً إن المغان طلبوا منه إيذاء المسيحيين، لكنه رفض اقتراحهم بسخرية واستهزاء قائلاً: كما أن عرش ملكنا لا يقوم على قاعدتين فقط ويلزمه قاعدتان أخريان، فكذلك لا تستقيم حكومتنا إذا آذينا المسيحيين وأتباع المذاهب الأخرى، وجعلناهم أعداء لنا. ارفعوا أيديكم عن أذيتهم والإضرار بهم، وافعلوا الخير معهم حتى يروا أعمالكم الطيبة فيتبعونكم[٧٨].

الثالث والعشرون – خسرو الثانى المعروف بكسرى پرويز (خسراو – اپرويز)

جلس خسرو على العرش بعد أبيه، وكتب رسالة إلى بهرام چوبين يدعوه للحضور إلى بلاطه ويعده بأعلى منصب فى الدولة، فأجابه بهرام بأنه يجب عليه الذهاب إليه، وطلب الصفح. وحاول خسرو استمالته مرة أخرى ولكنه فشل. وأخيرًا أعد جيشا وذهب قاصدًا إياه فهزم وفر. وبعد أن عبر نهر دجلة دخل

سيرسز يوم [٧٩] التى كانت تابعة لبيزنطة، فاستقبله الروم باحترام، وطلبوا الإذن من القسطنطينية فحضر موريس[٨٠] إمبراطور بيزنطة واعتبر خسرو ابنًا له وفى حمايته إلى أن يعود إلى عرش إيران بشرط أن يعيد إلى دولة بيزنطة أرمينية إيران مع مدينة دارًا فى مقابل تلك المساعدة. توجه خسرو بعد ذلك إلى إيران بجيش رومى، وكان بهرام جوبين قد دخل طيسفون بعد هزيمة خسرو وجلس على العرش، وما إن شاع خبر مجىء خسرو مع جيش الروم إلا وتزعزعت مكانته.

وفى سنة ٥٩١م عبر خسرو دجلة، وهزم بهرام فى تلك المعركة التى نشبت بين الجيش الرومى والآذربايجانى من ناحية وجيش بهرام من ناحية أخرى، وفر هاربًا إلى خاقان تركستان. ودخل خسرو بعد هذا النصر طيسفون وجلس على العرش. ثم سمح لجنود الروم بالعودة محملين بالهدايا الكثيرة، وقبض على كل من تسببوا فى خلع والده وقتله، وقضى عليهم. ويرجع السبب فى هزيمة بهرام إلى عدم مساندة أكثر كبار رجال الدولة ورؤساء الجيش له، إذ إنهم كانوا يعتقدون أن الساسانيين فقط هم الذين يستطيعون أن يخلفوا الهخامنشيين.

حروب كسرى پرويز مع بيزنطة

استمرت هذه الحروب من سنة ٦٠٣ حتى سنة ٦٢٧م، وقد حدثت على النحو التالى:

كانت العلاقات بين البلاطين ودية فى عهد موريس، غير أنه قتل فى سنة ٦٠٣م وقدم ابنه إلى إيران محتميا بملكها، ولم يعترف بفوكاس[٨١] إمبراطورًا حفاظًا على حقوق الإمبراطور المقتول. وبدأت الحرب بين الدولتين على إثر ذلك، فدخل كسرى بجيش جرار ما بين النهرين، وتقدم منتصرًا وحاصر مدينة دارا واستولى عليها بعد ثلاثة شهور (٦٠٥م). ثم استولى على آمد (ديار بكر) وإدس (الرها) وحران وسائر المواقع الرومية الحصينة. وعبر جيش إيران نهر الفرات بعد ذلك، وأغار على

المنطقة القريبة من بيروت الحالية. ومن ناحية أخرى، هاجم جيش إيرانى آخر كاپادوكية من ناحية أرمينية، وأغار على فريكيه وولايتين أخريين فى آسيا الصغرى وتقدم فيها إلى درجة أصابت أهالى القسطنطينية بالذعر والاضطراب.

وتميزت الأوضاع فى دولة بيزنطة آنذاك بالفوضى والإضطراب؛ فلم يتمكن فوكاس من عمل شئ فى مواجهة فتوحات كسرى، وتسبب ضغط الإيرانيين فى ذعر بلاد الروم الشرقية واضطرابها، مما أدى إلى ظهور أزمة. وعلى أثر هذه الأحداث، جاء هراكليوس – الذى يعرف فى تاريخ إيران ومصر باسم هرقل – من أفريقيا إلى القسطنطينية بسفن، وتولى زمام الأمور بمساعدة الشعب (٦١٠م). واستمر كسرى فى فتوحاته، فأغار فى سنة ٦١١م على الشام واستولى على أنطاكية ودمشق، ثم استولى على بيت المقدس بمساعدة ست وعشرين ألف يهودى، وأرسل صليب عيسى إلى إيران. وقد تركت هذه الفتوحات المتواصلة التى قام بها كسرى أثرًا غريبًا على عالم ذلك الوقت وخاصة الاستيلاء على بيت المقدس وإحضار الصليب الذى لم يكن هناك شيء أكثر قدسية منه فى نظر العالم المسيحى.

ولم يكتف كسرى بهذه الفتوحات بل أرسل واحدًا من قواد إيران ويدعى " شهر براز " بجيش إلى مصر فعبر الصحراء التى تفصل بين الشام ومصر ودخل الإسكندرية التى كانت مدينة تجارية مشهورة فى ذلك الوقت (٦١٦م).

وقد أحدث هذا الفتح الذى قام به القائد الإيرانى تأثيرًا عظيمًا فى العالم آنذاك، ذلك أن مصر كانت قد خرجت من تحت سيطرة إيران لقرون عديدة وكان الملوك الساسانيون يريدون دائمًا أن يمدوا حدود إيران إلى تلك الحدود التى كانت عليها أيام الهخمانشيين.

ومن ناحية أخرى، ففى سنة ٦١٧م عبر قائد إيرانى شهير آخر كاپادوكية واستولى على ولايات آسيا الصغرى واحدة تلو الأخرى، ووصل إلى كالسدون[٨٢] (خالقدون) بالقرب من القسطنطينية.

وهناك التقى هرقل بالقائد الإيرانى، وفكر فى الصلح، وأرسل رسولا إلى كسرى پرويز لإجراء مباحثات بهذا الصدد. لكن المباحثات لم تسفر عن شىء؛ ذلك لأن فتوحات كسرى أصابته بالغرور والتكبر ولم يحضر مباحثات هرقل مقيدًا بالأغلال أمام عرشه. وسرعان ما استولى على كالسدون (خالقدون)، ووصلت إيران إلى حدودها التى كانت عليها أيام الهخامنشيين تقريبًا (٦١٧م).

أما عن أحوال بيزنطة فى ذلك الوقت فقد كانت غاية فى السوء، إذ تم الاستيلاء على أرمينية الروم والمدن والقلاع الرومية فى ما بين النهرين وعلى كل بلاد آسيا الصغرى وسورية وفلسطين ومصر. وكانت القسطنطينية أيضًا موضع تهديد من قبل إيران والآوار، وكانت شعوب الآوار – التى سببت المتاعب للروم الشرقية من ناحية الشمال – تريد الاستيلاء على هذه العاصمة الكبيرة عن طريق البر. ووصلت أحوال بيزنطة السيئة فى هذا الوقت إلى درجة أن هرقل كان يريد فى بداية الأمر الهرب من العاصمة والذهاب إلى قرطاجنة، لذا فقد حمل خزانة الروم من القسطنطينية[٨٣]، غير أن رجال الدين والشعب منعوه من ذلك، وقبل فى النهاية البقاء والإنفاق من خزائن الكنائس ونفائسها على إعداد الجيوش.

حروب هرقل

عبر هرقل بجيوشه فى سنة ٦٢٢م بوغاز هلس پنت (الدردنيل حاليا)، ودخل درايسوس [٨٤] اليابسة، وقامت معركة بينه وبين شهر براز بالقرب من أرمينية انتهت بانتصار الروم، وعاد هرقل إلى القسطنطينية بعد ذلك. وفى العام التالى تعاون مع شعوب شمالية كالخزر وغيرهم وهاجم إيران من ناحية لازيكا، فأسرع خسرو بجيش قوامه أربعون ألف جندى إلى شيز (الواقعة فى آذربايجان)، وأمر جيشه بالإسراع لملاقاة العدو، إلا أن هرقل دخل معهم فى الحرب قبل أن تتجمع جيوشهم وانتصر عليهم، ثم قام بالإغارة على مدن إيران وخرب بيوت النار (٦٢٣م)، ومنها بيت نار آذر گشتاسپ.

وفى العالم التالى، أراد كسرى أن يهجم على أرّان ويحطم قوات هرقل، فأمر جيوشه الثلاثة بالإسراع إلى هناك. لكن هرقل سبقه ودخل أرمينية، وقبل أن تتجمع جيوش إيران دخل فى حرب مع كل منها على حدة وانتصر عليها.

حصار القسطنطينية

أراد كسرى پرويز - الذى كان قد أصابه الذعر من فتوحات قيصر الروم- أن ينزل ضربة قاضية بالروم، واستخدم آخر مسعى له لتحقيق هذا الهدف، فكون جيشين: أحدهما تحت قيادة شاهين الذى حاصر القسطنطينية واتحد مع الآواريين للاستيلاء عليها، والثانى ويقوم بعمليات ضد هرقل (٦٢٦م). وترك هرقل قوات للمحافظة على القسطنطينية واتجه بنفسه إلى لازيكا. وهاجم من هناك تفليس، ولكنه لم يوفق. ودخلت حامية القسطنطينية فى معركة مع شاهين وانتصرت فى معركتها نظرًا؛ لأن رياحًا عاتية هبت فى مواجهة جيش إيران، وكانت تلقى بالتراب على وجوه الجنود، فردتهم واستعادت مدينة كالسدون (خالدون). ومات شاهين كمدا بعد هذه المعركة بسبب غضب كسرى عليه.

وأغار الآواريون على القسطنطينية كذلك، ولكنهم لم ينجحوا فى الاستيلاء عليها لأن الإيرانيين لم يتمكنوا من مساعدتهم. ويرجع السبب فى عدم نجاح إيران فى هذه المعارك إلى فقدان قواتها البحرية، فى حين أن هرقل استفاد فى كل المعارك المذكورة من سيطرة بيزنطة على البحار.

معركة دستكرد

وفى سنة ٦٢٧م توجه هرقل قاصدًا دستگرد، وكان هذا المكان يقع على بعد عشرين فرسخًا من طيسفون تقريبًا، وكان مقامًا لكسرى. وحدثت معركة بين الجانبين بالقرب من نينوى القديمة، ورغم أن القائد الإيرانى قد قتل فى هذه المعركة، فإن جيش إيران صمد إلى أن انسحب فى نهاية الأمر إلى خنادقه. واتجه

بعد وصول الإمدادات إلى ناحية قناة نهر براز وجعلها خندقًا له واستعد للحرب. لكن الخوف استولى على كسرى فى هذه الظروف؛ فترك جيش إيران على أثر ذلك وفر هاربا. ومع كل هذا قاوم جيش إيران إلى أن تجمعت قواته، وانضم إليه مائتا فيل حربي. وعندما رأى هرقل بعد ذلك ثبات جيش إيران وصموده، غير من خطته الأولى التى كان يريد بها تعقب كسرى ومحاصرة طيسفون، وذهب إلى كنزك (٦٢٧م).

خلع كسرى پرويز وقتله

أدت هزيمة كسرى فى دستگرد وفراره على وجه الخصوص إلى ثورة العظماء والشعب في طيسفون، وزاد من نفور الناس منه إساءته لشهربراز والإهانة التى وجهها إلى نعش شاهين. ويقال إن كسرى قتل كل قواده الذين فشلوا فى حروبهم، وكان يريد قتل شهر براز وشاهين اللذين كانا محبوبين جدًا بسبب فتوحاتهما السابقة. وأدت كراهية الشعب له إلى خلعه عن السلطنة والزج به فى سجن مظلم إلى أن قتل بعد حين (٦٢٨م) وكانت لشيرويه (قباد فيما بعد) – كما يقال – يد فى هذه المسألة؛ إذ كان كسرى يريد تنصيب مردان شاه وليًا للعهد وهو ابنه الأصغر من سيدة سريانية تدعى شيرين. ووصل نفور أعداء كسرى منه وكراهيتهم له إلى حد أنهم قطعوا رأس ابنه مهرداد أمام عينيه. ومن أهم أحداث سلطنة كسرى فيضان نهرى الفرات ودجلة الذى جعل منطقة ما بين النهرين مستنقعًا، وانتشر وباء الطاعون الذى تسبب فى وفاة عدد كبير من الناس.

صفات كسرى پرويز

يعتبر كسرى پرويز أشهر ملك ساسانى بعد أنوشيروان، وقد بقيت حكايات عن قصوره الشاهقة ومنازل حريمه وأبهة بلاطه، كما ذكر كتّاب العصور

الإسلامية وشعراؤها فى قصصهم أو فى شعرهم أنه لم يكن لأحد من الملوك الساسانيين مثل ما كان له من الخزائن والكنوز والزينة. وذكر المؤرخون أن عدد زوجات هذا الملك وصل إلى ثلاثة آلاف زوجة، هذا بالإضافة إلى أن قصر حريمه كان يضم عدة آلاف من الجوارى اللاتى كن يقمن بالغناء والعزف[٨٥].

ومن هنا يمكن إدراك كم كانت ميزانية البلاط الإيرانى آنذاك، وإذا أخذنا فى الاعتبار أن كسرى برويز كان يقول فى سجنه وفى مقام الدفاع عن نفسه أنه ضاعف محتويات خزائن إيران إلى أربعة أضعاف، ونضيف إليها ما صرف على الحروب التى دامت خمسة وعشرين عامًا مع بيزنطة، فإنه يمكن بسهولة معرفة ما تحمله الشعب الإيرانى فى عصره. وقد أضعفت حروبه مع الروم قوة إيران، ففى السنوات الأولى للحرب أحرز كسرى انتصارات، وكانت هذه الانتصارات نتيجة خبرة الجيش الإيرانى ومرانه فى عصور الملوك السابقين، وللإصلاحات التى قام بها أنوشيروان فى شئون الجيش، وكذلك لخبرة قائدى إيران الشهيرين فى ذلك الوقت شهر براز وشاهين ولياقتهما. وعلى أثر هذه الانتصارات جاء الوقت الذى استطاع فيه أن يمن على هرقل ويقبل اقتراحه الخاص بالصلح. ويعقد معاهدة بشروط مرضية ليصل بإيران إلى حدودها الطبيعية التى كانت تصل إلى البحر الأسود ونهر الفرات (أى أن تنضم إلى إيران لازيكا وكذلك بقية أرمينية وما بين النهرين). لكن كسرى برويز لم يدرك هذه الأمور بسبب غروره وتكبره، وبدد قواته عبثًا فى البلاد المختلفة وكان الحفاظ عليها أمرًا صعبًا بالنسبة لإيران فى ذلك الوقت نظرًا لعدم وجود بحرية قوية. ووصل الأمر إلى أنه عندما هاجم هرقل إيران من ناحية الشمال قضى على الجيش المدرب بسب الحروب المستمرة التى خاضها، ومات أحد قائديه المشهورين كمدًا لعدم اعترافه بأفضاله، أما الآخر فأصبح معذبًا بائسًا.

كان كسرى پرويز ملكًا ضعيف الشخصية متكبرًا ظالمًا، ينساق وراء شهواته، ناكرًا للجميل، وقضى مدة حكمه فى الحروب. والواقع أن حروبه لم تقدم شيئًا لإيران، بل إنها أضعفتها إلى أبعد الحدود، وجرتها إلى التدهور بسرعة عجيبة.

الرابع والعشرون – قباد الثانى (كوات).

جلس على العرش بعد خلع أبيه، وكان اسمه شيرويه، إلا أنه عرف بعد جلوسه على العرش باسم قباد. ومن أعماله الصلح مع بيزنطة، فقد تعبت إيران وبلاد الروم الشرقية من الحروب المتصلة، وبمجرد أن طلب قباد الصلح وافق هرقل وتقرر الصلح بالشروط التالية:

١- أن يعيد كل طرف من الطرفين ما أخذه من أراضى غيره، وأن يتبادلا الأسرى.

٢- أن يعيد الإيرانيون صليب المسيح الذى أخذوه من بيت المقدس، وقد أقيمت الاحتفالات فى بلاد الروم الشرقية لعودة الصليب (٦٢٩م)[٨٦].

أولى قباد بعد ذلك اهتمامه للشئون الداخلية لبلاده؛ فأوقف دفع الضرائب التى كان قد فرضها سلفه، وأطلق سراح المسجونين، وعطف على كل من أصابه ظلم أو إجحاف على يد پرويز. ولكن سرعان ما أصبح معلومًا أن هذه الإجراءات التى قام بها لم تكن بحسن نية، بل أراد بها تثبيت مكانته. ولم يمض وقت طويل إلا وقتل كل إخوته ومات هو أيضًا بسبب الطاعون الذى كان قد انتشر فى إيران. وكانت مدة حكمه سنتين وعدة أشهر.

الخامس والعشرون: أردشير الثالث (أرت خشتر)

تولى الملك بعد قباد ابنه أردشير الذى كان طفلاً فى السابعة من عمره، وهنا فكر شهر براز – الذى رفض إطاعة أوامر قباد، كما أنه لم يرد آسيا الصغرى وسورية ومصر إلى الروم – فى الاستيلاء على العرش. ولكى يستميل هرقل إلى جانبه قبل أن يعيد البلاد المذكورة إلى الروم، ويدفع مبلغًا من المال كذلك، فتحالف هرقل معه وأقام علاقات طيبة.

استولى شهر براز بعد ذلك على العرش، لكنه لم يتمكن من الاحتفاظ به أكثر من شهرين، إذ خرج عليه كسرى بن قباد فى خراسان، وبالتالى ثار عليه جنود بهرام، ولم يمض وقت طويل حتى قتل على أيديهم.

وقد حدثت فى هذين الشهرين حادثتان مهمتان هما: الجلاء عن آسيا الصغرى ومصر وسورية وإعادتها إلى بيزنطة. واستيلاء الخزر على أرمينية (٦٢٩م).

السادس والعشرون إلى الرابع والثلاثين – عصر الفوضى والاضطرابات

تولى الحكم بعد شهر براز كسرى الثالث حفيد هرمز الرابع، وحكم من بعده "جوان شير" ابن كسرى پرويز (٦٢٩م). ثم حكمت من بعدهما بوراندخت ابنة كسرى پرويز[٨٧].

وعندما رأت أنها لا تستطيع الحيلولة دون تدهور إيران وهزائم جيشها، تركت الحكم بعد سنة وخمسة أشهر. وحكم بعد ذلك كشناسب برده أخو كسرى الثالث، وتولت ملك إيران من بعده آزر ميدخت ابنة كسرى وأخت بوراندخت لفترة، وخلعت بواسطة رستم فرخ هرمز وإلى خراسان. ثم حكم البلاد اثنا عشر شخصًا خلال أربع سنوات، وكان كل منهم يخلع بعد فترة أو يقتل.

وذكر الباحثون أسماء الذين جلسوا على العرش بعد آزرميدخت كما يلي: هرمز الخامس (٦٣١م)، كسرى الرابع (٦٣١م)، فيروز الثانى (٦٣١م) كسرى الخامس (٦٣١م)، يزد گرد الثالث (٦٣٢م).

والأولان من أحفاد كسرى پرويز، أما التاليان لهما فهما من أحفاد كسرى الأول أنوشيروان.

ومن الأحداث الخاصة بالسياسة الخارجية فى عصر تلك الحكومات ذلك الصلح النهائى الذى عقدته بوراندخت مع هرقل وأخذت فيه إيران نصيبين.

الخامس والثلاثون – يزد گرد الثالث – (يزدكرت)

جلس على العرش فى سنة ٦٣٢، ولا يعرف نسبه على وجه التحديد، ويقول الطبرى إنه كان ابنًا لشهريار (أى حفيد كسرى پرويز)، وإن أمه كانت زنجية. وقد اضطروا إلى توليته الحكم عندما لم يجدوا أحدًا من الأسرة الحاكمة. وحينما وصل يزد گرد إلى الملك تجلت آنذاك كل آثار التدهور والانحطاط، بالإضافة إلى أن يزدگرد كان شابا غير محنك، ولم يكن هناك من يساعده من أفراد الأسرة الحاكمة بعد مقتل قباد.

نهوض العرب نحو إيران

مقدمة

كانت شبه الجزيرة العربية - كما سبق أن ذكرنا أثناء حديثنا عن تاريخ عيلام - تخرج منذ زمن سحيق أقوامًا منها كل عدة قرون، فيستولون على البلاد المجاورة ويشكلون حكومات.

ومن هؤلاء الشعوب السامية الأصل التى هاجمت بلاد السومريين والأكاديين فى عصور موغلة فى القدم، وأسست دولاً فى رأس الخليج وما بين النهرين. وقد توجه الكلدانيون الذين قدموا إلى ما بين النهرين، والآراميون الذين أغاروا على بابل وآشور فى القرن الثالث عشر، إلى الشام بعد ذلك. وجاء الدور على العرب من بعدهم، فاتجهوا منذ زمن بعيد ناحية سورية وكلدة القديمة وما بين النهرين، وأقاموا دويلات فى بلاد العرب الشمالية المجاورة لسورية ونهر الفرات (مثل الحيرة وغسان وغيرهما).

وكانت هناك مناطق كثيرة يقيم فيها العرب فى كلدة القديمة وما بين النهرين لكن النهضة الحقيقية والعظيمة للعرب خارج شبه الجزيرة العربية هى التى بدأت بعد ظهور الإسلام، أى منذ الربع الثانى من القرن السابع الميلادى. وقد واجه المسلمون فى فتوحاتهم العظيمة هذه دولتين مشهورتين فى ذلك الوقت وهما اللتان كانتا تسودان العالم آنذاك[٨٨]، إحداهما إمبراطورية الروم والثانية إمبراطورية إيران. وكان السبيل ممهدًا أمام فتوحات المسلمين فى هاتين الدولتين، ذلك أن كلا منهما كانت فى حالة من التدهور بسبب ما عانته من الحروب المتصلة والدائمة التى خاضتها مع الأخرى، حتى أصبحت فى الرمق الأخير. أما العرب فكانوا قومًا

أشداء اعتادوا تحمل مشاق الترحال فى الصحراة العربية ومصاعبه واعتنقوا دينا أوجد بينهم مبادئ المساواة والإخاء وشجعهم على التضحية بالنفس والفداء إلى أقصى الدرجات، وجعل جزاء من يقاتل ويقتل الجنة العالية. وإذا تجاوزنا ما حصل عليه الفاتحون أثناء فتوحاتهم من خزائن هاتين الدولتين القديمتين من غنائم وذخائر لا تحصى ولا تعد، فإن الفتوحات العربية فعلت شيئًا لم يسبق له مثيل؛ إذ قضت على الإمبراطورية الساسانية وفقدت الإمبراطورية البيزنطية كل ممتلكاتها تقريبًا فى آسيا وإفريقيا، وأقام المسلمون دولة امتدت من ما وراء سيحون إلى جبل طارق. وهنا يبرز سؤال، وهو: ماذا كانت حالة إيران فى ذلك الوقت ؟ ويمكن وصف ذلك باختصار فيما يلى:

فقدت إيران آنذاك كل الأشياء التى تميز بها المسلمون، وتميزت بما يلى:

١- الاضطرابات العقائدية نتيجة تشتت المذاهب والأديان، كما سيأتى فى الفصل الثانى من هذا الباب.

٢- الاضطرابات السياسية والنفوذ الكبير الذى كان يتمتع به العظماء ورجال الدين، وعدم وجود ملك مجرب قوى الإرادة يتولى زمام الأمور ويقوم بالإصلاحات. وأفضل دليل على هذا الوضع هو تغيير اثنى عشر ملكًا خلال أربع سنوات (٦٢٨-٦٣٢م).

٣- ضعف الجيش وتمزقه نتيجة حروب كسرى برويز التى لا طائل منها.

٤- فقر الشعب وضيقه بسبب دفع الضرائب التى فرضها عليه برويز، وإجبار أفراده على دخول الجندية.

٥- تدهور الزراعة والتجارة والصناعة نتيجة تفشى الظلم والجور.

واقعة ذى قار:

رغم أن العادة جرت على اعتبار معركة القادسية المعركة الأولى للعرب مع إيران فى ذلك الوقت، ولكن إذا أخذنا فى الاعتبار نتائج المعركــة، فإننــا نعتبــر معركة ذى قار هى أول معركة لهم مع الإيرانيين. أما عــن كيفيــة وقــوع هــذه المعركة، فقد حدث أن سمع كسرى پرويز أثناء حربه مع الروم أن النعمان ملــك الحيرة له ابنة رائعة جميلة، فأراد أن يتزوجها ولكن النعمان رفض بسبب دسيسة. فغضب كسرى وقرر إرسال جيش لتأديبه. وبمجرد أن علم النعمان بهذا ذهب إلــى بنى شيبان وأودع ممتلكاته عند رئيسهم، وقدم إلى كسرى طالبًا الصفح والاعتذار، لكن كسرى لم يقبل وقتله ثم طلب بعد ذلك من شيخ الشيبانيين كل أموال النعمــان فامتنع، فأرسل كسرى جيشًا مكونًا من الإيرانيين والعرب قوامه أربعون ألف رجل حتى ينفذ أوامره، وحدثت عدة معارك بين الجيشين الإيرانى والعربــى، وانتهــى الأمر بأن فر العرب الذين كانوا فى الجيش الإيرانى أثناء معركة ذى قار وهــزم الجنود الإيرانيون وقضى عليهم. ورغم صغر هذه المعركة إلا أن لها نتائج مهمة، ذلك أن العرب عرفوا لأول مرة أنه يمكن التغلب على جــيش إيــران وهزيمتــه بحملات جريئة (يعتقد نولدكه أن هذه المعركة حدثت بــين ٦٠٤ و ٦١٠م، ولكــن بعض الباحثين الآخرين يذكرون أنها حدثت فى سنة ٦١١).

موقعة ذات السلاسل[٨٩]:

توجه خالد بن الوليد قائد المسلمين الشهير ناحية الشمال فى عــام ١٢ مــن الهجرة (٦٣٣م). ودخل منطقة تقع بالقرب من الخليج والكويت الحالية، وهى حدود إيران آنذاك، وتعرف باسم الحفير. وهناك طلب من هرمــز حــامى حــدود تلــك المنطقة الدخول فى الإسلام أو دفع الجزية، وعلى أثر ذلك طلب هرمز من خالــد أن يتحاربا رجلاً لرجل أى يتبارز القائدان، فقتل هرمز على يديه.

وهجم العرب بعد ذلك على الإيرانيين وانتصروا عليهم. وقد أطلق على هذه المعركة اسم (جنگزنجير) أو ذات السلاسل. ويرجع السبب فى ذلك إلى أنهم – كما ذكر الطبرى – أعدوا سلاسل حتى يقيدوا بها أسرى المسلمين (ذكر البعض أنهم قيدوا بها أرجل جنود إيران حتى لا يفروا من المعركة). وسلك خالد بعد ذلك طريق ساحل الفرات واتجه إلى أعلى، ونشبت معركة ضارية فى ألّيس بين قوات إيران والمسلمين.

وعندما أخذ الطرفان يتبادلان النصر غضب خالد من مقاومة الإيرانيين وثباتهم وأقسم بأن يجعل من دمائهم نهرًا جاريًا. وانتهى الأمر بأن انتصر المسلمون نصرًا مؤزرًا، وأوفى خالد بقسمه وقتل جميع الأسرى الإيرانيين. ثم كان النصر حليف خالد أيضًا فى مدينة رومية تعرف باسم "فيراز".

وحدث أن طلب فورًا لقيادة جيش إسلامى فى مكان آخر، وتولى المثنى بن حارثة الشيبانى قيادة الجيش بدلاً منه. ويجب اعتبار معارك خالد بن الوليد مع الإيرانيين معارك حدود، لأنه حارب فيها حاميات الحدود والمحافظين عليها.

موقعة الجسر (١٣ هجرية)

أدى تهديد المسلمين لحدود إيران إلى استدعاء رستم فرخ هرمز حاكم خراسان من قبل البلاط الإيرانى ومنحه الصلاحيات الكاملة لحرب العرب؛ فجهز جيشًا وأرسله إلى الحدود تحت قيادة بهمن جاذويه وعندما وصل هذا الجيش بالقرب من بابل أقام المسلمون قنطرة من القوارب بأمر أبى عبيدة مسعود الثقفى الذى كان يرأسهم، وعبروا الفرات لكى يدخلوا المعركة مع الإيرانيين. وفى هذه المعركة سببت فيلة الجيش الإيرانى الحربية ذعرًا واضطرابا بين خيول المسلمين مما جعلها تعصى الفرسان الذين امتطوا صهوتها، وأدى ذلك إلى خلل فى صفوفهم. عندئذ اضطر العرب للحرب راجلين.

وحمل أبو عبيدة على فيل أبيض وأصابه بجرح، فوطأه الفيل بقدمه. عندئذ صار النصر حليف الإيرانيين، وقتل قواد العرب. وكانت خسائر المسلمين فى هذه المعركة أربعة آلاف جندى، ذلك أن ثلاثة آلاف جندى هربوا وعاد ألفان إلى المدينة. وتوفى المثنى بعد فترة متأثرًا بالجرح الذى أصابه فى موقعة الجسر.. وكان من نتيجة هذه الهزيمة التى حاقت بالمسلمين أنهم تخلوا عن الساحل الأيمن لنهر الفرات والمناطق المجاورة، غير أن هذه الولايات المذكورة عادت إليهم بعد الحرب التى قامت بين الإيرانيين والمسلمين فى البويب والتى انتصر فيها العرب (١٤ هجرية).

وفى سنة ١٤ هجرية (٦٣٥م) فرغ عمر من أمر الشام، ولما كان من غير الضرورى أن يقيم جيش كبير في سورية، فقد استعد للحرب مع إيران واختار سعد بن أبى وقاص للقيادة، وأعد جيشاً قوامه ثلاثون ألف جندى عربى، كما أعد يزدگرد أيضًا جيشًا بقيادة رستم فرخ هرمز (أو فرخ زاد) (وكان يتكون من مائة وعشرين ألف جندى كما رووا). وفى نفس هذه السنة أرسل عمر رسله إلى البلاط الإيرانى، وكانوا اثنى عشر رجلاً. وكان مظهرهم يدعو للاستخفاف عند دخولهم طيسفون. إلا أن يزد گرد استقبلهم بحفاوة واحترام، لأن المسلمين كانوا قد فتحوا دمشق فى ذلك الحين. وسألهم يزدگرد قائلا: ما هدفكم؟ قالوا: يجب أن تقبل الإسلام أو تدفع الجزية. فنظر إليهم الملك نظرة احتقار وأشار إلى ملابسهم قائلا: إنكم أناس تأكلون الحرباء، وتقتلون بناتكم (كانت عادة بعض العرب قبل الإسلام أن يئدوا بناتهم)، فأجاب المسلمون: لقد كنا فقراء جائعين، ولكن الله أراد أن نغتنى ونشبع، الآن وقد اخترت السيف، فإنه سيكون الحكم بيننا وبينك.

معركة القادسية والاستيلاء على المدائن(٩٠): (١٤ هجرية - ٦٣٥م)

كانت القادسية تقع بالقرب من مكان عرف بعد ذلك باسم كربلاء. وهناك التقى الجمعان، ونشبت معركة حامية الوطيس استمرت أربعة أيام، وكان النصر فيها حليفًا للإيرانيين خلال اليوم الأول بسبب الفيلة؛ فقد تمردت خيول المسلمين نتيجة الذعر الذى أصابها منها.

وفى اليوم الثانى وصلت الإمدادات إلى المسلمين من الشام، فهزموا فرسان إيران وأنزلوا بهم خسائر فادحة قدرت بحوالى عشرة آلاف فارس.

وفى اليوم الثالث فقأ القعقاع بن عمرو – وهو قائد جيش الإمداد الذى كان قد وصل من الشام – عين فيل أبيض بحربة، وفعل آخر نفس الشئ بفيل آخر، فارتدت الفيلة، وأصابت صفوف الجيش الإيرانى بالخلل والفوضى. وفى مساء اليوم الرابع انقسم المسلمون إلى مجموعات متعددة وأغاروا ليلا على الجيش الإيرانى، ولم يتركوا مجالاً له حتى يرتاح، إذ استمرت الحرب طوال الليل[٩١].

وفى اليوم الرابع نشبت معركة شديدة، وفى هذه الأثناء هبت ريح عاتية ألقت بتراب ميدان الحرب فى وجوه الإيرانيين، وأدت إلى حدوث خلل واضطراب شديدين فى صفوفهم. واستفاد المسلمون من هذا الوضع، وحملوا بشدة عليهم، فمزقوا قلب الجيش الإيرانى، وألقى رستم بنفسه فى الماء وسبح هاربا، لكن مسلمًا يدعى هلال بن علقمة تعقبه وقتله، ثم وضع رأسه على حربة وصعد على عرشه وصاح قائلاً: قسمًا برب الكعبة لقد قتلت رستم. بعد ذلك صمد الجيش الإيرانى من جديد، ولكن وصل إمداد للمسلمين وهزم جيش إيران. وفى هذه الحرب سقط علم كاويان (درفس كابيان) فى يد المسلمين. ويروى أن جواهره كانت تساوى مائتى ألف تومان تقريبًا بعملة اليوم، لكن العربى الذى حصل عليه باعه بخمسة آلاف تومان.

أعطى سعد بن أبى وقاص بعد هذا الانتصار راحة لجنوده لمدة شهرين بأمر من عمر، ثم قام بالاستيلاء على البلاد الواقعة بين الفرات ودجلة. وفى سنة ١٦ هجرية تحرك قاصدا المدائن، فعرض عليه يزدگرد أن يعيد للمسلمين البلاد الواقعة ناحية دجلة ويعقد الطرفان صلحًا، لكن سعد رفض هذا الطلب باستهزاء. ومهما كان لموقعة القادسية من أهمية كبيرة من حيث الانتصارات التى أحرزها العرب، إلا أن يزدگرد كان يملك وسائل الدفاع التى تمكنه من صد هجماتهم. ومن ذلك مثلا أنه يستطيع أن يعطل عبورهم لدجلة فترة، نظرًا لعدم خبرتهم بصناعة السفن،

لكنه لم يقدم على ذلك. وكذلك فبمجرد أن علم باقتراب المسلمين من دجلة غادر طيسفون، وبعد أن استولى سعد على "وه اردشير" (سلوقية) حدس أن في دجلة مكانًا غير عميق، فعبر النهر المذكور بجيشه. وأصيب العرب بالحيرة والدهشة بعد دخولهم طيسفون إذ شاهدوا عظمة هذه المدينة وثراءها وأبهتها، ووقعت في أيديهم غنائم وذخائر لا تحصى(٩٢). ولم تكن أغلبية العرب تعرف الذهب، وكانوا يظنون الكافور ملحًا. وإذا نحينا العرش والذهب والجواهر والأشياء النفيسة وسجادة بهارستان(٩٣) التي أرسلت إلى عمر جانبًا، فقد وصل نصيب كل عربي من الغنائم التي قسمها المسلمون إلى ألفين وخمسمائة تومان بعملة اليوم كما يقال، في حين أن عدد المسلمين كان يصل إلى ستين ألف رجل.

موقعة جلولاء

أراد سعد في بداية الأمر أن يتعقب جيش إيران، غير أن عمر أمره بقضاء الصيف في المدائن. وبعد فترة علم سعد أن يزدگرد جمع جيشًا في حلوان(٩٤)، وأنه بصدد الحرب، فما كان منه إلا أن أرسل هاشم بن عتبة والقعقاع بن عمرو مع اثني عشر ألف رجل إلى هناك، ونشبت معركة حامية بين الطرفين في جلولاء(٩٥). ووصلت إمدادات لكلا الطرفين، وانتصر العرب مرة ثانية. وكان قائد الجيش الإيراني من أهل الري ويدعى مهران (ذكر البعض أن اسمه خرّه زاد). وأصاب العرب غنائم كثيرة بعد هذه المعركة فأخذوا من ميديا مائة ألف جواد أصيل (١٦ هجرية / ٦٣٧م).

وأراد سعد بعد ذلك أن يتعقب يزدگرد، لكن عمر كتب له يخبره بأن بلاد ما بين النهرين كافية للعرب. وياليت كان هناك سد بين بلاد ما بين النهرين والبلاد التي تقع ناحية الجبال (المقصود بالجبال جبال كردستان أو جبال زاگروس) حتى

لا يتمكن الإيرانيون ولا العرب من عبورها، ومن ثم قام سعد بالاستيلاء على مدن ما بين النهرين (١٦ هجرية).

وفى السنة التالية شيد المسلمون مدينتى الكوفة والبصرة (١٧ هجرية)، فأقيمت الكوفة بالقرب من الحيرة القديمة، وبنيت البصرة على أنقاض مدينة الأُبُلَّه، وبعد بناء هاتين المدينتين انحط شأن المدائن والحيرة.

اتجه المسلمون صوب البحرين لكى يغيروا على فارس عن طريق البحر وساحل الخليج، وتقدموا منتصرين، ولكنهم هزموا بعد ذلك. ومع أنه وصل لمساعدتهم اثنا عشر ألف جندى إلا أنهم اضطروا للعودة إلى البصرة. وشجع هذا النصر الذى أحرزه الإيرانيون آنذاك الهرمزان حاكم خوزستان على إخراج العرب من الأهواز، فقامت بينه وبين العرب معركة استردوا بعدها الأهواز (١٩ هجرية = ٦٤٠م)، ولكن طال حصار شوشتر وخضعت هذه المدينة لسيطرة المسلمين بعد ثمانية عشر شهرًا فقط، فذهب الهرمزان إلى عمر وقتل بعد ذلك فى المدينة على يد ابن عمر.

موقعة نهاوند: (٢١ هجرية = ٦٤٢م)

كانت هذه المعركة آخر المعارك التى خاضها يزدگرد مع المسلمين، ذلك أنه استغل توقف جيوش العرب فى ما بين النهرين وانشغالهم بالشئون الداخلية وأعد جيشًا من جديد. ولما علم المسلمون بما يعده يزدگرد، تحرك جيش بقيادة النعمان بن مُقَرِّنْ إلى حلوان ليهاجم الرى من هناك.

وهناك وصلت أخبار تفيد أن جيش يزدگرد فى نهاوند، عندئذ أسرع النعمان إلى تلك الناحية مع ثلاثين ألف مقاتل، ونشبت معركة نهاوند. ورغم تفوق الجيش الإيرانى من ناحية الكم فقد اختار الحرب الدفاعية كما أمر بذلك قائده فيروزان،

وحارب الإيرانيون خلف الخنادق ولم يحاربوا فى السهول إلا قليلاً. ولذلك طالت الحرب وأوشكت مؤن الجيش العربى على النفاذ. وفى هذه الأثناء اصطنع النعمان حيلة، إذ انسحب معلنًا أنه ذاهب إلى المدينة لوصول خبر وفاة الخليفة.

وعلى أثر هذا انخدع فيروزان وتعقبه، ولكن بمجرد أن خرج جنود إيران من خنادقهم ووصلوا إلى المكان الذى أراده النعمان، عاد المسلمون وحملوا عليهم بشدة حتى قضوا عليهم. وقتل النعمان خلال المعركة وحل محله حذيفة، وانتهى القتال. وقد سمى رواة العرب هذا الانتصار باسم فتح الفتوح.

الاستيلاء على ولايات إيران وموت يزدگرد

بعد معركة نهاوند وخلال عشر سنوات خضعت أصفهان وفارس وآذربايجان (حتى دربند) والرى وسيستان ومكران وغيرها من الولايات للعرب، غير أن كل ولاية من هذه الولايات والمدن جمعت جيشًا ودخلت فى حرب مع العرب سواء على حدودها أو فى داخلها، وكانت الهزيمة من نصيبها. وحافظت طبرستان فقط على استقلالها حتى منتصف القرن الثانى الهجرى (٧٦٩م)، وحكمت هناك أسرة السپهبديين[٩٦]. واستولى العرب على خراسان بعد استيلائهم على سائر ولايات إيران.

وعلى العموم، وكما يستفاد مما ذكره المؤرخون العرب؛ فقد دخل الإيرانيون فى معارك كثيرة مع العرب، وصمدوا أمام المسلمين أكثر من الروم بمراحل كثيرة. قتل يزدگرد بعد عشر سنوات من موقعة نهاوند (٣١ هجرية = ٦٥٢م) إذ انتقل آخر ملك ساسانى بعد هزيمة نهاوند من الرى إلى أصفهان، ثم إلى مكران، ثم إلى بلخ ومرو، وأرسل رسولاً إلى الصين طالبًا العون من فغفور، ولكن الصين امتنعت عن تلبية طلبه نظرًا لبعدها عن إيران ودخل يزدگرد بعد ذلك فى

مفاوضات مع خاقان الترك الذى قبل فى البداية مساعدة يزدگرد ولكنه امتنع بعد ذلك نتيجة عدم رضائه عن تصرفاته.

وعلم يزدگرد بسوء النية التى يبيتها له ماهوى مرزبان مرو، ففر هاربًا ولجأ إلى طحان[٩٧] بالقرب من مرو ليقضى الليل عنده، ولكنه قتل يزدگرد طمعًا فى ملابسه الفاخرة وجواهره، ويقال إنه دفن فى فارس طبقًا لبعض الروايات.

الأسرة الساسانية بعد موت يزدگرد

بلغت مدة حكم هذه الأسرة فى إيران ٤١٦ عامًا، غير ان انقراضها لا يتفق مع وقت زوال الدولة الساسانية؛ فقد ذكر المؤرخون الصينيون أن يزدگرد الثالث أرسل فى السنة السادسة عشر من الهجرة (٦٣٨م) رسله إلى البلاط الصينى طالبًا العون، ولكن فغفور الصين امتنع نظرًا لبعد إيران. وبعد موت يزدگرد نصب ابنه فيروز الثالث نفسه ملكًا على إيران، واعترف به فغفور على هذا الأساس.

وبقى فيروز بعد ذلك فى جبال طخارستان[٩٨] لإعداد جيش يحارب به العرب، وساعده ملك طخارستان الذى كان فى منأى عن العرب، واعترف به ملكًا على إيران.

وفى سنة ٦٦١م نظمت دولة الصين ممالكها الغربية، وأنزلت هزيمة بأتراك تركستان أثناء ذلك، وكونت دولة باسم إيران وفوضت حكمها إلى فيروز، وكانت هذه المملكة تسمى (تزى كيك). ولا يعرف أين كانت. ولم يتمكن فيروز بعد فترة من البقاء فى تزى كيك بسبب هجمات المسلمين، فذهب إلى الصين وطلب من فغفور السماح له بإقامة بيت نار فى "چان كان"، ولكنه سرعان ما قضى نحبه. وطبقًا لما ذكرته المصادر الصينية كذلك؛ فقد أقام أمراء من إيران علاقات مع الصين من بعده.

وذكر المؤرخون الصينيون أيضًا أن ملك إيران أرسل في سنة ٧٣٢م (كيلى) النسطورى رسولا إلى بلاط الصين، ولكنهم لم يذكروا اسم ذلك الملك.

إيران بعد موقعة نهاوند

دخل العرب بعد معركة نهاوند فى حروب ومعارك مع الإيرانيين فى أنحاء إيران المتفرقة، ومع أن طبقة الحرفيين والعمال الذين كانوا يشكلون السواد الأعظم لأهل المدن سرعان ما قبلوا حكم العرب بسبب عدم رضائهم عن تضييق المغان على بعض المكاسب والحرف، بينما قاوم سكان القرى والعشائر والقلاع، نظرًا لأن مالكى الأرض كانوا غالبًا من طبقة الأشراف، ولم يستسلموا بسرعة للحكم العربى. ومثال ذلك ما حدث لقلعة "أُستووند" فى الرى التى قاومت حتى سنة ١٤١ هجرية، كما بقى الملوك والأمراء المحليون فى بعض مناطق إيران عدة قرون بعد الغزو العربى، ولم يتمكن الحلفاء الأمويون والعباسيون من السيطرة عليها تمامًا (مثل طبرستان وگيلان).

ويجب أن يؤخذ فى الاعتبار كذلك أنه على الرغم من أن إيران فقدت استقلالها فى ذلك الحين بسقوط الدولة الساسانية، فإن روح الرغبة فى استقلال إيران ظلت حية، وظل الخلفاء الأمويون يرسلون بجيوش تتكون من مائة ألف أو مائتى ألف جندى إلى إيران كل عدة سنوات وخلال أكثر من قرن لإخماد الثورات الإيرانية. ورغم كل ما بذلوه من جهد، فإنهم لم يتمكنوا من القضاء عليها. وانتهت المعارك والمنازعات بين الإيرانيين والخلفاء فى نهاية الأمر بانتصار أولى؛ إذ أطاح الإيرانيون بخلافة بنى أمية وأسسوا خلافة بدلاً منها كانت من حيث نظمها وإدارتها شبيهة بالدولة الساسانية، فأمنت نفوذ إيران فى بلاط الخلفاء العباسيين. ولم تنته الحرب الإيرانية مع الخلفاء رغم وجود هذا التغيير المهم، وأخذت الدلائل كلها تشير إلى أن الإيرانى لم يعد يحتمل بعد ذلك السيادة السياسية لبغداد، وعلى

أثر ذلك الإحساس تأسست دويلات فى مناطق مختلفة من إيران كانت تعترف اسمًا بخلافة بغداد، ولكنها كانت فى الحقيقة مستقلة (كالديالمة وغيرهم). وبهـذا النظـام عاد استقلال إيران السياسى تدريجيًا منذ أواخر القرن الثالث الهجرى تقريبًا، بعـد أن كان قد ضاع بسقوط الدولة الساسانية، ودخلت إيران مرحلة جديدة، وشرح هذه الأحداث يدخل فى عصور أخرى من تاريخ إيران.

الفصل الثانى

الحضارة الإيرانية فى العصر الساسانى

المبحث الأول

طبقات الشعب – النظم الإدارية – النقود – التجارة – العلاقات الخارجية

الطبقـات

قُسِّم شعب إيران إلى أربع طبقات:

١- طبقة رجال الدين (آثروان).

٢- طبقة رجال الحرب (آرتشتاران).

٣- طبقة المستخدمين بإدارات الدولة أو الكتاب (دبيران).

٤- طبقة الزراع والصناع (واسترى يوشان وهتخشان).

وتقسم كل طبقة من هذه الطبقات إلى أقسام أخرى، ولكل منها رئيس يرأس مجموعة من المستخدمين مثل المفتش والمحاسب والناظر وغيرهم ممـن يـؤدون الأعمال الخاصة بالطبقة.

وكان رجال الدين ينتخبون من المغان، ويقال للواحد منهم مؤبذ[٩٩]، ويطلق على رئيس الموابذة اسم الموبذان موبذ، وهو الذى يفصل فى كل الأمـور الدينيـة فصلاً نهائيًا ويبت فيها وينتخب الملك، ويعين بقية رجال الدين طبقًا لرأيه. وستأتى ألقاب رؤساء سائر الطبقات فيما بعد[١٠٠].

ونرى كذلك تقسيمات فى عصر الساسانيين يعتقد الباحثون أنها ميراث مـن عصر البارثيين، وأن الساسانيين حافظوا عليها. وعلى أية حال فهى كما يلى:

١- طبقة الشهر داران (شترتاران)، أى الذين يحكمون البلاد مثل ملوك أرمينيـة والحيرة التابعين وغيرهم، وحكام الولايـات وحكـام الثغـور أو المرازبـة

(مرزبان ها) ويلقب الحكام (شهرداران) الذين ينتسبون إلى الأسرة الحاكمة بلقب ملك (شاه).

٢- طبقة ويس پوران (ويسپوهران)[١٠١]؛ وهذا الاسم يطلق على سبع عائلات ممتازة: ثلاث منها پارثية وتلقب نفسها بلقب پهلو، وأربع عائلات أخرى كانت تطلق على نفسها أيضًا لقبًا بهلويًا، لأنهم كانوا يعتقدون أن نسبهم يصل إلى الپارثيين. ولرؤساء تلك العائلات مناصب خاصة متوارثة كما أسندت لهم بعض الوظائف الشرفية. ولم يكن محل إقامتهم يتغير (مثلا كانت أسرة قارن تقيم فى نهاوند، وسورن فى سيستان، وإسبنديار فى الرى، وسپهبذ فى گرگان، ومهران فى فارس). وكانت هذه العائلات تملك أرضًا وأملاكًا واسعة لا تتدخل الدولة فى إدارتها، ولكن لا يسمح لهم ببيعها؛ أى أنها تنتقل من جيل إلى آخر.

٣- طبقة العظماء (وزرگان)؛ وهى تشتمل على كل من يتصدون للأعمال المهمة بالمملكة. وأصحاب المناصب المهمة كما يبدو هم:

(أ) كبير الوزراء (وزرك فرماذار).

(ب) كبير الموابذة (مؤبذان مؤبذ) وهو الرئيس العام لرجال الدين.

(ج) رئيس كتاب الملك (إيران دبيربذ).

(د) السپهسالار أو القائد (إيران سپهبذ).

(هـ) رئيس طبقة الزراع (واس ترى يوشان بذ).

(و) رئيس طبقة التجار والمهنيين (هتخشان بذ).

وكان هؤلاء يديرون شئون الدولة، كما كان الأول ممثلا لملك وكان الآخرون ممثلين للطبقات الأربع.

٤- آزادان أو الأشراف (آزاتان)؛ ليس معروفًا من أين جاء لقب آزادان هذا، ويقال إنه عند مجئ الإيرانيين إلى أرض إيران، أطلقوا على أنفسهم لقب آزاد تمييزا لهم عن السكان الأصليين، ودخل تحت هذا اللقب قسم من العظماء بعد ذلك، وكانوا يعيشون فى الغالب داخل أملاكهم وأراضيهم، وهم مستعدون للمشاركة فى الحرب عندما يتطلب الأمر ذلك، كما كان بعض الأشراف يقيم فى البلاط ويصل إلى أعلى المناصب (مثل وه رز). وهناك لقب آخر هو الدهقان (دهكان)، ويعتبر الدهاقنة من طبقة تلى طبقة النبلاء، وكانوا يعيشون أيضًا فى أملاكهم وعملهم الرئيسى هو جمع الضرائب. ولأنهم كانوا على علم دقيق بالضرائب المحلية، فلم يكن يستغنى عنهم، وكانت لهم أهمية فى تاريخ إيران، إذ يستفاد من دراسات الباحثين أنهم كانوا حلقة اتصال بين سواد الشعب والعظماء الآريين، وانتشرت عن طريقهم فى المجتمع الصفات الحسنة التى اتصف بها العظماء من شجاعة أخلاقية وفتوة، ورسخت به. ويعتقد بعض الباحثين أنه كان للعظماء الإيرانيين عيوب كثيرة، ولكنهم كانوا أيضًا يتصفون بصفات لم تتوفر لدى أى أمة من الأمم القديمة حتى أمة الروم، هذه الصفات هى الأدب والمروءة.

ولم يكن الزراع يستطيعون تغيير مواطنهم وسادتهم، وتلقى على عاتقهم أعباء الخدمة العسكرية وأعمال السخرة إذا دعت الضرورة لذلك. وكان سكان المدن فقط هم الذين يدفعون ضريبة الرؤوس ويعفون من تأدية الخدمة العسكرية ويتم الانتقال من الطبقة الأدنى إلى طبقة العظماء بعد تدقيق وامتحان وبإذن من الملك.

النظم الإدارية:

كانت إيران قد قسمت قبل أنوشيروان إلى عدة أقسام، يحكم كل قسم منها حاكم، وفى هذا العصر لم يكن يذكر لقب خشتر بوان، وغالب الظن أنه اندثر على

عهد الأشكانيين. وكانوا يسمون حكام الأقاليم أو الثغور بالمرازبة، ويعطى للمرازبة ذوى الأهمية عرش من فضة ما عدا مرزبان حدود الخزر الذى كان عرشه من الذهب. ويلقب الحكام الذين ينتسبون إلى الأسرة الحاكمة بلقب ملك، وعندما دخل العرب إيران كان عدد الملوك قد وصل إلى ستة وعشرين ملكًا. وقد قسم أنوشيروان كل إيران إلى أربعة أقسام، وأطلق على كل قسم منها پاذكس وسماه باسم إحدى الجهات الأربع:

الشمالى – أواختر، الشرقى – خور آسان، التى صارت خراسان فيما بعد، الجنوبى – نيمروز، الغربى – خور وران (أو: خربران). وعين على كل قسم من هذه الأقسام حاكمًا يدعى "پاذكس بان"، وهو الذى يعين الحكام ونواب الحكومة، غير أن الجيش لم يكن تحت إمرته. وينفذ الحكام تعليمات قائد الجند الذى لقب بالسپهبذ، وكان عدد هؤلاء القادة أربعة فقط. وفى بعض المناطق كان الحكام يعينون من قبل حكام المديريات (استندارها)، وكانوا يديرون الأملاك الحكومية فى السابق. وفى أوائل العصر الساسانى ووسطه لم يكن للإصبهبذيين أى تفوق على الحكومة الاقليمية غير أنه منذ زمن أنوشيروان وحتى نهاية الأسرة الساسانية دخل حكام الأقاليم والثغور تحت إمرة الأصبهبذيين، وكانت إدارات الدولة تسمى بالدواوين(١٠٢)، ويبدو أن الديوان وجد فى إيران منذ عصر الهخامنشيين.

المالية:

كان دخل الدولة الساسانية يأتى من نوعين من الضرائب، أولاً من الخراج أو الضرائب العقارية. ثانيا، من الجزية (گزيت) ضريبة الرؤوس التى سميت فى العصر الإسلامى بالجزية. ولم يتغير النوع الأخير من الضرائب؛ بمعنى أنه كان يحدد مبلغ لكل قسم من أقسام المملكة ويقسم على عدد سكان القرية، ويحدد خراج كل ناحية طبقًا لدرجة خصوبتها، وعلى كل قرية أن تدفع من سدس إلى ثلث

محصولها حسب سنوات الرخاء أو القحط، أو بالنظر إلى المسافة بينها وبين المدينة، وأعفى من دفع الضرائب النساء والأطفال والشيوخ. أما من يدفعون ضريبة الرؤوس فهم من ليس لهم نسب ملكى وكذلك اليهود والمسيحيون. ولما كانت هذه الضرائب تقدر جزافًا، وأدت جبايتها إلى الظلم والاعتداءات المتكررة من قبل موظفى الحكومة، ولما كان موظف الحكومة لا يحدد مقدار الضرائب التى يجب على الزارع أو المالك دفعها، مما يعطل جنى المحصول؛ لذا فقد فكر قباد فى إعداد نظام جديد للضرائب، أتمه أنو شيروان فيما بعد، فمسحوا الأراضى الخصبة والمزروعة وجعلوا الگريب - وكان يعادل ألفين وأربعمائة ذراع مربع بقياس اليوم - أساسًا لضرائب الأرض، أى أن يطالب بمقدار معين ومحدد من الضرائب عن كل گريب[١٠٣] وتحصل الضرائب على أربعة أقساط، وكانوا يطلقون على القسم اسم (سى مرك) أو ذى الثلاثة شهور. وأعفيت المحاصيل التى لم تذكر فى هذا الهامش من الضرائب.

وكان هذا الإصلاح الضريبى مع عيوبه سببًا فى سعادة الشعب ورفاهيته نظرًا لما كان يقاسيه من عدم تحديد الضرائب وكثرتها فى العهود السابقة. وقد تم إصلاح جزية الرؤوس أيضًا فى عهد أنوشيروان، إذ قسم الشعب من ناحية الملكية التقريبية إلى عدة طبقات، وقرر لكل طبقة مبلغ لجزية الرؤوس[١٠٤]، وأعفى من دفع هذا النوع من الجزية رجال الحرب ورجال الدين والكتاب والمستخدمون فى إدارات الدولة. وكانت جزية الرؤوس تؤخذ من سن العشرين إلى سن الخمسين، ولتنفيذ القرارات المذكورة صدر الأمر إلى قضاة الولايات بالإشراف على تنفيذها والتحقيق فى الشكاوى التى تقدم لتعدى موظفى الدولة، وإطلاع العاصمة على هذا بانتظام.

كانت الضرائب إذن هى أهم موارد الدخل العادية للدولة الساسانية، ولكن وجدت موارد دخل كبيرة كذلك للدولة كالغنائم الحربية والغرامات التى كانت تحصلها من بلاد الروم، والهدايا التى كان يقدمها أثرياء المدن فى عيدى النوروز

والمهرجان، وعائد معادن الذهب وغيره. ويظن البعض أنهم كانوا يحصلون الجمارك فى ذلك الوقت، ولكن هذا غير مؤكد. وقد وصل دخل الدولة فى عصر كسرى پرويز إلى مائتين وأربعين مليونا من الدراهم تقريبًا[١٠٥].

الجيش:

كان الأساورة (الفرسان) يشكلون القسم الرئيسى من الجيش، ويتكون الفرسان من:

أولا: الأساورة الخالدون – تذكار العصر الهخامنشى – ولا يعرف كم كان عددهم.

ثانيا: الأساورة المتطوعون، وهم الذين كان يعدهم الملوك التابعون للخدمة، ويرى بينهم كل أنواع الطوائف (من ديالمة وگيلگيين وبدو گرگان وأرمن وغيرهم).

ثالثا: الأساورة الفدائيون "جان اپسپار" وهم جنود مأجورون.

وتتكون الأسلحة الدفاعية التى يستخدمها الفرسان من ترس وخوذة ودرع وجوشن وأشياء أخرى تغطى الرأس والصدر واليدين والقدمين وغير ذلك، وتغطى أجساد الخيول أيضًا بقطع الحديد.

أما الأسلحة الهجومية، فكانت عبارة عن السهم والقوس والسيف والدبوس والبلطة والأنشوطة، وكان الفرسان المسلحون بأسلحه ثقيلة يحملون أسلحة هجومية ودفاعية، وكانت ميزة الجيش الإيرانى فى العصر الساسانى، والتى تميز بها عن نفس الجيش فى العصر الأشكانى، هى احتواؤه على الفرسان المسلحين بأسلحة ثقيلة. وقد مدح المؤرخون الروم واليونانيون رماة السهام الإيرانيين.

ولم يكن للمشاة أهمية تذكر، فقد كانوا يجمعون القرويين ويعطونهم الأسلحة والتروس ويرسلونهم للحرب (لم تكن تدفع لهم مرتبات فى الغالب)، ولما كانوا أحيانًا يلقون بأسلحتهم ويفرون، فقد استخدموهم غالبًا فى تأدية الأعمال البعيدة عن صفوف القتال. واستخدموا الفيلة خلف الصفوف، لأنهم كانوا فى حكم الذخيرة "أو القوات الاحتياطية"، إذ كانوا يضعون فوقها أبراجًا مليئة بالمحاربين. وكانت الفيلة ذات فائدة عظيمة فى الحروب التى قامت بين إيران والروم، واستخدمت أحيانًا فى مقدمة الجيش لبث الذعر بين خيول فرسان العدو كذلك. وكانت راية الجيش هى علم كاويان "درفش كاويانى" (وهو تذكار من كاوه الحداد الأسطورى)، ولهذا العلم احترام كبير عند الإيرانيين القدماء، لأنهم اعتبروه علمًا خاصًا بإيران. وقد زادوا بعد ذلك من طول هذا العلم وعرضه حتى أصبح طوله اثنين وعشرين قدمًا وعرضه خمسة عشر قدمًا فى أواخر العصر الساسانى، وزين كله بالجواهر الثمينة.

وكانوا قبل الحرب يقومون بإجراء عادة دينية وهى صب الماء المقدس فى أقرب مجرى مائى، ولابد من غسل السهم الأول بالماء المقدس، وأحيانًا وقبل أن يلتحم الجيشان كان القائد أو المحارب يطلب مبارزًا ويصيح قائلاً: "مَرْد ومرد" أى رجل ورجل، وإذا كان الملك هو قائد الجيش وضعوا له عرشا وسط الجيش ليجلس عليه ويعطى أوامره. ولم يكن الملك يقوم بالهجوم بنفسه عادة، لكنهم ذكروا أن سابور الكبير ألقى بنفسه بين صفوف الأعداء.

وقد راجت فنون الحصار فى حروب العصر الساسانى مثل حفر الخنادق، وإقامة الأبراج، واستخدام المنجنيق وسائر الآلات، وثقب جدران القلاع وإلقاء الرصاص المذاب على رؤوس المهاجمين، والاستيلاء على أدوات الحصار من العدو بواسطة الأنشوطة وغيرها. وكان الإيرانيون يؤدون هذه الأعمال بمهارة، ويطيعون الأوامر العسكرية طاعة عمياء. ويجب على قائد الجيش – بالإضافة إلى خبراته العسكرية – أن يكون صلبًا هادئًا شديد التحمل.

وكان طعام الجيش يتكون فى وقت الحرب من الخبز واللحم واللبن، وبلغ الحد الأقصى للمرتبات ٤٠٠١ درهمًا، وهو الذى كان يدفع للقائد العام أى الملك[١٠٧].

القضـاء:

كان القضاة يعينون من بين رجال الدين، لما كان لهم خاصة من اطلاع وعلم بأصول التقاضى. وأحيانًا كانوا يعينون من أفراد العائلات العريقة لكن تعيينهم يكون للحكم بين العظماء، وهناك قاض لكل ناحية. والدهقان فى القرية هو الذى يحقق فى القضايا، ويفصل فيها أحيانا. وبالإضافة لهؤلاء عين قاض لكل جيش، وقسمت الجرائم إلى ثلاثة أنواع:

١- جريمة فى حق الدين "ردة".

٢- جريمة فى حق الملك كالخيانة والتمرد والثورة والفرار من الجيش أثناء الحرب وما إلى ذلك.

٣- جريمة فى حق الأفراد، أى التعدى على الغير أو على أموالهم. وكانت عقوبتها شديدة، لكن أنوشيروان خفف من العقوبات؛ فالمرتدون كانوا يسجنون ويحاولون بالموعظة ردهم عن الدين الجديد، فإذا نجحوا فى ذلك أطلقوا سراحهم، وبالنسبة للجرائم التى تكون فى حق الملك، فقد كان يصدر الحكم بالإعدام فى اثنتين منها فقط: الثورة والفرار من الحرب، وأما جرائم النوع الثالث، فلم يكن يصدر حكم بالإعدام بل يكتفى بعقاب المجرم ببتر عضو من أعضائه أو تغريمه. غير أن عقوبة السرقة كانت شديدة، إذ كانوا يلقون باللص فى السجن مقيدًا بالأغلال ويشنق بعد أن يقر ويعترف فى حضور القاضى.

ومن العقوبات الشائعة فى ذلك الوقت أيضا قطع الآذان أو الأنف، والصلب، والرجم حتى الموت، ولكن أنوشيروان خفف هذه العقوبات أيضا واكتفوا فى الجرائم التى كانت عقوبتها البتر بتغريم المجرم غرامة مالية فى المرة الأولى، وإذا تكرر منه هذا الجرم كانوا يقطعون أذنه أو أنفه (كان قطع اليد ممنوعا). وعندما كان يحدث شك فى ارتكاب المتهم للجريمة كانوا يستخدمون وسائل وهمية (وريه)، فمثلا كانوا يجبرون المتهم على المرور بين نارين، فإذا خرج سالما اعتبروه غير مذنب.

ومن مساوئ عقوبات العصر الساسانى انتقال عقوبة الجانى إلى أسرته فيتعرض أفراد أسرته (وخاصة أقرب أقربائه) للعقوبة كذلك[١٠٨]، وكان الملك يستقر فوق مكان مرتفع وقد امتطى جواده أثناء التحقيق، ويحقق فى شكاوى الناس. وفى أوائل العصر الساسانى كان الملك يعطى إذنا عاما مرتين كل عام إحداهما فى النوروز[١٠٩] والثانية فى المهرجان[١١٠]، ويعلن المنادون الناس قبل ذلك بعدة أيام حتى يحضر من كان له شكوى فى ذلك اليوم. وفى اليوم المذكور كان منادى القصر الملكى يصيح قائلا: "من يمنع أصحاب الشكاوى من الحضور سيسأل عن ذلك".

وعموما، فقد أصبح من المسلم به نتيجة دراسة الباحثين أنهم كانوا يولون اهتماما للعدالة والقضاء فى إيران القديمة، وكانوا يحترمون منزلة القضاء ومقامه ويعينون فى هذه الوظيفة أشخاصا من ذوى المعلومات القضائية وممن يتصفون بالنزاهة والخبرة والتجربة ومن الممكن أن يتظلم الناس من حكم الملك إلى الملك نفسه، وفى هذه الأحوال كان الملك ينزل من على العرش ويكلف الموبذان موبذ بالحكم، فإذا كانت الشكوى فى محلها أرضى الشاكى وإلا فإنه ينزل العقاب به.

دوائر البريـد:

جاء ذكر تنظيم هذه الدوائر فى نظم العصر الهخامنشى الإدارية، وقد اقتبس الخلفاء العباسيون كذلك هذا النظام من إيران الساسانية، وأقاموا إدارات البريد وأمنوا طرق البلاد وعبدوها، وأرسلوا سعاة بريد راجلين بالنسبة للمناطق الجبلية، وسعاة بريد من راكبى الإبل بالنسبة للأماكن الصحراوية القاحلة.

رجال الديـن:

لما كان الدين الزرتشتى هو الدين الرسمى خلال العصر الساسانى؛ فقد تمتع رجال الدين بنفوذ كبير فى شئون البلاد، فكان المغان يملكون أملاكًا كثيرة فى إيران وخاصة فى آذربايجان، وأعطاهم الشعب العشور والهدايا كذلك. وكما يذكر آم مين مارسلن[١١١] فإنهم لم يخضعوا لقوانين البلاد، بل كانت لهم قوانين خاصة. وطبقات رجال الدين على النحو التالى:

(أ) المغان وهم أقل الطبقات.

(ب) الموبدان أو رؤساء المغان والهرابذة أو سدنة بيوت النار وهم أعلى من المغان.

(ج) الموبذان موبذ أو رئيس الموابذة، والهيربذان هيربذ أو رئيس الهرابذة. وهما أعلى من الجميع. ويعتقد أن الأول كان رئيسًا عامًا لكل رجال الدين، وكان الثانى قاضى القضاة. وكان الموبذان موبذ الكبير يقيم فى الرى ويحكم هذه البلاد. وقد ذكر المؤرخون المسلمون أن لقبه مصمغان[١١٢].

أما بيوت النار فهى كما يلى:

(أ) كانت لكل أسرة نار، ويجب على رئيس الأسرة مراقبتها حتى لا تخمد.

(ب) لكل قرية نار أيضًا وتسمى آذران.

(ج) لكل إقليم نار كذلك وتسمى بهرام.

(د) كانت هناك ثلاثة معابد للنار لها احترام وقدسية خاصة فى كل إيران:

١- آذر فرنباغ فى كاريان بفارس وهى خاصة برجال الدين.

٢- آذر كشناسب، وتقع فى شيز بآذربايجان، وهى خاصة بالملك والمحاربين. وكان الملوك يذهبون إليها سيرًا على الأقدام بعد تتويجهم.

٣- آذر برزين مهر، وهى فى ريوند بخراسان، وقد خصصت لطبقة الزراع.

النقود الساسانية:

كانت النقود الساسانية تسك من الذهب والفضة والنحاس، ومن خليط النحاس والبرونز. وتتساوى النقود الذهبية الساسانية فى عصر شابور الأول والثانى فى الوزن مع النقود الرومية الذهبية. ولكن اختلف وزنها فيما بعد[١١٣]. والنقود الفضية الساسانية هى نفسها الدرخم، ويستفاد من دراسات الباحثين أن كلمة "درخم" لم تكن تستعمل فى عصر الساسانيين، وأن النقود الفضية كانت تسمى (زوز) أو كرشه. وتزن العملة الفضية ما يقرب من مثقال واحد، وتساوى فى القيمة من ٣٢ إلى ٣٥ شاهى بعملة اليوم. والظن الغالب أن النقود النحاسية كانت تسمى "معا" (كلمة معا سامية). والنقود الساسانية تلفت النظر من ناحية جمال شكلها، ومن المعتقد أن فنيين يونانيين كانوا يعملون فى دورسك النقود بإيران، وتاريخ سك نقود الملوك الساسانيين هو سنوات سلطنتهم (فمثلا كتب على أحد وجهى قطعة نقود من نقود عصر أنوشيروان چهار وچهل[١١٤] أى سنة أربع وأربعين). وكانت الكتابة باللغة

البهلوية وحروفها، ويوجد هزوارش بها، أى أن بعض الكلمات كانت تكتب باللغة الآرامية وتقرأ باللغة البهلوية[١١٥]. وتوجد على النقود عبارة تعرف الملك[١١٦].

وقد راجت النقود الساسانية لفترة فى إيران والبلاد المجاورة بعد انقراض الساسانيين، ولكن كتب عليها "بسم الله" بدلاً من صورة الملك ومعبد النار. والفضة هى أساس النقود فى عصر الساسانيين كما كان الحال بالنسبة لعصر الأشكانيين.

الرصيد النقدى للخزانة:

لم يكن قدره معروفًا قبل كسرى برويز، ولكن وصل – طبقًا لما ذكره المؤرخون – فى أواخر عهده إلى ألف وستمائة مليون درخم عدا الأشياء النفيسة والأمتعة والأقمشة القيمة. وكانت النفقات الرئيسية للدولة عبارة عن:

١- نفقات البلاط.

٢- مرتبات المستخدمين بالإدارات والجيش.

٣- نفقات الحروب.

وبالإضافة إلى ذلك، يجب أن يؤخذ فى الاعتبار أن بعض الملوك الساسانيين كانوا يقومون بالأعمال التى يطلق عليها اليوم الخدمات العامة من قبيل إقامة السدود (للرى) والجسور، وشق الطرق، وبناء القلاع والمدن على الحدود وفى الأماكن اللازمة، ويلاحظ أن قسما من هذه الأعمال كان يتم بكد الشعب وعنائه. وذكر كتاب الأرمن أن الرصيد النقدى للخزانة كان يصهر فى بداية حكم كل ملك وتضرب نقود باسم الملك الجديد.

الحرف والتجارة:

ازدهرت التجارة فى عهد الساسانيين، فقد كانت إيران هـــى طريـــق النقـــل الوحيد بين اليونان وبلاد الروم وآسيا الصغرى وما بين النهرين والشام ومصر من ناحية وبين الصين والهند وآسيا الوسطى من ناحية أخرى، وكان لابد لكل القوافـــل التى تحمل بضائع الطرفين أن تمر بإيران أو بالبلاد التابعة لها.

وكانت إيران نفسها تتاجر فى بضائع كثيرة تحملها إلى أوروبـــا والـــصين والهند، ومن صادرات إيران القيمة فى ذلك الوقت المنسوجات التى كانت لها شهرة عظيمة آنذاك، وكانوا ينسجون منها أنواعًا وأقسامًا مختلفة. وقد شكلت المنسوجات المزركشة بالذهب والأقمشة والملابس الحريرية وريـــش الطيـــور والمـــصوغات والجلود وغير ذلك جزءًا رئيسيًا من صادرات إيران.

ولما كانت بابل جزءًا من إيران، فقد كان لسجاد هذه المدينة سوق كبيـــرة فـــى الصين، ويعتبر من البضائع المهمة للتصدير. وكذلك كان لمواد الزينة التـــى تـــصنعها إيران رواج فى بلاد الصين(١١٧). وكانت الصين تصدر لإيـــران الحريـــر والـــورق، وتصدر الهند الحرير والأدوية والأحجار الكريمة، وكان يصدر من إيران إلى الـــصين الياقوت الإيرانى ومرجان البحر الأحمر، وتمر القوافل التى تتجه من الصين إلى إيران والقوافل التى تتجه من إيران إلى الصين من جنوب صحراء جوبى(١١٨) والصغد. وقـــد عمل الصغديون على المحافظة على هذه القوافل وحمايتها.

وذكر المؤرخون أسماء ثلاث مدن على وجه الخصوص من المدن الحرفية الإيرانية. وهى: الرى ومرو وتوز (فى فارس)، وكان للساسانيين عـــادة ســـاعدت على تقدم الصناعات والحرف فى إيران رغم قسوتها، وهى أنهـــم كـــانوا ينقلـــون الأســـرى الأجـــانب أو سكـــان الأقـــاليم ويسكنونهم فى منـــاطق أخـــــرى كمـــا فعل سابور الأول الذى نقل الروم– الذين أســـروا مع فاليريان إمبراطور الـــروم–

إلى (جندى شاپور)، وجعلهم يقيمون هناك، وكلف المهندسين الروم ببناء السدود. وكذلك فعل شاپور الثانى بعد فتح آمد (دياربكر)، إذ نقل سكانها إلى شوش وغيرها من المدن، وكلفهم بعمل المصنوعات الذهبية ونسج الأقمشة الحريرية، فنهضت هذه الحرفة فى إيران.

علاقات إيران بالدول الأجنبية:

لقد ذكرنا ما يجب ذكره بالنسبة لعلاقات إيران مع دولة الروم أثناء سردنا للأحداث التى وقعت، ولكن يقتضى الأمر إضافة بسيطة وهى أن الطرفين لم يتبادلا السفراء الدائمين فى بلاطيهما، وكانا يرسلان رسولا للمباحثات كلما لزم الأمر، وجرت العادة على أن يخبر الملوك الساسانيون وأباطرة الروم الشرقية بجلوس كل منهم على العرش حتى لو كان تغيير الحكم قد حدث أثناء الحرب. وتشدد الروم كثيرًا فى هذا الصدد، فقد غضبوا على هرمز الرابع لأنه لم يخبر إمبراطور الروم بجلوسه على العرش. وكان الملك والإمبراطور يخاطبان بعضهما فى المراسلات بلقب الأخ(١١٩).

ورغم عدم وجود علاقات منتظمة مع الصين فى العصر الساسانى، فقد كان هناك تبادل كثير للسفراء منذ العصر الأشكانى. ولم تكن هناك علاقات بين الدولتين لمدة مائتى سنة، وذلك بعد آخر سفير قدم من الصين إلى البلاط الإيرانى. وعادت العلاقات من جديد منذ سنة ٣٨٦م واستمرت حتى سنة ٥٨٤، بمعنى أنه تم تبادل عشر سفارات بين الصين وإيران تقريبًا، وكانت آخر السفارات الصينية التى قدمت إلى البلاط الإيرانى فى عصر قباد وأنوشيروان. ويستفاد من المعلومات التى قدمها السفراء المذكورون إلى بلاط الفغفور أن الصينيين كانوا يطلقون على إيران اسم پوسز، وذكروا أن طيسفون (المداين) كان بها مائة ألف أسرة.

وقد استرعى انتباههم على وجه الخصوص بيض النعام، وكانت الهدايا التى أرسلها ملك إيران لفغفور الصين تحتوى على عدد من الفيلة وكمية من بيض النعام (كانوا يحصلون على هذه الحيوانات من صحراء إيران الكبرى) وقد ظن المؤرخون الصينيون أن هذه الهدايا جزية[١٢٠]. وتوضح المعلومات المستقاة من المصادر الصينية والخاصة بالبضائع الإيرانية أن صادرات إيران كانت كثيرة جدًا[١٢١]. ولا توجد معلومات وفيرة حول العلاقات بين إيران والهند، ولكن من المسلم به أن سفيرًا قدم إلى إيران من قبل راى الهند فى عهد أنوشيروان وأحضر معه شطرنجًا هدية. وقد ذكرنا من قبل علاقات بهرام گور مع الهند.

المبحث الثاني

الديانات فى العصر الساساني

الدين الزرتشتى:-

اتخذ الساسانيون من دين زرتشت دينا رسميا لإيران، ولم يكن لها دين رسمى حتى ذلك الوقت، وكانت الشعوب التابعة لإيران حرة فى اعتناق الدين الذى يقبله كل شعب منها.

زمن ظهور زرتشت:-

لم يتمكن المستشرقون والعلماء الذين قاموا بدراسات حول هذا الدين من تحديد الزمن الذى كان يعيش فيه زرتشت على وجه اليقين، أو المنطقة التى كان يقيم فيها داخل إيران، أو التاريخ الذى كتب فيه الأفستا (الأوستا) كتاب الزرتشتيين الدينى، ولغة أى قوم من الأقوام كانت لغة ذلك الكتاب. ولهذا نشأ خلاف كبير بين الباحثين حول الوقت الذى ظهر فيه زرتشت ولغة الأوستا وتاريخها، وما زال هذا الخلاف قائمًا. وقد جعل بعضهم عصر زرتشت قبل الميلاد بألف سنة وستمائة أو بألفين بل بستة آلاف سنة. وتقدم البعض بهذا التاريخ فاعتبروا زرتشت معاصرا لأحد الملوك الهخامنشيين وهو كوروش الكبير أو داريوش الأول. ونظرًا للاختلافات البينة بين وجهات نظر العلماء والباحثين حول هذه المسألة، فقد قامت بينهم مناقشات وبحوث طويلة انتهت بأن أعلن جاكسون[١٢٢]، وهو متخصص فى الدين الزرتشتى عن طريق دراساته الدقيقة والمتعمقة - رأيه الذى أيدته الأغلبية. فهو يرى أن زرتشت ولد فى النصف الثانى من القرن السابع وتُوفى فى النصف الأول من القرن السادس ق.م، ومن المعروف أن هذا الرأى لا يضع لهذه المسألة حلاً نهائيًا. وطبقًا للروايات الزرتشتية فإن زرتشت ولد فى القرن السابع قبل

الميلاد، وقام بالدعوة لدينه على شاطئ بحيرة أورميه، وتُوفى فى أوائــل النــصف الأول من القرن السادس قبل الميلاد. وتحدد بعض الكتب البهلوية المعروفــة[١٢٣] أيضًا عصر حياته بنفس هذا التاريخ مع اختلاف ضئيل. أما بالنسبة للغة الأوســتا وماهيتها، فإن دارمستتر[١٢٤] يعتقد أن "الأوستا كتبت بلغة الميديين، وإذا تم اكتشاف نقوش لملوك الميديين فسيحقق هذا الظن. ويرى "وست" (وهو متخصص فى اللغة البهلوية) أن الموجود بين أيدينا من الأوستا القديمة هو ربعهــا فقــط، وأن البــاقى مفقود. وتقسم الأوستا الحالية إلى خمسة أقسام[١٢٥] وطبقًا لما جاء فى كتــاب ديــن كرت[١٢٦]، فإن الأوستا التى كانت موجودة فى العصر الهخامنشى قــد احترقــت عندما أشعل الإسكندر المقدونى النيران فى قصر السلطنة بتخت جمشيد، وحــصل اليونانيون على نسخة أخرى لها من كنز شــابيكان الــذى لا يعــرف موضــعه، وترجموا أقسامها العلمية الخاصة بالطب والنجوم إلى اللغة اليونانية، وألقوها بعــد ذلك فى النار. أمر بلاش الأول الأشكانى بجمع الأوستا، وفى عهد أردشــير الأول الساسانى رتب الأوستا شخص يدعى تنسر[١٢٧] وكان كبيرًا للهرابذة (هيــر بــذان هيربذ) ثم جمع شابور الأول بعد ذلك كل ما حذف من الأوستا عــن علــم الطــب والنجوم والفلسفة والجغرافيا من اليونان والهند وسائر البلدان، وأضافه إلى الأوستا، وتم الاعتراف بهذه الأوستا رسميًا فى عهد شابور الكبير، واعتبرت قانونًا للدولة.

حياة زرتشت:-

تقول الأخبار والروايات الزرتــشتية إن زرتــشت[١٢٨] ولــد لأب يــدعى بأورشسب ولأم تدعى دوغذ. وقد حاول السحرة وكاشفو الغيب فى عصره إبطــال أعماله الخارقة للعادة ومعجزاته، ولكنهم فشلوا فى ذلك. واعتزل زرتشت النــاس فى سن العشرين، وأخذ يقضى أوقاته فى الرياضة الروحية. وعندما بلغ الثلاثــين

من عمره أمر بدعوة الناس إلى معرفة الله، وذلك على شاطئ نهر دائيتى يا (يعتقد بعض العلماء أن النهر المذكور هو نهر إرس الحالي).

وقد صعد به وَهُوَ مَنَهْ –القوة الخالدة المقدسة والفكر الطيب[١٢٩]– إلى حضرة آهور امزدا، وقام زرتشت بعد ذلك بالدعوة لمذهبه ونشره بين أهل توران وسگستان. لكنه لم يحرز تقدمًا فى هذا الصدد بسبب ثورة رجال الدين عليه آنذاك. عندئذ أمره آهورا مزدا بالذهاب إلى بلاط الملك گشتاسب ملك باختر (بلخ)، فنفذ ذلك. واعتنق هذا الملك دينه بعد سنتين من العناء والتعب وكان لحماية جاماسب وزير گشتاسب دخل وتأثير فى هذا النجاح. وتزوج جاماسب بعد ذلك بروچيستَ ابنة زرتشت.

وبعد أن قبل گشتاسب عقيدة زرتشت، انتشرت هذه العقيدة فى توران وإيران والهند وآسيا الصغرى. وقد حارب زرتشت فى أواخر حياته من أجل نشر مذهبه، وقتل أثناء حربه مع شعب الهيون[١٣٠] وهو فى حالة دفاع[١٣١].

ديانة زرتشت:-

أراد زرتشت –كما يقول فى الگاثات (گاثها)– أن يعيد عقيدة الناس فى ذلك العصر إلى صفائها وطهرها الأول. وخلاصة هذه الديانة كما يستفاد من الأوستا والكتب البهلوية (التى سيأتى ذكرها فيما بعد) هى: أن العالم ناشئ من أصلين النور والظلمة، وهذان الأصلان فى نزاع معًا، ويتناوب الاثنان الانتصار والهزيمة فيما بينهما. ولهذا قسم العالم إلى قسمين: جيش النور أو الخير وجيش الظلمة أو الشر. وعلى رأس قوى قسم الخير آهورا مزدا[١٣٢]، ويرأس جيش قوى الشر أهريمن (أنگرمينو)[١٣٣]، ويساعد آهورا مزدا ستة كائنات مجردة هى التى تعرف باسم (امش سينتان) أى القوى الخالدة المقدسة وهى تقف أمام عرش اهورا مزدا وتنفذ أوامره، ويدبر اهورا مزدا العالم بواسطتهم[١٣٤]، وتحمى كل قوة من هذه القوى

المقدسة مخلوقات (فمثلا يعتبر بهمن حاميًا للنار، واسفندارمذ حاميًا للأرض وإلها)، ويلى الـ (امش سبنتان) كائنات مجردة تسمى يَزَت[١٣٥] وعددها كثير، ويصل عدد أشهرها إلى ثلاثين وتختص بكل يوم من أيام الشهر واحدة منها، وتقسم اليزتات أو الآلهة (يزت ها) إلى طبقتين: طبقة سماوية وطبقة أرضية. ويأتى هرمز (اهورا مزدا) على رأس الطبقة السماوية، وأعظم اليزتات الأرضية هو زرتشت. ويحمى كل إله من هذه الآلهة شيئًا كذلك: فالشمس والقمر والنجوم والماء والنار والتراب والريح وكذلك الصفات المعنوية كالصدق والاستقامة والقدرة والنصر والراحة والسلم وغير ذلك تحت حماية أحد الآلهة وإشرافه. ويلى ذلك كائنات مجردة تعرف باسم فروشى (ملائكة)، كل منها له حكم ملك يحفظ الإنسان. وقبل أن يولد الإنسان تكون هذه الملائكة فى السماء، وبعد موته تصعد روحه إليها.

ويكون لأهريمن جيش كذلك فى مواجهة جيش هرمز، ويقال لمساعديه ديو (دِئِوَ) (الشياطين)، وعلى رأسهم أهريمن، وفى مقابل القوى المقدسة الخالدة (إمش سبنتان) يوجد ستة شياطين أو عفاريت ومهمة أهريمن والشياطين هى منع تقدم الخير، أما مخلوقات أهريمن فهى الشر والكذب والطغيان والتكبر، وإذا لم يتمكن أهريمن من منع الخير، فلا أقل من أن يسعى لتقليل نتائجه والحد منها. خلق هرمز الحياة وخلق أهريمن الموت ومملكته هى مملكة الظلمة، الظلمة التى لا حد لها ولا نهاية، وتمتلئ جهنم بالشياطين والكذب وب إيريكا (يعتقد أن هذه الكلمة تعنى الجن) والثعابين (آژى دهاك) ومردة آخرين من خلق أهريمن.

وكما أن القوى المقدسة الخالدة (امش سبنتان) والآلهة (يزت ها) يحمون مخلوقات الخير، فإن الشياطين والأرواح الشريرة تحمى كذلك مخلوقات الشر، فمثلا "دروغ" يحمى الأشياء الكاذبة، ويكون وهومنه "الفكر الطيب" فى مقابل اَكَ مَنَهْ "الفكر السيئ".

وتبين الأوستا والكتب البهلوية بخاصة خلق العالم على النحو التالى: خلق آهورا مزدا عالم الأرواح فى بداية الأمر وحكمه ثلاثة آلاف سنة دون منازع ثم ظهر أهريمن بعد ذلك من الظلمة، فدخل عالم النور بعنف، وانبهرت عيناه بنور هرمز، وطلب هرمز منه الصلح فلم يقبل. فقال له هرمز: إذًا فلنتحارب، وأعطى لأهريمن فرصة مدتها تسعة آلاف سنة، فقد كان يعلم أن الفوز سيكون للنور. ثم شغل هرمز فيما بعد بخلق العالم المادى، وخلقه فى ستة مراحل، وخلق الإنسان فى المرحلة الأخيرة. وقد استغرق خلق العالم المادى ثلاثة آلاف سنة. وفى هذه الأثناء كان أهريمن قد فقد قدرته تماما، ثم تخلص من الاسترخاء والضعف وشغل بخلق كائنات وأشياء شريرة فى مقابل المخلوقات الخيرة التى خلقها هرمز، ومنذ ذلك الحين بدأ النزاع بين هرمز وأهريمن، واستمر ثلاثة آلاف سنة حتى ظهر زرتشت وبولادته ضعف جيش أهريمن، وستزداد انتصارات هرمز دائمًا حتى يعود أهريمن إلى عالم الظلمة، وعندئذ يعم النور الذى يجلب السعادة إلى كل العالم.

ومن تعاليم مذهب زرتشت أن الروح ليست فانية، وأنها تحس بعد الموت بلذائذ أيام الحياة أو بآلامها لمدة ثلاثة أيام. ثم تحملها الرياح وتصل إلى صراط يعرف باسم چينوَت، وهناك تحاكم أمام ثلاثة قضاة[١٣٦]، يزنون أعمالها الطيبة والشريرة بالميزان، ويصدرون أحكامهم بناء على ذلك. ويجب عليها أن تعبر بعد ذلك الصراط المذكور الذى يمتد من جبال البرز وحتى نهر دائيتيا، فإذا كانت أعمالها صالحة صار الصراط عريضا أمامها، وإذا كانت عكس ذلك ضاق، وسقطت فى النهاية فى وادى الظلمة. والروح الطيبة لا بد وأن تمر بثلاث مراحل حتى تدخل أفضل عالم، هذه المراحل الثلاث هى: مرحلة الفكر الطيب، ومرحلة القول الطيب، ومرحلة العمل الطيب. ويعرف ذلك العالم باسم الجنة "بهشت"[١٣٧].

أما الروح الشريرة فإنها تدخل مقر الآلام والمحن، ويوجد بين الجنة والجحيم حد وسط يسمونه "هَمَشْتگان"، أى مقر الأوزان المتساوية، وهذا المكان هو مقر الأرواح التى تتساوى أعمالها الصالحة والسيئة. ويجب أن تنتظر هناك حتى

يوم القيامة. وسوف يعلن اقتراب يوم القيامة شخص يدعى سا أُشيان، وهو مخلص العالم، وسوف يحيى الأرواح ويقوم بمحاكمتها المحاكمة الأخيرة، ثم يصب على الأرض سيلا من المعادن المذابة. وحينئذ تشتعل الحرب بين هرمز وأهريمن ويكون الفوز الأكيد من نصيب هرمز. ولكى يوفق الإنسان بعد الموت، ولكى يساعد كل إنسان هرمز بقدر استطاعته، عليه أن يتبع الأصول الثلاثة: الفكر الطيب والقول الطيب والعمل الطيب(١٣٨).

ديانة مانى:-

لم تكن فى متناول أيدينا حتى وقت قريب مصادر مباشرة حول ديانة مانى أو كتب باقية من عصره أو من عصر أتباعه المقربين منه، وكل ما قيل فى هذا الصدد إنما هو من أقوال المؤرخين المسيحيين وغيرهم. ومضى الحال على هذا المنوال إلى أن ظهرت منذ فترة كتب خطية تركية وبهلوية حول مذهب مانى وعقيدته، وذلك بالقرب من تورفان فى آسيا الوسطى، وتم الحصول على عدة كتابات عن هذا الموضوع. ويستفاد من مقارنة مضمون هذه الكتابات مع ما كتبه الصينيون والمؤرخون المسلمون والمسيحيون أن مانى ولد - كما يقول هو نفسه - فى قرية تعرف باسم (مَردى نو) بالقرب من بابل، وكان والده يدعى فوتَّق بابَك(١٣٩) كما ذكر صاحب الفهرست(١٤٠). ويقول مانى إنه أوحى إليه فى سنة ٢١٥م مرتين لكى ينشر الدين الحقيقى بين الناس، ومن ثم أعلن عقيدته فى سن الخامسة والأربعين وخلال عهد شابور الأول.

والعالم فى الديانة المانوية قائم على أصلين هما الخير والشر أو النور والظلمة، والله هو الصاحب الأول والشيطان هو الملك الثانى ومملكتهما بلا نهاية(١٤١).

ويرى مانى أن الشر كان موجودًا على الدوام، وسيظل موجودًا إلى الأبد أما بالنسبة للإنسان وسائر المخلوقات فقد كان يرى أن الخير والشر ممتزجان معًا فيه،

لأن الإنسان له روح الخير والشر، ويوجد فى مقابل عقل الخير ووجدانه وشعوره عقل الشر ووجدانه وشعوره. وقد خلقت الروح الخيرة الرحمة والأصل الطيب والصبر والحكمة، وخلقت الروح الشريرة الحقد والغضب والشهوة والحماقة. وفى عقيدة مانى أن التناقض يكون فقط بين النور والظلمة فلن ينتهى أحدهما ولن يتصل بالثانى، وكانا موجودين دائمًا وسيبقيان.

والشيء الوحيد الذى أعطاه مانى أهمية هو العرفان(١٤٢)، وقد رفض التوراة تماما وقبل الإنجيل فقط. وكان يقول إنه هو آخر حواريى عيسى وأنه يبين الحقائق، وأن العالم سيسقط فى الجحيم وتحترق عناصره فى نهاية الأمر، ويعود الخير والشر مرة أخرى إلى سيرتهما الأولى، أى أنهما سيبقيان منفصلين عن بعضهما إلى الأبد، إذ يفصلهما سد لا يمكن عبوره. وقد ألف مانى كتبا لنشر دينه، ومنها كتاب ألفه لسابور باللغة البهلوية(١٤٣) والكتب الأخرى باللغة السريانية. كما اخترع خطًا مقتبسًا من الخط الآرامى(١٤٤). وكانت مؤلفاته مزينة برسوم اشتهرت فى كل أنحاء العالم واعتبره الإيرانيون منذ أقدم العصور وحتى الآن نقاشًا عظيمًا. وسموا كتاب نقوشه باسم ارژَنگ أو أرتَنْگ (١٤٥). وكان الهدف من النقوش هو بيان الخير (النور) والشر (الظلمة) بأنواع الصور وأقسامها حتى يدرك المتعلمون عقيدته بطريقة أفضل، ويتمكن غير المتعلمين من فهمها.

ويتضح مما ذكرناه باختصار أن ديانة مانى ديانة مركبة، أى أنه اقتبس معتقداته من ديانات أخرى وألف بينها.

انتشرت هذه الديانة أول الأمر فى بابل التى كانت مركزا للعقائد والديانات المختلفة، ثم انتقلت بعد ذلك إلى سورية وفلسطين وبلاد النبط (الشمال الغربى لبلاد العرب)، ثم انتشرت فى مصر فيما بعد، ومنها انتقلت إلى طرابلس وقرطاجنة. وفى نفس الوقت راجت هذه الديانة فى بلاد الغال(١٤٦) (فرنسا الحالية) وإيطاليا، كما أن عددًا كبيرًا فى بلاد الروم قد اعتنقها حتى القرن السادس الميلادى. وقد بقى

لهذه الديانة أتباع فى آسيا حتى عصر الخلفاء العباسيين. وأظهر رجال الدين المسيحى عداءً شديدًا لديانة مانى، وتعرض المؤرخون المسلمون لهذه الديانة وأطلقوا على كل من يعتنقها اسم الزنديق[١٤٧].

وقد أظهرت حفريات تورفان أخيرًا أن هذه الديانة انتشرت حتى تركستان الشرقية والصين شرقًا، واعتنقها فى ذلك الوقت عدد من الترك.

ورغم أن ديانة مانى المركبة لم تكن ديانة صالحة للبقاء والدوام، فإنها سميت فى الخارج باسم الديانة الإيرانية نظرًا لأن مؤسسها كان إيرانيًا، وانتشر عن طريقها اسم إيران والإيرانى القديم فى أطراف العالم وأكنافه.

دين مزدك:-

كان مزدك بن بامداد من أهل نيسابور، وقد ظهر فى عهد قباد. وكما يبين المؤرخون المسلمون كالشهرستانى وابن النديم[١٤٨] الوراق، فإن ديانته كانت قريبة جدًا من عقيدة مانى، ذلك أن مزدك كان يعتقد أن النور منفصل تمامًا عن الظلمة، والأول يعمل بحرية وحكمة، والثانى يعمل خبط عشواء وبجهل. واختلاط الاثنين ببعضهما كان مصادفة، وانفصالهما أيضًا مصادفة، وحرّم كذلك ذبح البهائم وإراقة الدماء كالمانويين.

وفى رأيه أن العالم مركب من ثلاثة عناصر: الماء والنار والتراب، والخير والشر من تركيبها، فالخير من قسم طيب والشر من قسم سيئ.

وفى عقيدة مانى أن عالم الأرواح شكل كالعالم الأرضي؛ فإله السموات قد جلس على عرش كالملك، ووقفت أمامه أربع قوى هى: الشعور، والعقل، والحفظ، والبهجة. هذه القوى الأربع تدير شئون العالم بمساعدة ستة وزراء[١٤٩]. والوزراء فى حركة بين اثنى عشر روحانيا[١٥٠]. والإنسان الذى يجمع فى نفسه أربع قوى

وستة وزراء وصلاحيات اثنى عشر روحانيًا يصل إلى درجة لا يتحمل فيها مسؤلية بعد ذلك. ولإزالة العداوة والحقد – وكلاهما من الظلمة- لابد من إدراك أصلهما. وأصلهما يتركز فى المرأة والمال ولكى تزيل تلك المساوئ المذكورة لا بد أن يكون هذان الأصلان مشتركان. ولمزدك كتاب مفقود، ويذكر المؤرخون المسلمون أنه كان موجودًا وأن ابن المقفع ترجمه إلى العربية. وقد قضى أنوشيروان على أتباع مزدك كما ذكرنا ولكن المزدكيين ظلوا فى إيران بأسماء مختلفة (مثل خرم دينان وغير ذلك) حتى عام ٣٠٠هـ تقريبا، ودخلوا فى حروب مع الخلفاء العباسيين إلى أن هزموا وقضى عليهم نهائيًا.

القسم الثانى – عبادة الشمس ـ ميثر (مهر):

هو أحد الآلهة القديمة جدًا للشعوب الآرية، وقد وضعته الأوستا بين هرمز وأهريمن، واعتبرته واحدًا من أعظم آلهة النور. وكان أتباع زرتشت يعتقدون أن مهر مكلف من قبل الإله بدفع الشر والسوء ويعتبرونه رب الشمس وما تنتجه الأرض وحاميًا للعهد. وصار مهر حاميًا للأسرة الحاكمة فى عهد أردشير الثانى الهخامنشى. وراجت عبادته فى آسيا الصغرى بعد الإسكندر. ثم انتقلت هذه العقيدة إلى اليونان وانتشرت فى بلاد الروم أيام بومبى، ووصل الأمر إلى أن أعلن دِيُوكلشيان وسائر أباطرة الروم أن مهر هو حامى دولة الروم، ذلك لأن أتباع هذا المذهب كانوا يعتبرون حكم الأباطرة تفويضًا من الله. وانتشر المذهب المذكور بعد فترة فى ألمانيا وفرنسا وإنجلترا القديمة (عثروا على آثار خاصة بهذا المذهب فى باريس).

وفى القرن الثالث الميلادى دخلت المسيحية فى حرب معه، وانتصرت فى نهاية الأمر فى أواخر القرن الرابع الميلادى، ومع كل هذا فإن آثارا من عبادة مهر مازالت باقية عند المسيحيين حتى الآن، ومن ذلك عيد ميلاد المسيح (نويل) الذى كان عيدا لميلاد مهر قبل المسيحية.

أما بالنسبة لمهر، فيرى عابدوه أنه ظهر من قطعة حجر، ودخل فى حرب مع الشرور من أجل خير البشرية وسينتصر فى النهاية. ومن أعماله المشهورة كما يحكون: أنه اصطدم ذات يوم بثور هرمز المقدس فقتله، فانتشر دم ذلك الحيوان على الأرض وصار سببًا للحياة وباعثًا لها. ولهذا رسم الفنانون القدماء المشهورون مهر وقد أخضع ثورا، وتدلت من على صدره حربة، ويرتوى ثعبان (أى الحياة) من دم الثور الذى يغلى ويسمن[١٥١].

المسيحية والبوذية:

انتشر فى إيران فى العصر الساسانى دينان آخران أجنبيان غير الأديان التى كانت قد ظهرت داخل إيران، فانتشرت المسيحية فى الغرب والبوذية فى الشمال والشرق.

الدين المسيحى:

لم يكن الملوك الساسانيون يهتمون بادئ الأمر بالدين المسيحى الذى انتشر على حدود إيران من ناحية إدس (الرها)، ولم يكونوا يحسون خطرًا من وجود المسيحيين على أرض إيران، ولكن عندما طلب شابور الكبير من دولة الروم استرداد الولايات التى كانت إيران قد سلمتها للروم فى عهد نرسى، وبدأت الحرب، تغيرت سياسة إيران بالنسبة للمسيحيين. وبما أن دولة إيران كانت تعتبرهم أصدقاء للروم فى الخفاء، فإنها أجبرتهم على دفع جزية كبيرة للعروس (ضعف ما كان يدفعه الإيرانيون)، وتمسكت بذلك على ما يبدو لكى يعفى المسيحيون من دخول الجندية، وطلبت الدولة منهم الارتداد عن دينهم، فقاوم المسيحيون وزادت الدولة من شدتها وخشونتها وأصدرت أوامرها بهدم الكنائس. وقد أحسن يزدگرد معاملة المسيحيين، ولذلك عرف لدى رجال الدين الزرتشتى

بالأثيم، وفى عصره أقيمت كنائس المسيحيين فى أكثر مدن إيران، واعتنقت أسر كبيرة الدين المسيحى. ولكن زاد بعد ذلك التجرؤ على رجال الدين المسيحى، وعادت المشاكل السابقة تواجه المسيحيين. واستمرت هذه المشاكل فى عصر بهرام گور ويزدگرد الثانى. وفى عهد أنوشيروان – وبعد أن بدأ حربه مع الروم- أساء الإيرانيون معاملة المسيحيين فى الشام، وأبعدوا (مارابا) الراهب الكبير، ولكن عندما عقد أنوشيروان معاهدة صلح مع الروم لمدة خمسين سنة، كانت إحدى مواد المعاهدة تنص على حرية العقيدة بالنسبة للمسيحيين بشرط ألا يقوموا بالدعوة إلى دينهم. ولم يكن كسرى برويز الذى انتصر على الروم فى بداية الأمر يسيئ معاملة المسيحيين، ولكنه اتخذ سياسة متشددة بالنسبة لهم بعد الانتصارات التى أحرزها هرقل، إلى درجة أن المسيحيين اعتبروا وفاته نجاة لهم. وقد منح المسيحيون حرية كاملة فى عهد شيرويه. وكانت مراتب رجال الدين المسيحى فى إيران ونظامهم يماثل ما هو موجود فى بلاد الروم.

البوذية:

يستفاد من الدراسات التى تمت فى أفغانستان أخيرًا أن الآثار البوذية هناك كثيرة، وأن نوبهار بلخ –الذى اعتبره بعض المؤرخين العرب بيت نار فارسي- كان معبدًا بوذيًا لأن كلمة نوبهار الفارسية مأخوذة من نووهار بمعنى المعبد الجديد، وكذلك أخذت أسرة البرامكة –التى كان لها مقام رفيع على عهد خلافة هارون الرشيد- اسمها من اللقب بَرمَكه، وكان البوذيون يلقبون رئيس الدير البوذى بهذا اللقب.

وتؤيد الكتابات الصينية أن مثل هذه المعابد كان موجودا فى الطريق الذى كان يقطعه الزوار الصينيون من بلاد الصين الغربية إلى الهند، وفى أيدينا كتابات لأحد السائحين الصينيين الذين ذهبوا إلى بلخ فى أواخر العصر الساسانى ورأى

النوبهار[١٥٣]. وفى النهاية أطلق قدماء مؤرخى العرب اسم بيت الأصنام على النوبهار.

معتقدات الآريين الإيرانيين من وجهة نظر التاريخ:

توصل الباحثون بعد تعمق فى دراسة المعتقدات الدينية للآريين الإيرانيين إلى أن الشعوب المذكورة كانت تعبد آلهة فى العصور السحيقة قبل التاريخ، وإذا كانت عبادة هرمز قد دخلت هى أيضًا فى معتقداتهم، فإن مذهبهم -على أية حال- لم يصل إلى درجة الاعتقاد فى الإله الواحد، ولكن يشاهد فى القرون اللاحقة وخاصة فى العصور التاريخية أن مذهب زرتشت قد انتهى إلى التوحيد، ذلك لأن جميع الامش سبنتات واليزتات من خلق هرمز، وسينهزم أهريمن فى النهاية وتزول الظلمة.

ومن ثم نتساءل: هل هذا الاتجاه فى طريق التكامل والرقى بالنسبة للمعتقدات الدينية للآريين الإيرانيين كان نابعًا منهم أو كان بتأثير معتقدات أجنبية عليهم. وهنا يجب أن يؤخذ فى الاعتبار – بالنسبة للمذاهب الأجنبية- أن كل شعوب آسيا الغربية وأفريقيا الشمالية باستثناء شعوب بنى إسرائيل كانوا جميعًا مشركين وعبدة أصنام فى العصور الموغلة فى القدم، ويستفاد من التاريخ أن السومريين والأكاديين والكلدانيين والآشوريين والفينيقيين والمصريين كانوا يؤمنون بآلهة متعددة ويعبدون تماثيلها؛ لذا فمن غير الممكن أن يكون لهذه العقائد تأثير فى رقى عقيدة الآريين وتطورها. وليس من الممكن كذلك أن يكون اليونان والرومان أصحاب تأثير؛ ذلك أنهم كانوا مشركين أيضًا، بصرف النظر عن وجود بعض الحكماء والعلماء عندهم. وحتى عندما قدم الإسكندر إلى إيران، فقد كان اليونانيون والمقدونيون ينظرون إلى معتقدات الإيرانيين القدماء على أنها أفضل من معتقداتهم ويحترمونها.

ومن ثم، فإن الديانة الوحيدة التى يمكن أن يكون لها تأثير فى رقى عقيدة الآريين الإيرانيين هى ديانة بنى إسرائيل التى قامت على التوحيد الصرف. ولذا يجب البحث حول رقى معتقدات الآريين، وهل تأثرت بديانة بنى إسرائيل أو تأثرت بنواح أخرى. وخلاصة ما يستفاد من دراسات الباحثين هو أنه لم يكن هناك تأثير لدين موسى، وأن رقى المعتقدات المذكورة كان نابعًا من الآريين أنفسهم. فقد وصل الآريون الهنود إلى التوحيد بمفردهم رغم أنه لم تكن لهم أى صلة ببنى إسرائيل. كما أنه لا ترى فى عقيدة الآريين الإيرانيين رسوم من الديانة الإسرائيلية.

المبحث الثالث

الأخلاق – العقوبات

الأخلاق:

إن الطبيعة الإنسانية فى نظر الآريين الإيرانيين عبارة عن ميدان حرب، يتنازع فيه الخير والشر أو النور والظلمة، وتظهر نوعية الإنسان من خوضه لتلك المعارك فى هذا الميدان. وفى عقيدتهم أن الإنسان الصالح هو الذى يتمكن من مساعدة المخلوق الخير أكثر وبطريقة أفضل، وأن يعادى المخلوق الشرير. والأعمال التى تساعد الخير هى: بناء المنازل، وإصلاح الأرض، وبذر البذور بكثرة، وحفر القنوات، وغرس الأشجار المثمرة، ورعاية الحيوانات المستأنسة كبيرها وصغيرها وتربيتها، لأن هرمز يحب هذه الأعمال. ولكن هل تكفى هذه الأعمال لنجاة فاعلها وخلاصه؟ لا، إنما يجب على عابد الإله مزده أن يحب أقرباءه، وأن يكون صديقًا لهرمز وعدوًا لأهريمن من كل قلبه حتى تكتب له النجاة. ولكن كيف تتم معرفة هذه الصفات التى يتصف بها عابد مزده؟ يكون ذلك عن طريق الفكر الطيب والقول الطيب والعمل الطيب، ومن تشجيعه للفكر الطيب والقول الطيب والعمل الطيب(١٥٤).

ويكون شكر هرمز والتضرع إليه وتقديم القرابين له مقبولاً عندما تتوفر هذه الصفات الثلاث فى عابد مزده، وإلا فلن يستجاب له. ومن خصائص أخلاق الإيرانيين القدماء التى أثارت دهشة الشعوب فى القرون اللاحقة أن قيمة الأعمال ليست بالنية، فى حين أنه من المسلم به لدينا أن الأعمال بالنيات، لكن هذا الاعتقاد كان نتيجة منطقية لمعتقداتهم الدينية، فعندهم أن العمل السيئ عندما يقع سواء كان متعمدًا أم سهوًا فإنه يزيد من قوة أهريمن ويقلل من قيمة فاعله. ومن ثم؛ فإن

مرتكب العمل السيئ يكون على أية حال مكلفًا بالكفارة لمحو تأثير فعلـــه، أى أنـــه لابد وأن يعمل عملا صالحًا فى مقابل العمل السيئ حتى يقدم بالتالى عونًا لهرمز.

شيء آخر سبب دهشة المسلمين وحيرتهم عندما قدموا إلى إيران وهو منـــع الصوم، وقد ذكر أبو الريحان البيرونى أن كفارة الصوم للفارسى الزرتـــشى هـــى إطعام عدة أفراد، وهذا من معتقداتهم الدينية كذلك، فهم يؤمنون بأن الصوم يضعف الإنسان، فلا يتمكن من مساعدة هرمز ومخلوقاته بالقدر الكافى.

ويتضح لنا مما سبق ذكره باختصار أن أخلاق الآريين الإيـــرانيين كانـــت نتيجة منطقية لمعتقداتهم، وهى مؤسسة على منفعة الإنسان. ومع هذا كله فيـــستفاد من التاريخ ومن دراسات الباحثين أن هذه الأخلاق التى بنيت على أصول: الفكـــر الطيب، والقول الطيب، والفعل الطيب، كانت جديدة فى العالم القديم. وعندما قـــدم الآريون الإيرانيون إلى آسيا الغربية وأقاموا دولا عظيمة، تسببوا فـــى نـــوع مـــن الثورة الأخلاقية، لأن أخلاقهم كانت أفضل مـــن أخـــلاق الأمـــم الـــسابقة علـــيهم كالسومريين والكلدانيين والآشوريين والفينيقيين الذين كانوا يحكمـــون فـــى آســـيا الغربية. ومن هنا اعتبر الباحثون استيلاء الآريين الإيرانيين على آسيا الغربية حدثًا مهما، واعتبروا إيران القديمة عاملا من عوامل تطور الحـــضارة البـــشرية فـــى التاريخ، مما كان له أهمية حقيقية.

العقوبات:

اعتقد الإيرانيون القدماء – طبقا لمعتقداتهم الدينية – أن للإنسان إرادة حـــرة وأنه مخير فى فعله، أى أنه مخير فى أن يكون صديقًا لهرمز وتكتب له النجاة، أو يكون صديقًا لأهريمن ويكون العذاب والعقاب فى هذه الحالة من نصيبة. ووضـــع الإيرانيون القدماء عقوبات دنيوية على هذه الأسس:

١- التوبة.

٢- التزكية.

٣- الجزاءات.

والتوبة عبارة عن الندم الداخلى للمذنب، وهى لا تحول دون تنفيذ العقوبات العرفية أو الدنيوية، وترجع أهميتها فقط إلى أنها تطهر روح المذنب طبقًا لما تقضى به المعتقدات الدينية، وتمنع عنه العقاب فى الآخرة. فالشخص الذى يتوب لم يكن من واجبه ارتكاب الأعمال السيئة فحسب، بل كان يجب عليه أيضًا عمل أعمال صالحة إزاء الأعمال السيئة التى ارتكبها.

والتزكية هى إبعاد الأرواح الشريرة عنه بواسطة الطقوس الدينية. أما بالنسبة للجزاءات، فيجب القول بادئ ذى بدء أنهم اعتبروا بعض الجرائم والآثام غير قابلة للعفو، بمعنى أنها تستوجب القتل فى هذه الدنيا، وتكون سببًا فى العذاب الأخروى مثل أكل الجيف وقطع الطريق وبعض الجرائم الأخرى.

وكانت الجزاءات عبارة عن الإعدام فى أحيان قليلة، والعقوبات البدنية والغرامات النقدية فى أحيان أخرى (وسنتجاوز عن شرح الجزاءات لضيق المجال هنا).

المبحث الرابع

اللغة – الكتب البهلوية – الآداب – الخط – التاريخ

اللغة – الكتب البهلوية:

لغة هذا العصر هى اللغة البهلوية، وقد مر ذكرها فيما سبق، ويتضح من الشواهد أن هذه اللغة كانت مستعملة منذ أواخر العصر الهخامنشي. وعلى أية حال، فقد كانت لغة الحديث فى عصر الأشكانيين والساسانيين، وظلت كذلك لفترة فى إيران وخاصة طبرستان بعد نهاية الساسانيين.

وأول كتابة وصلت إلينا على ورق باللغة البهلوية هى التى عثر عليها فى الفيوم بمصر، وهى مكتوبة على ورق البردى. ويعتقد وست المتخصص فى هذه اللغة أن هذه الكتابة ترجع إلى القرن الثانى الهجرى أو الثامن الميلادى. وقد ألفت كتب العصر الساسانى بهذه اللغة، غير أن الكتب التى وصلتنا من العصر الساسانى قليلة جدًا. وينسب وست الكتب البهلوية التى بين أيدينا الآن إلى قرون ما بعد العصر الساسانى باستثناء الأ ڤستا، ويقسم هذا العالم تلك الكتب إلى ثلاثة أقسام:

(أ) تراجم الأڤستا وتفاسيرها.

(ب) الكتب التى تتحدث عن مسائل وأمور دينية، وتشمل اثنين وثمانين كتابًا أو رسالة[١٥٥].

(جـ) كتب غير دينية[١٥٦].

وهناك كتب أخرى كانت موجودة فى القرون الإسلامية الأولى وترجمت إلى العربية، ولكن لا يوجد الآن بين أيدينا شيء من أصولها أو من ترجماتها.

واللغة البهلوية كانت شائعة حتى القرن الثانى والثالث الهجريين (الثامن والتاسع الميلاديين)، واستخدمت فيما كتبه الزرتشتيون حتى القرن الحادى عشر الميلادى (الخامس الهجري) طبقًا لما وجد من آثار[١٥٧]. ولا يمكن الإفاضة فى القول بالنسبة للعلوم فى هذا العصر؛ ذلك أنه لا توجد مصادر بين أيدينا. وما نعلمه هو أن أنوشيروان قد استفاد من لجوء سبعة علماء وحكماء من الإسكندرية إلى إيران، وأقام مدرسة للطب فى جندى سابور وتخرج من هناك أطباء، وكذلك كلفهم بترجمة الفلسفة الأفلاطونية الجديدة[١٥٨]. وأحضر برزويه الطبيب كتاب كليلة ودمنة (بيدباى) الهندى بأمر أنوشيروان، وترجم إلى اللغة البهلوية، ثم ترجمه ابن المقفع إلى اللغة العربية فى القرن الثانى الهجرى، غير أن ترجمته إلى البهلوية ضاعت. وقد ترجم هذا الكتاب فى القرون اللاحقة من اللغة العربية إلى لغات أخرى؛ وعثر أخيرًا على ترجمة سريانية له فى أحد أديرة النصارى بالقرب من حلب. ويستفاد من هذه الترجمة أنها نقلت عن اللغة البهلوية مباشرة؛ أى أنها تمت فى عهد أنوشيروان، وهى غير الترجمة التى نقلت من العربية إلى السريانية فيما بعد. وكذلك ألف فى عصر يزدگرد الثالث كتاب عن ملوك إيران وأحداث حكمهم، وهذا الكتاب كان يعرف باسم خوتاى نامك (خداى نامه)، ويشير صاحب كتاب الفهرست إليه، وقد نقله ابن المقفع إلى العربية، ثم ترجم بعد ذلك فى سنة ٣٤٦ هجرية (٩٥٧ ميلادية) إلى اللغة الفارسية بواسطة أربعة من الزرتشتيين من هراة وسيستان وغيرهما، وذلك لحاكم طوس أبى منصور بن عبد الرزاق.

ولم يصل إلى أيدينا أى من هذه الكتب، ويعتقد أكثر الباحثين أن الدقيقى والفردوسى استفادا منها. وتدل كتابات كتاب المسلمين فى القرون الأولى للإسلام على أن الإيرانيين اعتنوا منذ منتصف العصر الساسانى بالفنون والآداب، وكانت هذه النهضة الأدبية على أشدها فى عصر أنوشيروان، فقد ذكر صاحب كتاب الفهرست أسماء كتب كثيرة ترجمت من البهلوية إلى العربية، وكانت أصولها

وترجماتها موجودة فى القرن الرابع ويصل عدد هذه الكتب إلى نحو السبعين كتابًا، ويمكن تقسيمها إلى خمسة أقسام حسب موضوعاتها:

١- الطب والبيطرة.

٢- الموضوعات الدينية.

٣- الفنون الحربية.

٤- السياسة والحكم.

٥- القصص والحكايات الاجتماعية.

الآداب:

أما بالنسبة للآداب المنثورة، فبالإضافة للكتب التى بقيت من العصر الساسانى – طبقًا لرأى بعض العلماء – ووصلت إلينا (مثل كارنامه أردشير بابكان، ويادگار زريران، وغير ذلك)، تدل القرائن الأخرى على أن كتابة القصص الخاصة بالحرب والمجالس كانت شائعة فى ذلك العصر، وذلك لما يلى:

أولا- كانت هناك حكايات فى عصر الساسانيين دخل قسم منها فى التاريخ القصصى لإيران مثل حكاية بهرام چوبين وغيرها.

ثانيًا- بالنسبة لبعض الحكايات الخاصة بالحرب والمجالس التى كتبت فى القرون الإسلامية الأولى، فأغلب الظن انها كتبت فى الأصل باللغة البهلوية مثل قصة ويس ورامين، ووامق وعذراء، وخسرو وشيرين وفرهاد، وزال ورودابه، وبيژن ومنيژه، وغيرها. كما أن قسما من الكتب التى ذكرها صاحب كتاب الفهرست (ابن النديم الوراق) يدور حول الآداب[١٦٠].

الخط فى العصر الساسانى:

الخط الذى استعمل فى تلك الحقبة هو المعروف بالخط البهلــوى، وكانــت كتابته وقراءته أمرًا غاية فى الصعوبة. ويمكن القول إن إيران الساسانية قد تخلفت بسبب هذا الخط، ذلك أنه كان يكفى لقراءة الخط المسمارى الفارسى وكتابته معرفة إحدى وأربعين علامة أو أصل، بينما كان يلزم لقراءة الخط البهلوى معرفة أكثــر من ألف علامة، ولا يمكن أيضًا الاطمئنان إلى أن الحروف تقرأ طبقًا للأصــوات التى كانت لها أيام الساسانيين، وتأتى هذه الصعوبة من شيئين:

الأول- أنه لما كان الخط البهلوى مقتبسًا من الخط الآرامــى، فــلا توجــد علامة خاصة لأصوات اللغة البارسية (بهلوية ذلك الوقت)، وأحيانًا تــدل العلامــة على عدة أصوات.

الثاني- أنه شاع فى عصر الساسانيين استعمال كلمات آرامية فــى الكتابــة ولكنهم عند القراءة كانوا يستخدون كلمات بهلوية بدلا منها، فمثلا كــانوا يكتبــون كلمة (ملكا) باللغة الآرامية، وهى بمعنى ملك ولكنهم يقرأونهــا (شــاه). وأيــضًا يكتبون (من) ويقرأونها (أز). هذا النــوع مــن الكتابــة يــسمى(هــوزوارش) أو (زوارش)[١٦١] كما ذكر ابن المقفع. ويصل عدد هذا النوع من الكلمات الآراميــة التى استعملت فى اللغة البهلوية إلى أكثر من ألف كلمة. مما جعل قــراءة الكتابــة البهلوية صعبة إلى أبعد الحدود. غير أن الكتب التى تم العثور عليهــا فــى آســيا الوسطى باللغة البهلوية كانت خالية من الهوزوارش لحسن الحظ. وهو عون كبيــر للتاريخ ولعلم اللغة. وكان الزوارش شائعًا أيضًا فى بلاد أخرى فى آسيا الغربيــة. فمثلاً كان البابليون والآشوريون يستعملون فى العصور القديمة كلمــات ســومرية وكانوا يقرأونها بالبابلية[١٦٢]. ويستفاد مما ذكر بإيجــاز أن الخــط فــى العــصر الساسانى كان هو نفسه الخط البهلوى، غير أن الكلمات البهلوية كانت تكتب أحيانًا بهذا الخط فقط كالكتب التى عثر عليها فى آسيا الوسطى، وأحيانــًا كانــت تكتــب

الكلمات البهلوية والآرامية معًا وهى التى تسمى بالزوارش. وعلى أية حال، فالواضح أن لغة النقوش والكتابات كانت هى اللغة البهلوية؛ ذلك لأنها عند القراءة كانت تقرأ بالبهلوية دائمًا. وليس الزوارش بعيد الشبه بطريقة كتابتنا، فإننا نكتب المائة أو الألف ونقرأها (صد) أو (هزار). ويبدو أن علامات الخط البهلوى كانت خمسًا وعشرون علامة، ولكنها كانت فى الواقع تزيد على الألف علامة كما ذكرنا.

التاريخ:

كان حساب الأيام والشهور والسنين فى هذه الفترة أفستائيًا، أى أن السنة الشمسية تقسم إلى اثنى عشر شهرًا، وكانت أسماء الشهور هى نفسها التى نستعملها اليوم. والشهر ثلاثون يومًا، ويسمى كل يوم من أيامه باسم أحد اليزتات. ويضيفون فى نهاية السنة خمسة أيام بعد الشهر الثانى عشر، ويسمونها اندرگاه. ولما كانت السنة الطبيعية أكثر من السنة الأفستائية بست ساعات تقريبًا، فقد جعلوا كل مائة وعشرين سنة سنة أفستائية كبيسة، ويحسبون ثلاثة عشر شهرًا بدلاً من اثنى عشر شهرًا، مثلاً اثنان فروردين واثنان أردى بهشت، وقس على هذا. وبهذا تتطابق السنة الأفستائية مع السنة الطبيعية. (يعتبر تفصيل هذا الموضوع خارجًا عن نطاق هذا الكتاب).

المبحث الخامس

الفنــون

العمارة والنحت:

بقيت آثار لهاتين الصناعتين من العصر الساساني هي:

١- طاق بستان بالقرب من كرمانشاه، وفيه ترى رؤوس الأعمدة التي تدل على تأثير فن العمارة اليونانية والبيزنطية. وفي هذا الموضع حفرت ثلاث صور لأشخاص على الحجر، اثنان منهما قد طرحا شخصًا على الأرض وأخذا بركلانه. ولكن لا يمكن تحديد شخصية هذا الأسير ولا شخصية هؤلاء الأشخاص الثلاثة، وذلك لعدم وجود كتابة تبين ذلك، وفي أسفل الطاق نحتان بارزان أحدهما يطابق كتابات سابور الثاني، والثاني لفارس (من الجائز أنه كسرى برويز). ويرتدي هذا الفارس خوذة مدببة على رأسه، ودرعًا على جسده، وقد تسلح بحربة وقوس، ويبدو من مظهره أنه من الأساورة الإيرانيين في ذلك العصر. وقد كتبوا عن هذه الصورة يقولون: "إن هذه الصورة المنحوتة جذابة، ولا يمكن التطلع إليها والتدقيق في تفاصيلها دون أن تصيب الإنسان بالدهشة والإعجاب. إن هذا الشخص هو أحد أساورة إيران، وإذا كان ملكًا فإنه يتسلح بنفس هذه الأسلحة أيضًا، غير أن أسلحته تكون أكثر قيمة. إنه الفارس الذي أحرز كل هذه الانتصارات على الروم، واستولى في عهد كسرى برويز على الشام الكبرى وبيت المقدس ومصر، وحاصر أطراف القسطنطينية"(١٦٣).

كما يرى في أطراف الطاق نحت حول صيد الملك. والشيء الجدير بالاهتمام هو تلك الأقمشة الفاخرة التي يرتديها الأشخاص، وتدل على أن نسج الأقمشة قد بلغ درجة عالية من الجودة في ذلك العصر.

٢- قصر شيرين، أى القصر الذى شيده كسرى برويز لشيرين السريانية، وتدل أطلاله على أن سقف الحجرة كان مقوسًا، وقد غطيت جدرانه بالجص الأبيض، وأقيمت أعمدته من الآجر المخروط والجص. وكان للقصر حديقة تصل مساحتها إلى ١٢٠ جريبًا، وبها أبنية متعددة.

٣- طاق كسرى (إيوان كسرى) بالقرب من دجلة، وهو بهو الاستقبال الملكى ذو السقف المقوس، الذى أقيم على شكل بيضاوى. وهذا الإيوان قسم من القصر الأبيض الذى بناه أنوشيروان فى سنة ٥٥٠م، والإيوان (ابادن) أو قاعة العرش عليه بساط مزركش بالذهب ومرصع يعرف باسم بهارستان كسرى. وطبقًا للقرائن وكما ذكر البعض فقد كان طوله مائة ذراع وعرضه سبعين ذراعًا. ويغمر الضوء هذه القاعة الكبيرة والمجالس المتعددة بها عن طريق مائة وخمس عشرة كوة أعلاها. وقد غطيت أعمدة المجالس والطاقات والجدران الداخلية لهذه القاعة بألواح فضية وذهبية منقوشة ووضع العرش فى أقصى الطاق خلف ستار. هذه الزينة الضخمة للطاق والبساط القيم وغيره، وكذلك تلألؤ الأحجار الكريمة والأضواء التى تنفذ من أعلى إلى أسفل الإيوان، كل هذا كان يؤثر تأثيرًا غريبًا على من يرونه لأول مرة. والشيء الجديد هنا هو جدران البناء التى تثبت مع بعضها بواسطة قطع خشبية، ويبدو أن الإيرانيين قد اقتبسوا هذه الطريقة من الروم. ويقع قبر سلمان الفارسى بالقرب من هذا البناء.

٤- طاق الإيران (على شاطئ كرخة الذى يصب فى كارون بالقرب من شوش): هو خرائب بناء يشبه كنائس القرون الوسطى فى أوروبا، وقد بنيت عقوده بطريقة مدببة الرأس أو على الطراز القوطي(١٦٤). ويبدو أن هذا البناء كان قصرًا للسلطنة.

٥- جسور دزفول وشوشتر التى يبلغ طولها ٣٨٠ ذراعًا وعرضها سبعة أذرع ونصف. وقد أقيمت هذه الجسور على الطريقة الرومية، وجسر شوشتر من صنع مهندسين روميين.

٦- يرى فى نقش رستم بالقرب من تخت جمشيد عدة مجالس حجرية بارزة ترجع إلى العصر الساساني[١٦٥].

٧- يوجد فى نقش رجب (بالقرب من تخت جمشيد) مجلس يصور شابور الأول والمكلفين بالعمل عنده فى حالة حركة. وفى هذا المكان أيضًا مجلس يبين انتقال التاج من أردشير الأول إلى سابور الأول.

٨- توجد فى سابور (على بعد خمسة فراسخ من كازرون) عدة نقوش حجرية بارزة ترجع إلى العصر الساسانى، ويبين مجلس انتصار سابور الأول على ڤالريان، وقد نصب سابور سرياديس إمبراطورًا على الروم، ويقدم ڤالريان فروض الطاعة والولاء للإمبراطور الجديد وهو راكع على ركبتيه صاغرًا[١٦٦].

٩- بناء فيروز آباد (فى الطريق المؤدى من شيراز إلى دارابگرد)، وقد بقيت منه عقود وجدران متهدمة.

١٠- بناء سروستان - وترى فيه أيضًا طاقات ما زالت فى حالة سليمة ويعتقد ديولافوا أن بناء فيروزآباد وبناء سروستان يرجعان إلى العصر الهخامنشى. ومن هنا نستنتج أن الإيرانيين لم يقتبسوا فن بناء الطاقات من الروم، بل هو خاص بهم. غير أن باحثين آخرين رفضوا هذا الرأى، واعتبروا البناءين المذكورين من العصر الساسانى. وقد تم اكتشاف بعض الآثار خارج إيران مثل خرائب قصر مشيتا الذى بنى فى الناحية الغربية من بحر لوط (البحر الميت) فى الشام على الطريقة البيزنطية.

النقوش الحجرية الساسانية:

إن كتابات هذا العصر الحجرية التى تم اكتشافها ولقيت اهتمامًا كثيرًا؛ ولكن لما كنا لا نتمكن من الحديث عنها جميعًا فى هذا المختصر فسنكتفى بذكر بعضها:

أولاً: توجد عدة كتابات حجرية فى نقش رستم (بالقرب من تخت جمشيد):

١- كتابة حجرية لأردشير بابكان باللغات البهلوية الأشكانية والبهلوية الساسانية واليونانية. ونذكر هنا ترجمة لها كنموذج على التعريف الذى كان يذكره الملوك الساسانيون عن أنفسهم:"هذه صورة أردشير عابد الإله مزده، إمبراطور إيران ذى الأصل السماوى من نسل الآلهة ابن الملك بابك".

٢- كتابة حجرية لسابور الأول باللغة اليونانية يعرف فيها نفسه.

ثانيًا: توجد كتابة حجرية فى حاجى آباد (تقع على بعد ثلاثة فراسخ من تخت جمشيد) لسابور الأول باللغتين البهلوية الأشكانية والبهلوية الساسانية ولم يتمكنوا من قراءة هذه الكتابة تمامًا حتى الآن، ولكن بالنسبة لموضوع السهم الذى أطلقه سابور فى حضور الأمراء والنبلاء، فإن سابور يعرف نفسه فى هذه الكتابة بأنه إمبراطور إيران وغير إيران (المقصود بغير إيران البلاد الخاضعة لإيران خارج أراضيها).

ثالثًا: نحتت صور سابور الثانى فى طاق بستان، وتوجد كتابة حجرية تعرفه أيضًا.

رابعًا: توجد كتابة حجرية فى بايكولى (تقع فى منطقة جبلية بين قصر شيرين والسليمانية)، وهى كتابة مفصلة جدًا لنرسى الساسانى كتبت باللغتين البهلوية الأشكانية والبهلوية الساسانية، ويشرح فيها نرسى كيف أنه أنزل بهرام الثالث من على العرش واعتلاه هو، وتعتبر هذه الكتابة أطول كتابة ساسانية، كما أنها تعطى معلومات حول حدود إيران فى ذلك العصر.

خامسًا: كتابتان لسابور الثانى حفرتا فى الممر الجنوبى لقصر داريوش إحداهما تتناول مجيء سابور لهذا المكان، والثانية تتحدث عن أعماله التى قام بها.

الرسم:

لم يصل إلى أيدينا شيء خاص بالرسم فى عصر الساسانيين فى إيران نفسها ولكن تم العثور على رسوم فى حفريات تورفان بالتركستان الصينية، وهى موجودة في برلين. وتبين هذه الرسوم أتباع مانى، وقام برسم هذه الصور الإيرانية كلها صينيون. ومن هنا نستنتج أن هذه الرسوم قد نقلت عن الرسوم التى نقلها أتباع مانى من إيران إلى الصين. وقد تقدم فن الرسم فى العصر الساسانى، ومن المسلم به لدى أهل الفن أن الإيرانيين إقتبسوا فن التصوير من الصين فى عصر مانى وغيروا فيه، وانتقل هذا التغيير بعد ذلك إلى الصين وأثر فى فن الرسم الصينى، إذ يرى بوضوح الأثر الإيرانى فى بعض الرسوم الصينية.

الشعر:

لم يكن هناك شعر بالمعنى المعروف الآن (أى النظم طبقًا للعروض) فى العصر الساسانى، ولكن يوجد بالكلام الذى ينظمونه وينشدونه نوع من الترتيب أو النظام (مثلاً الشعر ذو الثمانية مقاطع وأمثال ذلك)(١٦٧).

الموسيقى:

كان هذا الفن موضع عناية واهتمام، وقد بلغ درجة عالية من الرقى فى أيام كسرى برويز. ومن أشهر الموسيقيين فى ذلك العصر: باربذ، نكسيا، بام شاذ، رامتين.

اللغات الإيرانية القديمة وخطوطها

رغم أننا تحدثنا عن بعض اللغات والخطوط فى إيران القديمة فى مواضعها، لكننا سنتحدث هنا باختصار عن هذا الموضوع، لأننا لم نذكر البعض الآخر:

أولاً: اللغات الإيرانية القديمة هى:

١-الفارسية القديمة؛ وهى التى كتبت بها كتابات الملوك الهخمانشيين.

٢-اللغة الأفستائية، أى اللغة التى كتبت بها الأفستا.

٣-اللغة البهلوية ولها لهجتان: البهلوية الشمالية أو الأشكانية والبهلوية الجنوبية أو الساسانية، ويفهم من الأسماء أنهم كانوا يتحدثون بهاتين اللغتين فى العصرين الأشكانى والساسانى. ولا نعلم يقينًا أى قسم من سكان إيران القديمة كان يستعمل اللغة الأفستائية، ولكن الاعتقاد الغالب أن الميديين كانوا يتحدثون بهذه اللغة.

واللغات التى يتحدث بها الإيرانيون فى إيران اليوم مشتقة من إحدى اللغات القديمة المذكورة، كاللغة الفارسية الحالية والكردية والبلوچية واللرية والگيلكية والمازندرانية والگبرية والسيوندية ولغة يهود إيران والنظنزية والكاشية والسمنانية والتاتية والطالشية وغيرها، وكذلك لغة البشتو أو البختو فى أفغانستان ولغة بخارى أو التاجيكية فى آسيا الوسطى ولغة الأُسِتين فى القفقاز. وعمومًا فإن شعب اللغة الفارسية المتناثرة فى تركستان (الأفغانية والروسية) والبامير كثيرة[١٦٨].

وقد تم العثور أخيرًا على آثار للغتين فى آسيا الوسطى، إحداهما قريبة من اللغات الأوروبية والثانية قريبة من اللغات الإيرانية، وقد أطلق عليهما بعض الباحثين اسم اللغة الطخارية واللغة الختنية (أو الإيرانية الشرقية). وخلاصة القول فإن اللغات الإيرانية كانت منتشرة من أقصى بلاد البامير حتى آسيا الصغرى، وأن اللغة الفارسية كانت مستعملة فى القرن العاشر الهجرى (١٦م) فى منطقة تمتد من اسطنبول حتى كلكتا فى الحديث والكتابة السياسية والأدبية.

ثانيًا: الخطوط:

تناولنا فيما سبق كل خط من الخطوط الإيرانية أثناء حديثنا عن موضوعات مختلفة وفى مواضع متفرقة، ولكننا سنوجز القول هنا حول الخط الأفستائى فقط. هذا الخط مأخوذ من الخط البهلوى، وكان يكتب من اليسار إلى اليمين، ولكنه كان ألف بائيًا أى أن به علامة لكل صوت من الأصوات المتحركة والساكنة. والثابت أن هذا الخط اخترع فى القرن السادس الميلادى، وسمى بالخط الأفستائى نظرًا لأن الأفستا قد كتبت به، وبناء على ما ذكرنا الآن وما سبق ذكره، فقد كانت خطوط إيران القديمة هى: الخط المسمارى، والخط الفارسى، والخط البهلوى، والخط المانوى، والخط الأفستائى. كذلك تم اكتشاف خط فى آسيا الوسطى يعرف الآن باسم الخط الصغدي؛ وهو مقتبس من الخط الآرامى، وقد انتشر فى آسيا الوسطى وبدل بالخط (الأويغورى)، وكان الخط الأخير مستخدما فى كتابة اللغة التركية، ثم تبدل بخط المغول والمنجو، مثلما هو متبع الآن أيضًا.

الهوامش

١- يجب أن يؤخذ فى الاعتبار أن السنوات التى ذكرت حتى سنة ٣١٠ بشأن تاريخ سلطنة ملوك الساسانيين تقريبية (نولدكه).

٢- ذكر البعض أنه عام ٢٢٦م.

٣- يرى البعض أن المقصود بلقب أردشير دراز دست- الذى ترجمه بعض المؤلفين العرب أو اليونان القدماء ترجمة حرفية بمعنى الطويل اليدين أو طويل اليد أو طويل الباع، وعللوا ذلك بأن يده اليسرى كانت أطول من يده اليمنى، أو أن يده كانت تصل إلى ركبته عندما يكون واقفًا- هو علو همته وقدرته.

(انظر مقالة الدكتور محمد معين: دراز دست- دراز أنكل- ريوند دست. بمجلة روابط فرهنگى هند وإيران- العدد٢و ٣- ١٩٥١ كلكتا). (المترجم).

4- Sptimus Severus.

٥- تستعمل مؤبذان مؤبذ بدلا من مؤبذ مؤبذان فى اللغة البهلوية، أى يقدم المضاف إليه على المضاف.

٦- يذكر صاحب مروج الذهب بعض الإصلاحات والتنظيمات التى قام بها أردشير فى مملكته فيقول: "رتب أردشير المراتب فجعلها سبعة أفواج: فأولها: الوزراء، ثم الموبذان وهو القائم بأمور الدين، وهو قاضى القضاة، وهو رئيس الموابذة، ومعناها القوام بأمور الدين فى سائر المملكة، والقضاة المنصبون للأحكام، وجعل الأصبهبذيين أربعة: الأول بخراسان، والثانى بالمغرب، والثالث ببلاد الجنوب، والرابع ببلاد الشمال، فهؤلاء

الأربعة هم أصحاب تدبير الملك، كل واحد منهم قد أفرد بتدبير جزء من أجزاء المملكة، فكل واحد منهم صاحب ربع منها، ولكل واحد من هؤلاء مرزبان وهم خلفاء هؤلاء الأربعة. ورتب أردشير الطبقات الأربعة من أصحاب التدبير ومن إليهم أزمة الملك وحضور المشورة فى إيراد الأمور وإصدارها، ثم رتب طبقات المغنين وسائر المطربين وذوى الصنعة الموسيقية...، (انظر مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودى صـ١٨٦، جـ١، طبعة القاهرة ١٩٦٦م) (المترجم).

٧- ذكروا أن شابور لم يكن يود قتلها فى بداية الأمر، ولكنه عندما علم بعد ذلك أن هذه الفتاة كانت قد نشأت فى عز ونعيم ومع ذلك خانت والدها، أمر بقتلها بعد إحساسه بالنفور منها والكراهية لها.

٨- نصيبين **Nissibin** هى مركز أرْوستان، وتقع على بعد ٢٥ فرسخا من مدينة الموصل الحالية.

9- Gordien.

10- Valerien.

١١- أساس فقه اللغة الإيرانية.

12- Cyriadis.

١٣- كانت فى كابادوكية.

١٤- **Palmyra** تدمر هى نفسها بالمير عند اليونان، وهى مملكة نبطية وعربية.

١٥- كان اسم هذه المدينة أصلاً "وه انتيوك شاپور" أى مدينة شابور الأفضل من مدينة أنطاكية. ثم بدل هذا الاسم بعد ذلك إلى وندى شابور وگُنْدى

وجُندى شابور" ويقال إن هذه المدينة قد شيدت على أيدى أسرى المسيحيين الروم، وكان سكانها من أهل انطاكية فى الغالب، وهى فى العربية جنديسابور.

16- Aurelien

17- Carus.

١٨- يعتبر البعض أن السارماتيين من الشعوب الآرية، وعلى أى حال، فلا شك فى أنهم من الجنس الهندو أوربى.

19 – Diocletien.

20 – Galerius.

21 – Arzanene, Moksoene, Zabdicene, Rehimene, Corduene.

ذكر ماركوارت أسماء الولايات الخمس هكذا: أرزن- أنگل- سُفِنْ- زابده- كردو (ماركوارت- دولة إيران).

٢٢- كانت البحرين ولاية تقع فى شرق جزيرة العرب على شاطئ الخليج، وهى تسمى الآن باسم الحساء، وقد سميت جزيرة البحرين بهذا الاسم فى القرون اللاحقة.

٢٣- أطلق عليه الإيرانيون لقب ذى الأكتاف لأنه كان ينقب أكتاف الأسرى من العرب وذلك فى حربه معهم، فسموه هو به ستبان، ويقول المسعودى فى كتابه مروج الذهب (صـ ١٩٢ جـ١): وخلع بعد ذلك أكتاف العرب، فسمى بعد ذلك سابور ذا الاكتاف. (المترجم).

٢٤- يوستى- أساس فقه اللغة الإيرانية.

٢٥- يطلق اليونانيون اسم خيونيت على الهون، ولكنهم يعرفون فى التـــاريخ باسم الهون، وقد سببوا بلاء عظيمًا لأوروبا، وكانت كارثتهم على أوروبا تماثل كارثة المغول على إيران وسائر البلاد. وكان أتيلا ملكهـــم يقـــول: "أينما يطأ جوادى الأرض بقدمه فلا ينبغى أن ينبت نبات".

٢٦- يطلق العرب على بزابد بازبدى، وكانت تقع فيما بين النهرين.

27- Julien.

28- Jovien.

29- Valentien.

30- Valens.

31- Ostrogoths.

32- Wisigoths.

33- Varazdat.

34- Manuel.

35- Goths.

36- Theodose.

٣٧- كانت قلعة فراموشى (النسيان) تقع فى "گــل كــرد، شــرق شوشـــتر، وسميت بهذا الاسم لأنه لم يكن يذكر اسم المحبوسين بها مطلقًا أمام الملك (راولين سُن).

٣٨- نولدكه - دراسات تاريخية حول إيران القديمة.

٣٩- إن لفظ (رومى) الذى استعملوه ويستعملونه هو بهذا المعنى.

٤٠- يعتبره نولدكه ابن شابور الثانى.

41- Arcadius.

٤٢- كانت الحيرة مدينة تقع على بعد فرسخ من الكوفة، واسمها آرامى بمعنى الخيام. وينسب بناؤها لبخت النصر. وكان الملوك اللخميون يحكمون هناك أيام الساسانيين وكانوا تابعين لإيران. وقد قضى كسرى برويز فى سنة ٦٠٢ على هذه الأسرة وعين حاكمًا هناك. وسقطت الحيرة فى يد المسلمين، وهى من ناحية المبانى أقل من الكوفة، وقد اندثرت تمامًا قبل القرن العاشر الميلادى أو الرابع عشر الهجرى.

٤٣- يقال إن بهرام كان ينشد الشعر بالعربية، نظرًا لنشأته بين العرب فى الحيرة، ومن شعره عندما ظفر بخاقان وقتله قوله:

أقول له لما فضضت جموعه ... كأنك لم تسمع بصولات بهرام

فإنى حامى ملك فارس كلها ... وما خير ملك لا يكون له حام

وقوله أيضًا:

لقد علم الأنـــام بكـــل أرض ... بأنهم قد أضحوا لى عبيـــدا

ملكـت ملـوكهـم وقهـــرت منهم ... عزيزهم المســود والمســـودا

فتلك أسـودهم تقعـــى حـــذارى ... وترهب من مخـــافتى الورودا

وكنـت إذا تشـاوس مـلـك أرض ... عبأت له الكتائب والجنـــودا

فيعطينى المقـــادة أو أوافـــى ... به يشكو السلاسل والقيـــودا

(مروج الذهب صـ ١٩٨ جـ١) (المترجم)

٤٤- شيز هى نفسها كنزك، وكانت لآذربايجان فى ذلك الوقت عاصمتان: كنزك وأردبيل، وكنزك هى تخت سليمان الحالية.

٤٥- كانت هذه المدينة تسمى فى البداية باسم كارين ثم تحول إلى كالاك، وفى منتصف القرن الخامس الهجرى خرب السلاجقة مدينة أرزن الواقعة فى شرق هذه المدينة، وهاجر سكانها إلى كالاك وسميت أرزن الروم، ثم صارت بعد ذلك أرز الروم وأرزروم ومن ثم فإن اسم هذه المدينة هو ارزروم، (ارضروم).

٤٦- نظم الشاعر نظامى الگنجوى هذه القصة فى عام ٥٩٣هـ، وجعل بطل منظومته من بين ملوك الفرس القدماء وهو بهرام گور أو بهرام الخامس، وصوره من ناحيتين، ناحية عامة تتعلق بحروبه وفتوحاته، وناحية خاصة تتصل بحبه وزواجه وحياته العائلية، وربط بين الناحيتين ربطًا وثيقًا، وتسمى أيضًا "هفت پيكر" أى الصور السبع، وهى الصور التى اكتشفها بهرام فى غرفة سرية فى قصره، وقد تبين له أنها صور سبع أميرات من بلاد مختلفة يتميزن بالجمال والحسن، فلما رأى صورهن وقع فى حبهن جميعًا، فلما مات أبوه وتولى العرش مكانه، كان أول ما فعله أن جد فى طلب هؤلاء الأميرات من آبائهن، واستطاع أن يحقق رغبته بالزواج منهن جميعًا، وقد أسكن كل واحدة من هؤلاء الأميرات السبع فى قصر مستقل، جعله فى لونه يمثل إقليمًا من الأقاليم السبعة التى ينقسم إليها الكون، ثم أخذ فى زيارتهن بالتناوب فى سبع ليال متتالية، وتحتفى به كل أميرة خير احتفاء بأن تسرد له ليلة مبيته عندها جملة من الحكايات الممتعة كالتى نجدها عادة فى قصة ألف ليلة. انظر نظامى الگنجوى شاعر الفضيلة للدكتور عبد النعيم حسنين صـ٣٢٣، وما بعدها، تاريخ

الأدب فى إيران من الفردوسى للسعدى لبروان- الترجمة العربية، صـ٥٢١. (المترجم).

٤٧- لورى أوكولى تعنى طائفة من الهنود الراقصين والمغنين الذين قدموا إلى إيران فى عصر بهرام گور، ويقال لهم بالفارسية كذلك لولى. (المترجم).

٤٨- هو عيد قديم عند الإيرانيين يحتفلون به فى الثالث عشر من شهر تير، وهو عيد رش الماء ويروى الگرديزى فى كتابه "زين الأخبار" سبب الاحتفال بهذا العيد فيقول: ".. وسبب ذلك أن الأمطار امتنعت عن إيران فى عهد فيروز بن يزدجرد جد أنو شيروان العادل؛ فذهب فيروز إلى بيت النار المسمى بأذرخوره وتعبد كثيرًا وقدم الصدقات للفقراء؛ وتضرع لله تعالى وتوسل إليه كثيرًا إلى أن سقطت الأمطار..."

"انظر زين الأخبار صـ٢٤٧ طبعة بنياد فرهنگ إيران".

٤٩- كانوا من آريى إيران، وسكنوا فى المنطقة الواقعة بين نهر كورا وبحر الخزر ودربند وارس، وسماهم الأوربيون بالألبان أيضًا، ولذلك لا يجب الخلط بين هذه الشعوب وبين ألبان شبه جزيرة البلقان أو شعب أرناؤوطستان، فهم ليسوا من آريى إيران، بل هم شعبة مستقلة من الفروع الهندية الأوروبية.

50- Anastase.

٥١- يلغ المبلغ الذى دفع لإيران إلى ألف ليبرا ذهبًا، والليبرا تزن خمسة وستين مثقالاً حاليًا.

52- Justin.

53- **Bilisare.**

54- **Justinien.**

55- **Callinicus.**

٥٦- ذكر المؤرخون الأجانب اسمه: فثاسوارسا. ويعتقد الباحثون أنه تصحيف لـ "بشخوارشاه" وأنه لقب. وبشخوار جبل من جبال البرز بين سارى ودامغان.

57- **Padhgos**

٥٨- كانوا يسمون سد دربند فى العصر الإسلامى باسم باب الأبواب.

٥٩- يذكر المسعودى أن أنو شروان كان يدعى كسرى الخيّر وأن الشعراء قد ذكروه فى أشعارهم، ومن هؤلاء عدى بن زيد العبادى الذى قال:

أين كسرى خير الملوك أنوشر | وان؟ أم أين من قبله سابور
لم يهبه رب المنون فولى إلا | ك عنه قبابه مهجور
حين ولوا كأنهم ورق جف | ف فألوت به الصبا والدبور

مروج الذهب ص٢٠٢ جـ١ (المترجم).

٦٠- كان هذا المبلغ أحد عشر ألف ليبرا ذهبا، والليبرا تزن ٢٢٥ جراما أو ٦٥ مثقالا تقريبا.

٦١- أى مدينة خسرو الأفضل من أنطاكية.

٦٢- باطوم الحالية كانت تسمى بترا.

٦٣- تصور الطبرى أن دفع هذا المبلغ سنويا يعتبر جزية.

64- Durk.

65- Tumen.

66- Mokan khan.

٦٧- هناك اختلاف حول تاريخ هذه الحادثة بين الباحثين، كما أن بعضهم قد جعل تاريخها في سنة ٥٧٦م.

68- Dizabul.

٦٩- طائرة (طيار) استعملت هنا استعمالا استعاريا، والمقصود بها الفارس الذى يحمل أسلحة خفيفة، ويتحرك من مكان لآخر بسرعة. وكان هذا النوع من الفرسان يقوم بعمليات حول الجيش الأصلى فى العهود تمهيدا للهجوم ولبث الذعر فى قلوب السكان، وإجبار العدو على تقسيم قواته.

70- conte Tiberius.

71- Rhin.

72- Danube.

73- kurs.

٧٤- يستفاد من المصادر الرومية أن دولة الروم قبلت أن تصرف النظر عن أرمينية إيران وكل گرجستان وأن تعقد معاهدة صلح. ولكن لم تسفر المباحثات عن نتائج بسبب موت أنوشيروان.

٧٥- والثابت الآن أن كوروش هو أعظم ملوك إيران الأقدمين، فهو الذى ذكرته التوراة ثم القرآن وهو الذى أعلن وثيقة حقوق الإنسان وهو منشئ الإمبراطورية الإيرانية.

٧٦- يقول دارمستتر: إن أنوشيروان كان واحدا من هؤلاء الــذين يتميــزون بالوجاهة، وهو يعد فردريك إيــران الكبيــر. ومــن الجــائز أن يكــون أنوشيروان أقل دهاء من فردريك، إلا أنه ترك فى مضمار الحضارة أثارا نافعة وأكثر دواما، فعن طريقه ظهر الفردوسى فى إيران، وعندنا (فرنسا) ظهر لافونتين وفى أوربا ظهر الشطرنج.

٧٧- كان بزرجمهر وزيرا لانوشيروان طبقا لما ترويه المــصادر الــشرقية. ولكن الباحثين الأوربيين لم يتمكنوا من إبداء رأى قاطع فى هذا الــصدد، لأنهم لم يتيقنوا من أنه شخصية تاريخية.

٧٨- يقول نولدكه: كم يجب أن يسبب هذا الكلام خجلاً للمــسيحيين الــذين كانوا يتعقبون أتباع الأديان الأخرى.

79- Circesium.

80- Maurice.

81- Phocas.

82- Chalcedoine.

٨٣- وقعت هذه الخزانة فى يد قائد كسرى پرويز وسميت باسم فىء الريـــاح (كنج بادآورد).

يقول المستشرق كريستنسن عن هذا الكنــز: "عنــدما حاصــر الفــرس الإسكندرية حاول البيزنطيون أن ينقذوا نفائس المملكة، فجمعوا خزائنهم وذخائرهم فى سفن كثيرة، فلما لجحت فى البحر عصفت الرياح فسيرتها إلى صفوف الإيرانيين حتى ظفر بها شهربراز وقبض عليها كلها وبعثها

إلى المدائن فتعجب منها كسرى وسر بها، وقد سميت كنج بـــاداورد أى فئ الرياح).

انظر إيران فى عهد الساسانيين– ترجمة الدكتور يحيـــى الخـــشاب، ص ٤٤٧ (المترجم).

٨٤- هذا هو نفس المكان الذى كان ميدانا للحرب بين الإســكندر وداريـــوش (دارا).

٨٥- تاريخ الطبرى – ذكر بعض المؤرخين أن عدد نساء قصره كان يتراوح بين عشرة آلاف واثنتى عشر ألفًا. وكانت أشهر زوجاته مريم ابنة موريس قيصر بيزنطة وشيرين السريانية، وهى التى قتلت نفسها عندما أراد قبـــاد الثانى أن يتزوجها بعده.

٨٦- يحتفل حتى الآن بيوم استرداد الصليب، وهذا اليوم يوافق ١٤ ســبتمبر، ويعرف بعيد ارتفاع الصليب **Exaltation De La Sainte Croix**.

٨٧- كتبها البعض بوراندخت، ويجب أن تكتب بهذا الشكل: بوراندخت بـــواو مجهولة، أى تقرأ مثل واو كلمة (دوران).

٨٨- فردريك زاره – صنائع إيران القديمة.

٨٩- لما كان تاريخ الفتح الإسلامى مرتبطًا بالعصور الوسطى لتاريخ إيران، فإننا اكتفينا فى هذا الكتاب بذكر الأحداث التى تتعلـــق بنهايـــة العـــصور الإيرانية القديمة وقد سجلت الأحداث المذكورة طبقًا لروايات العرب التـــى ذكرها الطبرى وابن الأثير، ذلك أنه لا توجد مصادر أخرى غير عربيـــة بين أيدينا.

٩٠- المدائن هى نفسها طيسفون. وقد أطلق العرب عليها اسم المدائن لأنها كانت تتكون من ثلاث مدن.

٩١- تسمى هذه الليلة بليلة الهرير.

٩٢- يصف ابن كثير فى كتابه البدايه والنهاية (ج ٢ ص ٦٦ الطبعة الثانية ١٩٧٤م) الغنائم التى غنمها المسلمون فى هذه المعركة فيقول: "واستحوذ المسلمون على ما هنالك أجمع مما لم ير أحد فى الدنيا أعجب منه. وكان فى جملة ذلك تاج كسرى وهو مكلل بالجواهر النفيسة التى تحير الأبصار، ومنطقته كذلك وسيفه وسواره وقباؤه وبساط إيوانه، وكان مربعًا ستون ذراعًا فى مثلها، من كل جانب، والبساط مثله سواء، وهو منسوج بالذهب واللآلئ والجواهر الثمينة، وفيه مصور جميع ممالك كسرى، بلاده بأنهارها وقلاعها، وأقاليمها، وكنوزها، وصفة الزروع والأشجار التى فى بلاده...".

٩٣- سيأتى وصف هذه السجادة.

٩٤- كانت حلوان فى ذلك الوقت قلعة فى جبال كردستان (زاجروس).

٩٥- كانت جلولاء قريبة من حلوان.

٩٦- كانت هذه الأسرة من عائلة قارن بهلو البارتى.

٩٧- يطلق الفردوسى على هذا الطحان اسم خسرو.

٩٨- تقع طخارستان شرق بلخ وعلى شاطئ نهر جيحون.

٩٩- كانت كلمة موبذ فى الأصل مغوبات ثم تحولت إلى مغ بت ثم إلى مؤبذ.

١٠٠- تحدث تنسر فى كتابه عن طبقات الشعب الإيرانى فى ذلك العصر بقوله "اعلم أن الناس فى الدين أربعة أعضاء، وقد ورد كثيرًا فى كتب الدين، بلا

جدال أو تأويل أو خلاف أو أقاويل، أن هؤلاء يسمون الأعضاء الأربعة. ورأس هذه الأعضاء الملك. والعضو الأول هو أهل الدين. وهذا العضو أصناف، فمنه الحكام والعباد والزهاد والسدنة والمعلمون. والعضو الثانى المقاتلة، وهم قسمان: الفرسان والرجالة، وهم يتفاوتون بعد ذلك بمراتبهم وأعمالهم. والعضو الثالث الكتّاب، وهم أيضًا طبقات وأنواع، فمنهم كتاب الرسائل والمحاسبات والأقضية والسجلات والعقود وكتّاب السير. ويدخل فى طبقتهم الأطباء والشعراء والمنجمون. والعضو الرابع المهنة، وهم الزراع والرعاة والتجار وسائر أهل الحرف، والناس فى عهد زاهر دائمًا ما حافظوا على هذه الأعضاء الأربعة ولم ينتقلوا من طبقة إلى أخرى.

ولا يجوز مطلقًا أن ينتقل أحد من طبقة إلى أخرى، إلا أن يلاحظ فى امرئ أهلية شائعة فإن أمره يعرض على الملك، بعد اختبار الموابذة والهرابذة إياه وطول مشاهدتهم له، فإذا رأوه مستحقًا أمر الملك بإلحاقه بغير طبقته". كتاب تنسر ص ٣٢ (المترجم).

١٠١- يقال لطبقة ويس بور بربيد كذلك، وهى كلمة آرامية بمعنى رئيس العائلة أو رب الأسرة.

١٠٢- كانت الدواوين على النحو التالى:

(أ) الشئون الحربية.

(ب) الطرق ودوائر البريد.

(ج) الأوزان والمكاييل.

(د) الضرائب.

(هـ) النقود.

(و) إرسال المراسلات.

(ز) محكمة العقوبات.

(ح) الامتيازات الحكومية.

١٠٣-هذه المقادير هى: درهم من القمح والشعير، ثمانية دراهم من كرم العنب، سبعة دراهم من البرسيم، خمسة أسداس الدرهم من الأرز. وكانوا يحصلون ضرائب عن أشجار النخيل والزيتون طبقًا لعدد الأشجار: درهم لكل أربع شجرات نخيل ولكل ست أشجار زيتون.

١٠٤-كانت الطبقة الأولى تدفع اثنى عشر درهما فى العام، وتدفع الطبقة المتوسطة ثمانية أو ستة دراهم، ويدفع بقية الأهالى أربعة دراهم.

١٠٥-تعادل أربعين مليون تومان بعملة اليوم تقريبا - يرى يوستى أن الدخل المذكور يعادل ٢٩٤ مليون مارك ذهبا (أساس فقه اللغة الإيرانية).

١٠٦-كان لدى الساسانيين، كما كان للأكمينيين، فرقة من الفرسان المختارين تسمى (فرقة الخالدين) وهى تتكون كأنموذجها الأكمينى، من عشرة آلاف رجل يحمل رئيسهم لقب (ورهر نيكان خوذاى).

انظر إيران فى عهد الساسانيين - كريستنسن، ص ١٩٨ (المترجم).

١٠٧-كان يجب على ذوى المناصب والأفراد المرور فى عرض لاستلام مرتباتهم، فإذا كانت ملابسهم أو أسلحتهم ناقصة لا تعطى لهم الرواتب. وذات يوم اضطر أنوشيروان للعودة إلى منزله لاستكمال ملابسه وأسلحته؛ لكى يقبض مرتبه.

١٠٨- الاعتقاد الغالب أن هذه العقوبة كانت تنفذ عند ارتكاب الجرائم السياسية.

١٠٩- النوروز (روز نو) - أى اليوم الجديد - عيد أول العام، أى اليوم الأول من شهر فروردين - وقد جاء فى كتاب "إيران فى عهد الساسانيين، لكريستنسن (ص١٦٢). عن النوروز: "أنه كان من أكبر الأعياد الشعبية كما هو اليوم فى إيران ويسمى فى البهوية نوك روز، وهو يوم رأس السنة الذى يلى عيد فروردیگان مباشرة فى السنوات البسيطة. وقد جاء فى الدينكرد، أن الملوك كانوا يسعدون رعاياهم فى جميع الولايات فى هذا اليوم السعيد، وكان من يشتغل يستريح ويحتفل بالعيد، وقد عدد نص بهلوى حديث كل الحوادث الماضية والمستقبلة المتصلة بالنوروز منذ خلق أوهرمزد الدنيا ومنذ عهد المجد فى التاريخ الخرافى حتى نهاية الدنيا. وقد تحدث عن هذا العيد، عدا البيرونى، كتاب من العرب والفرس كما أن شعراء كالفردوسى ومنوچهرى قد تغنوا به، أنه عيد ربيعى قد حفظ بعض خصائص الزجموك **Zagmok** الذى هو عيد البابليين القدماء. كانت الضرائب المجبية تقدم للملك فى النوروز، وفيه يعين أو يستبدل حكام الأقاليم، وتضرب النقود الجديدة وتطهر بيوت النار ويستمر العيد ستة أيام متوالية، وفى هذه الأيام يجلس ملوك الساسانيين للعامة، ويقابلون العظماء وآل ساسان فى نظام حسن ويقدمون لهم الهدايا، وفى اليوم السادس كان الملك يحتفل هو نفسه بالعيد مع خاصته، والواقع أن اليوم الأول واليوم الأخير من النوروز (اليوم السادس) كان يحتفل بهما احتفالا يحوى كل المظاهر الشعبية. وكانوا يصحون مبكرين فى اليوم الأول ويذهبون إلى مجارى المياه والقنوات للاستحمام ورش بعضهم بعضًا بالماء وكانوا يتبادلون هدايا الحلوى. وكانوا فى الصباح، وقبل أن ينطق أحدهم بكلمة يأكلون السكر ويلعقون العسل ثلاث مرات، ويدلكون أجسامهم بالزيت ويتبخرون بثلاث قطع من الشمع ليحفظوا أنفسهم من الأمراض والآفات"(المترجم).

١١٠- يقول البيرونى فى كتابه الآثار الباقية (ص ٢٢٢ طبعة بغداد): "شهر مهرماه اليوم السادس عشر وهو روز مهر (أى يوم مهر) عيد عظيم الشأن ويعرف بالمهرجان، واسمه موافق لاسم الشهر وتفسيره محبة الروح، وقد قيل أن مهر هو اسم الشمس وأنها ظهرت فى هذا اليوم للعالم فسمى بها والدليل على ذلك أن من آئين (عادة) الأكاسرة فى هذا اليوم التتوج بالتاج الذى عليه صورة الشمس وعجلتها الدائرة عليها وفيه يقوم للفرس سوق..."(المترجم).

١١١- أم مين مارسلن مؤرخ رومى معاصر لسابور الثانى.

١١٢- المصمغان معرب مسمغان أى العظيم أو كبير المغان.

١١٣- من خمسة مثاقيل إلى ثلاثة.

١١٤- كانوا يقدمون الآحاد على العشرات.

١١٥- سيرد ذكر هذا الموضوع فيما بعد.

١١٦- تذكر هنا عبارة نقود بهرام گور كنموذج، وهى: مزديسن بغى وره ران ملكان ملكا إيران وانيران مينو جيترى من يزتان. أى: عابد مزدا الملك الكبير بهرام ملك ملوك إيران وغير إيران، ذى الأصل السماوى من الآلهة. والكلمات التى تحتها خط آرامية، ولكنهم كانوا ينطقونها بالبهلوية، فمثلاً "ملكا" كانت تنطق "شاه".

١١٧- المقصود بها المواد التى تعرف اليوم (بمواد بزكى) أو مواد الزينة.

١١٨- **Gobie.**

١١٩- فريدريك زاره – صنائع إيران القديمة.

١٢٠-فقد ذكروا عن السفير الذى ذهب إلى الصين محملاً بالهدايا فى عصر قباد وكان ردًا على سفارة أرسلتها الصين إلى بلاد إيران: "أن دولتهم (يعنى إيران) قد أرسلت فى عهد سنكوى سفيرًا يحمل رسالة وجزية من البضائع المحلية، ومضمون الرسالة هو: من ابن المملكة السماوية الكبرى وابن السماء، ونتمنى أن تكون مملكته هى كل البلاد التى تشرق الشمس عليها. إن ملك إيران كوهوتو (يقصد قباد) يدفع ألفًا وعشرة آلاف كرنش إظهارًا للمودة. وقد تلقى البلاط ما أبداه بقبول حسن. وأرسلوا بعد ذلك وبسرعة الهدايا إلى البلاط. وفى السنة الثانية (سنة ٥٥٥م) أرسل ملكهم هدايا من البضائع المحلية". ويجب أن يكون سفير السنة الثانية سفيرًا لأنوشيروان، لأن التاريخ المذكور يتفق مع زمن حكم هذا الملك.

١٢١-كتاب ويشو المؤرخ الصينى.

122- Jakson, A.V.W

١٢٣- مثل بندهشن وارتاويرا فنامك وغيرهما.

١٢٤-١٢٤ **Darmeseteter** عالم فرنسى ألف كتاب (دراسات إيرانية).

١٢٥- يَسْنَة: وهو يشتمل على الآداب الدينية، وتعتبر الگاثات (گاتها) أى الأناشيد الدينية جزءا منه.

١٢٦- هو أحد الكتب البهلوية المشهورة.

١٢٧- قيل إنه كان من كبار رجال الدين أيام أردشير، وقيل بل كان أيام أنوشيروان. ويقول بهرام خورزاد، الذى نقل عنه ابن المقفع مقدمته: إنه سمّى تنسر لأن الشعر قد نما بغزارة فوق جسده حتى كان جسده كله مثل رأسه (تن- جسد، سر- رأس) وجاء فى دينكرد (جمع فى القرن التاسع الميلادي)

أن الملك أردشير كلف تنسر (هربدان هربد) – رئيس سدنة بيوت النار – بجمع متون الأوستا، كتاب الإيرانيين الزردشتيين، وبأن يعيد سطره، ولما أتم هذا العمل أطلق على تنسر لقب "يوريوتكيش" أى حافظ دين الأقدمين. (انظر مقدمة الدكتور يحيى الخشاب على كتاب تنسر ص٤) (المترجم).

١٢٨- لم يتمكنوا من معرفة معنى كلمة زرتشت على وجه اليقين، والرأى الغالب أنها مأخوذة من (زرتشتر) أى الجمل الأصفر.

١٢٩- سيأتى الحديث عن القوى الخالدة المقدسة فيما بعد.

١٣٠-كان هؤلاء تورانيين طبقا للأخبار الزرتشتية.

١٣١- كان قائد الأعداء هو أرج تسب (أرْجاسب). ويدعى قاتل زرتشت توری براتَرْوَخْشَ.

١٣٢-كلمة هرمز كانت فى الأصل آهورَمَزْدَه، وكلمة أهور مأخوذة من أسور إله الآريين الهند وإيرانيين (عندما كان دينهما واحدا). ومَزْدَ تعنى عالم.

١٣٣- كلمة أنكَرمينيو تعنى الطبيعة أو الضمير المظلم، وصارت بعد ذلك اَهريمن.

١٣٤- اَمْشَ سبنتان (أى القوة الخالدة المقدسة) هى:

أ) وهو منه – بهمن (الفكر الطيب).

ب) اشَ وهيشت – اَردى بهشت (أفضل القوى).

جـ) خشتر وى رى – شهريور (الدولة أو الحكومة الحسنة).

د) سبنت أره أى تى – اسفندار مذ (الموت مع الفتوة).

هـ) هنوروتات – خرداد (السلامة والعافية).

و) امرتات – امرداد (خالد – غيرفان).

١٣٥-يزد صارت بعد ذلك يزد وايزد (الله).

١٣٦-أسماء القضاة الثلاثة هى: ميثْرَ – سرا أُشَ – راشنو.

١٣٧-أنهو وَهيشتَ.

١٣٨-فى لغة الأوستا هومَتً – هُوَخْتً – هورَشْتَ.

١٣٩-يعتقد الباحثون أن فوتق معرب بانَك.

١٤٠-ابن النديم الوراق.

١٤١-ذكر ابن النديم أن اسمه مانى بن فتق بابك بن أبى برزام من الحسكانية واسم أمه ميس ويقال أوتاخيم ويقال من مريم من ولد الأشغانية، وقيل أن أصل أبيه من همدان وانتقل إلى بابل وكان ينزل المداين فى الموضع الذى يسمى طيسفون كما ذكر أن الوحى أتاه وهو فى سن الثانية عشرة، وأن الملَك الذى جاءه بالوحى كان يسمى التوم وهو بالنبطية ومعناه القرين، فلما تم له أربع وعشرون سنة أتاه التوم فقال له قد حان لك أن تخرج فتنادى بأمزك.

أما عن مذهبه فقد قال مانى إن مبدأ العالم كونان أحدهما نور والآخر ظلمة، كل واحد منهما منفصل عن الآخر، فالنور هو العظيم الأول وليس بالعدد وهو الإله ملك جنان النور، وله خمسة أعضاء الحلم والعلم والعقل والغيب والفطنة، وخمسة أخر روحانية وهى الحب والإيمان والوفاء والمروة والحكمة، وزعم أنه بصفاته هذه أزلى ومعه شيئان اثنان أزليان أحدهما الجو والآخر الأرض. وقال إن أعضاء الجو خمسة الحلم والعلم والعقل والغيب والفطنة، وأعضاء الأرض النسيم والريح والنور والماء والنار، والكون الآخر هو الظلمة وأعضاؤها خمسة الضباب والحريق والسموم والسم

والظلمة. (انظر الفهرست ص٣٢٧ إلى ص٣٢٩ طبعة بيروت ١٩٦٤م) (المترجم).

142- Gnosticisme

١٤٣-يعرف أحد كتبه التى ذكرها أبو الريحان البيرونى باسم شابورگان.

١٤٤-هكذا اشتهر، ولكن لا يعرف إلى أى حد يتفق هذا مع الحقيقة.

١٤٥-الخط المنانى - كما يقول ابن النديم- خط مستخرج من الفارسى والسريانى، استخرجه مانى، وقد أورد حروف هذا الخط فى كتابه الفهرست (انظر الفهرست ص١٧) (المترجم).

146- Gaule

١٤٧-يتصور البعض أن كلمة زنديق مأخوذة من كلمة سنديق السريانية، وأن هذه الكلمة جاءت من صديق، والصديق أحد مراتب أتباع هذه العقيدة.

١٤٨- يقول ابن النديم (الفهرست ص٣٤٢) فى حديثه عن مذهب الحزمية والمزدكية:"...وصاحبهم مزدك القديم أمرهم بتناول اللذات والانعكاف على بلوغ الشهوات والأكل والشراب والمواساة والاختلاط وترك الاستبداد بعضهم على بعض، ولهم مشاركة فى الحرم والأهل ولا يمتنع الواحد منهم من حرمة الآخر ولا يمنعه، ومع هذه الحال فيرون أفعال الخير وترك القتل وإدخال الآلام على النفوس...وعلى هذا المذهب مزدك الأخير الذى ظهر فى أيام قباد بن فيروز وقتله أنوشروان وقتل أصحابه" (المترجم).

١٤٩- الوزراء الستة هم: سالار (الزعيم)، بيشكار (الرئيس)، باروان (حامل العبء)، كاردان (الخبير)، دستور (المستشار)، كودك (الغلام- الخادم).

١٥٠-الاثنا عشر روحانيا هم: خوانده (الداعي)، دهنده (المعطي)، ستاننده (الآخذ)، كشنده (القاتل)، زننده (الضارب)، كننده (العامل)، أينده (الآتي)، شنونده (السامع)، برنده (الفائز)، خورنده (الآكل)، دونده (المسرع)، خيزنده (القائم)، وزاد الشهرستانى أيضًا: باينده (الباقي)، وهو غير موجود فى الكتب الأخرى.

١٥١-يوجد الآن أحد هذه النقوش الحجرية – التى تعتبر من الأعمال الفنية العظيمة– فى الفاتيكان، أى فى المقر البابوى بروما.

١٥٢-يرى المستشرق كريستنسن فى كتابه "إيران فى عهد الساسانيين" (ص٢٩ وما بعدها) أن البوذية قد تغلغلت فى إيران إبان العهد الإغريقى، فإن الملك الهندى أشوكا الذى اعتنق البوذية أرسل مبشرين بها إلى قندهار (إقليم فى وادى كابل) وإلى بلخ فى سنة ٢٦٠ ق.م وأن الدين البوذى قد شاع على مذهب المهايانة فى أقاليم آسيا الوسطى، وقد أقام البوذيون فى قندهار كثيرا من الأديرة فى القرون الأولى الميلادية، ووجدت فى خرائب هذه الأديرة نقوش إغريقية هندية تمثل مناظر حياة بوذا. وفى باميان، غربى كابل تماثيل عظيمة تمثل بوذا، نحتت فى صخور على شاطئ البحر. وقد تأكد وجود أديرة بوذية فى إيران الساسانية حتى القرن السابع بما ذكره هيون تسيانج فقد كان حسب روايته، أتباع ديانات أخرى هندية، من غير شك، فى المقاطعات الشرقية من المملكة. (المترجم).

١٥٣-تاريخ البرامكة – تأليف بوفا الفرنسى **L. Boovat Barmecides, Paris 1921.**

١٥٤- الفكر الطيب – عبارة عن محبة هرمز والاعتقاد بأن الخير المطلق منه، وتجنب التكبر والكفر والحسد والبخل. والقول الطيب – أى العبادة والامتناع

عن الكذب والغش والسب والغيبة والافتراء. والعمل الطيب – هو أداء الطقوس الدينية، والعمل بالتقوى، وتأدية الصدقة، ومد يد العون للضعفاء، والامتناع عن ارتكاب الأشياء المحرمة.

١٥٥- أشهر هذه الكتب الدينية:

(أ) دين كرت (كاردين) الذى ألف فى القرن الثالث (التاسع الميلادي) ويحتوى على التاريخ والآداب والسنن الزرتشتية.

(ب) بندهشن (معطى الأساس) ويرجع إلى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادي).

(جـ) داتستان دينيك (المعتقدات الدينية) وهو مؤلف فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادي).

(د) ديناى مى نيوگ خرد (عقائد روح الحكمة.

(هـ) ارتا ويرافنامك (يكتبه البعض ارته واردى ولكن وست كتبه بهذ الشكل)، وهو عما أصاب مذهب زرتشت من خلل بسبب استيلاء اليونان، وازدهاره فى عصر الساسانيين. ومن المعتقد أنه كتب فيما بين القرنين الثالث والسابع الهجرى (٩و١٤ الميلادي).

(و) شكندكو مانيك وى جار، وهو فى الدفاع عن دين زرتشت.

١٥٦- أشهر الكتب غيرالدينية:

(أ) كارنامك أرت خشير. بابكان (كتبه زالمان باوكان)، وهذا الكتاب كتب طبقًا لإحدى الروايات فى أواخر القرن السادس الميلادى، ولكن وست يعتقد أنه يرجع إلى القرون اللاحقة

(ب) يات كارْ زَريران (شاهنامة كَـشتاسب أو الـشاهنامة البهلويـة)، وينسبها البعض إلى سنة خمسمائة ميلادية.

(جـ) درخت آسور.

(د) خسرو كواتان والغلام خادمه.

(هـ) كتاب القوانين الاجتماعية للبارسيين فى العصر الساسانى.

(و) شطرنج نامه (كتاب الشطرنج).

(ز) أسلوب كتابة الرسائل.

(ح) نظم عقد الزواج

(ط) عجائب مملكة سكستان.

ى) معجم بهلوى.

١٥٧- لما كنا نذكر الكتب البهلوية وهى تعد وثائق تاريخية، فيجب أن نأخـذ فـى الاعتبار: أن أردشير بابكان كلف تنسر الذى كان كبير الهرابذة بجمع الأوستا، فكتب تنسر رسالة إلى ملك طبرستان جَسْنَفَسَ شاه (جسنفس معرب كَشناسب) وشجعه على التعاون مع أردشير ومساعدته، وقد ترجم ابن المقفع هذه الرسالة فى القرن الثانى للهجرة من البهلوية إلى العربية، وترجمها ابن اسفنديار بعـد ذلك إلى الفارسية فى القرن السادس الهجرى (١٢١٠م) وضمها إلـى مـدخل كتاب تاريخ طبرستان، وهذا الكتاب موجود الآن فى متحف الهند بلندن، وقـد اعتبره دارمستتر أقدم الوثائق التاريخية الإيرانية بعـد الكتابـات الهخامنـشية والأفستا. (رغم أن أصل الرسالة مفقود).

وقد ترجم د.يحيى الخشاب نص ابن اسفنديار إلى العربية فى القاهرة سـنة ١٩٥٤ نقلاً عن النص الذى نشره مجتبى مينوى.(المترجم).

١٥٨- كان هؤلاء العلماء قد لجأوا إلى إيــران نتيجــة تعــصب الــروم الــدينى للبارسيين فى العصر الساسانى، ولكنهم أرادوا العودة إلــى الإســكندرية بعــد فترة، وقد اشترط أنو شيروان فى معاهدة سنة ٥٤٩م التى عقدها مع الروم ألا يتعرض الروم لهم.

١٥٩- هذه أسماء بعض الكتب من النوع الرابع: وصية أردشير لشابور- وصــية أنو شيروان لهرمز وجوابه عليها – رسالة أنوشيروان للمرزبان ورده عليهــا – كتاب أنو شيروان إلى كبار رجال الدولة فى الشكر – كتاب الأشــياء التــى استخرجت من المكتبات بأمر أردشير. وبالنسبة لما كتب عن السياسة وشــئون الحكم: وصية أنوشيروان لأهل بيته – كتاب تنسر. وسيأتى ذكر أسماء كتــب النوع الخامس.

١٦٠- أسماء الكتب الأدبية هى: كتاب هزار أفسان أو أفسانه (وقد تمت ترجمتــه إلى العربية وهو الذى يعرف باسم ألف ليلة وليلة) – كليلة ودمنــة – هــزار دستان (الألف قصة) – سندباد (ترجمة من الهنديــة إلــى البهلويــة) [ونقلــه للفارسية السيد العميد أبو الفوارس القناوزى ســنة ٣٣٩هـــ – ٩٥٠م بــأمر الأمير ناصر الدين أى محمد بن نصر السامانى رابع الأمراء السامانيين ونقله للعربية أمين عبد المجيد بدوى ونشرته بنياد فرهنگ إيــران بالقــاهرة ســنة ١٩٧٨م] – قصة بهرام چوبين – أسطورة گشت وگذار – خــرس وروبــاه (الدب والثعلب) – مشك زنانه وشاه زنان (مسك النساء وملك النساء) – رستم واسفنديار – شهر براز وابرويز – بينان دخت – بهرام دخت – كتاب كاروند – أنوشيروان – بهرام ونرسى – دارا والصنم الذهبى – كتاب الفأل.

١٦١- ذكر ابن النديم هذه الكتابة باسم زوارشن فقال:"ولهــم هجــاء يقــال لــه زوارشن بها الحروف موصول ومفصول. وهو نحو ألف كلمة ليفصلوا بهــا بين المتشابهات مثال ذلك أنه من أراد أن يكتب گوشت وهو اللحــم بالعربيــة

كتب بسرا ويقرأه گوشت..وإذا أراد أن يكتب نان وهو الخبز بالعربية كتب لهما ويقرأه نان..وعلى هذا كل شيء أرادوا أن يكتبوه إلا أشياء لا يحتاج إلى قلبها تكتب على هذا اللفظ" (الفهرست ص١٤) (المترجم).

١٦٢- كانوا يقولون مثلاً فى اللغة الأكادية للأب (ادا)، ومن ثم كانوا يكتبونها (اد) ويقرأونها (أب).

١٦٣- كليمان هووار- إيران القديمة.

١٦٤- **Gothique** أو **Ogival** هو أسلوب القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين فى أوروبا. ويدعى الفرنسيون أنه أسلوب فرنسا فى ذلك الوقت. وطاقات هذا الأسلوب ليست مدورة، بل هى تشكل زاوية حادة عندما تلتقى أقسام الطاقات مع بعضها، ولا بد أن تسمى هذه الطريقة فى الفارسية باسم (پيكاني) (أى كالنصل أو كالحربة).

١٦٥- (أ) مجلس يبين انتصار سابور الأول على ڤالريان إمبراطور الروم.

(ب) نقش حجرى بارز يصور فارسين أحدهما يقدم التاج والآخر يأخذه، ويعتقد أن الأول هو أهورا مزدا والثانى هو أردشير الأول.

(جـ) مجلس يبين بهرام الثانى والمكلفين بالعمل معه.

(د) فارسان يتحاربان، ويعتقد البعض أن هذا المجلس يصور حرب بهرام الخامس مع خان الهياطلة، ويرى راولين سن أن هذا الملك هو بهرام الرابع.

١٦٦- المجالس الأخرى هى:

(أ) مجلس آخر يبين انتصار سابور على ڤالريان.

(ب) صورة شخص راكع على ركبتيه بين آهورا مزدا وسابور الأول.

(جـ) مجلس يصور منح التاج لبهرام الأول بواسطة هرمز، ويظن البعض أن هذا الملك هو نرسى.

(د) يصور بهرام الثانى وقائد جيشه الذى انتصر على العدو، ويعتقد أن هذا المجلس خاص بالاستيلاء على سيستان.

(هـ) مجلس يصور شخصا جالسا على كرسى وقد وقف على يمينه سبعة أشخاص فى خضوع طائعين، ومن الناحية اليسرى وقف ستة أشخاص فى حالة من التعظيم، ووقف شخص أسفل، وقد وضع بعضهم يديه على صدره والبعض الآخر عقد يديه، ويوجد أيضا جواد عليه سرج. ولعدم وجود كتابة، فلا يمكن معرفة الحادثة التى يشير إليها المجلس.

١٦٧- يعتقد كثير من الباحثين أن الشعر فى إيران قبل الاسلام كان يقوم على نظام عدد المقاطع، ويراعى فى ترتيبها كيفية المقطع من حيث الطول والقصر، كما يرى البعض الآخر منهم أن الوزن فى الشعر البهلوى كان يقوم على أساس كمية المقاطع ونبر الكلمة كما هو الحال فى الأشعار العامية والمحلية. (انظر فى هذا الموضوع بالتفصيل كتاب دراسات فى الشعر الفارسى حتى القرن الخامس الهجرى – الفصل الأول- تأليف دكتور محمد نور الدين عبد المنعم – القاهرة ١٩٧٦م، وكذلك كتاب أوزان الشعر الفارسى للدكتور برويز خانلرى – ترجمة محمد نور الدين عبد المنعم) (المترجم).

١٦٨- مثل اللغة اليُغْنوبية والوَخانية والهروية والشَغْنانية وغيرها.

الخاتمة

نظرة إجمالية على إيران القديمة خلال أربعة عشر قرنا:

بعد أن تحدثنا عن كل ما يخص إيران القديمة خلال أربعة عشر قرنًا في هذا الكتاب، فإن هذا يقتضى إلقاء نظرة شاملة على تاريخ هذه الحقبة الطويلة والحديث عنها بإيجاز.

انفصل الآريون الإيرانيون عن غيرهم من الآريين فى وقت غير معروف، وقدموا إلى أرض إيران تدريجيًا منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وسموها باسمهم وانقسموا إلى أقوام وعشائر متعددة. وتبع قومان من هذه الأقوام دولة آشور وهما الميديون والفرس، واقتبسوا أشياء كثيرة من الآشوريين والبابليين وتعلم الميديون بعد ذلك فنون الحرب عمليًا من الآشوريين وتحرروا من قيودهم بعد بذل كثير من التضحيات فى عصر هُو وَخْشَتَرَ، وسرعان ما قضوا على دولة آشور القديمة الراسخة، وكانت هذه الحادثة ذات طابع جديد، إذ إنها كانت أول مرة يمهد فيها السبيل أمام الآريين للسيطرة فى آسيا الغربية. ولم يتمكن الميديون فيما بعد من مقاومة البارسيين (الفرس) فأعطوهم مكانهم. ولم يكتف هؤلاء بأن يكونوا حراسًا لإيران بل أرادوا غزو العالم والسيطرة عليه. ولم يمض وقت طويل إلا وصار البارسيون (الفرس) يحكمون منطقة تمتد من ما وراء سيحون وحتى الحبشة، ومن البنجاب بالهند وحتى برقة (حتى قرطاجنة فى رأى البعض)[1]. وأسس قوروش الكبير هذه الدولة، وجعلها داريوش الكبير فى وضعها الصحيح[2]. وبتأسيس الدولة الهخامنشية حدثت أربعة أشياء لأول مرة فى التاريخ هي:

أولا:

انتصار الآريين فى آسيا الغربية بل فى عالم ذلك الزمان؛ ذلك لأنه حتى ذلك الوقت، وبقدر ما يذكره التاريخ، كان النصر والغلبة لأقوام لغتهم قريبة من لغة شعوب الأورال والألتائيين كالعيلاميين والسومريين والحيثيين أو قريبة من لغة شعوب سامية الأصل كالكلدانيين والآشوريين والفينيقيين وغيرهم.

ثانيا:

لم تؤسس دولة عظمى كهذه الدولة حتى ذلك الحين؛ إذ كانت دولة آشور أعظم دولة حينذاك قبل علو شأن الميديين، ومن الجائز أنها كانت تعادل نصف الدولة الهخامنشية[٣].

ثالثا:

لم يكن لأى دولة عظمى نظم إدارية كالتى كانت لإيران فى عهد داريوش الأول، ذلك أن حكام آشور وغيرهم غالبًا ما كانوا يستولون على البلاد بهدف الإغارة عليها أو تحصيل الضرائب منها. ولم يضع أحد نظمًا للبلاد التابعة كنظم داريوش الأول. ولهذا كانت نظم داريوش الإدارية جديدة فى التاريخ، وأصبحت الدولة الهخامنشية أول تجربة للآريين بل للشعوب الهندو أوروبية فى إقامة دول كبيرة.

رابعا:

لم تكن أى دولة آسيوية قد قامت بغزو أوروبا حتى عصر داريوش الأول (سفر داريوش غازيًا إلى تراقية وما وراء الدانوب).

اصطدم البارسيون (الفرس) فى تحركهم ناحية الغرب باليونان وخضع لهم ثلثها، إلا أن بقية اليونان أبدت مقاومة أدت إلى وقف زحفهم ناحية الغرب: لقد أراد اليونانيون بتقدمهم فى ماراتن وسلامين أن يزلزلوا حماية البارسيين للعالم، ولكن لم يمض وقت طويل إلا وكان النصر حليف البارسيين من جديد بسبب الحروب الداخلية فى اليونان، وأصبحت الدول اليونانية تسير فى فلك سياسة الآريين نتيجة ثروة إيران والنزاع الداخلى فى تلك البلاد. وقد قضى ظهور الإسكندر على هذه الأوضاع، وبدأ الزحف اليونانى صوب الشرق، وصارت إمبراطورية الإسكندر من حيث النظم الإدارية نسخة ثانية من إمبراطورية داريوش مع اختلاف وهو أن إستبدل بسيطرة الآريين الإيرانيين على العالم سيطرة شعبة أخرى من الشعوب الهندو أوروبية (المقدونية واليونانية)؛ أى سيطرة شعوب لم تكن آرية ولكنها ذات صلة قرابة بالآريين.

انتشرت الحضارة اليونانية فى إيران بسرعة، ولكنه كان انتشارًا سطحيًا لم يصل إلى الأعماق، وتحرك الإيرانيون بسبب الحروب المستمرة لخلفاء الإسكندر والفساد الذى ترتب عليها، وكذلك بسبب التصرف المتسم بعدم الروية من جانب السلوقيين تجاههم. وتقدمت جماعة من الشعوب الإيرانية القوية التى لم تكن قد وطأت بأقدامها حتى ذلك الحين ميدان السياسة، وطردت السلوقيين ويونانيى باختر (بلخ) من إيران. ثم تحالفوا مع الروم الأقوياء وشغلوا بتقسيم بلاد آسيا الغربية. هذه الشعوب، أو على الأصح هذا الجيش المحارب الذى عرف فى التاريخ باسم دولة بارث، هو الذى تولى حماية الشرق لقرون عدة، وأوقف زحف الروم صوبه.

وقد اتخذت إيران فى ذلك العهد شكل الدولة المتحدة، وقامت أوضاع هناك تكررت بعد ذلك نظائرها فى أوروبا خلال القرون الوسطى.

بعد أن سد الأشكانيون الطريق فى وجه الزحف الرومى ناحية الشرق، وأنهوا توسيع الروم العظيمة فى آسيا، خرجوا من ميدان الحرب تاركين أماكنهم

للبارسيين (الفرس) كما فعل الميديون، وذلك نظرًا لأنهم لم يهتموا بالنواحى الدينية عند الإيرانيين. واتخذت الدولة الساسانية دينًا رسميًا، ولم يكن لهذه الخطوة نظير في تاريخ إيران من قبل.

لقد أراد البارسيون فى بادئ الأمر إحياء الدولة الهخامنشية من جديد، ولكنهم سرعان ما أدركوا أنهم يواجهون دولة الروم القوية التى سيطرت على البابليين والفينيقيين والمصريين منذ سبعمائة عام، وكان نهر الفرات هو الحد الطبيعى بين إيران وبلاد الروم، حتى أضعف كل من الطرفين الآخر، واستمرت الحرب بين الدولتين قرونًا، ومع وجود الحروب المتكررة والطويلة فإن الدولتين كانتا تتفقان أحيانًا وتختلفان أحيانًا أخرى حول تقسيم البلاد.

واجهت الدولة الساسانية ضغط الشعوب القوية المحاربة من الشمال والشمال الشرقى، ومع هذا كله، فقد تغلبت تماما عليها، وانتهى الأمر بنجاة الحضارة الإيرانية لصالح إيران. وقد بلغت هذه الدولة أوجها خلال أربعة قرون، وأخيرًا خارت قواها فى سبيل أن تكون أفضل دولة فى العالم، ولكنها لم تتمكن من مواجهة شعوب المسلمين القوية المتحدة. ونتيجة لهذا، أصبحت السيطرة والتفوق بيد شعوب سامية الأصل مرة أخرى وبعد اثنى عشر قرنًا ونصف فى آسيا الغربية.

الأعمال التى ساهم بها الآريون الإيرانيون فى بناء الحضارة الإنسانية:

يمكننا أن نستنتج منذ الوهلة الأولى أن مآثر الشعوب التى ترجع إلى أصول مختلفة وأعمالها بينها ارتباط، فلكل شعب منها تاريخ منفصل ومستقل عن الآخر. ولكننا حينما نأخذ فى الاعتبار كل البشر وننظر إلى تاريخ الأمم من الناحية الإنسانية؛ فإننا سندرك بسهولة أن الحضارات الحالية – مع وجود اختلافات بينها– إنما هى نتيجة أحداث وقعت فى عصور ما قبل التاريخ، أو اعمال تمت فى العصور التاريخية.

وقد قدمت الأمم والشعوب التاريخية التى كانت تنتمى إلى أصول مختلفة – كـل أمـة بدورها– أعمالاً للجنس البشرى وأورثتها إياه ثم مضت. وقد أنجب الآريون الإيرانيون كذلك شعوبًا عظيمة، قامت بأعمال بطبيعة الحال. ويجب علينا معرفة هـذه الأعمـال، وبماذا تميزت هذه الشعوب عن غيرها من الشعوب التى كانت تتحكم فى مصير الأمم، وأى منزلة نالتها فى تاريخ الحضارة والمدنية؟.

ولكى نفهم هذه المسألة، لابد أن نأخذ فى الاعتبـار تـاريخ إيـران القـديم ونستخرج منه كليات، ونقارن هذه الكليات التى تم استنباطها مـن تـواريخ أمـم العصور القديمة الأخرى، حتى نبين الحقيقة دون انحراف عن جـادة الحيـدة. وإذا أردنا القيام بالمقارنة والموازنة فى هذه الصفحات، وتسجيل النتيجة التى نتوصـل إليها، فإننا سنتجاوز الحدود المخصصة لهذا الكتاب، لذا فإننا نكتفى بتقديم النتائج.

ومن تلك المقارنة التى تحدثنا عنها نجد أن الأعمال التـى قـام بهـا الآريـون الإيرانيون والأشياء الجديدة التى أدخلوها فى العالم القديم، وصارت ميراثًا بشريًا فيمـا بعد، وأثرت فى حضارات سائر الأقوام والأمم وعلى مدى عصور مختلفة، هي:

أولا:

تأسيس دولة كبيرة لم يكن لها نظير حتى ذلك الوقت فى التاريخ سواء مـن ناحية مساحتها واتساعها، أو من ناحية نظمها الإدارية.

ثانيا:

إدخال معتقدات أكثر نقاء وأخلاق أكثر سموًا من التى كانـت لـدى أكثـر الشعوب القديمة فى آسيا الغربية والشرق الأدنى.

ثالثا:

إن طريقة معاملة الأمم التابعة وإدارتها طبقًا لأصـــول ومبـــادئ أدت إلـــى تقارب الشعوب، ومهدت الطريق أمام اختلاطها وامتزاجها معًا. هذه الطريقة فـــى الحكم هى التى صارت بعد ذلك مثلاً يحتذى لدى الشعوب التى جاءت بعد الآريين الإيرانيين، واستكملت فيما بعد بمرور الوقت إلى أن وصلت إلى أسسها الحالية.

رابعا:

الابتكارات التى أدخلوها على الصناعات القديمة فبدت أكثر رقة وجمالاً.

خامسا:

تغيير الخط المسمارى الصعب بخط مسمارى أكثر سهولة ويسرًا.

أما بالنسبة لموقع الآريين الإيرانيين فى العالم القديم، فمعرفته ســـهلة جـــدًا وذلك بعد إلقاء نظرة واحدة على خريطة آسيا وأوروبا وأفريقيا. فقد ربطت إيـــران القديمة بين آسيا الشرقية وآسيا الوسطى والهند وبين العالم الغربى، ولمـــا كانـــت الملاحة فى ذلك الوقت غير ميسرة لعدم معرفة البوصلة وأشياء كثيرة ضـــرورية كذلك، فمن هنا يتضح كم كانت أهمية هذا الموقع؛ إذ كانت إيران تقع على طريـــق التجارة الدولى وطريق هجرة الشعوب القوية من آسيا الوسطى إلى الغرب.

ولا نعرف ماهى الشعوب التى مرت عبر إيران فى عصور ما قبل التاريخ متجهة صوب الغرب، وما نعرفه عن عصور ما قبل التاريخ هو فقط ما تمتلئ بـــه أساطيرنا من حروب الإيرانيين مع الشعوب الشمالية التى أغارت على إيران، وقد شغل فى العصور التاريخية هو وَخشتر وقوروش عدة ســـنوات متواليـــة بـــشئون الشمال الإيرانى. كما دخل الملوك الأشكانيون والساسانيون كذلك فى حروب مـــع

الشعوب الشرقية على الرغم من انشغالهم بأمر الروم. وإذا كنا لا نعلم شيئًا عن كيفية هذه الحروب؛ فإن هذا ناتج عن عدم وجود مصادر حول هذا الموضوع، والمعروف أن إيران نشرت حضارتها فى الشرق ومهدت سبل التجارة وقربت البحار من بعضها، ووفرت الأمن للقوافل التجارية وقربت بين الشعوب من ناحية، وأقامت سدًا فى مواجهة الشعوب القوية الشمالية الشرقية والشمالية مثل شعوب السك والماساژت واليوئه چى والهون والهون البيض (الهياطلة) والخزر والترك وغيرهم من ناحية أخرى.

وإذا دققنا النظر فى موقع إيران هذا؛ فإننا سنفهم بسهولة لماذا ظهرت أديان مختلفة فى إيران؛ إذ لما كانت إيران القديمة تقع على مفترق طرق العالم القديم، لذا التقت فيها أو على حدودها الأديان الهندية والمعتقدات الخاصة بشعوب آسيا الغربية واليونان[٤] والعقائد التى نتجت عن فلسفة حكماء اليونان مثل أفلاطون وأفلوطين وغيرهما. وظهرت مذاهب بسبب مراودة أتباع المذاهب والمعتقدات السابقة الذكر واختلاطهم ببعض مثل عبادة الشمس والديانة المانوية. واتخذت طابع المعتقدات الأصلية للآريين الإيرانيين[٥]. ولما انتشرت هذه المذاهب فى البلاد الأجنبية، فقد انتشرت عن طريقها بالتالى الأفكار والعقائد الإيرانية فى شرق العالم القديم وغربه وأثرت إيران فى معتقدات الشعوب المختلفة وحضارتهم فى بلاد بعيدة بطريقة غير مباشرة (مثل أوروبا الغربية وأفريقيا الشمالية من ناحية وتركستان والصين من ناحية أخرى).

هذه هى أعمال الآريين الإيرانيين فى العالم القديم بشكل مجمل ومختصر. ويفيد هذا الموجز أنه إذا كان ما قدمته هذه الأمة من أعمال فى سبيل الحضارة البشرية لا يصل من حيث الكيف إلى أهمية ما قدمه اليونانيون القدماء من أعمال؛ فإنه من حيث الكم ليس أقل مما قدموا، بل هو فى رأى البعض أكثر. ولهذا اعتبر الباحثون الشعوب الآرية الإيرانية شعوبًا تاريخية. وبناء على ما سبق، وبالنظر لما

هو معروف عن تاريخ العالم القديم؛ فإن الأمم التاريخية فى العصور القديمة طبقًا لترتيب تقدمها التاريخى هي: المصريون والبابليون، والآريون الإيرانيون، واليونانيون والرومان. ولا يدخل الهنود والصينيون فى هذه الزمرة لأنهم يشكلون طائفة أخرى فى تاريخ المدنية.

حواشى الخاتمة

١) هناك خلاف بين الباحثين حول قرطاجنة، ويستفاد صراحة من القرائن أنه قد عقد اتفاق بين إيران والمملكة المذكورة أيام الهخامنشيين، وكان هناك نوع من السيطرة لإيران على قرطاجنة تبعًا لهذا الاتفاق؛ فمثلا كتب جوستان المؤرخ الرومى (من القرن الثانى الميلادي) يقول إن داريوش بعث بأوامره إلى قرطاجنة، ليمنع التضحية بالإنسان كقربان ودفن الميت، ونفذ مجلس الأعيان فى قرطاجنة ذلك.

٢) "أن را بترتيب صحيح" هى نفس عبارة كتابة نقش رستم لداريوش الأول.

٣) لهذا السبب تعتبر الدولة الهخامنشية أول دولة غزت العالم طبقًا للترتيب التاريخى.

٤) خاصة بعد مجيء الإسكندر إلى إيران.

٥) تسمى هذه المذاهب فى الخارج بالمذاهب الإيرانية.

الملاحق

اسم الملك	الوقائع المهمة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
	عيلام العهد الأول لتاريخ العيلاميين مانيشتو يؤسس حكم أسرة الكيشيين، ويخضع عيلام للأكاديين خضوع انزان لگود -goudea ملك سومر	منذ الأزمنة السحيقة حتى: ٢٨٠٠-٣٢٢٥ حوالي ٢٥٠٠
كودورنان-خوندى	ملك عيلام يتم الاستيلاء على مدينة أور ويحمل تمثال نه نه معه إلى شوش استقرار جماعة سامية تعرف بـــ"نى سين" في سومر	٢٢٨٠ ٢٢٣٥
ريم سين	يقضي على آل نى سين	حوالي ٢١١٥
	العهد الثاني في تاريخ عيلام استقرار أول جماعة سامية في بابل قوانين حمورابي حمورابي يخرج ريم سين لارسا استقرار آل كاسي في بابل	٧٤٥-٢٢٢٥ ٢٢٢٥ ٢٠٨٠-٢١٢٣

اسم الملك	الوقائع المهمة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
شوتْروكْ - ناخون تا	يستولي على بابل ويحمل معه إلى شوش أشياء نفيسة وتاريخية من بينها تَرام سينْ	حوالى ١٩٩٠
شيل خاكين - شوش ناك	يزيد من ازدهار عيلام، ويجدد المباني القديمة - ويحافظ على الآثار القديمة، ويصل بالآداب العيلامية والصناعات إلى الأوج بداية استقلال آشور ظهور الآراميين وشنهم الحملات على بابل وآشور هجوم الكدانيين على بابل	حوالي ١١٧٠ بين ١٨٠٠و١٥٠٠ حوالي ١٣٠٠ ٩٧٠
	المرحلة الثالثة في تاريخ عيلام الحرب الأولى بين آشور وعيلام في دوريلو الحرب الثانية والثالثة	٧٤٥-٦٤٥ بين ٧٣٢ و٧٠٥ ٦٨٨
ت اومان	الحرب الرابعة المعروفة بـــ"توليز" الحرب الخامسة	٦٥٩ ٦٥١
خوم بان	الحرب الأخيرة بين آشور وعيلام .	٦٤٥

اسم الملك	الوقائع المهمة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
كالداش	وانقراضها	
	الآريون الإيرانيون قدوم الآريين إلى إيران نقش مضيق كَواى ذكر اسم آمادا وبارْسوا لأول مرة في نقوش الآشوريين. هجوم ادادنيرارى الثالث على ماد حرب تيكلات بى ليستر الثالث مع الميديين والاستيلاء على المزيد من الغنائم والأسرى من الميديين عبور جيش آشور من دوهاوند في عهد آشورحيدّين	بين ۲۰۰۰-۱٤۰۰ حوالي ۱۳٥۰ ۸۲۷ ۸۱۰ ۷٤٤ ٦۷٤
اسم الملك ديا اوكو	عهد الميديين (الماديون) يؤسس دولة الميديين - مدة حكمه	۷۰۱-٦٥٥
فروَر تيش	يحارب آشور ويُقتل - مدة حكمه	٦٥٥-٦۳۳
هووَخشتَرَ	مدة حكمه انتصاره في حرب الباسكيين وإخراجهم	٦۳۳-٥۸٤

اسم الملك	الوقائع المهمة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
	من إيران الاستيلاء على نينوا وانقراض دولة الآشوريين على يد الميديين	٦١٥ ٦٠٥
هووخ شتر	الحرب مع ليديا والصلح معها موت هووخ شتر	٥٨٥-٥٩١ ٥٨٤
ايخ تُوويگو	مدة حكمه هزيمة ايخ تُوويگو من كورش وانقراض دولة الميديين	٥٥٠-٥٨٤ ٥٥٠
هخمانش	عهد البارسيين (الفرس) الأسرة الهخامنشية أولاً: ملوك بارس وانزان يعتقد بعض الباحثين أنه كان رئيسًا للطائفة ولم يكن ملكًا	
چيش پــش	كان ملكًا في بارس	حوالي ٧٣٠
كبوجيه	وكان يحكم بارس	
كورش	وكان ملكًا في بارس	
چيش پش	وكان ملكًا في بارس	

اسم الملك	الوقائع المهمة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
كورش الكبير	ثانيًا : مرحلة ازدهار بارس (فارس)	
	حكم في انزان ثم في جميع مناطق إيران ويؤسس الإمبراطورية الإيرانية ومدة حكمه.	٥٥٩-٥٢٩
	الاستيلاء على همدان وانقراض دولة الميديين.	٥٥٠
	الاستيلاء على سارد وانقراض دولة الليديين.	٥٤٦
	الاستيلاء على المستعمرات اليونانية في آسيا الصغرى.	٥٤٥
	حروب كوروش في الممالك الشرقية.	٥٤٦-٥٣٨
	الاستيلاء على بابل وتتويج كورش ملكا عليها.	٥٣٨
	موت كورش.	٥٢٩
كمبوجيه	مدة حكمه	٥٢٩-٥٢٢
	حملته الحربية على مصر والاستيلاء عليها	٥٢٦-٥٢٢
	إرسال جيش إلى قرطاجنة وغزو	٥٢٤

اسم الملك	الوقائع المهمة – ملاحظات	السنة قبل الميلاد
	الحبشة قيام برديا المكذوب	٥٢٢-٥٢١
داريوش الأول (دارَى وهش)	مدة حكمه الحروب الداخلية وقلع المتمردين وقمعهم (الاستيلاء على بابل) الاستيلاء على البنجاب والسند هجوم داريوش على مملكة السكا الأثينيون يخرجون هيب ياس الجبار من أثينا الفرس (البارسيون) يستولون من جديد على تراكيه حرب الماراثون	٥٢١-٤٨٦ ٥٢١-٥١٧ ٥١٥-٥١٢ ٥١٤ ٥١٠ ٤٩٢ ٤٩٠
خشيارشا الأول	مدة حكمه القضاء على تمرد المصريين والاستيلاء على مصر من جديد حملة خشيارشا إلى اليونان – عبور مضيق ترموبيل- الحرب البحرية في	٤٨٦-٤٦٥ ٤٨٤

اسم الملك	الوقائع المهمة – ملاحظات	السنة قبل الميلاد
	أرتى ميزيوم- الاستيلاء على أثينا	٤٨٠
	حرب سالامين	٤٨٠
	حرب بلاته	٤٩٧
	مقتل خشيارشا، تولى أردوان السلطة نائبًا عنه	٤٦٥-٤٦٤
أردشير الأول (دراز دست) ارت خشتر	مدة حكمه	٤٦٤-٤٢٤
	تمرد المصريين والقضاء على ذلك	٤٦-٤٥٤
	اتفاقية كيمون-مشكلة الاستقلال الداخلي لليونانيين في آسيا الصغرى التي كانت جزءًا من اتحاد دلوس	٤٤٩
خشيا رشا الثاني	مدة حكمه ٤٥ يوما ومقتله على يد سغديانس	٤٢٤
سُغْديانس	حكم ستة أشهر	٤٢٤
داريوش الثاني (داريوهش)	مدة حكمه	٤٢٤-٤٠٤
	ثورة مصر	٤١٥
أردشير الثاني أرت خشتر	مدة حكمه	٤٠٤-٣٦٠
	حرب كورش الصغير في كوناكسا-	٤٠١

السنة قبل الميلاد	الوقائع المهمة - ملاحظات	اسم الملك
٣٨٧	ومقتله اتفاقية آنتا لسيداس (آنتا لكيداس) وخضوع يونانيي آسيا الصغرى خضوعًا تامًا لإيران	
٣٦٠-٣٢٨ ٣٤٥-٣٤٤	مدة حكمه الاستيلاء على صيدا ومصر من جديد	أردشير الثالث آرت خشتر
٣٣٨-٣٣٦	مدة حكمه	أرشك
٣٣٦-٣٣٠ ٣٣٤ ٣٣٣ ٣٣١ ٣٣٠	مدة حكمه مجيء الإسكندر لإيران: حرب گرانيك حرب إيسوس حرب گو گامل موت داريوش - انقراض الأسرة الهخامنشية	داريوش الثالث
٣٣٠-٣٢٣	<u>العصر المقدوني و السلوكي</u> مدة حكمه بعد انقراض الأسرة الهخامنشية	اسم الملك الإسكندر

اسم الملك	الوقائع المهمة – ملاحظات	السنة قبل الميلاد
	غزو الإسكندر للهند عودة آرْخ من الهند بالسفن اليونانية موت الإسكندر وبداية عهد الركود	٣٢٥-٣٢٧ ٣٢٤ ٣٢٣
سيليكوس الأول	الملوك السلوكيون يؤسس الدولة السلوكية – بداية التاريخ السلوكي	٣١٢
سيليكوس الأول	مدة حكمه	٢٨١-٣١٢
أنطيوخوس الأول	مدة حكمه	٢٦٢-٢٨١
أنطيوخوس الثاني	مدة حكمه بداية استقلال باختر وبارت	٢٤٦-٢٦٢ ٢٥٠-٢٥٦
سليكوس الثاني	مدة حكمه	٢٢٦-٢٤٦
سليكوس الثالث	مدة حكمه	٢٢٣-٢٢٦
أنطيوخوس الثالث	مدة حكمه	١٨٧-٢٢٣
سليكوس	مدة حكمه	١٥٧-١٨٧

اسم الملك	الوقائع المهمة – ملاحظات	السنة قبل الميلاد
الرابع		
أنطيوخوس الرابع	مدة حكمه	١٦٤–١٧٥
أنطيوخوس الخامس	مدة حكمه	١٦٢–١٦٤
دمتريوس	مدة حكمه	١٥٠–١٦٣
دمتريوس الثاني	مدة حكمه	١٣٨–١٥٠
أنطيوخوس السادس	مدة حكمه	١٢٩–١٣٨
أرشك	عصر البارثيين الأسرة الأشكانية أسس دولة بارت – مدة حكمه	٢٥٣–٢٥٦
تيرداد	حكم الدولة البارتية – مدة حكمه	٢١٤–٢٥٣
أردوان الأول	ضم جرجان – مدة حكمه	١٩٦–٢١٤
فرى يابت	مدة حكمه	١٨١–١٩٦
فرهاد الأول	شيّد مدينة خاراكس في الرى – مدة حكمه	١٣٨–١٧٠

اسم الملك	الوقائع المهمة – ملاحظات	السنة قبل الميلاد
مهرداد الأول	حارب السلوكيين وانتصر عليهم مدة حكمه	١٢٥-١٣٨
فرهاد الثاني	حارب أنطيوخوس سى ده السلوكي وانتصر عليه وأبعد السلوكيين عن حدود إيران	١٢٥-١٣٨
أردوان الثاني	جُرح في حرب مع طائفة اليوئه جى وتُوفي	١٢٤-١٢٥
مهرداد الثاني الكبير	أنزل بأقوام السك هزيمة ساحقة، وأقامت إيران في عهده علاقات مع دولة الروم، وبلغ بحدود إيران جبال الهيمالايا في الشرق وبين النهرين في الغرب- مدة حكمه	٨٧-١٢٤
سَنَدْرُوك	مرت فترة بعد مهرداد الكبير إلى أن جلس هذا الملك على العرش في سنة ٧٧- مدة حكمه	٦٩-٧٧
فرهاد الثالث	مدة حكمه	٦٠-٦٩
مهرداد الثالث	مدة حكمه	٥٦-٦٠
أُرُدْ الأول	مدة حكمه	٣٧-٥٥
فرهاد الرابع	مدة حكمه	١-٣٧

اسم الملك	الوقائع المهمة – ملاحظات	السنة قبل الميلاد
	حرب إيران الثانية والثالثة مع الروم – هزائم أنطونيو – يأس الروم من الاستيلاء على إيران – عقدهم للصلح الدائم معها.	
فرهاد الخامس	حكم حتى سنة ٢ ميلادية	السنة الميلادية
أُرُدْ الثاني	مدة حكمه	٢-٦
وانان الأول		٧-١٦
أرْدوان الثالث	كان ملكًا على ميديا وتابعًا للبارتيين، ثم استولى على العرش من وانان	١٦-١٥
واردان	حروب داخلية	
گودرز	حرب إيران الأولى مع الروم – فتح حران – مقتل كراسوس	٥٣
وانان الثاني	حروب داخلية	١٦-٥١
بلاش الأول (ولْگش)	مدة حكمه – انتصر في حربه مع عشيرة دها	٥١-٧٧
باكر الثاني وأرْدَوان الرابع	كان عصر الفطرة الذي استمر حتى سنة ١٠٧ ميلادية	١٠٧

اسم الملك	الوقائع المهمة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
كسرى	حرب تراجان إمبراطور الروم مع إيران وانسحابه صلح الروم مع إيران – مدة حكمه	١٠٧-١٣٣
بلاش الثاني بلاش الثالث		١٣٣-١٩١
بلاش الرابع	الحرب مع الروم – انسحاب سبتيم سفر إمبراطور الروم	١٩١-٢٠٨
بلاش الخامس	مدة حكمه	٢٠٨-٢١٦
أردوان الخامس	مدة حكمه مجيء كارا كالا إلى إيران – هزيمة الروم ودفعهم الغرامة لحكومة إيران. انقراض الدولة الأشكانية	٢١٦-٢٢٤ ٢١٧-٢١٨ ٢٢٤
	العهد الثاني للبارسيين (الفرس) الأسرة الساسانية	
بابك	كان يحكم في جزء من بارس (فارس)	
شابور	كان يحكم في بارس	٢١١-٢١٢

اسم الملك	الوقائع المهمة – ملاحظات	السنة قبل الميلاد
أردشير الأول بابكان	كان يحكم في بارس الحرب مع أردوان الخامس ومقتل آخر ملك أشكاني حكم أردشير الحرب مع الروم	٢١٢-٢٢٦ ٢٢٤-٢٢٦ ٢٢٦-٢٤١ ٢٢٨-٢٣٢
شابور الأول	مدة حكمه	٢٤١-٢٧١
	الحرب الأولى لشابور مع الروم الحرب الثانية لشابور مع الروم – أسر فالريان إمبراطور الروم إعلان مانى لديانته	٢٤١-٢٤٤ ٢٥٨-٢٦٠ ٢٤٢
هرمز الأول	مدة حكمه	٢٧١-٢٧٢
بهرام الأول	مدة حكمه قضى الروم في عهده على حكومة تدمر	٢٧٢-٢٧٥
بهرام الثاني		٢٧٥-٢٨٢
بهرام الثالث	حكم أربعة أشهر	٢٨٢

اسم الملك	الوقائع المهمة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
نرسى	مدة حكمه هزيمة جاليريوس القائد الرومي الحرب الثانية مع الروم والتخلي عن خمس ولايات	٢٠١-٢٨٢ ٢٩٦ ٢٩٧
هرمز الثاني	مدة حكمه - قُتل في حربه مع العرب	٣١٠-٣٠١
آذر نرسى		٣١٠
شابور الثاني الكبير ذو الأكتاف	مدة حكمه حرب شابور الأول مع الروم الحرب مع الهون وانتصار شابور الصلح بين الروم وإيران واسترداد الخمس ولايات التي انفصلت عن إيران على عهد نرسى الحرب مع الروم من أجل أرمينية وگرجستان ومعاهدة عدم تدخل الجانبين في هاتين المملكتين	٣٧٩-٣١٠ ٣٥٠-٣٢٨ ٣٥٧-٣٥٠ ٣٦٣ ٣٧٦
أردشير الثاني طيب الفعال	مدة حكمه	٣٨٢-٣٧٩

اسم الملك	الوقائع المهمة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
شابور الثالث	مدة حكمه تقسيم أرمينية بين إيران والروم	٣٨٢-٣٨٨ ٣٨٤-٣٩٠
بهرام الرابع	لُقب بلقب كرمانشاه - مدة حكمه	٣٨٨-٣٩٩
يزدكر الأول	لقب بالأثيم - ترك إمبراطور الروم آركاديوس ولي عهده تيودوس عنده وتولى يزدگـــر رعايته إلى أن جلس على العرش - مدة حكمه	٣٩٩-٤٢٠
بهرام الخامس	المُلقب بـــ"بهرام گور" - مدة حكمه الحرب مع بيزنطة دون نتيجة - معاهدة الصلح مع الروم الحرب على الهياطلة وهزيمتهم	٤٢٠-٤٣٨ ٤٢١ ٤٢٥
يزدگرد الثاني	مدة حكمه - قضية الديانة في أرمينية	٤٣٨-٤٥٧
هرمز الثالث	مدة حكمه	٤٥٧-٤٥٩
فيروز الأول	مدة حكمه حارب الهياطلة وقُتل	٤٥٩-٤٨٣
بلاش	الصلح مع المياطلة - إعلان الدين المسيحي دينًا رسميًا في أرمينية وكرجستان - مدة حكمه	٤٨٣-٤٨٧

اسم الملك	الوقائع المهمة – ملاحظات	السنة قبل الميلاد
قباد الأول	مدة حكمه في المرة الأولى ظهور مزدك – خلع قباد من السلطنة وفراره من السجن – ذهاب قباد عند الهياطلة	٤٨٧-٤٩٨ ٤٩٨
جاماسب	مدة حكمه	٤٩٨-٥٠٢
قباد الأول	مدة حكمه في المرة الثانية الحرب مع بلاد الروم الشرقية – الاستيلاء على ديار بكر والصلح مع بيزنطة الحرب مع الهياطلة وهزيمتهم هزيمة نكراء الحرب الثانية مع الشرق – طلب بيزنطة المساعدة من الماساجتيين والهون– معاهدة استاتوكو: بقاء الحال على ما كان عليه (أي عودة الجانبين إلى حالة ما قبل الحرب)	٥٠١-٥٣١ ٥٠٣ ٥٠٣-٥١٣ ٥٣١
خسرو الأول أنوشيروان	لُقّب بالعادل – مدة حكمه القضاء على المدركية – الإصلاحات	

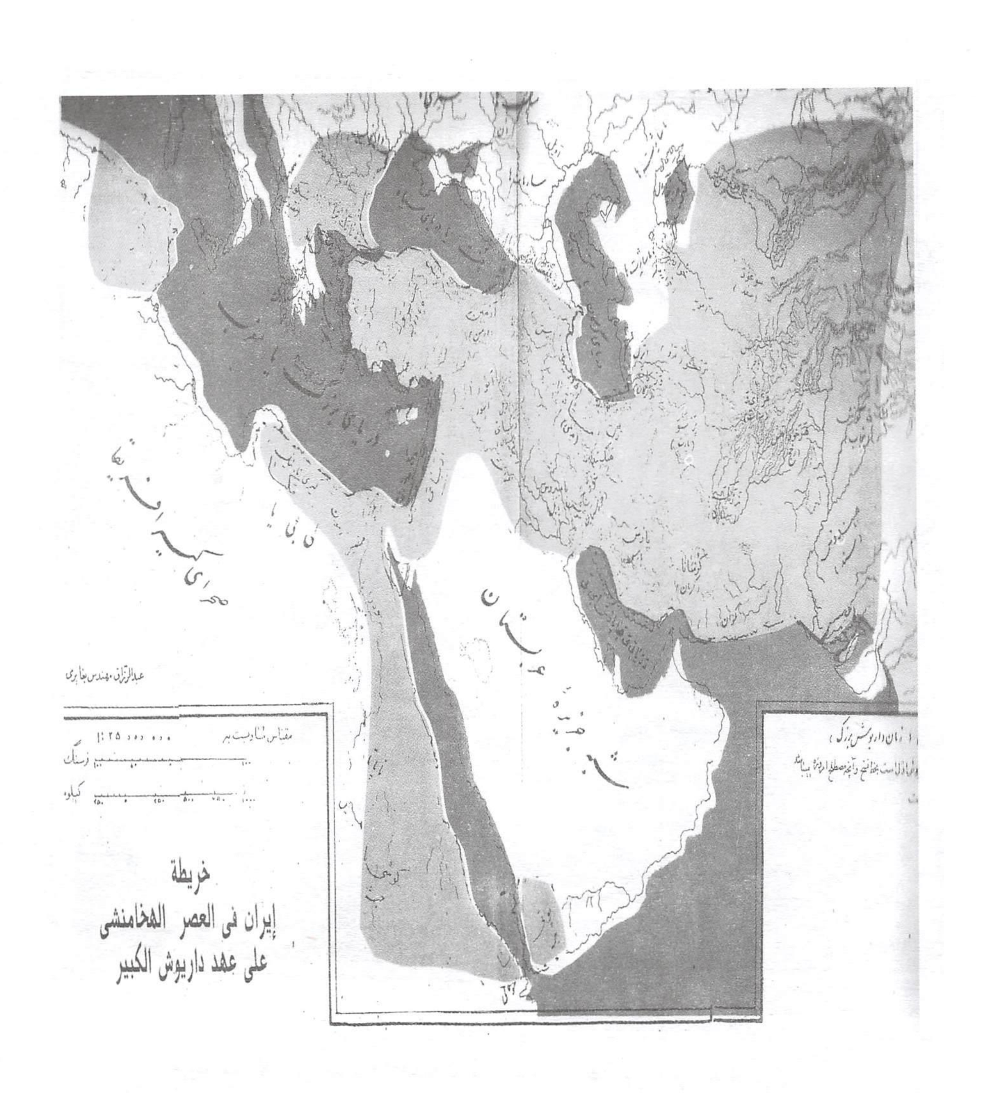
اسم الملك	الوقائع المهمة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
	في الجيش والمالية والقضاء- تشجيع الزراعة والتجارة ونشرهما- الإصلاحات الإدارية في إيران - تأسيس مدرسة الطب في جنديشابور - ترجمة كتب اليونان الفلسفية وكتاب بيدباي الهندي (كليلة ودمنة)	٥٧٩-٥٣١
	عقد معاهدة صلح مع الروم الشرقية	
	الحرب الأولى مع الروم من أجل لازيكا- الهدنة مع بيزنطة	٥٣٢
	الصلح مع الروم لمدة خمسين سنة- تعهدت بيزنطة بدفع مبلغ كل عام ولمدة خمسين عامًا لإيران	٥٥٧-٥٤٠
	الحرب مع الهياطلة وتقسيم بلادهم بين إيران وأتراك ما وراء نهر سيحون	
	سفر الإيرانيين الحربي إلى اليمن وإخراج الأحباش من هناك	٥٥٧
	الحرب مع الأتراك- انسحاب خاقان التركستان	تقريبًا ٥٥٧
	الحرب الثالثة مع بيزنطة-موت أنوشيروان	٥٧٠

اسم الملك	الوقائع المهمة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
		حوالي ٥٧١ ٥٧٩-٥٧٢
هرمز الرابع	مدة حكمه الحرب على بيزنطة الحرب مع الأتراك وهزيمتهم على يد بهرام جوبين القائد الإيراني-مصرع خاقان التركستان وأسر ابنه- دفع الأتراك الجزية لإيران	٥٩٠-٥٧٩ ٥٩٠-٥٧٩
خسرو الثاني برويز	مدة حكمه تمرد بهرام جوبين على خسرو-ذهابه إلى الروم ومجيئه إلى إيران مع جيش بيزنطة- وفاة موريس إمبراطور بيزنطة- حروب خسرو برويز مع الروم- فتوحات خسرو - الاستيلاء على آسيا الصغرى وسورية وفلسطين ومصر على يد شهراز وشاهين- إحضار صليب المسيح إلى إيران- قدوم هرقل قيصر بيزنطة إلى إيران وشراكته- محاصرة القسطنطينية بمساعدة شاهين القائد الإيراني.	٦٢٧-٥٩٠ ٦١٧-٦٠٣ ٦٢٧-٦٢٢

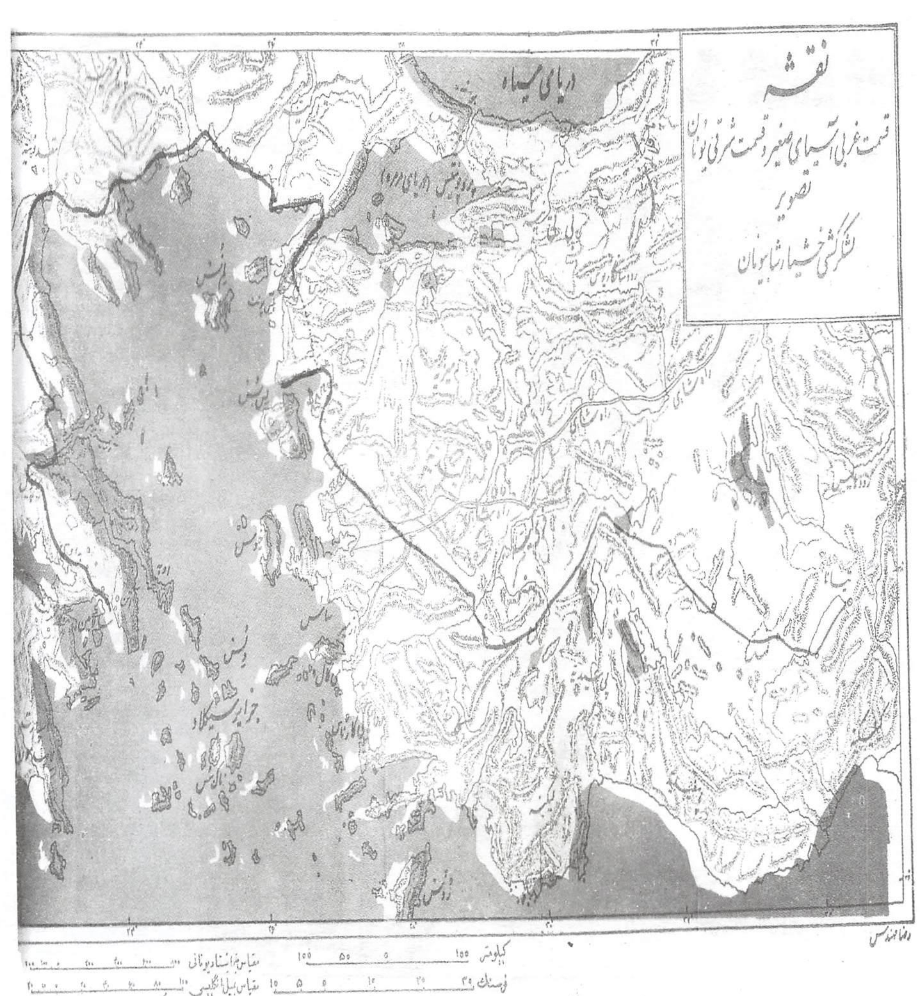
اسم الملك	الوقائع المهمة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد
	موت القائد المذكور- هجوم هرقل على دستَگرد خلع خسرو برويز ومقتله	٦٢٦-٦٢٧ ٤-٥ هـ / ٦٢٦-٦٢٧م ٥-٦هـ / ٦٢٧-٦٢٨م
قباد الثاني شيرويه	استرداد صليب المسيح الذي أحضره الإيرانيون من بيت المقدس وإعادته إلى الروم	٥-٧هـ / ٦٢٧-٦٢٩م
أردشير الثالث		٧هـ / ٦٢٩م
خسرو الثالث		٧هـ / ٦٢٩م
جوانشير		٧هـ / ٦٢٩م
بوران دخت	عقدت صلح نهائي مع الروم وبقيت نصيبين مع إيران	٨هـ / ٦٣٠م

اسم الملك	الوقائع المهمة - ملاحظات	السنة قبل الميلاد	
كشناسب بنده		٩هـ / ٦٣١م	
آزرميد خت		٩هـ / ٦٣١م	
هرمز الخامس		٩هـ / ٦٣١م	
خسرو الرابع		٩هـ / ٦٣١م	
فيروز الثاني	أبوه هو مهر كشناسب حفيد قباد الأول وأمه هي جهار بخت حفيدة أنو شيروان	٩هـ / ٦٣١م	
خسرو الخامس	الملقب بـ"خورزاد" و"فرخ زاد"	٩هـ / ٦٣١م	
يزدكرد الثالث	مدة حكمه المعارك الحدودية مع المسلمين (ذات السلاسل-الجسر-البويب وغيرها- معركة القادسية-استيلاء المسلمين على المدائن معركة جلولاء إرسال يزدگرد بمبعوثين إلى الصين وطلبه العون من فغفور معركة نهاوند مقتل يزدگرد الثالث وانقراض الدولة الساسانية	-١٠ ٣١ -١٢ ١٤ ١٤ ١٦ ١٦ ٢١	٦٥٢-٦٣٣ ٦٣٦-٦٣٤ ٦٣٦ ٦٣٨ ٦٣٨ ٦٤٢

اسم الملك	الوقائع المهمة – ملاحظات	السنة قبل الميلاد	
	اعتراف فغفور الصين بابن يزدگرد ملكا على إيران وفوض إليه أمر	٣١	٦٥٢
	ذهاب فيروز عند فغفور الصين وحصوله على إذن بالإقامة بيت نار في چان گاى (شنغهاي)	٤٠	٦٦١
		٥٣	٦٧٤
الأشخاص الذين لم يكونوا من الأسرة الساسانية			
خسرو	استعاد بهرام الخامس العرش منه		٤٢٠
بهرام السادس	المعروف بـــ"بهرام چوبين" الذي أطلق عليه اسم بهرام السادس بعد جلوسه على العرش وحكم عدة شهور فقط		٥٩٠
بيستام	حكم في ماد مستقلا أربع سنوات		٥٩٦-٥٩٢
شهربَراز	حكم شهرين ورد مصر وسورية وآسيا الصغرى إلى الروم		٦٢٩-٧

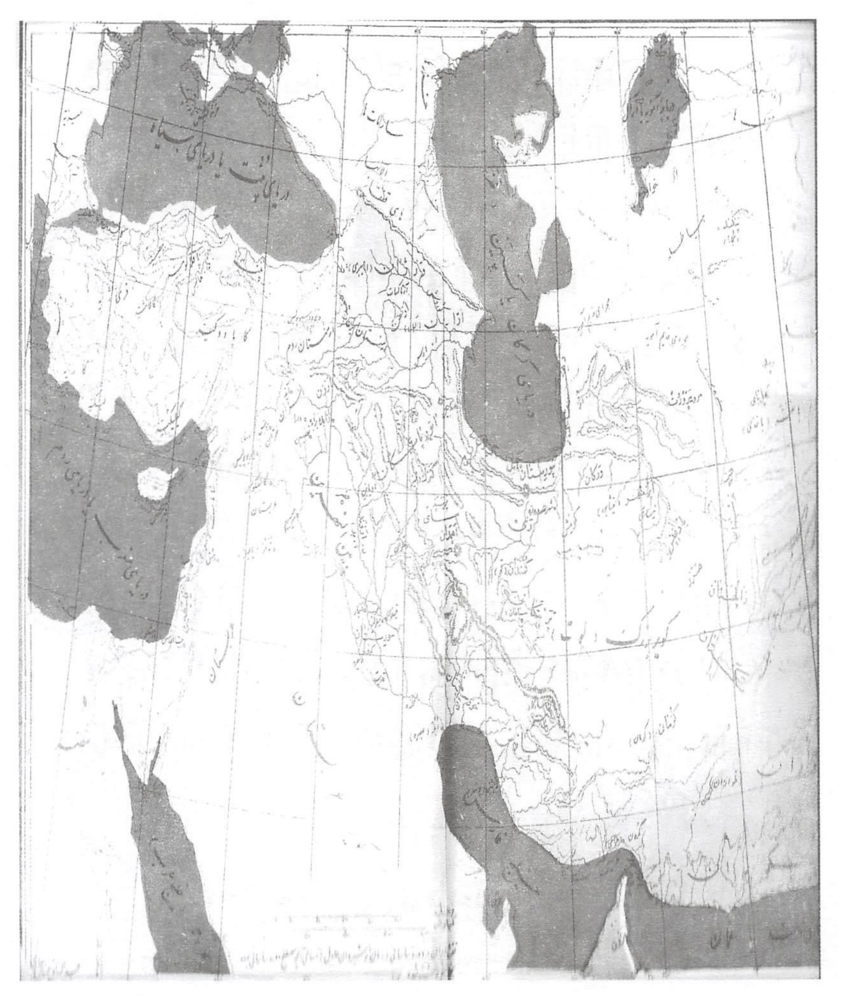


خريطة
إيران فى العصر الهخامنشى
على عهد داريوش الكبير



خريطة القسم الغربي من آسيا الصغرى والقسم الشرقة من اليونان وهى تصور غزو جيوش خشيارشا لليونان

نموذج من الخط المسمارى مأخوذ من كتاب كوسوفيتش
(النقوش الهخامنشية)



خريطة إيران فى العصر الساسانى على عهد أنو شيروان العادل

نموذج من الخط البهلوى
من كتاب جيجر وكوهن
(أساس فقه اللغة الإيرانية)

نموذج من الخط الزندى أو الافستائى
من كتاب جيجر وكوهن
(أساس فقه اللغة الإيرانيه)

المؤلف فى سطور:

حسن پيرينيا مشير الدولة

- ولد عام ١٢٩١هـ (١٨٧٤م).
- أتم دراسته العسكرية ثم دراسته القانونية فى كلية الحقوق بموسكو.
- أسس مدرسة لدراسة القانون افتتحت عام ١٣١٧هـ (١٨٩٩م).
- تدرج فى المناصب السياسية حيث عين سفيرا لإيران فى بطرسبورج، وشارك فى وضع الدستور، ثم عين وزيرا للعدل عام ١٣٢٧هـ (١٩٠٩م).
- رأس هو نفسه عدة وزارات كانت أولاها عام ١٣٣٣هـ (١٩٣٥م).
- اعتزل العمل السياسى وتفرغ للكتابة والتأليف حتى توفى عام ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م).
- من أهم مؤلفاته كتاب "القانون الدولى" وكتاب "إيران القديم" وكتاب "قصص إيران القديم" وغيرها.
- حصل على عدة أوسمة ونياشين من إيران وروسيا، وإنجلترا وفرنسا وهولندا وتركيا.

المترجمان فى سطور:

(١) محمد نور الدين عبد المنعم عبد القادر

- حاصل على دكتوراه الآداب فى اللغة الفارسية وآدابها من كلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٧٢م.
- يعمل حاليا أستاذا متفرغا للغة الفارسية وآدابها بكلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر.

تولى عدة مناصب إدارية وفنية مهمة منها:

رئيس قسم اللغة الفارسية بكلية اللغات والترجمة.

وكيل كلية اللغات والترجمة.

عميد كلية اللغات والترجمة.

مقرر لجنة ترقية أساتذة اللغات الشرقية.

رئيس لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

- قام بالتدريس فى عدة جامعات بالداخل والخارج منها:

جامعة الأزهر - جامعة المنصورة - جامعة القاهرة - جامعة الإسكندرية - جامعة عين شمس - جامعة بغداد بالعراق - جامعة الملك سعود بالمملكة العربية السعودية.

- ألف وترجم ما يقرب من ثلاثين كتابا أهمها:

دراسات فى الشعر الفارسى حتى القرن الخامس الهجرى - اللغة الفارسية: بحوث فى النشأة والتطور - جوانب من الثقافة الإيرانية -

البلاغة العربية أثرها فى نشأة البلاغة الفارسية وتطورهـــا – معجـــم النور لمعانى ألفاظ القـــرآن الكـــريم (عربـــى – فارســـى) – معجـــم المصطلحات السياسية والعسكرية – معجم المـــصطلحات الفلـــسفية – ترجمان البلاغة – كمال الدين بهزاد المـــصور الإيرانـــى المبـــدع – أوزان الشعر الفارسى.

– كتب ما يقرب من خمسة وسبعين بحثا ومقالا منشورا، منها:

الألفاظ الفارسية فى العامية المصرية – كلمات فارسية فى شعر أبـــى نواس – وصف مصر فى كتاب حدود العالم – تأثيرات عربيـــة فـــى كتب البلاغة الفارسية – البازار ودوره فى المجتمع الإيرانى – ترجمة فارسية منظومة لمعانى القرآن الكريم – المخطوطات الفارسية بـــدار الكتب المصرية – المصاحف الإيرانية المخطوطة فى مكتبات مـــصر ومتاحفها – المجمع اللغوى الإيرانى – المقـــاهى الإيرانيـــة ودورهـــا الاجتماعى والثقافى.

(٢) السباعى محمد السباعى

أستاذ اللغات الشرقية بكلية الآداب جامعة القاهرة، شغل منصب وكيل ثم عميد كلية الآداب - جامعة القاهرة فرع بنى سويف، وأسس مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة، ورأس تحرير مجلتى رسالة المشرق ومجلة الدراسات الشرقية.

ومقرر لجنة ترقية الأساتذة والأساتذة المساعدين فى الجامعات المصرية وعضو لجنة تحكيم دولية وعربية. شارك فى العديد من المؤتمرات الدولية والمحلية وله عشرات المقالات والبحوث والكتب ومنها: جلال الدين الرومى وكتابه فيه ما فيه، وعبد الوهاب عزام رائدًا ومفكرًا. ومن ترجمته "تاريخ إيران القديم"، "الإسلام فى إيران"، كما راجع العديد من الترجمات والمعاجم ونال عدة أوسمة من إيران والكويت وسوريا وجامعة القاهرة.

التصحيح اللغوى: عايدى جمعة
الإشـــراف الفنى: حســـن كامل